المقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) .

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام إن الله كان عليكم رقيبا).

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) .

أما بعد :

فإن القرآن الكريم قد اعتنى بمسائل وقضايا العقيدة جملة وتفصيلا ، وقرر التوحيد الذي بعث الله تعالى به أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام .

بدأ بالتوحيد في سورة الفاتحة بأنواعه الثلاثة : توحيد الربوبية أو الحاكمية أو السيادة ، وتوحيد الاسماء والصفات ، وتوحيد العبادة . يقرأ المسلم في صلاته سبع عشرة مرة سورة الفاتحة في كل يوم وليلة ، لا تقبل صلاته إلا بقراءتها ، وذلك لما اشتملت عليه هذه السورة العظيمة من أنواع التوحيد المذكورة، ويصرح فيها ببراءته من مناهج اليهود والنصارى العقائدية والعملية

والأخلاقية والإجتماعية .، فلا منهج مقبول في العقيدة والمحاكمة والأخلاق إلا منهج الأنبياء والمرسلين .

وختم الله تعالى كتابه العزيز بالتوحيد في سورة "الناس"، التي اشتملت على أنواع التوحيد المذكورة في سورة الفاتحة . والهدف من تكرير هذه القراءات، حض المسلمين على أن يكونوا صباح مساء موحدين لله تعالى قولا واعتقادا وعملا ودعوة للتوحيد، حتى يموتوا على التوحيد ، لعل الله جل وعلا يبعثنا في زمرة الموحدين .

ومن هنا يدرك طالب العلوم الشرعية المقصد الجليل الذي جعل الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي البخاري يبدأ جامعه المسند الصحيح بكتاب الإيمان ويختمه بكتاب التوحيد والردّ على الجهمية ؛ وكذلك السنة النبوية قد اعتنت بمسائل العقيدة بالتفصيل ؛ أخرج الامام أبو الحسين مسلم ابن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري في جامعه المسند الصحيح في كتاب الصلاة من حديث عبدالله بن مسعود قال: كنا نقول في الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم: السلام على الله ، السلام على فلان فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم: " إن الله هو السلام ، فإذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فإذا قالها أصابت كل عبد صالح في السماء والارض ، أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ثم يتخير من المسألة ما شاء ".

يردد المسلم كل يوم وليلة في صلاته هذا الميثاق تسع مرات في المكتوبة بله النافلة ، ويصرح خاشعا أمام خالقه بعد أن عفر وجهه بالسجود لربه تذللا وإذعانا ، بأنه يؤمن ويقر ويعتقد

جازما بقلبه المواطىء لقول لسانه أنه لاإله حق إلا الله، فالعبادة القلبية والقولية والبدنية والمالية لاينبغي أن تكون إلا له وحده لاشريك له . كما يعتقد المصلي ويؤمن ويقر جازما بكل قلبه المواطىء لقول لسانه أن النبوة التي فتحها الله تعالى بآدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام،قد ختمها ربنا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، الذي بعث الى الناس كافة والى الجان كافة ، داعيا الى توحيد الله ، ومحذرا من الشرك بالله بكل أصنافه وأنماطه وأنواعه . فلايقبل الله عملا من مسلم أو يهودي أو نصراني إلا إذا كان على هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال جل وعلا : (فلاوربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) النساء:65 .

ولحديث أبي هريرة في الجامع المسند الصحيح لابي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم أنه حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:" والذي نفس محمد بيده لايسمع بي أحد من هذه الامة يهودي ولانصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به،إلا كان من أصحاب النار".

فإذا كان التوحيد قد أخذ من حياة المسلم كل أجزائها فلن يكون المسلم موفقا عند الاستيقاظ إلا إذا فتح استيقاظه بكلمة التوحيد ؛ ولايقبل الله منه وضوءه إلا بكلمة التوحيد وعقيدة التوحيد ، ولاينظر الله تعالى إلى صلاته إلا بتحقيق الخشوع الذي لايصدر إلا عن قلب موحد لله ، عرف خالقه وفاطره ورازقه ، فمجده وناجاه بما شرع له من الدين ؛ ولايغادر سكنه ومنزله إلا بكلمة التوحيد ، وهكذا في لقاءاته ، وبيعه وشرائه ، وعمله ، وسعيه وفي كل إنجازاته لايفارقه توحيد خالقه لحظة واحدة .
فكيف لايكون موضوع هذا العلم الاكبر الاجل جديراً بالبحث والدراسة .

كيف يجوز لمسلم أن يعرض عن دراسة مصادر التوحيد القرآني النبوي، وعن فهم قواعد وأسس منهج التوحيد السلفي.

ليس بحثي دعوة الى التعصب المذهبي، أو محاولة لنصرة ظاهرة الجمود الفكري المخيم على الفرق الموجودة في البلاد الاسلامية؛ إنما هو محاولة لانصاف مالكية الاندلس، ورفع الالتباس عما يعتقده كثير من الناس في بلادنا في مجال التوحيد، لما حكموا منهج الفلسفة والكلام ونسبوا الى المالكية هذه المزاعم الفاسدة، والمالكية براء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب على نبينا وعليهما الصلاة والسلام، وعقيدة المالكية ثابتة مصانة من قبل أن يخلق الله اليونانيين واليونان، لانها عقيدة مفتاح النبوة آدم وعقيدة خاتم النبوة محمد عليهما الصلاة والسلام.

كما أن هذا البحث هو محاولة لدعوة دارسي عقيدة الاسلام إلى إثبات الحق وإزهاق الباطل، فالحق حقان: حق موجود وحق مقصود كما هو مقرر في كتب المحققين من علماء العقيدة القرآنية النبوية، لانه ليس كل من طلب الحق أدركه وناله، فالحق يدرك بمناهج قويم مرشد مصان عن العبث والمغالطات اليونانية، فلابد إذن من معرفة قواعد وأسس تحكيم ضوابطه العلمية حتى يصل طالب الحق إلى الحق الموجود على الوجه المشروع.

هذا وإن الغلو في الدين والتنطع في الدين، أو ما يعرف في المصطلح الاعلامي المعاصر بظاهرة العنف السياسي والتطرف الفكري، إنما هو ناتج عن فساد العقيدة، فهي ظاهرة خطيرة على الامة الاسلامية، وعلى المجتمع الدولي، رغم صدورها عن ذوي نيات حسنة؛ فليس كل من طلب الخير ناله، فلايمكن التخلص من آفاتها، ومحق أصولها إلا بتصحيح الاعتقاد، وذلك بالرجوع الى الكتاب والسنة، وطاعة الله ورسوله، على مناهج السلف أصحاب الحديث أعلم خلق الله بكتاب الله وسنة

رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبتصحيح الاعتقاد يصح العمل ، ويسلم من كل ما من شأنه أن يجعله مردودا .

لذلك كانت العناية بعلم التوحيد من أوجب الواجبات وآكد الفروض ، وأسمى الاهداف الاسلامية ، فبقدر ما يستقيم الاعتقاد، تسلم النيات ، وتصح الاعمال ، والبحث في مجال هذا العلم الالهي يتطلب توضيح مسائله ، وإبانة قواعده ، وشرح منهجه ، وتفصيل طريقة السلف أصحاب الحديث في تقريره ، وتبيين فساد مناهج مخالفيه ، وطريقة الوقاية من تشككاتهم وحيرتهم؛ ولا أدل على صحة ما أقول من رجوع أساطينهم الى الحق في نهاية حياتهم .

هذا ولما كان النظام في جامعة مولاي اسماعيل ، كلية الآداب في مكناس ، يلزم الباحث الراغب في الحصول على درجة دكتوراه الدولة للتخصص، أن يقدم أطروحة في مجال تخصصه ، ولأسباب معينة - يأتي ذكرها بعد حين - فقد إصطفيت موضوعا أحسبه من أجل الموضوعات وأحقها بالدراسة والبحث ، في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، وذلك نظرا لكونه موائيا لظروف عصرنا الفكرية والاجتماعية والسياسية ، بفهم ممنهج؛ بمنهج عقيدي أصيل مرشد ، هو منهج الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وهو منهج السلف أصحاب الحديث ، وعنوانه :

" منهج مالكية الاندلس في تقرير العقيدة عبر القرنين الرابع والخامس الهجريين ".

لما كان مذهب مالك قد ملأ المغرب والأندلس وكثيرا من بلاد مصر، وبعض الشام ، واليمن ، والسودان ، والبصرة ، وبغداد، والكوفة ، وبعض خراسان ، كما قرر ذلك شيخ الاسلام الحافظ

شمس الدين الذهبي في السير: 92/8 .

فإنه من الواجب إبراز أهم الجوانب العلمية التي كان مالكية الغرب الاسلامي فيها أئمة ورواداً، خصوصاً جانب العقيدة، فقد كانوا حفظة لمناهج السلف أصحاب الحديث في هذا الشأن.

والذي حملني على تفضيل الكتابة في هذا الموضوع:

- حبي الشديد لعلم التوحيد القرآني النبوي، لاسيما لما وجدت ضالتي المنشودة وبغيتي المقصودة في مصنفات مالكية الاندلس يرحمهم الله تعالى؛ إذ الاشتغال بالبحث في هذا العلم الالهي من أوجب الواجبات كما سبق في ديباجة هذه المقدمة ذلك لان التوحيد دين الفطرة،

فلأجله خلق الله الخليقة،

ولأجله أرسل الرسل وأنزل الكتب،

ولأجله حقت الحاقة ووقعت الواقعة ووضع الميزان،

ولأجله خلق الله الجنة والنار،

ولأجله شرع الله الجهاد لازالة العقبات من طريق الدعوة الى التوحيد القرآني النبوي.

- محاولة النهوض بالبحث العقيدي، وتكريم علماء الغرب الاسلامي، وذلك بإظهار مكانتهم العلمية، وتوضيح منهجهم القرآني الحديثي في أشرف العلوم الشرعية، خدمة للعقيدة السلفية.

- إعجابي الكبير بما نقله عنهم شيخ الاسلام ابن تيمية يرحمه الله تعالى من جهود جليلة مباركة في خدمة العقيدة السلفية، شجعني على دراسة تطنيفهم دراسة مركزة فاحصة.

- رأيت من الواجب علي أن أوضح ما يأتي:

أ - براءة مالكية الاندلس من الانتماء لمدرسة الفلسفة والكلام التي ينسبهم إليها من جهل مصادر فهم عقيدتهم.

ب - وأن أعرف بمصادرهم الرائدة المقررة للعقيدة على منهاج القرآن والسنة النبوية، وهو منهاج إمام دار الهجرة مالك بن أنس .

ج - بالاضافة الى شرح وبيان الاسس العلمية لتقرير عقيدتهم، فمنهجهم العقيدي أصل أصيل في الاثبات والعرض، وكذا في الرد والمناقشة .

- كون الموضوع لازال بكرا ، فلعل الله يجعلني مفتاح خير لتحريك همم الدارسين من أجل البحث في مناهج هؤلاء الرواد، كل على حدة ؛ وذلك من خلال مصنفاتهم ، في دراسات مستقبلية .

هذا بالنسبة للاسباب التي حملتني على اختيار هذا الموضوع ، أما فيما يخص الخطة التي سرت عليها فيه ، فقد اشتمل على مقدمة ومدخل وبابين وخاتمة .

اشتملت المقدمة على:

دوافع اختياري هذا الموضوع ،

وخطتي في البحث ،

ومنهجي في الدراسة .

أما المدخل : بيان أهمية المنهج السلفي في تقرير العقيدة .

فقد اشتمل على ثلاثة مباحث :

الاول : كلمة في المنهج .

الثاني: كلمة في العقيدة .

الثالث: بيان أهمية المنهج السلفي في تقرير العقيدة .

وأما **الباب الاول** : أسس وقواعد تقويم منهج مالكية الاندلس في تقرير العقيدة عبر القرنين الرابع والخامس الهجريين .

فقد اشتمل على سبعة فصول :

الفصل الاول : - أحوال المجتمع الاندلسي إبان الحقبة المدروسة .

الفصل الثاني: - عقيدة الامام مالك وموقفه من المتكلمين أهل الاهواء .

الفصل الثالث : - أوعية العلم وبحور المعرفة في الاندلس كانوا على منهاج السلف في العقيدة .

الفصل الرابع : - من أجلّ مصادر المنهج العقيدي الاندلسي في القرن الرابع الهجري كتاب أصول السنة للامام ابن أبي زمنين .

الفصل الخامس : - الامام أبوعمر الطلمنكي ومنهجه العقيدي .

الفصل السادس : - عقيدة الامام ابن عبد البر القرطبي ومنهجه في التصنيف العقيدي .

الفصل السابع : - الامام أبوعمرو الداني ومنهجه العقيدي .

الباب الثاني: - منهج مالكية الاندلس في تقرير العقيدة عبر القرنين الرابع والخامس الهجريين.

وقد اشتمل على خمسة فصول :

الفصل الاول : - منهجهم في إثبات التوحيد لله عزوجل .

الفصل الثاني: - منهجهم في إثبات العرش لله جل وعلا .

الفصل الثالث : - موقفهم من التأويل بالمفهوم الكلامي .

الفصل الرابع : - براءة مالكية الاندلس من التشبيه .

الفصل الخامس : - مذهبهم في الايمان .

وأما الخاتمة : فقد تناولت فيها النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة .

منهجي في الدراسة :

إذا كان المنهج هو سبيل العلم الذي يبتدىء من الرؤية والتصور من خلال مصادر المعرفة وينتهي بالهدف ، فإنني في هذه الدراسة قد اخترت لنفسي مجموعة من الضوابط هي عبارة عن خطة قائمة على مقاييس سرت عليها في بحثي ، وذلك من خلال محتوى أهم المصادر العقيدية التي يسر الله الاطلاع عليها ، وكانت بحمد الله تعالى كافية لتيسير الطريق أمامي بغية تقويم أسس وقواعد منهج عقيدة مالكية الاندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين ؛ وهي عصور ذهبية ، وكل عصور الحركة العلمية الاسلامية هي عصور ذهبية إذا حكمت بما أنزل الله وهو القرآن الكريم والسنة النبوية ، في الاعتقاد والسلوك والعبادات والمحكمات .

- حاولت جهد المستطاع أن أبين بأن النخبة المترجم لها من مالكية الاندلس ، هم رواد المنهج العقيدي ، قد نشأوا مالكية، ثم تطوروا في البحث والتنقيب والدراسة ، وبتطورهم بعد البحث والدراسة ، وبتطورهم في المعلومات توصلوا الى معرفة مدا خل ومدارك الائمة الكبار ، فشاركوهم وإن كان أولئك الائمة الكبار رحمهم الله ، لهم السبق والفضل والتقديم .

- ترجمت للامام مالك بن أنس ، وهدفي توضيح أصول اعتقاده وموقفه من أهل الزيغ والبدع ، وشرح أسس وقواعد منهجه في البحث العقيدي .

- ترجمت لكبار أئمة مالكية الاندلس بايجاز ، وحاولت أن أتلافى التقصير والغبن في الترجمة ، مع التركيز على شرح الاسس والقواعد العلمية لتقويم منهجهم في تقرير العقيدة الاسلامية، وذلك من خلال أوثق مصادر فهم عقائدهم ، مع التنبيه إلى مكانتهم العلمية الرائدة وسمو محيطهم العلمي .

- حاولت إخراج نصوص كتاب الوصول الى معرفة الاصول لأبي عمر الطلمنكي من مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ليتبين المنهج العقيدي جليا ، وتنصب الدراسة عليه بتركيز .

- صدرت مباحث أطروحتي بأقوال الامام مالك بن أنس في القضايا والمسائل العقيدية المختارة للدراسة ، ثم بينت موافقتها لاهل الحديث .

- التزمت الأمانة العلمية في نقل النصوص والإستدلال بها عند الشرح والإبانة خلال العرض والإثبات للمسائل والقضايا ، وكذا في الردّ والمناقشة .

- لازمت الانصاف خلال عرض أصول اعتقاد أهل الاهواء والبدع ، فجئت بأقوالهم من أوثق مصادرهم وأصح قراطيسهم في تقرير عقائدهم الفلسفية الكلامية .

- بينت إساءة ناظم البويت الفاسد :

في عقد الاشعري وفقه مالك *** وفي طريقة الجنيد السالك

ومخالفته لما كان عليه المالكية .

- كما بينت عالمية منهج الامام مالك العقيدي ، ودرست نماذج من أهم مصادر المذاهب الاسلامية المعتمدة في تقرير الأصول الإعتقادية .

- حاولت إظهار حقيقة علمية جليلة تخفى عن كثير من المنتسبين الى حقل الفكر الاسلامي ، ألا وهي التفرقة بين المراحل الفكرية الثلاث التي مر بها أبوالحسن الاشعري في مسيرته العلمية .

- تضمنت هذه الدراسة محاولة مني للدفاع عن أبي الحسن الاشعري الإمام المفترى عليه ، وذلك من خلال أروع كنوز تراثنا الاسلامي .

- بينت محتوى أهم مصادر أبي الحسن الأشعري في العقيدة، وكشفت عن شواهد وبينات منها تبرهن على تصريحه بتحكيم قواعد وأسس منهج مالك بن أنس، وهو منهج أهل الحديث كما صرح بذلك في كتابه مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين.

- علقت على بعض العقائد في الحواشي مشيرا الى أدلة المخالفين لمنهج مالك بن أنس مع الرد عليهم.

- عزوت الايات القرآنية الى سورها وذكرت أرقامها.

- ركزت على ترقيم نتائج الدراسة في خاتمة البحث، لانها جديرة بالعناية والدراسة والتعليق.

وقد بذلت في هذه الدراسة كل جهدي وطاقتي، حتى تمكنت بعون الله المعين أن أصل الى هذا المستوى الذي أرجو أن يجعله الله خالصا لوجهه الكريم، وينفع به طلبتنا في هذه الكلية في علم العقيدة، ولا أدعي أنني قد بلغت الكمال في الكتابة، فالجواد قد يعثر أحيانا كما قال الامام ابن خزيمة في كتابه التوحيد وإثبات صفات الرب عزوجل.

ولا يفوتني أن أسجل شكري لصاحب الفضيلة الاستاذ الاديب الاريب مفخرة القراء في هذه المملكة الدكتور التهامي الراجي الهاشمي الذي تفضل بقبول الاشراف على هذه الاطروحة، والحمدلله الذي أنعم علي بإشراف فضيلته، ونفس به كربة شديدة أسأل الله جل وعلا أن يتولاه بالمثوبة والاجر، هذا من الناحية الادارية البحثة، وأما من جهة الاشراف فإن أعلام العقيدة الاسلامية من مالكية الاندلس هم كبار أئمة القراء وبحور علم القراءات في عصرهم، كابن أبي زمنين، وأبي عمر الطلمنكي، وابن عبد البر القرطبي وأبي عمرو الداني.

أسأل الله جل وعلا أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ويجعل الاطروحة محاولة لبعث المنهج السلفي في تقرير العقيدة في حرمنا العلمي بهذه المملكة الآمنة زادها الله أمنا وطمأنينة وسكينة، وعلما واستقرارا.

آمين آمين لاأرضى بواحدة *** حتى أضيف إليها ألف آمينا

والحمد لله رب العالمين.

* *

الباب الاول :

أسس وقواعد تقويم منهج مالكية الاندلس في تقرير

العقيدة عبر القرنين الرابع والخامس الهجريين

*

* *

*

المدخل:

بيان أهمية المنهج السلفي في تقرير العقيدة

المبحث الاول : كلمة في المنهج .

المبحث الثاني : كلمة في العقيدة .

المبحث الثالث : بيان أهمية المنهج السلفي في تقرير العقيدة .

*

* *

*

المبحث الاول : كلمة في المنهج

كتبت هذا المدخل ليكون كشافا لاصطلاحات موضوع هذه الاطروحة، لان أصول الكتابة تقتضي ذلك، وتنص على إبانة وشرح المصطلحات اللازم شرحها، خصوصا وأن الاسلام أوسع من المصطلحات التي يحاول بعض الدارسين احتكارها أو إلحاقها بالاسلام من القاموس اليوناني الدخيل؛ هذا من جهة، ومن ناحية ثانية أريد من خلال هذا المدخل أن أنبه على أخطاء فظيعة وقع فيها بعض الدارسين ممن احتلوا منصة مدرجات كلياتنا خلال مناقشاتهم لبعض الاطروحات الجامعية، فجاءوا من الاقوال بما يبرهن على قلة معرفتهم بأصول العلم وأسسه، في وقت لاتحل فيه المداخلات والردود لدى الجامعات العربية، في حين نجد فيه جامعات كثيرة تأذن للمتخصصين من الباحثين خلال المناقشات العلمية بالمداخلات مستفسرين أو موضحين أو ناقدين، معترضين على أعضاء الهيئة العلمية .

وهذا المدخل يشتمل على ثلاثة مباحث كما أسلفت .

فبالنسبة لهذا المبحث الاول أقول:

إن اصطلاح منهج ونهج ومنهاج هو اصطلاح عربي أصيل ورد في القرآن الكريم، كما ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستعمل في مصادر التفسير، وفي كتب العقيدة الاسلامية وغيرها من مصادر العلوم الشرعية؛ فلايجوز لمعترض أن يتقول على الاسلام بعض الاقاويل، ويزعم بأن لفظة منهج ومنهجية إنما هي لفظة طلعت عليه في عصر التنوير على حد زعمه، أي في قرنه النصراني الغابر التاسع عشر، وهذه ثمرة سفاها الغرب وتعاهدها فأعطت هذا الطعم المر والرائحة الكريهة، والسبب الذي جعل

هذا المعترض يقع في الخطأ المذكور، كونه ترأس قبل أن يستقرئ العلم، ودرّس قبل أن يدرس ويتعلم، ووجه النقد قبل توفره على أصول النقد ومن أهمها بعد التتبع والاستقراء، الامانة العلمية والعدل والقسطاس في المناقشة والنقد، ومن أبرز أسباب ميله عن الصواب جهله بلغة العرب ومصادرها.

وقديما قيل: أثبت العرش ثم انقش.

فلفظة منهج كلمة عربية أصيلة، يلزمنا أن نسأل العرب الخلص عنها، وها هي ذي معاجمهم وقواميسهم متوفرة بيننا قد جمعت وهذبت،وما عليه هو وغيره إلا أن يصحبنا في هذه الرحلةالمباركة ليتعلم،لعل الله يشرح صدره للحق.

قال ابن فارس في نهج:

النون والهاء والجيم أصلان متباينان:

الأول النهج الطريق. ونهج لي الأمر أوضحه وهو مستقيم المنهاج.

والمنهج: الطريق أيضا، والجمع المناهج.

والاخر: الانقطاع، وأتانا فلان ينهج إذا أتى مبهوما منقطع النفس (1).

وقد ورد استعمال هذه اللفظة في محكم التنزيل، قال جل وعلا: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)(2).

قال ابن جرير:

"وأما المنهاج فإن أصله الطريق البين الواضح، يقال منه: هو الطريق نهج، ومنهج، بين ... فمعنى الكلام: لكل قوم منكم جعلنا طريقا الى الحق يؤمه، وسبيلا واضحا يعمل به"(3).

---

(1) معجم مقاييس اللغة: 361/5.

(2) سورة المائدة: 48.

(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 384/10.

والمنهاج الاسلامي هو الصراط المستقيم الذي أمرنا أن نسأل ربنا في كل صلواتنا المكتوبة وغيرها أن يوفقنا ويهدينا الصراط المستقيم ، قال ابن جرير الطبري شارحا :"وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك ، من قول وعمل ، وذلك هو الصراط المستقيم ، لان من وفق لما وفق له من أنعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء فقد وفق للاسلام ، وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب ، والعمل بما أمر الله به ، والانزجار عما زجره عنه ، واتباع منهج النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وكل عبد لله صالح وكل ذلك من الصراط المستقيم"(1) .

كما استعملت هذه الكلمة في أهم مصادر المنهج الاسلامي السلفي في العقيدة وهوكتاب السنة للامام أحمد بن حنبل الذي قال في مقدمة مصنفه الجليل:" هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الاثر، وأهل السنة المتمسكين بعروتها المعروفين بها ، المقتدى بهم فيها ، من لدن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا ، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها . فمن خالف شيئا من هذه المذاهب ، أو طعن فيها ، أو عاب قائلها ، فهو مبتدع خارج من الجماعة ، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق "(2) .

وقد وردت هذه اللفظة في كتاب الابانة عن أصول الديانة بعد أن وضح الامام أبو الحسن الاشعري منهاجه الذي هو منهاج السلف أصحاب الحديث وبقي الادعياء متمسكين بالمرحلة الكلابية التي تركها في مرحلته العلمية الثانية فقال:" قولنا الذي نقول به

---

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن:171/1 .
(2) كتاب السنة : 67 .

وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا عزوجل وبسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول به أبوعبدالله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ، ولمن خالف قوله مجانبون لانه الامام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ورفع به الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين ، وشك الشاكين..."(1) .

ولننظر الآن ما أنعم الله تعالى به على شيخ الاسلام ابن تيمية من تحديد ضابط التقارب بين كل من : الشرعة والشريعة والسنة والمنهاج ، قال رحمه الله موضحا مااشتمل عليه قول الله جلوعلا : "(فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)(2) .

فأمره أن يحكم بما أنزل الله على من قبله ، لكل جعلنا من الرسولين والكتابين شرعة ومنهاجا ، أي سنة وسبيلا ، فالشرعة الشريعة ، وهي السنة ، والمنهاج الطريق والسبيل ، وكان هذا بيان وجه تركه لما جعل لغيره من السنة والمنهاج إلى ما جعل له ، ثم أمره أن يحكم بينهم بما أنزل الله إليه . فالاول نهي له أن يأخذ بمنهاج غيره وشرعته ، والثاني وإن كان حكما غير الحكم الذي أنزل ، نهي له أن يترك شيئا مما أنزل فيها اتباع محمد صلى الله عليه وسلم الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ،

---

(1) الابانة عن أصول الديانة لابي الحسن الاشعري: 8 ، طبعةالجامعة الاسلامية بالمدينة النبوية سنة 1975.

(2) سورة المائدة : 48 .

فمن لم يتبعه لم يحكم بما أنزل الله ، وإن لم يكن من أهل الكتاب الذين أمروا أن يحكموا بما فيها مما يخالف حكمه "(1) .

وإذا كان لابد للباحث في دراساته من تسديد النظر ، وتقويم الفكر ؛ ووضوح طرق تحصيل العلوم والمعارف ، فإن ذلك لايتم إلا عن طريق استجماع الافكار بالتأمل في مصادرها ، والصبر على قراءتها قراءة فاحصة ومركزة مسترشدا بتوجيهات أهل الخبرة من الائمة المختصين في هذا الزمان ، وهم موجودون ولله الحمد ، من بحث عنهم وجدهم وسافر ورحل إليهم ، واستشارهم بالهاتف والفاكس وهي وسائل منّ الله بها على طلبة العلم والباحثين أصحاب الهمم الفاترة الباردة لأنه قد يتم للدارس الحصول على طريق البحث والتفكير والتلقي ليصل الى حقائق المسائل والقضايا وهذا هو المراد بالمنهاج ، ولن يحصل له ذلك إلا باستخدام آلات وأدوات علمية كان قد اكتسبها خلال مراحل تكوينه في الجامعة بأسلاكها الاول والثاني والثالث ، وهي ما يعرف اليوم لدى الباحثين بالمنهجية ؛ وعندئذ يحكّم الباحث ضوابط المنهج العلمي في البحث والتنقيب ، ويتقي الزلل والشطط والمغالاة ، فيهتدي الى الحقيقة على أسلم مسلك مصان ومرشد .

والمنهاج يكون واضحا ، إما في صحته ، أو في بطلانه وفساده ، لان المناهج كثيرة ومتضاربة .

قال الشيخ أبوعبدالله محمد بن المرتضى اليماني:

" والطرق الى الله تعالى كثيرة جدا ، ولكن نقتصر منها على أصحها وأجلاها وأوضحها وأشفاها حتى نتأمل بالسلوك فيها من الضلال

---

(1) مجموع الفتاوى : 113/19 .

في الطرق التي تبعد السائر فيها عن مقصوده والعياذ بالله.
وإلى تلك الطرق الاشارة بقوله تعالى: (ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)(1)"(2)

وسيقف القارىء لهذه الاطروحة على حقيقة جليلة ، وهي أن مالكية الاندلس سلفيون في عقيدتهم ، لانهم سلكوا في تقريرها مناهج السلف أصحاب الحديث الذي لايعدل عنه إلا من اشترى لهو الحديث ليضل الناس عن سبيل الله ، كأهل الفلسفة والكلام وغيرهم من أهل الاهواء والبدع .

---

(1) سورة الانعام : 153 .

(2) إيثار الحق على الخلق : 43 .

المبحث الثاني : كلمة في العقيدة

قال صاحب المعجم:

يقال: اعتقد فلان عقدة أي اتخذها ،

واعتقد مالا وأخا أي اقتناه ،

وعقد قلبه على كذا فلاينزع عنه،

واعتقد الشيء صلب ،

واعتقد الاخاء ثبت . (1)

وقال الزبيدي:

عقد الحبل والبيع والعهد يعقده .

عقده فانعقد شده ،والذي صرح به أئمة الاشتقاق أن أصل العقد نقيض الحل.

عقده يعقده عقدا وتعاقدا ، وعقده وقد انعقد وتعقد ، ثم استعمل في أنواع العقود من البيوعات والعقود وغيرها ، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم (2).

ومعناها في اصطلاح المحققين من أئمة التوحيد القرآني النبوي ،

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

"فإن الاعتقاد هو الكلمة التي يعتقدها المرء ، وأطيب الكلام والعقائد: كلمة التوحيد واعتقاد أن لاإله إلا الله . وأخبث الكلام والعقائد كلمة الشرك ، وهواتخاذ إله مع الله ، فإن ذلك باطل لاحقيقة له".(3)

---

(1) معجممقاييسا للغة : كتاب العين:4/86-87 .

(2) تاج العروس :فصل العين باب الدال:2/426 .

دارمكتبةالحياة، ط:1 ،المطبعةالخيريةبمصر. سنة:1306.

(3) مجموع الفتاوى: 4/74 .

هذا وقد ورد استعمال لفظة عقيدة في كتب المحققين من أئمة العقيدة السلفية، استعملها الامام أبوجعفر في مواضع كثيرة من تفسيره لكتاب الله عزوجل، أختار منها نموذجا واحدا. قال رحمه الله عند شرحه للآية العاشرة من سورة البقرة: (في قلوبهم مرض).

"وإنما عنى تبارك وتعالى بخبره عن مرض قلوبهم، الخبر عن مرض ما في قلوبهم من الاعتقاد، ولكن لما كان معلوما بالخبر عن مرض القلب، أنه معني به مرض ما هم معتقدوه من الاعتقاد، استغنى بالخبر عن القلب بذلك، والكفاية عن تصريح الخبر عن ضمائرهم واعتقاداتهم"(1).

وليست لفظة "عقيدة" مبتدعة، كما يزعم ويروّج الرعاع الذين اقتحموا في زماننا حقل الدعوة الاسلامية، تقدمهم جماعة خرافية متصوفة من الافّاكين الذين لاهم لهم ولاشغل إلا تحريضا لنشء على شق عصا الطاعة، وشتم أهل العلم بالقرآن والسنة النبوية، وتكفيرهم ورميهم بالعمالة لليهود والنصارى.

ونجد المحققين من علماء السلف أصحاب الحديث في القرنين الرابع والخامس الهجريين، يؤلفون كتبا سلفية على منهاج السلف، يسمونها بأسماء سلفية، وقد ورد لفظ العقيدة والاعتقاد جليا على صفحاتها الاولى، فنجد الامام أبا جعفر الطحاوي يصنف رسالته القيمة التي بسط فيها عقيدة السلف أصحاب الحديث بسطا قرآنيا حديثيا، وعرفت باسمه " عقيدة الطحاوي".
وجاء بعده الإمام أبو اسماعيل الصابوني فصنف كتابا قيما سماه "عقيدة السلف أصحاب الحديث".

---

(1) جامع البيان : 1/278-279.

وصنف الحافظ اللالكائي كتاباً سماه " أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " .

وذلك كله تعظيما لشأن العقيدة السلفية ، لكونها مفتاح دعوة رسل الله جميعا على نبينا وعليهم الصلاة والسلام . فكانت الغاية من دعوتهم ترسيخ عقيدة التوحيد في نفوس المدعويين ، ونفي الشرك بمختلف أنواعه وصوره وأنماطه ، ثم جمع كلمة المؤمنين على الوحي الالهي .

قال الله جل وعلا :

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه؛ كبر على المشركين ما تدعوهم إليه،الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب)(1) .

على هذا المنهاج العقيدي مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته الى توحيد الله وإفراده بالعبادة ، ونفي الند والشريك عنه والكفر بكل ما يعبد من دون الله . فتحمل صنوف الاذى من أجل نشر التوحيد وصيانته ، وحماية حماه ، وهذه وصيته وهو صلى الله عليه وسلم على فراش الموت ، يودع الدنيا ، نجده يرسخ عقيدة التوحيد في نفوس أصحابه ، فكان أول ما اعتنى به عند بعثته : توحيد الله ، وآخر ما وصى به وهو مختضر اخلاص العبادة لله والنهي عن الشرك .

أخرج الامام مسلم في جامعه المسند الصحيح من حديث عائشة وعبدالله بن عباس قالا : لما نزلت برسول الله صلى الله عليه وسلم الحمى طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك :" لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر مثل ما صنعوا "(2).

---

(1) سورة الشورى : 13 .

(2) الجامع الصحيح لمسلم مع شرح النووي:كتاب المساجد ومواضع الصلاة :5/12-13.

وأخرج أيضا من حديث جندب قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول:

(إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولوكنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك)(1).

إذا كان لهذه النصوص ومثيلاتها نور في قلوب الموحدين لرب العالمين ، فإن لها لنارا تحرق أفئدة أعداء التوحيد في كل زمان . وفي زماننا كثير من المنتسبين الى الدعوةالاسلامية من الفرق الفلسفية التي يموج بها هذا المجتمع المغربي ، يزعمون أن مسألة النهي عن عبادة القبور التي لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم معظميها ، إنما هي مسألة جزئية ، وهي من الامور التي لاتؤدي إلا الى التفرقة بين المسلمين !

نقول لهؤلاء الظالين : متى كان المسلمون مجتمعين حتى نفرق شملهم الآن في عصرنا الحاضر ؟

وإذا كان " الفرقان" من أسماء القرآن الكريم ، فإنه ما سمي بذلك إلا لانه يفرق بين الحق والباطل ، فعلى أي شيء تريدون أنتم أن تجمعوا المسلمين ؟

أتريدون أن تجمعوهم على " الدربوكة والطر"؟! فهذا عملكم ورقصكم في كل لقاءاتكم .

أم تريدون أن تجمعوهم بإخراج نسائهم من بيوتهن الى مساكن الرجال من أتباعكم ليسهرن الليالي ، وأنتم تلبّسون على خفافش الابصار من المغفلين المخلصين، بأنهن يقمن الليل ويتهجدن !

---

(1) المصدر السابق : كتاب المساجد :13/5.

فالاسلام قد أسقط عن النسوة فريضة حضور المكتوبات في المساجد ، فكيف تخرجون إماء الله في الليالي والظلام الدامس الى بيوت الدجل والشعوذة وتهدمون الدين بالدين الصوفي الخرافي ؟!
أبهذا يجمع المسلمون في اعتقادكم ؟!
أم تريدون أن تجمعوا المسلمين عن طريق تشريعكم لهم أورادا كاذبة خاطئة مصنوعة من طرف رئيس دجاجلتكم ، الذي قد ألزمتم مريديكم بإحضار صورته في حلقاتكم التصوفية الخرافية أثناء نباحكم وعوائكم !
أم تريدون أن تجمعوا المسلمين بإدخال فلذات أكبادهم الى السجون،وإخراج مهج أفئدتهم الى الشوارع مرددين شعارات العصيان المدني على منهاج الكفر والطغيان - حسب اصطلاحاتكم التي اخترتموها لانفسهم - مشيرين إشارات أهل الشرك والصلبان !

إن ترسيخ عقيدة القرآن في نفوس هؤلاء الشباب هو الحل الوحيد ، والمخرج الفريد من شرك العجوز المستبد بحمى العظمة والشعوذة ، الذي لم يجد سلاحا أقوى من التمويه وشق عصا الطاعة ، ومعارضة ومهاجمة العلماء السلفيين الذين يقفون في وجه انتشار أباطيل هذه الشرذمة المارقة ، وهذا ديدن أهل الزيغ والالحاد في كل عصر وزمان .
فقد رمت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمفتر ، والمجنون ، والكاهن ، والساحر ، والشاعر ، والعيوب والنقائص كلها لاحقة بصناديد قريش ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز المكارم كلها والفضائل والشمائل الطيبة في قرآن كريم يتلى أبد الآباد لايفنى ولاينتهي أبدا ، قال جل وعلا :(وإنك لعلى خلق عظيم) (1).

---

(1) سورة ن : 4 .

وأختم هذا المبحث بدرس في العقيدة هادفا لهؤلاء وأشباههم مهما تستروا بأسماء حربائية ، فأصولهم وأهدافهم موحدة يمكن حصرها في أصلين اثنين :

1 - الخروج على الحكام وشق عصا الطاعة .

2 - شن الحملات المسعورة على العلماء السلفيين دون غيرهم .

وهكذا تجدهم يحالفون كل شرير من الجن والانس ، فقد حالفوا التنظيمات البلشفية المدحورة ، ولايزالون يحالفون النصرانية الصليبية الميشيلية العفلقية في تنظيمهم ومنهجهم وعلاقاتهم الداخلية والخارجية ، وهم مع ذلك يرددون في كل وقت وحين : " الحاكمية لله " و"لابد من الحكم بما أنزل الله " .

وهم كذبة أفاكون ، لان الذي أنزله الله تعالى هو القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، وهم جميعا أعدى أعداء الوحي الالهي بشقيه ، يحكمون الهوى ، ويتركون القرآن مهجورا ، إنهم مخانيث الحرورية كلاب أهل النار كما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك (1).

لقد حاول رأس كبير من رؤوس الشر أن يرفع رأسه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن النبي صلى الله عليه وسلم أخمد فتنته بحكمته ورحمته ، ذلك عندما جوّز ذو الخويصرة الخارجي رئيس هذه المارقة الجور والضلال على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

" أول البدع ظهورا في الاسلام وأظهرها ذما في السنة والآثار : بدعة الحرورية المارقة ، فإن أولهم قال للنبي صلى الله عليه وسلم في وجهه : إعدل يا محمد ! فإنك لم تعدل . وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلهم وقتالهم ، وقاتلهم أصحاب النبي

---

(1) السنة للحافظ عمرو بن أبي عاصم الضحاك : 424 ، وانظر الشريعة للآجري: 36.

صلى الله عليه وسلم مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب "(1).
وما انتشر شر هذه الشرذمة إلا في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

"وكان شيطان الخوارج مقموعا لما كان المسلمون مجتمعين في عهد الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان ، فلما افترقت الامة في خلافة علي رضي الله عنه وجد شيطان الخوارج موضع الخروج ، فخرجوا وكفروا عليا ومعاوية ومن والاهما ، فقاتلهم أولى الطائفتين بالحق علي بن أبي طالب ، كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" تمرق مارقة على حين فرقة من الناس تقتلهم أولى الطائفتين بالحق "(2) .

وهكذا نجد بدع المتكلمين قد ظهرت في زمن الصحابة والتابعين ، أما البدع السلوكية كالخرافات التصوفية فإنها ظهرت بعد هذه الحقبة ، قال شيخ الاسلام:

" فالبدع الكثيرة التي حصلت في المتأخرين من العباد والزهاد والفقراء والصوفية لم يكن عامتها في زمن التابعين وتابعيهم ، بخلاف أقوال أهل البدع القولية ، فإنها ظهرت في عصر الصحابة والتابعين ، فعلم أن الشبهة فيها أقوى وأهلها أعقل ، وأما بدع هؤلاء (3) فأهلها أجهل وهم أبعد عن متابعة الرسول"(4) .

فليعلم رؤساء الفرق الموجودة في حقل الدعوة الاسلامية ، وليعلم أعضاء مجالسهم الاستشارية ، أن العناصر الطالحة في المجتمع لايمكن إيجادها إلا عن طريق التربية السلفية ،المركزة على غرس العقيدة القرآنية الحديثية في نفوس المدعويين

---

(1) مجموع الفتاوى : 71/19 .
(2) المصدر السابق: 89/19 .
(3) يقصد بهم الخرافيين المتصوفة .
(4) مجموع الفتاوى : 275/19 .

لكنهم لما حادوا عن منهج الصواب وبدلوا وغيروا ، تزعزت العقيدة في نفوسهم ، ثم انتقلت عدواهم بواسطة المغفلين المخلصين من عناصرهم الداعية الى أباطيلهم ، فاختلت موازينهم ، وتحكموا أهواءهم ، فانقلبت المفاهيم ، والاهواء تهوي بأصحابها في دركات الشقاء في هذه الدنيا ، وفي النار يوم القيامة .

والآن قد حان الوقت لبسط خصائص ومميزات المنهج السلفي في تقرير العقيدة ، لتبيين صفات رواده العلمية ، ومقاصدهم التأليفية من خلال مصادر فهم منهجهم المصان المرشد .

المبحث الثالث : بيان أهمية المنهج السلفي في تقرير العقيدة

المنهج الاسلامي أصل أصيل في تقرير العقيدة ، يتضح هذا للباحث من خلال قراءاته المركزة الفاحصة لمصادر فهم العقيدة السلفية ، ووقوفه على حقائق التنزيل ، وصحيح السنة النبوية.

ويمكن حصر خصائص هذا المنهج في أهم المميزات التالية :

1 - إن المنهج السلفي يحكّم القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة في كل الأصول الإعتقادية ، لايردّ منها شيئا بدعوى التأويل الكلامي ، الذي هو محض التحريف والتبديل لكلام الله عز وجل ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

2 - كما يتميز هذا المنهج بتقديم أقوال الصحابة المرضيين على أقوال غيرهم ، لأنهم أعلم بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو منهج مخالف للمنهج اليوناني الدخيل على العقيدة الاسلامية .

3 - ويتميز بترك الجدال الذي لايحقّ حقا ولايبطل باطلا ولايخوض في المسائل الاعتقادية ، فالصحابة المرضيون لم يتعمقوا في الدين ، ولم يسألوا عن الاشياء المنهي عنها ، لانهم لم يكونوا من المتكلفين (1).

4 - وهو منهج ينص على نبذ أهل الاهواء والبدع ، وهجرهم، ومقاطعتهم (2) تقريعا وتأديبا ، وعدم حكاية أقوالهم وترك ترديد ألفاظهم الدخيلة على ألفاظ القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، مصداقا لقول الله تعالى:

﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا

---

(1) انظر إعلام الموقعين : 49/1 .

(2) سيأتي تبيين ذلك عند شرح موقف الامام مالك بن أنس من أهل الاهواء .

في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلاتقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين)(1) .

5 - وهو منهج امتاز بالمحافظة على تقوية عوامل التوحد الاجتماعي الذي قام عليه التوحيد ، فالناس إذا عبدوا الله بأصول منهجية واحدة في الاثبات والنفي ، واثبتوا ما ينبغي أن يثبت لله تعالى من الاسماء والصفات التي أثبتها لنفسه ، وأثبتها له نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وآمنوا بالنبوة ولوازمها من محبة وطاعة ومتابعة ، فسيكون هذا التوحد في المنهجين العقيدي والتشريعي من أهم دعائم الوحدة بين المسلمين ، وأكبر مؤشر على نجاح دعوة المجتمعات الدولية إلى دين الرحمة ، قال شيخ الاسلام:

" وأهل السنة والجماعة يتبعون الكتاب والسنة ، ويطيعون الله ورسوله ، فيتبعون الحق ، ويرحمون الخلق "(2).

والمنهج السلفي في تقرير العقيدة على ضربين :

1 - منهج تولي شرح وإبانة الاصول الاعتقادية ، فهو منهج العرض والاثبات .

2 - منهج تولى الرد على أهل الفلسفة والكلام من المعتزلة القدرية والاشعرية الكلابية ، والحنفية الماتوريدية : أحفاد الجهمية الجعدية .

وأهم مصادر النوع الاول:

1 - كتاب السنة للامام أحمد بن حنبل .

2 - كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة .

---

(1) سورة الانعام: 68 .

(2) مجموع الفتاوى:279/3 .

3 - كتاب السنة للإمام عبدالله بن أحمد بن حنبل .

4 - كتاب السنة لعمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني .

5 - كتاب أصول السنة للامام ابن أبي زمنين القرطبي.

6 - كتاب الوصول إلى معرفة علم الأصول لأبي عمر الطلمنكي القرطبي.

7 - الأرجوزة في أصول الديانة لابي عمروالداني المالكي الاندلسي.

8 - الشريعة للإمام الآجري .

9 - أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للحافظ اللالكائي.

10 - شرح الموطأ للحافظ ابن عبد البر القرطبي.

11 - الصفات للحافظ الدارقطني .

وغيرها كثير جدا ولله الحمد والمنة (1) .

- وأهم مصادر النوع الثاني :

1 - كتاب الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمدبن حنبل.

2 - كتاب التوحيد والرد على الجهمية للإمام البخاري.

3 - كتاب الرد على الجهمية لابن قتيبة .

4 - كتاب رد عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيدللدارمي.

5 - الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي.

6 - الرد على القدرية للإمام مالك بن أنس .

7 - الرد على الجهمية للحافظ ابن منده .

---

(1) ككتاب الايمان للحافظ أبي عبيدالقاسم بن سلام ، وكتاب الايمان للحافظ ابن أبي شيبة ، وكتاب العرش وما روي فيه للحافظ ابن أبي شيبة ، وعقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني وغيرها .

هذا وإن أئمة السلف أصحاب الحديث قد سلكوا مسلكا رائدا مرشدا مصانا ، لايحتجون إلا بما صح وثبت عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، بالاسانيد الثابتة الصحيحة بنقل أهل العدالة موصولا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وبينوا أيضا بطلان مناهج أهل الاهواء والبدع الذين هم في ريبهم وضلالتهم يعمهون ، كما قال إمام الائمة ابن خزيمة رحمه الله تعالى(1) .

وقال رحمه الله موضحا أصول منهج السلف في العقيدة :

"إن علم هذا لايدرك إلا بكتاب الله وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لست أحتج في شيء من صفات خالقي عزوجل إلا بما هو مسطور في الكتاب أو منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم بالاسانيد الثابتة الصحيحة (2) .

وقال أيضا مُعلناً إجماع أهل العلم بالقرآن والسنة،على منهاج السلف : "فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق نقر بذلك بألسنتنا ونصدق بذلك بقلوبنا ..."(3).

كما نجد أسس المنهج السلفي واضحة في مقدمات مصادر فهم العقيدة السلفية ، من ذلك ما ورد في مقدمة كتاب عقيدة السلف أصحاب الحديث لابي عثمان اسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني من علماء القرن الخامس الهجري:

"... سألني إخواني في الدين أن أجمع لهم فصولا في أصول الدين ، التي استمسك بها الذين مضوا من أئمة الدين ، وعلماء المسلمين والسلف الصالحين، وهدوا ودعوا الناس إليها في كل حين ، ونهوا عما يضادها وينافيها جملة المؤمنين المصدقين المتقين ، ووالوا

---

(1) كتاب التوحيد : المقدمة ، طبعة دار الكتب العلمية، 1398.
(2) المصدر السابق : 21 .
(3) المصدر السابق : 10-11.

في اتباعها ، وعادوا فيها ، وبدعوا وكفروا من اعتقد غيرها ، واحرزوا لأنفسهم ولمن دعوهم إليها بركتها وخيرها ، وأفضوا الى ما قدموه من ثواب اعتقادهم لها ، واستمساكهم بها ، وإرشاد العباد إليها ، وحملهم إياهم عليها "(1) .

ومنهج السلف أصحاب الحديث هو الأقوم والأعلم والأحكم، على خلاف ما يعتقد الفلاسفة المتكلمون ، وقد بين شيخ الاسلام هذه الحقيقة إبانة شافية بقوله عن المتكلمين:

" فلايثبتون على دين واحد ، وتغلب عليهم الشكوك ، وهذا عادة الله فيمن أعرض عن الكتاب والسنة . وتارة يجعلون إخوانهم المتأخرين أحذق وأعلم من السلف ، ويقولون: طريقة السلف أسلم ، وطريقة هؤلاء أعلم وأحكم . فيصفون إخوانهم بالفضيلة في العلم والبيان ، والتحقيق والعرفان ، والسلف بالنقص في ذلك والتقصير فيه ، أو الخطأ والجهل ، وغايتهم عندهم: أن يقيموا أعذارهم في التقصير والتفريط...

ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة ، وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف : أن خير قرون هذه الامة - في الاعمال والاقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة أن خيرها - القرن الاول ، ثم الذين يلونهم ، كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه ، وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة من كل علم ،وعمل ، وإيمان ، وعقل ، ودين ، وبيان ، وعبادة ، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل . هذا لايدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الاسلام ، وأضله الله على علم ، كما قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه :" من كان مستنا فليستنّ بمن قد مات ، فإن الحي لاتؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد :

(1) عقيدة السلف أصحاب الحديث :9-10.

أبر هذه الأمة قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا بهديهم ، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم" وقال غيره : " عليكم بآثار من سلف فإنهم جاءوا بما يكفي وما يشفي ، ولم يحدث بعدهم خير كامن لم يعلموه " .

هذا ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : " لايأتي زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم" فكيف يحدث لنا زمان فيه الخير في أعظم المعلومات وهو معرفة الله تعالى ؟ هذا لايكون أبدا .

وما أحسن ما قال الشافعي رحمه الله في رسالته : " هم فوقنا في كل علم وعقل ودين وفضل ، وكل سبب ينال به علم أو يدرك به هدى ، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا "(1) .

إن كل من درس مصادر فهم عقيدة السلف وهو يسعى إلى الوصول إلى الحق ، يتبين له أن علماء السلف أصحاب الحديث قد أدوا واجبهم على الوجه السليم ، أما نحن بصفتنا دارسين وباحثين فقد قصرنا ، لاننا لم نصبر حتى نتعلم ونستوعب ما نتتبعوا ليحصل لنا استقراء ما جمعوا وهذبوا ، فوقعنا في حالة سيئة لايمكن الخروج منها إلا بالاعتصام بالكتاب وطاعة الله عزوجل ، والاعتصام بالسنة النبوية وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وها هي ذي المحاسن والمكارم الجليلة التي أحرزوها وهم يذبون على أصالة هذا المنهج السلفي ، والتي يمكن حصرها في :

1 ـ صانوا أصالة المنهج السلفي في التصنيف العقيدي .

2 ـ صانوا العقيدة السلفية من عبث العابثين ودجل أصحاب الاهواء والبدع .

---

(1) مجموع الفتاوى : 4/157-158 .

3 - كانوا يحبون الحق، لان الحق أحق أن يتبع عندهم، فكان من أجلّ مقاصدهم في التصنيف إثبات الحق وإبطال الباطل.

4 - وكانوا مقسطين في كتابتهم خصوصا في الرد والمناقشة، فالحق عندهم أولى بالاتباع، لانه المبتغى والمؤمل عند المحاورة والمناظرة.

5 - براءتهم من سلطان الهوى والتعصب، وارتباطهم باليقظة والوعي السليم، فحصل لهم:

أ - الظفر بالعلم النافع، ووقاهم الله شر العلم الذي لاينفع.

ب - الابتعاد عن سلبية الجدال والمناقشة كالعناد والمكابرة والمغالطة.

ج - اجتناب التسرع في إصدار الاحكام واتخاذ المواقف من أهل الاهواء والبدع إلا بعد تتبع أقوال الصحابة المرضيين، والتابعين، واستقراء ما جمعوا بأمانة وعدل وقسطاس.

وإذا كان الهدف هو المحور الذي تدور في فلكه العلوم والمعارف، فإن الغاية من دراسة المناهج هو تسديد النظر، وتقويم الفكر، وتقعيد طرق التلقي والتلقين؛ فالمنهج الاسلامي رائد في مقاصده وأهدافه، وذلك من خلال المصادر السلفية التي سبق ذكرها في هذا المبحث، ويمكن عرض هذه الاهداف في كون أئمة السلف :

1 - طلبوا المثوبة والاجر من الله تعالى لما صنفوا كتبهم.

2 - وسعوا الى انقاذ رقابهم من النار، وذلك بقيامهم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

3 - وكانوا يرغبون في كسب الحسنات بعد الوفاة محتسبين الاجر من الله تعالى .

4 - خوفهم من كتمان العلم ، لأنّ الله تعالى قد توعّد كاتم الحق بالعقوبة الشديدة يوم القيامة .

5 - خدمتهم للعقيدة السلفية ، وذلك بشرحهم لمسائلها وردهم على مخالفيها .

6 - توضيحهم للمنهج العقيدي السلفي المتميز بسهولته .

*   *

الفصل الاول :

أحوال المجتمع الاندلسي إبان الحقبة المدروسة

*

* *

*

المبحث الاول : الحالة السياسية

إن الحديث عن الاحوال الفكرية في المجتمع الاندلسي خلال المرحلة المدروسة ، هو حديث يستلزم دراسة الجوانب السياسية والاجتماعية التي نشأ فيها قادة من أقطاب الفكر الاسلامي ، الذين انصبت عليهم الدراسة في هذه الاطروحة من خلال نتاجهم العقيدية ، ذلك لان رواد الفكر الاسلامي يتأثرون في مجتمعاتهم بالافكار المشروعة ويؤثرون في مجتمعاتهم بتغيير ما طرأ عليها من فساد عقائدي وانحراف سلوكي . ورحم الله أمير البيان العربي الامير شكيب أرسلان الذي ننقل نصا في كتابه " لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟" والذي اقتطفت منه ما يناسب المقال:"... ولقد عهد الاسلام الى العلماء بتقويم أود الامراء ، وكانوا في الدولة الاسلامية الفاضلة بمثابة المجالس النيابية في هذا العصر ، يسيطرون على الامة، ويسددون خطوات الملك ، ويرفعون أصواتهم عند طغيان الدولة ، ويهيبون بالخليفة فمن بعده الى الصواب ، وهكذا كانت تستقيم الامور، لان أكثر أولئك العلماء كانوا متحققين بالزهد ، متحلين بالورع ، متخلين عن حظوظ الدنيا ، لايهمهم أغضب ذلك الملك الجبار أم رضي ؟ فكان الخلائف والملوك يرهبونهم ، ويخشون مخالفتهم بما يعلمون من انقياد العامة لهم ، واعتقاد الامة بهم"(1)

---

(1) الحلل السندسية : 2/194-195 .

الاندلس (1) هي الفردوس المفقود ، دخلها المسلمون فاتحين ، فملأوها عدلا وإحسانا ، بعد أن ملئت ظلما وعدوانا . يسر الله تعالى لهم فتحها لصحة عقيدتهم وسلامة فكرهم وتصورهم الديني ، ثم طُردوا منها لما فسدت عقيدتهم فبدلوا وغيروا أصول فكرهم وتصورهم الديني . فبعدما عاش المسلمون وعاش معهم غيرهم من اليهود والنصارى في رخاء وطمأنينة واستقرار ، متقلبين في نعم الله المتواصلة ، فبدلا من أن يلازموا شكرها ، بدلوها كفرا وأخلوا قومهم دار البوار ، ذلك لما انشغلوا به من لهو وشهوات ، أبعدتهم عن دينهم الحنيف ، فركنوا الى الدعة وزهدوا في الجهاد ، فما كاد القرن الرابع الهجري ينقضي حتى ظهرت العصبيات والقوميات بين العرب والعرب ، وبين العرب والبربر، فانقسمت الدولة الاسلامية الى دويلات صغيرة ، يسيطر على كل قسم منها أمير أو حاكم دفعته جماعة الافّاقين والانتهازيين المتطلعين الى الحكم والرياسة بشعارات الدين والتدين . قال ابن رشيق القيرواني:

مما يزهدني في أرض أندلس ** أسماء مقتدر فيها ومعتصم

ألقاب مملكة في غير موضعها ** كالهر يحكي انتفاخا صولة الاسد .(2)

وقال غيره :

وتفرقوا شيعا فكل مدينة ** فيها أمير المؤمنين ومنبر .(3)

---

(1) أطلق العرب اسم "الاندلس" على الجزء الجنوبي من شبه جزيرة "إيبيريا" الواقعة في الجنوب الغربي من قارة أوربا ، والتي تسمى اليوم "إسبانيا". وكانت الاندلس - والكلمة مأخوذة من فندال القبائل التي طردها الرومان ومنها أخذ العرب كلمة أندلس فندلس - تمتد من الجنوب الى الشمال من الوادي الكبير ، والى الجنوب والشرق منه حتى بحر الروم (البحر الابيض المتوسط) تجاه بلاد المغرب الاقصى حيث يفصلها عن القارة الافريقية بحر الزقاق (مضيق جبل طارق).

انظر معجم البلدان:3/262-263-264 .

(2) الحلل السندسية :1/248 .

(3) المرجع السابق :1/10 .

حكم بلاد الاندلس منذ فتحها أكثر من عشرين أميرا من الامويين(1) وامتد سلطانهم عليها، وحاولوا أن يجعلوا منها جنة الله في الارض(2).

وأول من جعل مدينة قرطبة عاصمة خلافته هو الامير عبدالرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبدالملك الذي أسس في مدينة الفكر والثقافة الاسلامية عاصمة دولة بني أمية : قرطبة(3).

وكان من أعظم خلفائهم عبدالرحمن الثالث الذي حكم الاندلس من سنة 300 إلى 350 هجرية(4)، وهو باني الزهراء الذي كان لايمل من الغزو، فيه سؤدد وحزم وإقدام. وكان رحمه الله ينطوي على دين وحسن وخلق ومزاح(5).

---

(1) الحلل السندسية : 299/1 .

(2) وذلك منذ فتحها موسى بن نصير أمير القيروان وتحت قيادته دخلها أميره في طنجة طارق بن زياد سنة اثنين وتسعين هجرية، أقام موسى في بلاد الاندلس مجاهدا وجامعا للأموال، ومرتبا للامور بقية سنة ثلاث وتسعين وسنة أربع وتسعين وأشهرا من سنة خمس وتسعين. ثم استخلف على الاندلس ولده عبدالعزيز موسى، وترك معه العسكر ووجوه القبائل من يقوم بحماية البلاد، وسد الثغور وجهاد العدو ورجع الى القيروان.
الجذوة : 5-6 .

(3) كان عنوان هذه الاطروحة في أول مرحلة الكتابة :"المنهج المالكي القرطبي في العقيدة خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين" نظرا لكون الاعلام المنتخبين لدراسة منهج عقيدتهم كانوا جميعا قرطبيين، وقرطبة هي مدينة عظيمة بالاندلس وسط بلادها، وكانت سريرا لملكها وقصبتها، وبها كانت ملوك بني أمية، ومعدن الفضلاء وليس لها في المغرب شبيه في كثرة الاهل وسعة الرقعة. ويقال إنها كأحد جانبي بغداد، وإن لم تكن كذلك فهي قريبة منها.
معجم البلدان : 324/15 .

(4) الجذوة : 13 أعني جذوة المقتبس للحميدي .

(5) سير أعلام النبلاء : 563/15 .

هذا وقد ولد الإمام أبوعمر الطلمنكي في زمن أمير المؤمنين عبدالرحمن ، وعاصر الخليفة المستنصر الحكم بن الناصر لدين الله عبدالرحمن بن محمد الاموي المرواني صاحب الاندلس وابن ملوكها ، توفي سنة ست وستين وثلاثمائة (1) .

كما عاصر معه الإمامان أبوعمر ابن عبد البر ، وأبوعمرو الداني كلاً من الخلفاء الآتية أسماؤهم:

هشام بن الحكم المؤيد بالله ، لما ولي الحكم كان عمره عشرة أعوام وأشهر ، تغلّب عليه حاجب أبيه ، أبوعامر محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور ، فكان يتولى جميع الامور الى أن مات ، فصار مكانه ابنه عبدالملك بن محمد الملقب بالمظفر ، فجرى على ذلك الى أن مات . فصار مكانه أخوه عبدالرحمن بن محمد الملقب بالناصر ، فخلّط وتسمّى وليّ العهد، وبقي كذلك أربعة أشهر ، إلى أن قام عليه محمد بن هشام بن عبد الجبار يوم الثلاثاء لثمان عشرة ليلة خلت من جمادى الاخرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، فخلع هشام بن الحكم ، وأسلمت الجيوش عبدالرحمن ابن محمد ، محمد بن أبي عامر ، فقتل وصلب ، وبقي كذلك الى أن قتل محمد بن هشام بن عبدالجبار وصرف هشام المؤيد الى الامر، وذلك يوم الاحد السابع من ذي الحجة سنة أربعمائة ، فيبقى كذلك وجيوش البربر تحاصره مع سليمان بن الحكم بن سليمان ، واتصل ذلك الى خمس خلون من شوال سنة ثلاث وأربعمائة ، فدخل البربر مع سليمان قرطبة ، وأخلوها من أهلها حاشا المدينة وبعض الربض الشرقي ، وقتل هشام المغلوب على أمره والمتغلب عليه (2).

---

(1) الجذوة :13 ،وسير أعلام النبلاء: 230/16 .
(2) الجذوة :17-18 .

وفي ولاية سليمان بن الحكم المستعين، الذي تحصن بجيوش من البربر والعبيد في قرطبة، تمكن الامير علي بن حمود من ضرب عنق سليمان بن الحكم بيده ودخل قرطبة لتسع بقين من المحرم سنة سبع وأربعمائة، وقتل أباه الحكم بن سليمان بن الناصر أيضا في ذلك اليوم، وهو شيخ كبير له اثنتان وسبعون سنة!

وبقي علي بن حمود بقرطبة مدة عامين غير شهرين، الى أن قتله صقالبة (1) له في الحمام سنة ثمان وأربعمائة (2).

وبعده جاء أخوه القاسم بن حمود وكان أسن منه بعشرة أعوام. بقي القاسم في الحكم الى شهر ربيع الأوّل سنة اثنتي عشرة وأربعمائة فقام عليه ابن أخيه يحيى بن علي بن حمود بمالقة فهرب القاسم عن قرطبة بلاقتال الى إشبيلية. ثم عاد إليها بجيوش جرارة من البربر وزحف الى قرطبة ودخلها سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، وبعد مقاتلات تم القبض في النهاية على الشيخ العجوز القاسم فقتل خنقا سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة.

وفي ولاية جهور بن محمد بن جهور الوزير القرطبي العقل الداهية، تم له تدبير قرطبة والإستيلاء عليها، وكان على طريقة الرؤساء الصالحين من سلفه بني أمية، فاستمر أمر الناس معه مستقيما إلى أن توفي في صفر سنة خمس وثلاثين وأربعمائة (3).

---

(1) الصقالبة: أطلق الجغرافيون العرب اسم الصقالبة على الشعوب السلافية سكان البلاد الممتدة من بحر قزوين شرقا الى البحر الادرياتيكي غربا، وهي البلاد التي كانت تسمى في العصور الوسطى باسم بلغاريا، ولقد دأبت بعض القبائل الجرمانية على سبي تلك الشعوب وبيع رجالها ونسائها الى عرب إسبانيا ولهذا السبب سموا بالسلاف.
دراسة بقلم الاستاذ أحمد مختار عبادي نشرتها له مجلة عالم الفكر وزارة الاعلام بالكويت سنة 1984 بعنوان: الاسلام في أرض الاندلس.

(2) الجذوة: 20-21-22، الكامل في التاريخ: 286/7، والسير: 17/136-137.

(3) سير أعلام النبلاء: 17/139-140.

ثم خا لفه أبوا لوليد محمد بن جهور ، فحكم على قرطبة ثما نيــــة أعوا م ،فقصده ا بن عبا د وقهره ، وأخذ ا لبلد ، ثم سجن أبا ا لوليد في حصن ، فبقي في سجن ا بن عبا د إلى أن ما ت في نصفــــ شــوا ل سنة ا ثنتين وستين وأربعما ئة (1).

---

(1) جذوة ا لمقتبس : 28-29 ، سير أعلام ا لنبلاء :141/17 .

المبحث الثاني : الحالة الاجتماعية

من خلال المبحث السابق تبين لنا جليا فساد الاحوال السياسية عندما انقسمت الدولة الاسلامية الى أجزاء ، كل جزء استأثر به أمير في عصر أمراء الطوائف ، في حين أننا نلمس اضطرابا خفيفا خلال الخلافة الاموية بالاندلس ، وذلك لما امتاز به القادة الشاميون من علم وذكاء وخبرة عسكرية وحسن قيادة .

وكذلك كان الامر بالنسبة للاحوال الاجتماعية ، فإنه رغم الثبات والاستقرار الاقتصادي الذي عرفته الاندلس خلال هذه الحقبة من الزمن ، نظرا لغناها وثرواتها الزراعية والحيوانية والمعدنية ، وما تمتلكه من مهارات في ميدان الصناعة والمعمار ، مع كل هذا نجد الرعب والفزع كانا مخيمين ومسلطين على نفوس المواطنين في المجتمع الاندلسي ، فخلال عهد أمراء الطوائف في نهاية القرن الرابع الهجري ، كان الانتهازيون والمنشقون من الاوباش يخرجون على الحاكم ويقتحمون قصر السلطان دون أن يعبأوا بخيله ورجله حتى يخرجوه من بلده مستحوذين على متاعه وثروته (1) .

ومن مظاهر الذعر الذي كان مسيطرا على نفوس المواطنين "إن بلاد الاندلس لها دروب بأغلاق تغلق بعد العتمة ، ولكل زقاق بائت فيه ، له سراج معلق ، وكلب يسهر ، وسلاح معد ، وذلك لشطارة عامتها ، وكثرة شرهم وإعيائهم في أمور التلصص ، إلى أن يظهروا على المباني المشيدة ويفتحوا الأغلاق الصعبة ، ويقتلوا صاحب الدار ، خوف أن يفر عليهم ، أو يطالبهم بعد ذلك ، ولاتكاد في الاندلس تخلو من سماع : دار فلان دخلت البارحة ، وفلان ذبحه اللصوص على فراشه ..."(2).

---

(1) الكامل في التاريخ :7/286-294.
(2) الحلل السندسية : 1/253 .

هذا بالنسبة للجانب السلبي في الحياة الاجتماعية بالاندلس ، أما المحامد فكثير هو عددها ؛ وجمّاع القول فيها : إنّ الاندلسيين كانوا أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون ، وغير ذلك مما يتعلق بهم ، وفيهم من لايكون عنده إلا ما يقوته يومه ، فيطويه صائما ، ويبتاع صابونا يغسل به ثيابا ، ولايظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها . وهم أهل احتياط وتدبير في المعاش ، وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال ، فلذلك قد ينسبون للبخل ، ولهم مروآت على عادة بلادهم ، لوفطن لها حاتم لفضل دقائقها على عظائمه "(1).

كما أن فقراءهم لم يكونوا من أهل التكسب والتسول على ما كان يجري بالمشرق الاسلامي خلال هذه الحقبة من الزمن ، فقد كان ذلك مستقبحا عندهم الى النهاية . وإذا رأوا شخصا صحيحا قادرا على الخدمة يطلب ، سبوه وأهانوه ، فضلا عن أن يتصدقوا عليه . فلا تجد بالاندلس سائلا إلا أن يكون صاحب عذر(2).

أما الجانب المعماري فقد بلغ الاندلسيون أوج العظمة وقمة الرياسة في هذا الفن ، ودونك قصورهم ومساجدهم ودورهم ومدارسهم في الفردوس المفقود ، فهي خير شاهد اليوم على حضارتهم ومدنيتهم ، وها هي ذي الحكومة الاسبانية تكسب مما صنعت أيادي المسلمين من مالكية الاندلس ملايير الدولارات من العملة الصعبة من السياح الملايين الوافدين على إسبانيا كل سنة ليمتعوا أبصارهم بمعمار العبقرية الاسلامية الشامخ .

---

(1) الحلل السندسية : 1/258-259 .
(2) المرجع السابق : 1/254 .

المبحث الثالث : الحالة العلمية

لما ضعفت الخلافة الاموية في نهاية القرن الرابع الهجري وتردت الاحوال السياسية خلال القرن الخامس، وذلك لتمزق الدولة الاندلسية الى دويلات صغيرة منهزمة، فإن الحضارة الاسلامية المبنية على حركة فكرية علمية رصينة قوية الدعائم، قد بلغت أوج الكمال في النضج حتى أصبحت بلاد الاندلس مشعل الدنيا ومنار العرفان(1).

---

(1) ومليحة شهدت لها ضراتها ** والحق ما شهدت به الاعداء
ومنهم العالم جوزيف ماك كيب، علم من أعلام الفلسفة والتاريخ والعلوم الطبيعية والاجتماعية وغيرها، صنف مائتي مجلد في العلوم المختلفة، وترجم ثلاثين كتابا وألقى ألفي محاضرة، وإن آخر ما ألفه في هذا لسنة (1949) كتاب يسمى بـ"دائرة المعارف لمن يحكم العقل" وقد جاء هذا السفر الجليل آية في التدقيقات العلمية والتنقيبات التاريخية ويحتوي على ما يقارب ألفا وثمانمائة موضوع وكل منها مدعم بالمتون المعتبرة والاسانيد التي يذكرها في آخر المقال، الحقيقة أن الانسان يتعجب ويتحير من سعة معلومات هذا المصنف الكبير الذي وصفه الامريكيون بـ"أكبر عالم في العالم" - كان هذا الرجل راهبا في أحد الاديرة وترك الرهبانية بعد أن قضى اثنتي عشرة سنة فيها وألف رسالة "اثنتي عشرة عاما في دير" وكتب ما كتب في ذلك الموضوع - لسنا هنا بصدد البيان عن معتقداته، بل إنما نود أن نعرفه الى القارىء فقط ونكتفي بالقول إنه بنفسه "دائرة معارف ناطقة متحركة" بقلم الاستاذ المحامي العراقي البصري محمد أحمد مفرظ كتاب مدنية المسلمين في الاندلس تأليف الاستاذ جوزيف ماك كيب، وترجمة الاستاذ الوالد الدكتور محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله تعالى.
قال جوزيف ماك كيب: " ولم تكن حرية الفكر في الاندلس، التي أقل ما يقال فيها أنها كانت حالها أعلى وأجل بكثير منها في الممالك النصرانية، لم تكن هي وحدها تغذي حب العلم والولوع بل كان يثيره إجلال العلماء الذي زال من الدنيا بزوال الاندلس ولم يرجع بعد الى الدنيا.
ولم يكن الخلفاء يقتصرون الى إكرام أكابر العلماء بالجوائز والصلات العظام من المال، بل كانوا يتخذونهم أصدقاء وخاصة أصفياء، ويولونهم أجل المناصب في الدولة والقصر، وكان لملوك المور (هذه كلمة معناها المغاربة في اللغة الاسبانية) رأي صائب ينبغي أن يكون قدوة لجميع المدنيات، وهو أن الرجال اللائقين بتدبير المملكة وإدارة شؤونها ليسوا البلغاء في الاقوال، أو المكرة ذوي الكيد والدسائس، بل رجال العلم الذين برهنوا على كفاءتهم بسمو أفكارهم وثقوب

=

هكذا استكملت الثقافة الاسلامية نضجها وأصبحت رائدة في أزهى عصورها ببلاد الاندلس . ولاأدل على ذلك من كوننا نعيش اليوم أثر هذه النهضة العلمية المباركة ، من خلال هذه الذخيرة الهائلة من محاسن تراث الاندلسيين في مختلف أنواع العلوم الالهية ، ومن أجلها علم أصول الدين ، فأصبح يطل علينا من حين لآخر باحثون في هذا التخصص يقومون بإخراج هذا التراث من الظلمة الحالكة الى نور الحياة بواسطة التحقيق والدراسات الهادفة .

ومن الادلة على نهضتهم العلمية خلال هذه المرحلة الزمنية أيضا ، الاخبار الصحيحة التي تشهد على تضخم المكتبة الاندلسية تضخما كبيرا ، وذلك بفضل الله تعالى ثم بمؤازرة الحكام للباحثين وتشجيعهم للبحث العلمي والدراسات ، كما وقع في زمن الخليفة الحكم بن الناصر لدين الله عبدالرحمن بن محمد الاموي صاحب الاندلس ، الذي كان ذا غرام بالمطالعة وتحصيل الكتب النفيسة الكثيرة حقها وباطلها كما قال له الحافظ الذهبي.(1) هذه الكتب التي قاربت نحوا من مائتي ألف سفر ! وكان رحمه الله باذلا للذهب في استجلاب الكتب ، ويعطي من يتبحر فيها ما شاء، حتى ضاقت بها خزائنه ، لا لذة له في غير ذلك .

= أذهانهم ، ولم يكن العلماء في الاندلس يعيشون في المعامل المظلمة ، ونظر الناس واعتبارهم منصرف الى الاشراف والاجناد ، ورجال السياسة ، بل كان العلماء من أكثر الناس مالا ونعمة وكان الناس لهم أشد حسدا ، ولم يكونوا يحسدونهم على قصورهم الملكية وكثرة خدمهم وحشمهم ، بل على علمهم . وهذا يدلنا على أن الامة كلها كانت محتفلة بالعلم والادب ، عارفة قدرها . ولم تكن النساء محرومات من المشاركة في ذلك "!
مدنية المسلمين في إسبانيا :86-87 .

---

(1) سير أعلام النبلاء : 230/16 .

وكان عالما إخباريا وقورا ، موثقا في نقله ، قلّ أن تجد له كتابا إلا وله فيه نظر وفائدة ، ويكتب اسم مؤلفه ونسبه ومولده ، ويغرب ويفيد . وعلى سعة ثقافته ومكانته العلمية والسياسية فقدكان يتأدب مع العلماء (1).

وحتى بالنسبةللعامة في المجتمع الاندلسي خلال هذه الحقبة من الزمن ، فقد كان العالم عندهم معظما ، يشار إليه ويحال عليه في القضايا والمسائل وكل العلوم كان لها عندهم حظ واعتناء إلا بالفلسفة ، والتنجيم ، لايستطيع المشتغل بهما أن يتظاهر بهما خوفا من العامة ، فإنه كلما قيل: فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم ، أطلقت عليه العامة اسم زنديق ، وقيدت عليه أنفاسه ، فإن زل في شبهة رموه بالحجارة أو حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان ، أو يقتله السلطان تقربا لقلوب العامة (2).

ومن الادلة أيضا على نهضة الحركة الفكرية في الاندلس نبوغ الاندلسيين في مختلف التخصصات . قال أمير البيان العربي:" ما رأيت في التاريخ بلدا من بلدان الاسلام يعتني أهله بقراءة القرآن بوجوهها أكثر من الاندلس "(3) .

كيف لايكون الامر كما قيل ، وأئمة الدنيا في علم القراءات كانوا سرجا للدنيا خلال القرن الخامس الهجري كأبي عمر ابن عبدالبر ، وأبي عمر الطلمنكي ، وأبي عمرو الداني وغيرهم ممن جاء بعدهم من خريجي معاهدهم .

وفي مجال العقيدة القرآنية النبوية ، عقيدة الامام مالك ابن أنس كان الاندلسيون أساتذة الدنيا في عصرهم والعصور التي

---

(1) سير أعلام النبلاء: 231/16 .

(2) الحلل السندسية : 1 /245 .

(3) المرجع السابق: 1 /254 .

جاءت بعد عصرهم الى يومنا هذا ، ويتجلى ذلك في الذخيرة الهائلة الرائعة التي بين أيدينا المتجلية في تطانيفهم على منهج أهل السنة والجماعة .:

ككتاب أصول السنة لإبن أبي زمنين .

وكتاب الوصول الى معرفة الاصول لابي عمر الطلمنكي .

وكتاب التمهيد شرح الموطأ لابن عبد البر النمري القرطبي.

وكتاب السنن الواردة في الفتن لابي عمرو الداني .

وكتاب " الارجوزة في أصول الدين" لابي عمرو الداني .

ومنظومة الامام القحطاني في أصول الدين .

وأما مدينة قرطبة الفريدة ، المدينة الجامعية التي تخرج فيها أئمة الدنيا في القرن الخامس الهجري بالاندلس ؛ فستركز الدراسة على روادها الثلاثة : أبي عمر الطلمنكي ، وأبي عمر ابن عبد البر ، وأبي عمرو الداني .

قال بعض علماء الاندلس :

بأربع فاقت الامصار قرطبة ** منهن قنطرةالوادي وجامعها

هاتان ثنتان والزهراء ثالثة ** والعلمأعظم شيء وهو رابعها

وقال فيها بعض المؤرخين:" ولأهلها رياسة ووقار ، لاتزال سمة العلم والملك متوارثة فيهم"(1).

وذكر الامير شكيب أرسلان أنه " جرت مناظرة بين يدي ملك المغرب المنصور يعقوب بين الفقيه أبي الوليد بن رشد ، والرئيس أبي بكر بن زهر ،فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة : ما أدري ما تقول ؟ غير أنه إذا ماتت عالم باشبيلية فأريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها ، وإن مات مطرب بقرطبة

---

(1) الحلل السندسية : 1/194-195 .

فأريد بيع آلاته حملت الى إشبيلية ، قال: وقرطبة أكثر بلاد الله كتبا "(1) .

ومن خلال ما كتب في هذا المبحث يتبين بوضوح مدى استيعاب الاندلسيين لمعاني القرآن الكريم ، وعلومه ، ومقاصده وأهدافه . فقد ألهمهم الله تعالى حسن تدبر كتابه ، ومعرفة أسرار تنزيله ، فعرفوا كيف يستنبطون منه علوما غزيرة ، فنتج عن ذلك فضل مولوي تجلى في ثراء فكري رائد تمثل في هذا التراث الضخم الجليل الذي أسأل الله عزوجل أن يجعل دراستي له في هذه الاطروحة خالصة لوجهه الكريم .

* *

(1) الحلل السندسية : 196/1 .

الفصل الثاني :

عقيدة الامام مالك بن أنس وموقفه من المتكلمين أهل الاهواء .

- المبحث الاول : عقيدة الامام مالك .
- المبحث الثاني : موقفه من المتكلمين أهل الاهواء .

*

* *

*

المبحث الاول : عقيدة الامام مالك

- بين يدي مصادر التراجم -

عندما نترجم علما من أعلام ملتنا في بحثنا ، ونجما من أنجم خير القرون ، فإننا نسعى من خلال ذلك الى تحقيق هدف محدد ، ومقصد مسدد ، وهو محاولة الاحاطة الشاملة والادراك الكامل بالبيئة الفكرية التي نشأ فيها ، والاحوال الاجتماعية ، والنظم السياسية التي درس في مناخها وتكون ، وبتحقيقنا لهذا الهدف الرئيسي نستطيع بناء وجهتنا الفكرية على دعامته ، ونؤصل تصورنا الاسلامي الصافي النظيف ، ونتمكن من تحرير مصطلحنا من الاسر والسيطرة الفكرية الدخيلة على ثقافتنا الرائدة ، وعندئذ يستقيم منهجنا الدراسي وتسلم جذوره ، واستقامة المنهج وسلامته تتجلى في قراءتنا المركزة الفاحصة لسير أعلام الهدى في ملتنا ، والغاية من ذلك بصفتنا باحثين في العلوم الشرعية التأسي والاقتداء والمتابعة لأئمة العرفان والرشاد ، رواد منهج الحق والصواب ؛ وفي طليعتهم هذا النجم من أئمة خير القرون ، ليس فقط في الفروع والاحكام ، بل في أشرف العلوم وأفضلها على الاطلاق : علم الفقه الاكبر ، علم أصول الدين ، فمن الجهل والعار أن نزهد في إمامنا ونتلقى عن غيره أشرف علم صنف فيه ، وتكلم فيه ، وبين قواعد المنهج الاسلامي في تلقي أصوله ومسائله . فتحكيم ضوابط منهجه العقيدي سكينة وطمأنينة واستقرار وانضباط في الدنيا ، وسلامة ومنجاة وفوز ورضى في الاخرة . هذا المنهج الذي حاز المكارم والفضائل كلها ، لكونه قرآني المشرب وحديثي الاتجاه

والروح ، قد بينه وشرح قواعده الامام مالك أحد أمناء الله على هذا المنهج كما وصفه بذلك كبار أئمة هذا الشأن(1).

فبقراءة ترجمته ، ودراسة سيرته دراسة مركزة هادفة، وكذا تراجم كبار أئمة مذهبه (2) نظفر بمعرفة التعامل مع النصوص القرآنية الحديثية ، في ضوء ضوابط منهجية ثابتة ، نتمكن بتحكيمها من كسب رقة القلب عند قراءة القرآن الكريم، وسماع الحديث النبوي الصحيح ؛ ذلك لان الانسان ينطبع بطبائع وينأثربسرعة متى درس في ضوء منهج تربوي مقعد ، فكما قال الامام أبوالفرج :"... وينبغي أن يعلم أن الطبع لص فإذا ترك مع أهلهذا الزمان سرق من طبائعهم فصار مثلهم"(3) . فالطبع لايسلم ولاينجو من الإنحراف والغلو والشذوذ والإعوجاج إلا إذا أطال صاحبه النظر في كتب سير النبلاء من أعلام ملتنا ؛ فاعتزازي بترجمة صفوة الصفوة من النبلاء في هذه الاطروحة وعنايتي وحرصي عليها ، كل ذلك حصل من خلال هذا المنطلق ، وأسأل الله عزوجل أن يرزقني خيرها وبركتها ، لأنه عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة كما قال سفيان الثوري رحمه الله (4) .

قال الحافظ الذهبيفي ترجمة مالك بن أنس :

هو شيخ الاسلام ،حجة الامة ، إمام دار الهجرة (5) .

وروى الامام ابن عبد البر القرطبي بالاسناد المتصل عن اسماعيل ابن أبي أويس ابن أخت مالك بن أنس قال: هو مالك بن أنس

---

(1) انظر كتاب الانتقاء: 31 .

(2) وكذا أئمةهذا الشأن رواد المنهج القرآني النبوي من المذاهب الاسلامية المعتمدة .

(3) تلبيس إبليس لابن الجوزي: 119 .

(4) انظر جامع بيان العلم وفضلهلابن عبر البر:199/2.

(5) سير أعلام النبلاء : 48/8 .

ابن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل ابن عمرو بن الحارث وهو ذو أصبح من حمير بن سبأ (1) .

وكنيته أبو عبد الله (2) .

ولد سنة اثنين وتسعين وقيل سنة ثلاث وتسعين ، وقرر هذا التاريخ الأخير الحافظ شمس الدين الذهبي (3) .

قال الإمام ابن مهدي: أئمة الناس في زمانهم أربعة: الثوري ، ومالك ، والأوزاعي ، وحماد بن زيد ، وقال: ما رأيت أحدا أعقل من مالك (4) .

قال الحافظ ابن عبد البر: ولم يختلف أصحاب التواريخ من أهل العلم بالخبر والسير أن مالكا رحمه الله توفي سنة تسع وسبعين ومائة (5) .

كانت عقيدته القرآن ، والسنة النبوية الصحيحة ، على منهج الصحابة: أهل بيعة الرضوان وهي عقيدة المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . فكان مصدر عقيدة مالك بن أنس الوحي الإلهي بشقيه : القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة على مذهب السلف أهل الحديث ، لا يأخذ عقيدته عمن خالفهم . قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: حدثنا خلف بن قاسم قال نا أبو الطاهر محمد بن أحمد بن يحيى القاضي بمصر قال: نا جعفر بن محمد الفريابي قال نا إبراهيم بن المنذر قال نا معن بن عيسى ومحمد بن صدقة قالا كان مالك بن أنس يقول:

---

(1) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبد البر: 10-11 وترتيب المدارك: 107-106/1 ، والبداية والنهاية: 174/10.

(2) الانتقاء : 11 .

(3) تذكرة الحفاظ: 212/1 .

(4) سير أعلام النبلاء: 76/8 .

(5) الانتقاء : 10 .

لايؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ ممن سواهم لايؤخذ من سفيه ، ولايؤخذ من صاحب هوى يدعو الى بدعته ، ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس وإن كان لايتهم على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولامن شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لايعرف ما يحمل وما يحدث به (1) .

كان مالك رحمه الله في عقيدته على مذهب السلف أهل الحديث، في كل مباحث العقيدة ، في إثبات الالوهية و العبادة لله جل وعلا ، وفي توحيد المعرفة: توحيد الاسماء والصفات ، وفي إثبات القدر ، والايمان ، وفي إثبات الكرسي والعرش لله عزوجل وغيرها من مباحث أصول الدين . قال الحافظ ابن عبد البر مبينا موقف مالك الشديد من القدرية نفاة القدر (2):

"قال مالك : وبلغني أن عمر بن عبدالعزيز قال: إن في كتاب الله لعلما بينا علمه من علمه وجهله من جهله يقول الله تعالى : (فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم) [الصافات :161-163].

وقال مالك : ما رأيت أحدا من أهل القدر إلا أهل سخافة وطيش وخفة .

وقال مالك : كان عمر بن عبدالعزيز يقول: لو أراد الله ألا يعصى ما خلق إبليس قال: وهو رأس الخطايا . وقال مالك ما أبين هذه الاية على أهل القدر وأشدها عليهم (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) [السجدة :13] فلابد أن يكون ما قال"(3) .

---

(1) الانتقاء : 16 .

(2) القدرية فرقة ضالة فارقت منهج الصواب وسلكت سبيل الضلال هم نفاة القدرسيأتي الحديث عنها بتفصيل في المبحث الموالي.

(3) الانتقاء : 34 .

وجماع القول في هذا المطلب: أن مالكا رحمه الله كان شديد الاتباع للسلف، وقد صرح بذلك فيما رواه ابن عبد البر بإسناده المتصل، قال مالك: لاينبغي الاقامة بأرض يكون العمل فيها بغير الحق والسب للسلف (1).

وقال الحافظ الذهبي: حدثنا محمد بن أحمد بن علي، حدثنا الفريابي، حدثنا الحلواني، سمعت مطرف بن عبدالله، سمعت مالكا يقول: سن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وولاة الامر بعده سننا، الاخذ بها اتباع لكتاب الله، واستكمال بطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها، ولاتبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا (2).

هذا النص يشرح أصول منهج مالك العقيدي بتفصيل، فهو لب موضوع الاطروحة، وقلبها النابض، وأصلها الاصيل، وسيأتي شرح ذلك وإبانته في فصول الباب الاخير من هذه الاطروحة بحول الله.

---

(1) الانتقاء : 36 .

(2) السير :98/8.

المبحث الثاني : موقفه من المتكلمين أهل الأهواء

أهل الأهواء هم أهل البدع والكلام الذين اختاروا لأنفسهم منهجا في التصنيف والمناظرة، مبنيا على تأسيس آرائهم على عقليات هي في حقيقة أمرها جهليات، لكونها عبارة عن قواعد كلامية عقلية اعتادوا أن يردوا بها النصوص الشرعية الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي قد اتفق أهل السنة والجماعة على الاحتجاج بها. وطريقتهم في ردها تتم إما بتضعيفها أو تكذيبها أو تأويلها بمعنى تحريفها وصرفها عن حقيقتها التي تفهم بها في لغة العرب التي أنزل الله بها كتابه العزيز على قلب نبيه ومصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم.

وأهل الكلام لهم جرأة كبيرة على تجريد الألفاظ العربية من معانيها، ويحمّلونها معاني باطنة لاتقرها دلالة من الدلالات اللغوية، وهو ما يعرف بصرف الكلام عن ظاهره في مطادر عقائدهم.(1) فأهل الأهواء لم يتعلموا العلم النافع الذي يحصل به المراد، وهو تأمل بيان الله تعالى وبيان رسوله صلى الله عليه وسلم، فكانوا دائما من العابثين رغم نصيحة المتأخرين من الناظمين قال ابن المعتز:

تعلم العلم واعمل ما استطعت به ** لايلهينك عنه اللهو والجدل (2)

وقد حذرهم رب العزة والجلال سوء عاقبة أمرهم في محكم تنزيله فقال وهو أصدق القائلين: (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه)(3).

---

(1) سيأتي تفصيل هذا الكلام في الباب الأخير من هذه الأطروحة بحول الله تعالى عند الحديث عن موقف مالكية الأندلس من التأويل.

(2) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي: 38 .

(3) آل عمران : 7 .

شرح الامام الطبري في تفسيره المراد بذلك بقوله رحمه الله تعالى: " قال أبوجعفر: يعني بقوله جل ثناؤه (فيتبعون ما تشابه) ما تشابهت ألفاظه وتصرّفت معانيه بوجوه التأويلات ليحققوا بادعائهم الباطل من التأويلات في ذلك ما هم عليه من الضلالة والزيغ عن محجة الحق تلبيسا منهم بذلك على من ضعفت معرفته بوجوه تأويل ذلك وتصاريف معناه "(1) .

بعد هذه التوطئة ، بقي علينا أن نعرف المراد بأهل الأهواء في تصور إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى ، وما هو حكمهم في شريعة الله عزوجل ؟

ورد تعريفه صريح واضح في كتاب جامع بيان العلم وفضله، حيث نقل عنه مؤلفه ما صدره بقوله رحمة الله عليه:

" قال أبوعمر: أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الامصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ ولايعدون عند الجميع في جميع الامصار في طبقات العلماء ، وإنما العلماء أهل الاثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالاتقان والميز والفهم" . (2)

يقرر ابن عبد البر أن العلم الشرعي يؤخذ عن أهل الاثر والتفقه في الحديث النبوي ، لكونهم أعلم خلق الله بالله بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، هؤلاء الذين هم أمناء الله على علم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح بذلك الامام النسائي صاحب السنن (3)، وهم أرباب العلم ومنهم مالك بن أنس كما صرح بذلك الامام أبوعبيد القاسم بن سلام (4).

---

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري: 185/6.

(2) جامع بيان العلم وفضله : 117/2.

(3) انظر الانتقاء : 31 .

(4) كتاب الايمان لابي عبيد القاسم بن سلام : 35 .

فبين ابن عبدالبر بالاسناد المتصل أن مالكا رحمة الله عليه كان ولايزال نجمهم .

قال ابن عبدالبر :

"أخبرنا اسماعيل بن عبدالرحمن قال حدثنا ابراهيم بن بكر قال : سمعت أبا عبدالله محمد بن أحمد بن اسحاق بن خويز منداد المصري المالكي قال في كتاب الاجارات من كتابه في الخلاف : قال مالك : لاتجوز الاجارات في شيء من الاهواء والبدع والتنجيم ، وذكر كتبا ثم قال : وكتب أهل الاهواء والبدع عند أصحابنا هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم ، وتفسخ الاجارة في ذلك ، قال :وكذلك كتب القضاء بالنجوم وعزايم الجن وما أشبه ذلك ، وقال في كتاب الشهادات في تأويل قول مالك : لاتجوز شهادة أهل البدع وأهل الاهواء قال : أهل الاهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام ، فكل متكلم فهومن أهل الاهواء والبدع أشعريا كان أو غير أشعري ولاتقبل له شهادة في الاسلام أبدا . ويهجر ويؤدب على بدعته، فإن تمادى عليها استتيب منها "(1) .

فقد تضمن هذا النص أمورا كثيرة ومسائل علمية جليلة ، في طليعتها التعريف بأهل الاهواء وتبيين ضابط الكلمة عند أئمة السلف وفي مقدمتهم مالك بن أنس ، كما تضمن حكم الشريعة الاسلامية المتمثل في شرح أئمة الاسلام عن طريق تحكيم منهجهم القاضي بهجر المتكلمين وتأديبهم وملازمة العقاب بهم حتى يرجعوا الى تحكيم القرآن الكريم والسنة النبوية .

والمراد بالاشعرية في النص ما يفهمه ويحكّمه أهل الكلام والفلسفة في تصورهم الفاسد ، أما عقيدة الامام أبي الحسن الاشعري فلاتؤخذ إلا من كتبه ، ومما كتبت يده ، وما صنف من كتبه وهي كلها ولله الحمد مطبوعة ومحققة تحقيقا علميا عاليا رائدا . هذه الكتب

---

(1) جامع بيان العلم وفضله : 117/2 .

التي حددت المراحل العلمية الثلاث التي مر بها أبو الحسن الاشعري في طريقه العلمية قصد الوصول الى منهج الحق والصواب، وهي المرحلة الاعتزالية، والمرحلة الكلابية الاشعرية، والمرحلة السلفية وهي التي مات عليها كما نأخذها واضحة من مصنفاته.

قال رحمه الله في كتاب الابانة[1] موافقا أهل الحديث بعيدا كل البعد عن الكلام والمتكلمين:

" الباب الاول في إبانة قول أهل الزيغ والبدعة. أما بعد، فإن كثيرا من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم الى تقليد رؤسائهم ومن مضى من أسلافهم، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا لم ينزل الله به سلطانا، ولاأوضح به برهانا، ولانقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين. فخالفوا روايات الصحابة رضوان الله عليهم عن نبي الله صلوات الله عليه وسلامه ..."(2).

---

(1) أبو الحسن الاشعري إمام المتكلمين واسمه علي بن اسماعيل بن اسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد سنة ستين ومائتين وتوفي سنة بضع وعشرين وثلاثمائة. كان معتزليا مدة أربعين سنة، وكان لهم إماما، تبحر في مذهبهم، وكان يورد الاسئلة على أستاذه في الدرس ولايجدجوابا شافيا، فتحير في ذلك، ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوما درس خلالها عقيدة أهل الحديث من خلال كتاب السنة للامام أحمد بن حنبل رحمه الله، وبعد ذلك خرج الى الجامع فصعد المنبر وقال: معاشر الناس إني إنما تغيبت عنكم في هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الادلة ولم يترجح عندي حق على باطل ولاباطل على حق فاستهديت الله تبارك وتعالى فهداني الى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ماكنت أعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا، وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به ودفع الكتب الى الناس. وقيل إنه رجع عن الاعتزال سنة ثلاثمائة هجرية.

انظر تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام أبي الحسن الاشعري : 38-39-146-147 .

(2) الابانة عن أصول الديانة : 46 .

ثم بين رحمه الله بتفصيل أصول منهجه العقيدي قائلا في الباب الثاني: " في إبانة قول أهل الحق والسنة: فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون. قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عزوجل، وبسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبوعبدالله أحمد بن محمد بن حنبل نضّر الله وجهه، ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لانه الامام الفاضل والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشكّ الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفخم، وعلى جميع أئمة المسلمين "(1).

ومن خلال النص الذي كتبه الامام أبوالحسن الاشعري بقلمه وبيده، يظهر جليا أن أبا الحسن الاشعري بريء من عقيدة الفلسفة والكلام، بريء من عقيدة القوالب اليونانية الدخيلة، والقواعد الارسطية الضالة، فعقيدته رحمه الله كانت قرآنية حديثية سلفية صافية نقية. قال الحافظ ابن درباس رحمه الله:

" إن كتاب الإبانة عن أصول الديانة الذي ألفه الامام أبوالحسن علي بن اسماعيل الاشعري هو الذي استقر عليه أمره فيما كان يعتقده، وبما كان يدين الله سبحانه وتعالى بعد رجوعه عن الاعتزال بمن الله ولطفه، وكل مقالة تنسب إليه الآن مما يخالف ما فيه فقد رجع عنها وتبرأ الى الله سبحانه منها، كيف وقد نص فيه على

---

(1) الابانة عن أصول الديانة : 52 .

أنه ديانته التي يدين الله سبحانه بها ، وروى وأثبت ديانة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث الماضين وقول أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين ، وأنه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ، فهل يسوغ أن يقال إنه رجع عنه الى غيره ، فإلى ماذا يرجع تراه ؟ يرجع عن كتاب الله وسنة نبي الله ، خلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون وأئمة الحديث الماضين؟! وقد علم أنه مذهبهم، ورواه عنهم! هذا لعمري ما لايليق نسبته الى عوام المسلمين كيف بأئمة الدين ! أو هل يقال إنه جهل الامر فيما نقله عن السلف الماضين مع فنائه جل عمره في استقراء المذاهب ، وتعرف الديانات ، هذا مما لايتوهمه مصنف ،ولايزعمه إلاّ مكابر مسرف ، ويكفيه معرفته بنفسه أنه على غير شيء"(1) .

هذه النصوص ينبغي أن تكتب بماء الذهب الابيض وتزين بها حيطان المراكز العلمية العليا للدراسات الاسلامية ، محاولة منا وحرصا منا جميعا بصفتنا مدرسين إيصال نورها الى خفافش الابصار ، لعلهم يكفون عن مغالطاتهم ، ويقلعون عن مكابرتهم ، ويذعنون للحق فالحق أحق أن يتبع لكونه أبلج ، أما الباطل فأحق أن يجتنب ويترك ويهمل لانه لجلج .

وهكذا نجد الامام أبا الحسن الاشعري في كتاب الابانة عن أصول الديانة يسلك مسلكا خاطئا ، حكّم فيه منهج الرد على خصومه من أهل الاهواء والفلسفة والكلام ، وشرح مذهبه الذي هو مذهب أهل الحديث في العقيدة ، يستدل على القضايا والمسائل العقائدية التي طرحها في مباحث الابانة بالنصوص القرآنية والحديثية ، مع عنايته الكاملة بسوق البراهين العقلية ليصحح مذهب السلف

---

(1) الذب عن أبي الحسن الاشعري لابي القاسم عبدالملك بن عيسى ابن درباس : 107-108 .

الذي هو مذهبه ، وليبين خطأ مخالفيه ، دعوة منه رحمه الله الى تصحيح الاعتقاد بتحكيم منهج الانبياء والرسل .

وقال رحمه الله تعالى في كتابه القيم " أصول أهل السنة والجماعة " المعروف برسائل أهل الثغر (1) موضحا عقيدته الاسلامية القرآنية النبوية وفكره الاسلامي الاصيل عند ذكره سبب تأليف هذا الكتاب : أيها الفقهاء والشيوخ من أهل الثغر بباب الابواب حرسكم الله بسلطانه وأيدكم بنصره ، فقد وقفت على ما ذكرتموه في كتابكم الوارد علي بمدينة السلام ، من خير نعم الله عليكم ، واستقامة أحوالكم ، فأسرني وكثر الله عزوجل عليه شكري ، ورغبت إليه تعالى مجتهدا في تمام ما أولاكم ، وإسباغ نعمه علينا وعليكم ، وهو تعالى ولي الاجابة وحقيق بحميد الموهبة ،ووقفت أيدكم الله على ما ذكرتموه من إحمادكم جوابي على المسائل التي كنتم أنفذتموها إلي في العام الماضي ، وهو سنة سبع وتسعين وما ئتين ، ووقوع ما ذكرته لكم ...وإعراضكم عن من ألقى تلك المسائل واحتال في متابعتكم إياهم ، وحمدت الله عزوجل على حراستنا وإياكم من شبه الملحدين في دينه ، والعادين عن اتباع رسله ، وسألته أن يجعلنا وإياكم من المتمسكين بحبله ، والمقيمين على الوفاء بعهده ، إنه ولي ذلك والقادر عليه . ووقفت على ما التمستموه من ذكر الاصول التي عوّل سلفنا رحمة الله عليهم عليها ، وعدلوا الى الكتاب والسنة من أجلها ، واتباع خلفنا الصالح لهم في ذلك ،

---

(1) اشتهرت رسالة أصول أهل السنة والجماعة برسالة أهل الثغر ، والثغرحصن وممر في الطرف الشرقي من القوقاز رسمه ياقوت الحموي بباب الابواب : 439/1 من معجم البلدان. وهي مدينة يصيب ماء البحر شطها ، بني على حافتي بحرها مرسى مدخله فيه التواء لاتدخلها السفن ولاتخرج إلا بإذن وحراسها ثقة .

وعدولهم عما صار إليه أهل البدع من المذاهب التي أحدثوها (1) وصاروا الى مخالفة الكتاب والسنة بها ، وما ذكرتموه من شدة الحاجة الى ذلك ، فبادرت أيدكم الله بإجابتكم الى ما سألتموه لما أوجبه من حقوقكم والكرامة لكم ، وذكرت لكم جملا من الاصول مقرونة بأطراف من الحجاج ، تدلكم على صوابكم في ذلك، وخطأ أهل البدع فيما صاروا إليه من مخالفتهم وخروجهم عن الحق الذي كانوا عليه قبل هذه البدع معهم ،ومفارقتهم بذلك الادلة الشرعية وما أتى به الرسول عليه الصلاة والسلام منها ، ونبه عليها ، وموافقتهم بذلك لطرق الفلاسفة الصادين عنها والجاحدين لما أتت به الرسل عليهم الصلاة والسلام منها ..."(2).

هذه عقيدة أبي الحسن الاشعري الامام الرائد المفترى عليه ، وهذا منهجه العقيدي ، إنه منهج واضح ، أصوله ومصادره :القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة على منهج السلف أهل الحديث، المنهج المخالف والرافض للقوالب اليونانية والقواعد المنطقية الارسطوطاليسية التي شحنت وملئت بها كتب أهل الفلسفة والكلام - وقد سمعت من خلال النص ما قاله أبوالحسن في الفلاسفة ووصفهم به - التي ينتمي أصحابها الى مذهب أبي الحسن الاشعري في العقيدة، وعقيدة أبي الحسن بريئة منهم براءة الذئب من دم ابن يعقوب على نبينا وعليهما الصلاة والسلام.

---

(1) كالجهمية الجعدية ومذهب المعتزلة عن الحق الواصلية ، والاشعرية الكلابية ، المنتمين الى أبي الحسن الاشعري كذبا وزورا ، والحنفية الماتوريدية الذين قلدوا الماتوريدي ونبذوا منهج أبي حنيفة وهو منهج الحق والصواب منهج القرآن والسنة النبوية.

(2) رسالة أهل الثغر: 31-32 .

لازلت أسوق البراهين والادلة على نبذ إمام دار الهجرة لأهل الاهواء وذمه منهجهم الفاسد ، وتحذيره أمة الاسلام من الوقوع في شركهم الافن ، نقل عنه الامام أبوعثمان اسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني(1) بالاسناد المتصل عن أشهب بن عبدالعزيز قال: سمعت مالك بن أنس يقول: إياكم والبدع ! قيل: يا أبا عبدالله ،وماالبدع ؟ قال: أهل البدع الذينيتكلمون في أسماء الله وصفاته ، وكلامه وعلمه وقدرته لايسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون"(2) .

أما فيما يخص الادلة والبراهين على منابذة الامام مالك ابن أنس لاهل الاهواء والبدع فكثيرة جدا ، قد مر معنا قبل حين أمره بتأديب أهل البدع وضربهم حتى يرجعوا الى دين ربهم، ومنها أيضا مارواه الامام ابن عبدالبر بإسناد متصل عن مالك ابن أنس أنه قال:" ليس الجدال في الدين بشيء... وقال أيضا : أهل الاهواء بئس القوم ، لايسلم عليهم ، واعتزالهم أحب إلي"(3). لان مناظرتهم لاتحق حقا ولاتبطل باطلا ، وإنما يركبون رؤوسهم الفارغة عند التجادل ، ويمرضون قلب المؤمن الصالح المخلص ، فهجرتهم أولى ونبذهم أفضل وأسلم وأحكم عند مالك رحمهالله تعالى . كما كان رحمه الله يحذر طلبة العلم الشرعي من الاخذ

---

(1) هو الامام العلامة القدوة المفسر،المذكر ،المحدث ،شيخ الاسلام أبوعثمان اسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد بن اسماعيل ابن ابراهيم بن عابد بن عامر النيسابوري الصابوني . ولد سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة . قال الامام أبوبكر البيهقي: حدثنا إمام المسلمين حقا ، وشيخ الاسلام صدقا أبوعثمان الصابوني ، ثم ذكر حكاية . وقال أبوعبدالله المالكي: أبو عثمان ممن شهدت له أعيان الرجال بالكمال في الحفظ والتفسير. قال الحافظ الذهبي: ولقد كان من أئمة الاثر ، له مصنف في السنة واعتقاد السلف ما رآهمنصف إلا واعترف به . توفي سنة تسع وأربعين وأربعمائة .
(سير أعلام النبلاء :18/40-41-42-43).

(2) عقيدة السلف أصحاب الحديث تأليف الامام الصابوني: 37 .

(3) الانتقاء : 34 .

عن أهل الأهواء. ومن الأدلّة على ذلك ما رواه عنه ابن عبد البر بالإسناد المتصل عن معن بن عيسى ومحمد بن صدقة قالا: كان مالك ابن أنس يقول: لايؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ ممن سواهم: لايؤخذ من سفيه، ولايؤخذ من صاحب هوى يدعو الى بدعته، ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس وإن كان لايتهم على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لايعرف ما يحمل وما يحدث به (1).

ومن الادلة على وضوح منهج مالك رحمه الله في هذه القضية، الدالة على ضرورة نبذ قوالب أهل الاهواء وأصول منهجهم الفاسد ما رواه الامام الآجري عنه بقوله: حدثنا أبوبكر جعفر بن محمد الفريابي قال: حدثنا الحسن بن علي الحلواني بطرسوس سنة ثلاث وثلاثين ومائتين قال: سمعت مطرف بن عبدالله يقول: سمعت مالك ابن أنس - إذا ذكر عنده الزائغون في الدين - يقول: قال عمر ابن عبدالعزيز رحمه الله: سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها اتباع لكتاب الله عز وجل، واستكمال لطاعة الله عزوجل وقوة على دين الله، ليس لاحد من الخلق تغييرها (2) ولاتبديلها، ولا النظر في شيء خالفها (3)،

---

(1) الانتقاء: 16.

(2) ولقد غير تلك السنن كل من الجعد بن درهم، والجهم بن صفوان الترمذي وواصل بن عطاء، ومحمد بن كرام السجستاني، وعبدالله بن سعيد بن كلاب، وأبومنصور الماتوريدي، وغير هؤلاء من رؤوس البدع الذين بدلوا وغيروا ما نهى الله عن تغييره.

(3) هذه السنن قد خالفها المتكلمون وبدلوها بفلسفة اليونان وقواعد الهند والرومان في الالهيات والنبوات، بدلوا شريعة الله، وجعلوا من عقولهم مصادر لتلقي العقائد في مباحث الايمان والقدر والصفات الالهية وغيرها من مباحث العقيدة. فكل ما حسنه عقل هؤلاء المبتدعة يلزم على الشريعة الاسلامية تحسينه، وكل ما قبحه عقله يتعين على الشريعة أن تقبحه في زعمهم.

من اهتدى بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور ، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا "(1) .

وموقف مالك رحمه الله من أهل الاهواء هو موقف أئمة الاسلام بدون منازع ولامخالف إلا من ركب رأسه الفارغ من أهل الاهواء ؛ قال شيخ الاسلام أبوعثمان الصابوني: سمعت الحاكم يقول: سمعت أبا الحسن محمد بن أحمد الحنظلي ببغداد يقول: سمعت محمد بن اسماعيل الترمذي يقول : كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند إمام الدين أبي عبدالله أحمد بن حنبل ، فقال له أحمد بن الحسن: يا أبا عبدالله: ذكروا لابن أبي قُتَيْلة بمكة أصحاب الحديث فقال: أصحاب الحديث قوم سوء ، فقام أحمد بن حنبل وهو ينفض ثوبه ويقول: زنديق زنديق ، حتى دخل البيت (2) .

وقد بين الامام أبوعبيد القاسم بن سلام موقف أئمة الاسلام باتفاق من أهل الاهواء فقال رحمه الله :

" والحديث في مجانبة الاهواء كثير ، ولكنا إنما قصدنا في كتابنا لهؤلاء خاصة ، وعلى مثل هذا القول كان سفيان والاوزاعي ومالك بن أنس ، ومن بعدهم من أرباب العلم وأهل السنن الذين كانوا مصابيح الارض وأئمة العلم في دهرهم ، من أهل العراق والحجاز والشام وغيرها ، زارين على أهل البدع كلها ..."(3)

ومن العجب العجاب أن يقرأ الدارس مقدمة الامام محيي الدين ابن شرف النووي في كتابه المجموع ، وهو المقلد لامامه محمد

---

(1) كتاب الشريعة للامام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري:307.
(2) عقيدة السلف أصحاب الحديث :64-65 .
(3) كتاب الايمان للامام أبي عبيد القاسم بن سلام: 35 .

ابن ادريس الشافعي في الفروع ، فيحيد عن أصول منهج إمامه في أشرف علوم الدين وهو علم التوحيد ، فيقع في خطأ منهجي بيّن في الفساد ، قال رحمه الله تعالى:" وقد بالغ إمامنا الشافعي رحمه الله تعالى في تحريم الاشتغال بعلم الكلام أشد مبالغة ،وأطنب في تحريمه وتغليظ العقوبة لمتعاطيه ، وتقبيح فعله ، وتعظيم الاثم فيه فقال: لان يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الكلام ، وألفاظه بهذا المعنى كثيرة مشهورة "(1) .

وهذا وقد أخذ الامام النووي على نفسه في مقدمة كتابه هذا بأن يقتصر فيه على ذكر مذهب السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من فقهاء الامصار رضي الله عنهم أجمعين بأدلتها من الكتاب والسنة ، ويجيب عنها مع الانصاف (2) ولم يكن رحمة الله عليه منصفا في هذه القضية العقيدية مع إمامه غفر الله لنا وله ، ورحمة الله على القاضي أبي يوسف الذي قال قولا سديدا في المسحورين بأفن الفلسفة والكلام :"من يتبع غرائب الاحاديث كذب ،ومن طلب الدين بالكلام تزندق ، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس "(3) .

وهكذا كان أئمة السلف يعيبون كلام المتكلمين ويذمونه ويقولون: " من طلب العلم بالكلام تزندق كما قال أبو يوسف ، ويروى عن مالك . ويقول الشافعي: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم في العشائر ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام . وقال الامام أحمد

---

(1) المجموع شرح المهذب للامام النووي: 25/1 .
(2) انظر المصدر السابق : 5/1 .
(3) جامع البيان وفضله : 161/2.

ابن حنبل: علماء الكلام زنادقة ، وما ارتدى أحد بالكلام فأفلح "(1)
ونقل ابن تيمية قول بعض الظرفاء يرد على المسحورين بكلام اليونان :" وقد قال بعض الناس : أكثر ما يفسد الدنيا نصف متكلم ، ونصف متفقه ، ونصف متطبب ، ونصف نحوي ، هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد البلدان ، وهذا يفسد الابدان ، وهذا يفسد اللسان"(2) .

ويتضح لنا أن منهج أهل الاهواء(3) منهج واه ، لكونه منهج جدل سقيم عقيم ، وليس منهج إقناع سليم ؛ فقد عجز عن إقناع المتكلمين أنفسهم، فنحن عندما ندرس تراجم أهل الاهواء من رؤوس القوم وأساطينهم في كتب التاريخ والسير ، نقف على حقيقة طريقتهم الفاسدة في البرهنة على عقائدهم وإثباتها ، تلك الطريقة التي لاتعنى إلا بإثارة الشبه واختلاقها من أجل الرد عليها ، أكثر مما تدعو الى الاقناع بالدليل العقلي الذي لايقولون إلا به ، ولاتنهض عندهم الحجج إلا بتحكيمه . وخير دليل وأفضله على هذا الكلام تصريحات أساطينهم في آخر حياتهم بالرجوع الى منهج الحق والصواب ، ونبذهم أصول المنطق اليوناني ، وأخذهم بالنصوص الشرعية وتحكيم منهج القرآن الذي هو سبيل الخالق الرحمن قبل أن يخلق سبحانه الرومان ومنطق اليونان .

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية :243/6 .
(2) المصدر السابق :118/5-119 .
(3) قال رجل لابن عباس :الحمدلله الذي جعل هوانا على هواكم فقال ابن عباس : إن الله لم يجعل في هذه الاهواء شيئا من الخير وإنما سمي هوى لانه يهوي بصاحبه في النار .
(الشرح والابانة على أصول السنة والديانة للامام عبيدالله محمد بن بطة العكبري:123) .

وهكذا فإننا نجد كتب أهل الاهواء مليئة بالسم الزعاف الفتاك ، تزلزل عقائد بعض المسلمين الذين ما عرفوا سبيلا إلى التوحيد الخالص ، فانكبوا على هذه الكتب الكلامية الفلسفية ظنا منهم أنها كتب العقيدة الاسلامية ، وهي في حقيقة أمرها كتب قوم تكلموا في أصول الدين بلاعلم ، فجاء كلامهم متناقضا ولم يحصل لهم قول معقول ، فأصابوا بتلك الكتب قلوب كثير من عوام المسلمين بأمراض الشبهات والتشككات المبعدة عن الصراط المستقيم. ورحم الله مالكا فقد قال:" ما آية في كتاب الله أشد على أهل الاهواء من هذه الاية :﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾ يقول الله تعالى:(فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعدإيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ [آل عمران:106] ، قال: فأي كلام أبين من هذا ؟!".(1)

* *

(1) الانتقاء : 33-34 .

*

* *

*

الفصل الثالث :

أوعية العلم وبحور المعرفة في الاندلس

كانوا على منهاج السلف في العقيدة .

*

* *

*

لقد كانت عقائد أئمة الاندلس خاضعة لما ثبت في القرآن الكريم ، ولما صح في السنة النبوية ، وما أجمع عليها لصحابة المرضيون ، وهذا هو منهج جميع الانبياء والمرسلين في تقرير العقيدة ، على نبينا وعليهم الصلاة والسلام .

وما أجمل ما قاله أحد هؤلاء الاندلسيين:

" الحق الذي لاشك فيه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأما الرأي فمرة يصيب ، ومرة كالذي يتكاهن"(1) .

كان مالكية الاندلس يحكمون قواعد هذا المنهج السليم منذ عهد صعصعة بن سلام الذي كان أول من أدخل مذهب الاوزاعي الى الاندلس ، وهو مذهب أهل الحديث (2) الى أن جاء زياد اللخمي فأدخل المذهب المالكي كما هو مقرر عند الحميدي(3) وسأكتفي في هذا الفصل بذكر نخبة من أئمة الاندلس محيلا القارىء على مصادر تراجمهم ، ومركزا في دراستي على نقل ما ورده في أصح هذه المصادر وأدقها في الترجمة : كتاب سير أعلام النبلاء للامام الحافظ الحجة الناقد شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ) رحمه الله تعالى .

منهم :

1 ـ الامام ابن المكوي (4).

قال الحافظ شمس الدين فيه عالم الاندلس ، وشيخ المالكية أبوعمر أحمد بن عبدالملك بن هاشم الاشبيلي المكوي...

برع وفاق الاقران ، وانتهت إليه معرفة المذهب وغوامضه ،

---

(1) قاله الفقيه محمد بن عمر بن لبابة ، انظر الجذوة :81 .
(2) الجذوة : 227 .
(3) المصدر السابق :202-203 .
(4) المصدر السابق :132 ، الصلة لابن بشكوال: 22/1 .

مع الصلابة في الدين، والبعد عن الهوى، والانصاف في النظر (1) .

وهو من شيوخ ابن عبد البر القرطبي، مات سنة إحدى وأربعمائة عن سبع وسبعين سنة وكانت جنازته مشهودة (2) .

2 ـ الامام القنازعي (3):

العلامة القدوة أبو المطرف عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الانصاري القرطبي القنازعي.

قال الحافظ شمس الدين:

وكان إماما متفننا حافظا، متألها خاشعا، متهجدا، مفسرا، بصيرا بالفقه واللغة، امتنع من الشورى، وكان زاهدا ورعا قانعا باليسير، مجاب الدعوة بعيد الصيت، رأسا في القراءات، صاحب تصانيف (4).

مات في رجب سنة ثلاث عشرة وأربعمائة عن ثنتين وسبعين سنة. (5)

3 ـ ابن مغيث (6):

هو الامام الفقيه المحدث، شيخ الاندلس، قاضي القضاة، بقية الاعيان، أبو الوليد يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن محمد بن عبد الله بن الصغار القرطبي، ولد سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة (7) .

---

(1) السير: 17/206-207 .

(2) المصدر السابق: 17/207 .

(3) ترتيب المدارك: 4/726، الجذوة: 278، الصلة: 2/322 .

(4) السير: 17/342-343 .

(5) المصدر السابق: 17/343 .

(6) الجذوة: 384، الصلة: 2/684 .

(7) السير: 17/569 .

قال الحافظ:

وكان بليغ الموعظة ، وافر العلم ، ذا زهد وقنوع ، وفضل وخشوع . قد أثر البكاء في عينيه ، وعلى وجهه النور ، وكان حفظة لأخبار الصالحين ، صنف كتبا نافعة منها : كتاب "محبة الله" وكتاب "المستصرخين بالله" وكتاب "المتهجدين" (1).

مات في رجب سنة تسع وعشرين وأربعمائة وشيعه خلق لايحصون(2).

4 ـ ابن الميراثي(3):

قال الحافظ فيه :

الحافظ الاوحد المجود ، أبوبكر أحمد بن محمد بن عيسى بن اسماعيل ، البلوي القرطبي ، المعروف بابن الميراثي ، أحد أئمة الحديث .

توفي في حدود سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وله بضع وستون سنة (4) .

5 ـ الامام حكم بن محمد (5):

ابن حكم بن إفرانك ، الشيخ المعمر ، مسند الاندلس، أبو العاص، الجذامي القرطبي(6) .

قال الحافظ:

قال الغساني: كان رجلا صالحا ، ثقة مسندا ، صلبا في السنة، مشددا على أهل البدع ، عفيفا ورعا ، صبورا على القل ،

---

(1) السير : 570/17 .

(2) المصدر السابق: 570/17 .

(3) الجذوة: 114 ، الصلة: 43/1 .

(4) السير : 574/17 .

(5) الصلة : 149/1 .

(6) السير : 659/17.

رافضا للدنيا ، مهينا لاهلها ، عاش بضعا وتسعين سنة ، توفي في صدر ربيع الاخر سنة سبع وأربعين وأربعمائة (1) .

6 - الامام الخولاني (2) :

الامام المحدث الثبت ، أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن عثمان بن سعيد بن غلبون الخولاني ، القرطبي والد المسند أبي عبدالله أحمد بن محمد ، كان أحد علماء الاثر بقرطبة .

وكان معنيا بالحديث وجمعه ، ثقة ثبتا ، صيّنا ، خيرا عاش ستا وسبعين سنة . توفي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة (3) .

7 - الربولي (4) :

هو العلامة ذو الفنون أبومحمد القاسم بن الفتح بن محمد بن يوسف الاندلسي ، الفرجي ، المالكي ، عرف بابن الربولي ، من أهالي مدينة الفرج (5) .

قال الحافظ :

وكان من أوعية العلم ، عالما بالحديث ، بصيرا بالاختلاف والتفسير والقراءات ، لم يكن يرى التقليد ، وله تواليف كثيرة ونظم وبلاغة ، وكان ينطوي على دين وورع ، وعفة وتقلل (6) .

---

(1) السير : 660/17 .
(2) الصلة : 535/ 2 .
(3) سير أعلام النبلاء : 18/21-22 .
(4) الجذوة : 39 ، الصلة : 470/2 ، طبقات المفسرين للداودي : 37/2 .
(5) السير : 115/18 .
(6) المصدر السابق : 116/18 .

وقال الحافظ: قال أبو محمد بن طاعد الفقيه : كان القاسم بن فتح واحد الناس في وقته في العلم والعمل ، سالكا سبيل السلف في الصدق والورع متقدما في علم اللسان وفي القرآن ، وأصول الفقه وفروعه ، ذا حظ من البلاغة ، عديم النظير ، مات في صفر سنة احدى وخمسين وأربعمائة.

ومن نظمه رحمه الله :

أيام عمرك تذهب *** وجميع سعيك يكتب
ثم الشهيد عليك منـ *** ـك فأين أين المهرب (1)

8 _ الامام ابن سراج القرطبي(2):

هو الامام العلامة قاضي الجماعة ، أبو القاسم ، سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج الاموي مولاهم الاندلسي ، القرطبي ، المالكي ، قاضي قرطبة (3) .

قال الحافظ:

كان فقيها صالحا ، خيرا حليما ، على منهاج السلف ، حمل عنه جماعة جلة ، وعاش سنا وثمانين سنة . مات في شوال سنة ست وخمسين وأربعمائة (4).

وأقتصر على التعريف بهذه النخبة ، وأبدأ دراستي لمصادر منهج مالكية الاندلس العقيدي ، وهي مصادر فهم قواعد وأسس منهجهم السلفي القرآني النبوي ، فأقول مستعينا بالله المعين جل وعلا في الفصل الموالي.

* *

---

(1) السير : 116/18 .
(2) البغية :304 ، الصلة :226/1.
(3) السير : 178/18 .
(4) المصدر السابق :179/18.

الفصل الرابع :

من أجل مصادر المنهج العقيدي الاندلسي في القرن الرابع الهجري كتاب أصول السنة للامام ابن أبي زمنين.

احتوى هذا الفصل على دراسة انحصرت في التعريف بصاحب الكتاب ، وكتابه ، فهي على قسمين :

القسم الاول : حياة الامام ابن أبي زمنين .

القسم الثاني : منهجه العقيدي من خلال كتابه أصول السنة.

*

* *

*

القسم الاول :

حياة الامام ابن أبي زمنين

اشتمل هذا القسم على ما يأتي :

1 - عصره .

2 - نسبه وكنيته ومولده .

3 - مكانته العلمية .

4 - عقيدته .

5 - وفاته .

6 - آثاره العلمية .

*

* *

*

1 – عصره :

عاصر الامام ابن أبي زمنين أربعة من الخلفاء الاندلسيين وهم :

1 – الخليفة عبدالرحمن الثالث الناصر لدين الله ، أمير المؤمنين الذي حكم بلاد الاندلس خمسين سنة (من 300 إلى 350هـ) وهو الخليفة الحازم العاقل الشجاع المجاهد ، الذي طهّر الله به بلاد الاندلس من دعاة العصيان والانشقاق (1).

2 – الحكم الثاني المستنصر بالله الذي حكم الاندلس من (350 إلى 366هـ). وقد كان مجاهدا شجاعا ديّنا حارب الفساد والانحراف الفكري ، المتمثل في عقيدة الرفض التي يسميها الناس اليوم "التشيّع" . وكان رحمه الله باذلا للذهب في استجلاب الكتب ، ويعطي من يتجر فيها ما شاء ، حتى ضاقت بها خزائنه ، لالذة له في غير ذلك (2) .

3 – الخليفة هشام الثاني المؤيد بالله الذي حكم البلاد من (366 إلى 392هـ)، وقد بويع صغيرا صبيا ، وقام بتسيير الدولة في زمانه الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر الداهية الشجاع الحازم (3).

والخليفة الرابع هو عبدالملك بن أبي عامر ، الذي كان مجاهدا غازيا ، غزا بلاد النصارى سبع غزوات خلال مدة حكمه وهي سبع سنين (من 392 إلى 399هـ).

---

(1) سير أعلام النبلاء: 562/15 .

(2) المصدر السابق: 230/16 .

(3) المصدر نفسه: 123/16 .

2 - نسبه وكنيته ومولده :

نسبه : هو محمد بن عبدالله بن عيسى بن محمد بن ابراهيم المري ، المعروف بابن أبي زمنين من أهل البيرة (1).

قال الحافظ الذهبي:

محمد بن عبدالله بن عيسى بن محمد المري الالبيري ، شيخ قرطبة ، وزمنين بفتح الميم ثم كسر النون (2) .

كنيته : يكنى أبا عبدالله (3).

مولده : ولد في أول سنة أربع وعشرين وثلاثمائة (4) .

قال ابن بشكوال: وكان مولده في ذي الحجة سنة أربع وعشرين وثلاثمائة (4) .

3 - مكانته العلمية :

قال الحافظ الذهبي فيه :

الامام القدوة الحجة (5).

وتفنن واستبحر من العلم ، وصنف في الزهد والرقائف، وقال الشعر الرائف ، وكان من حملة الحجة (6) .

وقال ابن بشكوال :

قال أبوعمرو المقرىء: كان ذا حفظ للمسائل ، حسن التصنيف للفقه ... وكان له حظ وافر من علم العربية ، مع حسن هدي ،

---

(1) الصلة لابن بشكوال :458/2 .
(2) سير أعلام النبلاء : 188/17 .
(3) الجذوة :53 ، والصلة :458/2 ، والسير:188/17 .
(4) الصلة :458/2 .
(5) السير :188/17.
(6) المصدر السابف :188/17 .

واستقامة طريقه وظهور نسك ، وصدق لهجة ، وطيب أخلاق ، وترك للدنيا ، وإقبال على العبادة ، وعمل للآخرة ، ومجانبة للسلطان.(1)

وقال ابن بشكوال:

وذكره أبوعبدالله الخولاني وقال: كان رجلا صالحا زاهدا من أهل العلم نافذا في المسائل ، قائما بها (2) .

4 - عقيدته :

كان على منهاج السلف أصحاب الحديث في الاعتقاد ، يثبت لله ما أثبته لنفسه من الاسماء والصفات ، وما أثبته رسول الله صلى الله عليه وسلم لله تعالى من الاسماء والصفات ، من غير تحريف ولاتعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه .

قال ابن بشكوال:

كان على هدي السلف الصالح (3) .

وقال أيضا :

وكان مع علمه وزهده من أهل السنة ، متبعا لها (4) .

ومن خلال كتابه القيم أصول السنة ، يتبين جليا أنه رحمه الله قد سلك منهج النبي صلى الله عليه وسلم ومنهج الصحابة رضي الله عنهم في تقرير العقيدة .

قال في مقدمة هذا الكتاب :

... فإن بعض أهل الرغبة في اتباع السنة والجماعة سألني أن أكتب له أحاديث يشرف على مذاهب الائمة (5) في اتباع

---

(1) الصلة : 458/2 .
(2) المصدر السابق : 459/2.
(3) المصدر نفسه : 458/2.
(4) المصدر نفسه : 459/2.
(5) فيه إبانة على أن منهج جميع الائمة المجتهدين في العقيدة واحد في أصوله وقواعده وأسسه ومصادره التي هي القرآن والسنة وإجماع الصحابة المرضيين رضوان الله عليهم.

السنة والجماعة ، الذين يقتدى بهم وينتهى إلى رأيهم وما كانوا يعتقدونه ويقولون به في الايمان بالقدر وعذاب القبر والحوض والميزان والصراط وخلق الجنة والنار والشفاعة والنظر إلى الله عزوجل يوم القيامة، فأجاد بما سأل عن تأليف هذا الكتاب ، وزادني رغبة فيه ما رأيته من حرصه على تعلم ما يلزم تعلمه ، ولاعذر لجاهل في ترك السؤال في البحث عن أصول الايمان والدين وشرائع المسلمين ، وقد ألزم الله عزوجل ذلك بقوله : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون)(1) وكذلك لاعذر لعالم في كتمان ما يسأل عنه عما في كتاب نطاق أو سنة قايمة عمن يجهله ، للميثاق الذي أخذه الله تبارك وتعالى على العلماء في قوله (ليبيننّه للناس ولايكتمونه)(2) ولاتوفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب "(3) .

5 - وفاته :

قال ابن بشكوال :

(4)
قال ابن عتاب : توفي في ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وثلاثمائة يرحمه الله تعالى ، وقرره الحافظ الذهبي(5).

---

(1) النحل : 43 .
(2) آل عمران : 187 .
(3) أصول السنة :ل2 .
(4) الصلة :459/2 .
(5) السير:189/17 ، وفي العبر: 71/3 .

6 - آثاره العلمية :

قال الحميدي: له تواليف متداولة في الوعظ والزهد وأخبار الصالحين ، وله كتاب في الشروط على مذهب مالك بن أنس (1).

ونقل ابن بشكوال عن أبي عبدالله الخولاني قوله في ذلك :

له مختصر في المدونة : المقرب ، بسط مسائله وقربها ، منتقشا وا عظا .

وله أشعار حسان في الزهد والحكم ، وتواليف حسان منها : حياة القلوب ، وأنس المريد ، وشبه ذلك (2).

وقال الحافظ الذهبي:

واختصر المدونة ، وله "منتخب الاحكام" مشهور ، وكتاب "الوثائق" و"مختصر تفسير ابن سلام" وكتاب " حياة القلوب " في الزهد ، وكتاب " أدب الاسلام" وكتاب "أصول السنة" وأشياء كثيرة (3).

وذكر الداودي كلاما جميلا أحتوى على فوائد جليلة لما قال :

وكان حسن التأليف ، مليح التصنيف ، مفيد الكتب ، ككتابه في "تفسير القرآن" و" المعرب "(4) في المدونة وشرح مشكلها والتفقه في نكت منها مع تحرير للفظها ، وضبط لرواياتها ، ليس في مختصراتها مثله باتفاق . وكتاب " المنتخب في الاحكام " الذي ظهرت بركته ، وطار شرقا وغربا ذكره . وكتاب " المهذب في اختصار شرح ابن مزين للموطأ " .

وكتابه " المشتمل على أصول الوثائق " .

---

(1) الجذوة : 53 .

(2) الصلة : 459/2 .

(3) السير : 189/17.

(4) في الصلة لابن بشكوال سماه " المقرب " .

وكتاب " مختصر تفسير ابن سلام للقرآن" .

وكتاب " حياة القلوب في الرقائق والزهد".

وكتاب " النطائح المنظومة" من شعره.

وكتاب " أنس المريدين في الزهد" .

وكتاب " المواعظ المنظومة في الزهد" .

وكتاب " آداب الاسلام" .

وكتاب " أصول السنة" .

وكتاب " قدوة القارىء" .

وكتاب " منتخب الدعاء" وغير ذلك (1) .

---

(1) طبقات المفسرين: 166/2 .

القسم الثاني :

منهجه العقيدي من خلال كتابه أصول السنة .

1 - كتاب أصول السنة وسبب تأليفه وموضوعه .

2 - مصادر الكتاب .

3 - قيمته العلمية .

4 - محتوى الكتاب .

5 - منهج المؤلف .

6 - نماذج مختارة من الكتاب .

*

* *

*

1 - كتاب أصول السنة وسبب تأليفه وموضوعه :

أ - التعريف بكتاب أصول السنة وتحديد موضوعه :

هذا الكتاب اسمه " أصول السنة "(1) كما هو مكتوب وبيّن في أول المخطوطة (2)، وهو مقطوع بصحة نسبته الى الامام السلفي الاندلسي الجليل، أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن عيسى ابن محمد بن ابراهيم المري المعروف بابن أبي زمنين .

وقد ذكره منسوبا إليه الامام الحافظ الحجة الناقد شيخ الاسلام شمس الدين الذهبي(3) .

- كما ذكره منسوبا إليه القاضي عياض في ترتيب المدارك (4).

- وذكره كل من الداودي(5) والسيوطي(6) .

- والشيخ محمد بن محمد بن مخلوف (7).

---

(1) قد صنف الامام أحمد بن حنبل أول كتاب في العقيدة على منهج النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهج أبي بكر الصديق، ومنهج عمر، ومنهج عثمان، ومنهج علي بن أبي طالب، وسماه "كتاب السنة" وهو في العقيدة، والتسمية دليل على أن العقيدة لا تفهم إلا من السنة النبوية، فأهل السنة هم أهل العقيدة الصحيحة.

(2) فقد أكرمني الكريم جل وعلا به من يد والدنا الاستاذ المحدث الكبير أبي عبداللطيف حماد بن محمد الانصاري راجي عفو ربه الباري، فأهداني صورة منه.

(3) سير أعلام النبلاء : 189/17 .

(4) ترتيب المدارك : 185/7 .

(5) طبقات المفسرين : 166/2 .

(6) المصدر نفسه : 34/2 .

(7) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية : 101.

وموضوع الكتاب : التوحيد ، علم أصول الدين ، الفقه الاكبر ، علم العقيدة الاسلامية ، كما هو مصرح به في مقدمة الكتاب من قبل المؤلف رحمه الله تعالى ، وكما هو مبين من خلال الموضوعات والمسائل التي عرضها وأثبتها الامام ابن أبي زمنين رحمه الله تعالى ، والتي سيبسط الكلام عنها في موضعه من هذا القسم .

ب - سبب تأليف الكتاب :

1 - خدمة العقيدة الاسلامية والذب عنها وتبيين مصادر تلقي مسائلها وقضاياها وهي:

أ - الكتاب العزيز الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ب - السنة النبويةالصحيحة .

ج - إجماع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2 - شرح عقيدة الامام مالك بن أنس وتبيين منهجه في تقرير العقيدةالاسلامية ، وهي عقيدة جميع الائمة المجتهدين الذين يحكمون الوحي الالهي بشقيه في جميع أمور دينهم العقيدية والسلوكية والحكمية .

3 - تصنيف كتاب يوضح المنهاج العقيدي المالكي الاندلسي للمتخصصين من طلبة العلوم الشرعية.

4 - لما كانت همم الطلاب عالية في زمن الامام ابن أبي زمنين ، وحرصهم على تعلم ما يلزم تعلمه من أسس وقواعد المنهاج السلفي ،بادر الامام رحمه الله بتصنيف هذا السفر القيمالجليل ؛ فكان السفر بمثابة الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي.

2 - مصادر الكتاب :

ولد الامام ابن أبي زمنين وعاش وتلقى العلم ولقنه ومات في القرن الرابع الهجري ، وذلك بعد انتهاء عصر التدوين ، الشيء الذي نفهم منه أنه لايمكنه أن يستقل بحديث ، وإنما يرجع في ذلك الى من سبقه من أئمة هذا الشأن عن طريق الاسناد .

وقد كان علماء العقيدة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ببلاد الاندلس خلال هذه الحقبة الزاهرة من الزمن - وكل عصور الخلافة الاسلامية كانت ثقافيا كذلك - حقبة النضج الفكري ، والكمال الفكري ؛ التي استكملت فيها الثقافة الاسلامية أوج عظمتها حتى بلغت القمة في ذلك ، كما هو بيّن من خلال التراث الجليل الذي وصل إلينا ولله الحمد . قلت كان علماء العقيدة الاسلامية في الاندلس يلتزمون الرواية بالسند كما هو مبين في كتبهم المدروسة في هذه الاطروحة ، ويعتنون بهذا الامر أشد العناية ، مما بوأهم إمامة الدنيا في هذا الشأن شرقا وغربا خصوصا في القرن الموالي أعني القرن الخامس الهجري الذي حمل فيه لواء الحديث في المغرب أبوعمر يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي ، وفي العصر نفسه كان يحمل لواء أهل الحديث بالمشرق الخطيب البغدادي ، وقد ماتا في عصر واحد ، وبموتهما ماتت همم طلاب هذا العلم وضاع الكثير من علم الحديث .

3 - قيمته العلمية :

يعتبر كتاب " أصول السنة " من أجل الكتب المصنفة في العقيدة الاسلامية عند مالكية الاندلس خصوصا ، وعند أهل السنة والجماعة على اختلاف مذاهبهم الفقهية المعتمدة عموما .
ففي الوقت الذي كان ينبغي على مالكية الغرب الاسلامي علماء ومتعلمين من طلبة العلم الشرعي أن ينكبوا على دراسة هذا الكتاب القيم الرائد ، نجد كثيرين قد زاغوا عن سبيل أسلافهم ، فبدلوا وغيروا حتى صرح ناظم من متأخريهم بذلك فقال:

في عقد الاشعري وفقه مالك *** وفي طريقة الجنيد السالك

فمن خلال باطل هذه الاقانيم الثلاثة ، الناسفة لأصول منهج مالك ابن أنس رحمة الله عليه أقول:
وكأن مالكا رحمه الله لم يكن له منهج عقيدي قرآني نبوي ، مبني على الاسناد الصحيح ، الذي به حفظ الله تعالى دين الاسلام عقيدة وسلوكا وأحكاما ، من عبث كل عابث ، ومن تغييركل مستخف !
وكأن مالكا رحمه الله لم يكن له - في زعم الناظم - منهج سلوكي أخلاقي أصيل في زهده النبوي ، نظيف من كل خرافة ، وفكر أسطوري هندي دخيل على الثقافة الاسلامية القرآنية الحديثية الطافية الاصيلة !
ورحم الله شيخ الحرمين أبا الحسن محمد بن عبدالملك الكرجي الذي صرح بإنكار هذا المنحى الملفق وكرهه ، وحذر منه، وذلك لمخالفته منهج كبار أئمة الاسلام ، وصدر لائحة الاسماء باسم إمام دار الهجرة ثم الثوري ، فأحمد بن حنبل ، والبخاري صاحب الجامع الصحيح المسند ، وسفيان بن عيينة ، وعبدالله بن المبارك ، والاوزاعي ، والليث بن سعد ، واسحاق بن راهويه

ثم قال رحمه الله :

"... إن في النقل عن هؤلاء إلزاما للحجة على كل من ينتحل مذهب إمام يخالفه في العقيدة ، فإن أحدهما لامحالة يضلل صاحبه ، أو يبدّعه ، أو يكفره ، فانتحال مذهبه - مع مخالفته في العقيدة - مستنكر والله شرعا وطبعا ، فمن قال أنا شافعي الشرع ، أشعري الاعتقاد ، قلنا له : هذا من الاضداد ، لا بل من الارتداد ، إذ لم يكن الشافعي أشعري الاعتقاد .

ومن قال : أنا حنبلي في الفروع ، معتزلي في الاصول ، قلنا له : قد ضللت إذا عن سواء السبيل فيما تزعمه ، إذ لم يكن أحمد معتزلي الدين والاجتهاد ...

وقد افتتن خلق من المالكية بمذاهب الاشعرية (1) ، وهذه والله سبة وعار ، وفلتة تعود بالوبال والنكال وسوء الدار على منتحل مذاهب هؤلاء الائمة الكبار"(2) .

لكن الامام ابن أبي زمنين ، ما زاغ وما حاد عن سواء السبيل ، وما بدل ولاغير رحمه الله تعالى ، بل كان على عقيدة أمين الله على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما وصفه الامام النسائي بهذا الوصف (3) ، وهي عقيدة كل الائمة المجتهدين المعتمدين ، وهي عقيدة السلف أصحاب الحديث ، فقد بين الامام ابن أبي زمنين في كتابه أصول السنة مواقف الرعيل الاول المشهود لهم بالخيرية

---

(1) كناظم البويتت الشعري نرجو الله تعالى أن يكون قد رجع عنه قبل موته .

(2) نقله شيخ الاسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى: 4/175-176-177 .

(3) انظر كتاب الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء : 31 .

من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من القضايا والمسائل.
ويعد كتابه من أجلّ مصادر فهم عقيدة مالكية الاندلس على منهج أهل السنة والجماعة (1).

(1) وقد حقق هذا السفر وقام بدراسته أخونا في العقيدة والمنهاج الدكتور ابراهيم أبوالكلام من تلامذة المدرسة السلفية في الهند بمدينة بنارس، وقد حاولت الحصول على نسخة مصورة من الكتاب، وتلقيت اعتذارا خطيا من فضيلة الشيخ الاخ الاستاذ عبدالرحمن السيف وكيل المكتبة المركزية بالجامعة الاسلامية في المدينة النبوية، لان تصوير الاطروحات الجامعية لايتم إلا بعد موافقة وإذن صاحب الاطروحة؛ وقد أخبرت عن طريق والدنا سماحة الشيخ أبي عبداللطيف حماد بن محمد الانطاري أن الاطروحة مؤلفة من ثلاثة أجزاء، ولعل الله ييسر لي سبيل الظفر بنسخة منها استقبالا.

4 - محتوى الكتاب :

اشتمل كتاب أصول السنة على مقدمة بيّن فيها المؤلف سبب تأليفه كتابه، بتركيزه على شرح أصول العقيدة على منهاج أهل السنة والجماعة، أهل الحديث. ثم عرض مسائل الكتاب وقضاياه في الابواب التالية :

1 - باب في الحض على لزوم السنة واتباع الائمة (1) .

2 - باب في الايمان بأن القرآن كلام الله (2) .

3 - باب في الايمان بالعرش (3) .

4 - باب في الايمان بالكرسي (4) .

5 - باب في الايمان بالحجب (5) .

6 - باب في الايمان بالتنزيل (6) .

7 - باب في الايمان بأن الله يحاسب عباده (7) .

8 - باب في الايمان بالنظر الى الله عزوجل (8).

9 - باب في الايمان باللوح والقلم (9).

10 - باب في الايمان بأن الجنة والنار لايفنيان (10) .

11 - باب في الايمان بالحفظة (11).

---

(1) أصول السنة : لوحة 2 .
(2) " " : ل 6.
(3) " " : ل 7.
(4) " " : ل 7.
(5) " " : ل 8.
(6) " " : ل 9.
(7) " " : ل 9.
(8) " " : ل 10.
(9) " " : ل 11.
(10) " " : ل 13.
(11) " " : ل 14.

12 ـ باب في الايمان بقبض ملك الموت الانفس (1) .

13 ـ باب في الوعد والوعيد (2) .

14 ـ باب في محبة النبي صلى الله عليه وسلم (3).

15 ـ باب في تقديم أبي بكر وعمر وعثمان وعلي(4) .

16 ـ باب في وجوب السمع والطاعة (5).

17 ـ باب في الصلاة خلف الولاة (6) .

18 ـ باب في دفع الزكاة الى الولاة (7).

19 ـ باب في الحج والجهاد مع الولاة (8).

20 ـ باب في النهي عن مجالسة أهل الاهواء (9).

21 ـ باب في استتابة أهل الاهواء (10) .

---

(1) أصول السنة : ل14 .
(2) " " : ل30 .
(3) " " : ل32 .
(4) " " : ل33 .
(5) " " : ل34 .
(6) " " : ل35 .
(7) " " : ل36 .
(8) " " : ل36 .
(9) " " : ل37 .
(10) " " : ل39 .

5 - منهج المؤلف :

بيّن الامام أبوعبدالله رحمه الله تعالى منهجه في مقدمة كتابه ، ورسم طريقته التي اتبعها في تصنيفه العقيدي ، وذلك بعد أن تم له استقراء ما ألف في علم العقيدة الاسلامية من طرف أئمة أهل السنة والجماعة ، وغيرهم من رؤس الاهواء والكلام .

فقد سلك رحمه الله تعالى في تصنيفه طريقة المحدثين الذين يعتمدون في تقرير عقائدهم على الاسناد ، الذي به كتب الله تعالى في الازل الخلود لهذه الشريعة . فبالاسناد حفظ الله دينه، على يد أهل الحديث ، وهم أعلم خلق الله بالله جل وعلا ، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنهجهم قويم وسديد .

والامام ابن أبي زمنين استدل على صحة هذا المذهب بالقرآن الكريم ، فإن لم يجد كان يستدل بالسنة النبوية ، ثم بأقوال الصحابة رضي الله عنهم .

وقد سلك في تصنيفه منهج العرض والإثبات كما صرح بذلك في النص المقتطف من مقدمة كتابه أصول السنة الذي سبق أن سقته في القسم الاول من هذا الفصل ، لكن منهج الردّ كان حاضرا في كتابه من خلال بعض الموضوعات التي خالف فيها الخوارج والمعتزلة والمرجئة عقيدة أهل السنة والجماعة .

وكان رحمه الله يصدّر أبواب كتابه بشرح وتفصيل عقيدته التي هي عقيدة أهل السنة والجماعة ، وذلك في كل مباحث أصول الدين ، ثم يسوق الاسانيد شأنه في ذلك شأن أهل الحديث الذين سبقوه في التصنيف العقيدي كالامام أحمد بن حنبل صاحب أول مصنف في العقيدة السلفية ، وبعده الامام أبوبكر محمد بن اسحاق بن خزيمة صاحب ثاني مصنف في العقيدة من حيث القيمة العلمية والمنهج الرشيد ، وكتاب التوحيد والرد على الجهمية في الجامع الصحيح للإمام محمد بن اسماعيل البخاري رحمه الله وغيرها من كتب العقيدة السلفية .

6 - نماذج مختارة من كتاب أصول السنة :

اخترت موضوعين اثنين من موضوعات كتاب أصول السنة للامام ابن أبي زمنين في هذه الدراسة :

الاول: يتضمن تحديد موقفه رحمه الله من أول قضية عقائدية طرحت على بساط المناقشة في تاريخ الفكر الاسلامي ، وافترق فيها كثير من الخلق ، واضطرب فيها كثير من الناس تلكم هي مسألة الصفات الالهية (1).

ومنهج الامام ابن أبي زمنين في إثبات الصفات الالهية هو منهج إمامه مالك بن أنس ، مقعد المسلك وموضح أصوله وشارح أسسه . هذا المنهج الذي بني على أسس ثلاثة :

الاول: إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه من الاسماء والصفات وما أثبته له نبيه ومصطفاه ، قال تعالى: (الله لاإله إلا هو له الاسماء الحسنى) طه: 8 .

وقال تعالى: (وكلم الله موسى تكليما) النساء: 164.

وقال جل وعلا: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الشورى: 11.

وقال تبارك اسمه :(قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) المجادلة: 1 .

الاساس الثاني: تنزيه الله عن مشابهة المخلوقات .

(ليس كمثله شيء) (2)

(سبحان ربك رب العزة عما يصفون) .(3)

---

(1) الصفة مصدر وصفت الشيء أصفه وصفا وصفة ، مثل وعد وعدا وعدة، ووزن وزنا وزنة ، وهم يطلقون اسم المصدر على المفعول. كما يسمون المخلوق خلقا ، ويقولون: درهم ضرب الامير ، فإذا وصف الموصوف بأنه وسع كل شيء رحمة وعلما ، سمي المعنى الذي وصف به بهذا الكلام صفة . فيقال للرحمة والعلم والقدرة: صفة بهذا الاعتبار ، هذا حقيقة الامر". قاله شيخ الاسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى: 340/6 .

(2) الشورى: 11 .

(3) الصافات: 180.

الثالث : اليأس وقطع الطمع من إدراك كيفية الصفات الالهية . قال جلوعلا:

(يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولايحيطون به علما) سورة طه :110.

وقد وضح الامام مالك رحمه الله هذه المسألة التي بيّن فيها موقف أئمة السلف من الصفات الخبرية الذاتية والصفات الخبرية الفعلية وأنه لافرق بينهما في منهجية الاثبات .

لما سئل مالك بن أنس رحمه الله تعالى فقيل له : يا أبا عبدالله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى؟ فأطرق مالك وعلاه الرحضاء - يعني العرق - وانتظر القوم ما يجيء من فيه ، فرفع رأسه الى السائل وقال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وأحسبك رجل سوء ، وأمر به فأخرج (1) .

قال شيخ الاسلام معلقا على النص : " ومن أوّل الاستواء بالاستيلاء فقد أجاب بغير ما أجاب به مالك ، وسلك غير سبيله . وهذا الجواب من مالك رحمه الله في الاستواء شاف كاف في جميع الصفات مثل النزول ، والمجيء ، واليد ، والوجه ، وغيرها . فيقال في مثل النزول : النزول معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وهكذا يقال في سائر الصفات ، إذ هي بمثابة الاستواء الوارد به الكتاب والسنة "(2) انتهى كلام شيخ الاسلام .

وهذا هو مذهب ابن أبي زمنين كما صرح به في كتابه أصول السنة ، فبعد أن ساق آيات وأحاديث الصفات الالهية الذاتية والفعلية صرح بقوله :

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية :4/4 .

(2) المصدر السابق :4/4 .

" قال محمد: فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيه صلى الله عليه وسلم، وليس في شيء منها تحديد ولاتشبيه ولا تقدير، فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"(1).

ثم ساق نصا بإسناده المتصل المعروف عن عبدالرحمن بن القاسم أنه قال: " لاينبغي لأحد أن يصف الله إلاّ بما وصف به نفسه في القرآن، ولايشبه يديه بشيء، ولا وجهه بشيء، ولكن يقول: له يدان كما وصف نفسه في القرآن، وله وجه كما وصف نفسه، يقف عندما وصف به نفسه في الكتاب، فإنه تبارك وتعالى لامثل له ولاشبيه، ولكن هو الله لا إله إلا هو كما وصف نفسه، ويداه مبسوطتان كما وصفهما، والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه كما وصف نفسه"(2).

هذا وبالنسبة للنموذج الثاني فهو موضوع يتناول تحديد موقف أهل السنة والجماعة الذي هو موقف ابن أبي زمنين من أحاديث البداء التي تنفي الايمان عن العطاة. وهو موضوع الساعة الذي ضل فيه كثير من الناس، وزلّت أقدامهم وزلفت أقلامهم، ومرقوا من الدين، لخروجهم على حكامهم، وتكفيرهم المسلمين باقتراف المعاصي.

فقد أورد الامام ابن أبي زمنين نصوصا حديثية جيدة ثابتة من جهة النقل، قد جهل معناها فرقتان:

فرقة المعتزلة والخوارج،

وفرقة المرجئة.

---

(1) أصول السنة: ل 5.

(2) المصدرالسابق: ل 5-6.

واحتجوا بها وادعوا أن مرتكب الكبيرة إذا مات قبل التوبة منها مخلد في النار، محرم عليه الجنان .

من تلك الاحاديث حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولايسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولايشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولاينهب نهبة يرفع الناس أبطارهم إليه وهو مؤمن"(1) .

ثم ذكر سلسلة من الاحاديث تبدو لمن جهل أصول العلم نافية للايمان، وقال معلقا عليها :

" قال محمد : فهذه الافعال المذمومة في هذه الاحاديث لاتزيل إيمانا ولاتوجب كفرا ،وقد قال بعض العلماء: معناها التغليظ ليهاب الناس الافعال التي ذكر في الحديث أنها تنفي الايمان وتجانبه . وقال بعضهم: المراد بها أنها تنفي عن الايمان حقيقته وإخلاصه، فلايكون إيمان من يركب هذه المعاصي خالصا حقيقيا كإيمان من لايركبها "(2) .

وجمّاع القول في الذي ذكره الامام ابن أبي زمنين في باب هذه الاحاديث التي فيها البراءة والوعيد في اللوحات :26-27-28-29-30-31-32 .

أن جمع هذه الاحاديث المذكورة والتأليف بينها ينبغي أن يكون على منهج خير القرون المشهود له بالسداد والحق والصواب، وهو منهج أهل السنة والجماعة . ومن تلك الاحاديث النبوية : حديث أبي بكرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام" .

---

(1) أصول السنة : ل26 .

(2) " " :ل27 .

وحديث حذيفة رضي الله عنه أنه بلغه أن رجلا ينم الحديث فقال حذيفة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لايدخل الجنة نمّام " .

وحديث محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لايدخل الجنة قاطع " .

وحديث أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من قتل نفسا معاهدة بغير حقها حرم الله عليه الجنة أن يشم ريحها ".

وغيرها من الاحاديث النبوية في الموضوع المذكور.

فسر الامام ابن أبي زمنين هذه الاخبار وأشباهها بالطريقة التي فسرها بها أهل الحديث أعلم خلق الله بالله بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، بأن معناها هو أحد معنيين:

الاول: لايدخل الجنة أي بعض الجنان ، إذ النبي صلى الله عليه وسلم قد أعلم أنها جنان في جنة . واسم الجنة واقع على جنة منها . فمعنى الاحاديث السابقة أن مرتكب المعاصي المذكورة لايدخل الجنان التي هي أعلى وأشرف وأنبل وأكثر نعيما وسرورا وبهجة وأوسع ، لا أنه أراد لايدخل شيئا من تلك الجنان التي هي في الجنة . فلايدخل هذا العاصي الجنة أي لايستحق دخولها إذا جوزي بذنبه ، وقد يعفو الله عنه فيدخلها .

وقد يراد أنه لايدخلها ابتداء بل يعذب بقدر ذنوبه ثم يدخلها .

والمعنى الثاني: إن كل وعيد في الكتاب والسنة لأهل التوحيد إنما هو على شريطة أي: " إلا أن يشاء الله أن يغفر أو يصفح ويتكرم ويتفضل فلايعذب على ارتكاب الخطيئة ".

إذ الله عزوجل قد أخبر في محكم كتابه أنه قد يشاء أن يغفر

ما دون الشرك من الذنوب لقوله تعالى: (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فيفهم حديث: " من اقتطع مال امرئ مسلم بيمين حرم الله عليه الجنة " أي إلا أن يشاء الله أن يعفو عنه فلايطبقه (1) .

* *

---

(1) هذا ما ورد في كتاب التوحيد شرح فيه الامام ابن خزيمة موقف السلف الصالح من هذه الاحاديث . وهي عقيدة كل متبع لخير البرية محمد بن عبدالله رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم .
كتاب التوحيد :باب ذكر أخبار رويت أيضا في حرمان الجنة على من ارتكب بعض المعاصي التي لاتزيل الايمان بأسره وجهل معناها المعتزلة والخوارج ، فأزالوا اسم المؤمن عن مرتكبها ومرتكبي بعضها : (857/2) .
وانظر التوحيد :2/868-869 .
وأيضا :2/875-876-877-878 .
(بتحقيق الدكتور عبدالعزيز الشهوان) .

الفصل الخامس :

أبو عمر الطلمنكي ومنهجه العقيدي

المبحث الاول : حياته .

المبحث الثاني : مصدر فهم عقيدته .

المبحث الثالث : أصول منهجه العقيدي .

*

* *

*

المبحث الاول :

حياة أبي عمر الطلمنكي

المطلب الاول : اسمه ونسبه وكنيته ومولده .

المطلب الثاني: رحلته العلمية .

المطلب الثالث : شيوخه .

المطلب الرابع : تلاميذه .

المطلب الخامس : خوفه من الله تعالى وشدة تمسكه بالسنة النبوية .

المطلب السادس : عقيدته .

المطلب السابع : مذهبه .

المطلب الثامن : مكانته العلمية وثناء العلماء عليه .

المطلب التاسع : مؤلفاته .

المطلب العاشر : وفاته .

المطلب الحادي عشر: مصادر ترجمته .

*

* *

*

المطلب الاول : اسمه ونسبه وكنيته ومولده

ـ اسمه ونسبه : هو الامام المقرىء المحقق المحدث الحافظ الاثري ، هكذا وصفه الحافظ شمس الدين الذهبي في سير أعلام النبلاء.

واسمه أحمد بن محمد بن عبدالله المقرىء الطلمنكي(1).

ومن أهل التراجم والسير ممن ذكر نسبه كاملا القاضي عياض في ترتيب المدارك ، قال رحمه الله :

واسمه أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي عيسى ، واسمه لب بن يحيى بن محمد بن قرطان المعافري(2) .

وهكذا نسبه المؤرخون ورجال التاريخ والمترجمون الذين نقلوا من القاضي عياض رحمه الله .

وأصله من مدينة طلمنكة SALAMANCA ، فالعرب يلفظونها بالطاء، أما الاسبان فيلفظونها بالسين . وطلمنكة بفتح الطاء واللام والميم ،وسكون النون ، وفتح الكاف وهاء ساكنة من ثغر الاندلس الشرقي كما قال صاحب الديباج المذهب (3) .

ذكر ياقوت في معجمه أن طلمنكة : بفتح أوله وثانيه، وبعد الميم نون ساكنة وكاف : مدينة بالاندلس من أعمال الافرنج ، اختطها محمد بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام بن عبدالرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبدالملك (4).

---

(1) توقف الحميدي في الجذوة عند جده عبدالله ولم يزد عليه : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس لابي عبدالله محمد بن فتوح ابن عبدالله الحميدي :106 . وقد اعتذر الحميدي في فاتحة كتابه وعند الخاتمة ، ودعا الله أن تتاح له فرصة إعادة النظر فيما أملاه على أهل العراق من علماء الاندلس في وقت افتقر فيه الى المصادر الكافية في مثل انجازه العلمي.

(2) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض المغربي :32/8 .

(3) الديباج المذهب لابن فرحون: 40 .

(4) معجم البلدان لياقوت الحموي: 39/13 .

وطلمنكه مدينة استولى عليها العدو قديما (1)، وكانت مقرا لجامعة عملاقة، ذكر الامير شكيب أرسلان (2) أن طلمنكة لم تبدأ حقا إلا بالمدرسة الجامعة التي بناها أذفونش الثامن سنة 1230م بتاريخ النصارى، وقد قارن النجاح هذه المدرسة، فازدهرت وشاع ذكرها وصارت تعد من أكبر جامعات أوربة نظير جامعة باريز واكسفورد. وكان فيها سبعة آلاف طالب في القرن السادس عشر، وكانوا من جميع أقطار الارض، جاء في دليل بديكر أن هذه المدرسة كانت هي التي تنشر معارف العرب في بقية أوربة (3).

- **كنيته**: الكنية ماصدر بأب أوأم، وهي من السنة النبوية وقد ضيعها الناس في هذا الزمان خصوصا أهل العلم.

قال ابن بشكوال: يكنى أبا عمر (4).

قال ابن خلكان في ترجمة إمام اللغة وتلميذ أبي عمرالطلمنكي ابن سيدة المرسي: ... وقرأ أيضا على أبي عمر الطلمنكي (5).

كما قدم كنيته على اسمه كل من شيخ الاسلام القاضي عياض والحافظ الامام شمس الدين الذهبي، قال القاضي عياض: أبوعمر الطلمنكي واسمه أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي عيسى (6).

وقال الحافظ الذهبي: أبوعمر أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي عيسى لب بن يحيى (7).

- **مولده**: ولد بطلمنكة ونشأ بقرطبة (8).

وكانت ولادته سنة أربعين وثلاثمائة (340هـ) (9).

(1) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي: 567/17 .
(2) أمير البيان العربي.
(3) الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية للامير شكيب أرسلان: 52/2.
(4) الصلة لابي القاسم بن بشكوال: 48/1.
(5) وفيات الأعيان لابن خلكان: 18/3.
(6) ترتيب المدارك: 32/8.
(7) سير أعلام النبلاء: 566/17-567.
(8) ترتيب المدارك: 32/8.
(9) ترتيب المدارك: 33/8، وكتاب الصلة: 50/1 وبغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الاندلس لابن عميرا لضبي: 162، وطبقات الحفاظ للسيوطي: 424.

المطلب الثاني : رحلته العلمية

رحل إلى المشرق (1) فحج ولقي بمكة أبا الطاهر محمد بن محمد بن جبريل العجيفي، وأبا حفص عمر بن محمد بن عراك، وأبا الحسن بن جهضم وغيرهم. ولقي بالمدينة النبوية أبا الحسن يحيى بن الحسن المطلبي. ولقي بمصر أبا بكر محمد بن علي الاذفوي، وأبا الطيب بن غلبون المقرىء، وأبا بكر بن إسماعيل، وأبا القاسم الجوهري، وأبا العلاء بن ماهان وغيرهم. ولقي بدمياط أبا بكر محمد بن يحيى بن عمار فسمع منه بعض كتب ابن المنذر، ولقي بالقيروان أبا محمد بن أبي زيد الفقيه، وأبا جعفر بن دحمون وغيرهما (1).

وانصرف إلى الاندلس بعلم كثير (2).

قال الحافظ الذهبي: أدخل الاندلس علما جما نافعا (3).

---

(1) كتاب الصلة: 49/1، وترتيب المدارك: 32/8.
(2) كتاب الصلة: 49/1، وطبقات المفسرين: 79/1.
(3) سير أعلام النبلاء: 567/17.

المطلب الثالث : شيوخه

شيوخه رحمه الله تعالى عدة كثيرون ، قال الامام أبوعمرو الداني: أخذ القراءة عن الانطاكي ، وابن غلبون .

ومن شيوخه كما أحصاهم الحافظ الذهبي:

أبوعيسى يحيى بن عبدالله الليثي .

وأبوبكر الزبيدي .

وأبوالحسن بن بشر الانطاكي وقد تقدم.

ومحمد بن الحسين بن النعمان المقرىء.

وأبوعبدالله بن مفرّج .

وأبومحمد الباجي .

وخلف بن محمد الخولاني .

وأبوبكر أحمد بن محمد المهندس بمصر.

ومحمد بن يحيى بن عمّار بدمياط .

وأبوالطيب بن غلبون المقرىء وقد تقدم ذكره.

وأبوالقاسم عبدالرحمن الجوهري.

وأبوبكر محمد بن علي الادفوي .

والفقيه أبومحمد بن أبي زيد .

وأبوجعفر أحمد بن رحمون .

ويحيى بن الحسين المطّلبي لقيه بالمدينة.

وأبوالطاهر محمد بن محمد العجيفي .

وأبوالعلاء بن ماهان ،وخلق كثير.(1)

---

(1) سير أعلام النبلاء : 567/17 .

المطلب الرابع : تلاميذه

هم كثيرون جدا ، ومن أبرزهم وأشهرهم كبار أئمة الاسلام في القرن الخامس شرقا وغربا :

كأبي محمدا بن حزم .

وأبي عمر ابن عبدالبر النمري.

وأبي عمرو الداني المقرىء .

وعبدالله بن سهل المقرىء (1).

قال القاضي عياض : سمع منه وحدث عنه الجلّة سماعا وإجازة، منهم :

حاتم الطرابلسي .

وأبوعبدالله بن عتاب ،.

وابن المرابط ،

وابن فورتش ،

والوقشى ،

وأبوعمر ابن الحرار .(2)

---

(1) سير أعلام النبلاء: 567/17 ، وجذوة المقتبس: 106.

(2) ترتيب المدارك: 33/8 .

المطلب الخامس : خوفه من الله تعالى وشدة تمسكه بالسنة

كان الامام أبوعمر الطلمنكي رحمه الله شديدا في ذات الله تعالى، غيورا على الشريعة الاسلامية (1)، أطر تلامذته وكونهم بقرطبة محتسبا، وأسمعهم الحديث النبوي، والتزم الامامة في مدينة قرطبة، ثم خرج الى الثغر مجاهدا في سبيل الله، وهكذا كان منارة أضاءت الدرب للحائرين وأخذت بأيديهم، بهمة لايدركها كلل ولا فتور، وعزيمة أحدّ من السيف، كان رحمه الله بجهاده ومجاهدته من العلماء الذين استعذبوا الحتوف ورأوا الجنة تحت ظلال السيوف، لانه عرف أن الله تعالى هو الغاية التي تشد إليها الرحال وعليه سبحانه قصد السبيل ونجاة المحيا والممات، فانتفع جمّ غفير من الناس بعلومه.

هذه المكانة السامية لاينالها من العباد إلا من خصه الله عزوجل بعناية فائقة وقرب مولوي وحيد، علم الامام أبوعمر مقصد قوله تعالى: (ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم)(2) فاعتصم بكتاب الله عزوجل في عقيدته أولا وقبل كل شيء، فكانت عقيدته القرآن، وكان سلوكه القرآن، وأصول عبادته القرآن، وذوقه القرآن، منهجا متكاملا تاما غير ناقص. لجأ إليه أبوعمر الطلمنكي في دراساته وتواليفه لانه كتاب الحق واليقين والمرشد الفذ للمؤمنين، والدليل الواضح للباحثين المنصفين المخلصين. حكّمه أبوعمر في دراسته ابتغاء مرضاة الله، ومرضاة تحصل بالتنور بنوره، والقرآن نور الله، وشفاء لما في الصدور، سعد بالقرآن مجتمع أبي عمر في القرنيين الرابع

---

(1) الصلة لابن بشكوال : 49/1 .
(2) سورة آل عمران: 101 .

والخامس الهجريين ، كما سعدت به الامة قبل ذلك وفي خير القرون ، وحذروا كل من نبذه وراء ظهره وجعله نسيا منسيا ، فلابد أن يشقى ولايسعد ، ويرتبك في حياته ولاينضبط. ذلك لان السعادة بالقرآن مقرونة، قد قامت على هذه القاعدة حجج وشواهد تاريخية ، قال جل وعلا: (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)(1) .

وقد أثاب الله الامام أبا عمر الطلمنكي في الدنيا مثوبة عظيمة، من أعظمها وأجلها بعد نعمة عقيدة القرآن ، أن حفظ عقله وذهنه عند تقدم عمره ، فقد صاحبه ذهنه كما أخبر بذلك القاضي عياض (2) وهذه منقبة عظيمة ومزية جليلة خص الله بها الثقة الصدوق من أهل القرآن والحديث ، كما أخبر بذلك مالك بن أنس فيما ذكره صاحب الانتقاء ، من أن الرجل الصادق من علماء هذه الامة يثيبه الله في الدنيا بإمتاعه بعقله فلايناله خوف عند تقدم عمره ، قال الامام أبوعمر ابن عبد البر:

وذكر أبويحيى زكريا بن يحيى الساجي رحمه الله قال نا محمد بن عبدالرحمن بن صالح الازدي قال نا اسحاق بن ابراهيم قال نا مطرف قال سمعت مالكا يقول: قلّما كان رجل صادق لايكذب في حديثه إلا متّع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولاخوف "(3).

كما كان شديد التمسك بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد سبب له اتباعه رسول الله صلى الله عليه وسلم متاعب كثيرة ، وامتحن لفرط انكاره على المبتدعة ، لاسيما وأنه كان سيفا مجردا على أهل الاهواء والبدع وقامعا لهم (4) شأنه في ذلك

---

(1) سورة آل عمران:137.

(2) ترتيب المدارك :33/8 .

(3) الانتقاء : 39 .

(4) كتاب الصلة :49/1 .

شأن إمامه مالك بن أنس كما تقدم . وقد وصفه الحافظ الذهبي بالإمام المحدث الحافظ الاثري ، كما قال فيه بأنه صنّف كتبا كثيرة في السنة يلوح فيها فضله وحفظه وإمامته واتباعه للاثر.[1] وسأسوق الحجج القواطع والبراهين على ذلك في المبحث الثاني من هذا الفصل عند دراسة أصول منهجه العقيدي بحول الله تعالى .

(1) سير أعلام النبلاء: 567/17 .

المطلب السادس : عقيدته

لابد من دراسة عقائد الائمة عند الترجمة ، لان العقيدة هي الدعامة الاساسية التي تبنى عليها أعمالهم ، فمتى استقامت العقيدة استقام الفكر والعمل معا ، والصراط المستقيم الذي أمرنا أن نسأل الله تعالى في كل صلواتنا أن يرزقناه، هو المنهج العقيدي القويم أولا وقبل كل شيء ثم المسلك السليم في السلوك والعبادة والاحكام والذوق والخواطر والنزوات والهواجس، ولن يكون مستقيما إلا إذا كان قرآنيا محضا .
فعقيدة إمام المقرئين كانت قرآنية ، كان يثبت ما أثبته الله تعالى لنفسه المقدسة في محكم تنزيله ، وما أثبته له نبيه ومصطفاه في صحيح سنته ، على منهج مالك بن أنس إمام دار الهجرة ونجم طيبة اللامع ، ومنهج مالك هو منهج السلف، أهل الحديث ، أهل السنة والجماعة ، أهل القرآن والاستقامة (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا)(1)... الاية .
قالوا لاإله إلا الله وهي عقيدة ، ثم استقاموا : قالوا محمد رسول الله فهي شريعة ، وهما أصلا دين الاسلام ، إثبات الالوهية لله عزوجل وإثبات النبوات . وعقيدته مصنفة بمباحثها في أوثق مصادر العقيدة الاسلامية ، وسيأتي تبيينها بتفصيل في المبحث الموالي ، أشير الى ما ورد في بعضها وهو مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية . قال رحمه الله تعالى:" وقال الطلمنكي أحد أئمة المالكية قبل ابن عبد البر والباجي ، وطبقتهما في كتاب "الوصول الى معرفة الاصول": أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى (وهو معكم أينما كنتم)(2) ونحو ذلك من القرآن :

---

(1) سورة فصلت : 30 .

(2) سورة الحديد : 4 .

أن ذلك علمه ، وأن الله فوق السموات بذاته مستو على العرش كيف شاء"(1).

وهذه عقيدة إمام دار الهجرة . كما ذكر اسمه شيخ الاسلام في طليعة علماء الاحاديث والاثار المروية في أبواب عقائد أهل السنة والجماعة (2) . وفي هذا الفصل سأدرس بتفصيل نصوصا قيمة من كتابه الوصول الى معرفة علم الاصول فمنت بإخراجها من مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية رحمهما الله تعالى .

قال الحافظ شمس الدين الذهبي: صنف كتبا كثيرة في السنة يلوح فيها فضله وحفظه وإمامته واتباعه للاثر (3).

ومعلوم لدى أهل الحديث أن كتب السنة تطلق على كتب العقائد القرآنية الحديثية لاعقائد الفلسفة والكلام ، ككتاب السنة للامام أحمد ، وكتاب السنة لابنه عبدالله ، وكتاب السنة لابن أبي عاصم الشيباني الضحاك وغيرها كثير ، ومطبوعة كلها ولله الحمد والمنة .

قال ابن بشكوال :" وجمع كتبا حسانا كثيرة النفع على مذاهب أهل السنة والجماعة "(4).

وقال عنه أيضا :" وكان عارفا بأصول الديانات "(5).

وقال القاضي عياض :" وغلب عليه القرآن والحديث "(6).

وكل قضايا العقيدة الاسلامية توقيفية ، لها مصدر واحد وهو الوحي الالهيّ بشقيه القرآن والحديث .

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية :219/3 .
(2) المصدر السابق : 379/3 .
(3) سير أعلام النبلاء :567/17 .
(4) كتاب الصلة لابن بشكوال :49/1 .
(5) انظر المصدر السابق :49/1 .
(6) ترتيب المدارك :33/8 .

المطلب السابع : مذهبه

كان رحمه الله من كبار أئمة المذهب المالكي في القرن الخامس الهجري، قال شيخ الاسلام ابن تيمية :"وقال الطلمنكي أحد أئمة المالكية قبل ابن عبد البر..."(1) ومذهب مالك بن أنس هو مذهب السلف أهل الحديث، مذهب بلغ الذروة في تحري الاسانيد والروايات، له قواعد منهجية دقيقة في أخذ العلم وكيفية أخذه، وذلك عن طريق انتقاء الرجال الثقات الذين لايحدثون إلا عن الثقات (2).

قال ابن عبد البر: حدثنا أبوعثمان سعيد بن نصر وأبو القاسم عبدالوارث بن سفيان قالا نا قاسم أصبغ قال نا أبو قلابة عبدالملك بن محمد الرقاشي قال نا بشر بن عمر قال سألت مالك ابن أنس عن رجل فقال: هل رأيته في كتبي ؟ قلت : لا ، قال: لوكان ثقة لرأيته في كتبي (3).

وذكر ابن عبدالبر أن اسماعيل بن اسحاق قال: سمعت علي بن المديني يقول: قال سفيان بن عيينة رحم الله مالكا : ما كان أشد انتقاءه للرجال (4).

كان هذا مذهب أبي عمر الطلمنكي، وهو مذهب الحق والصواب وما أجمل الفائدة التي ساقها شيخ الاسلام ابن تيمية في مقدمة رسالته القيمة "رفع الملام عن الائمة الاعلام"، قال رحمه الله تعالى:"... فيجب على المسلمين - بعد موالاة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم - موالاة المؤمنين كما نطق به القرآن، خصوصا العلماء الذين هم ورثة الانبياء، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم، يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدا يتهم ودرايتهم"(5).

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الاسلام :3/219.
(2) تقدم الحديث عن هذه المزايا في الفصل السابق عند ترجمة الامام مالك .انظر كتاب الانتقاء :15.
(3) المصدر السابق :17. (4) المصدر نفسه :21.
(5) رفع الملام عن الائمة الاعلام لابن تيمية :3.

المطلب الثامن : مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

قال ابن بشكوال: وكان أحد الائمة في علم القرآن العظيم قراءته، وإعرابه، وأحكامه، وناسخه، ومنسوخه، ومعانيه، ... وكانت عناية كاملة بالحديث ونقله وروايته وضبطه ومعرفة برجاله وحملته، حافظا للسنن، جامعا لها، إماما فيها، عارفا بأصول الديانات، مظهرا للكرامات، قديم الطلب للعلم، مقدما في المعرفة والفهم، على هدى وسنة واستقامة (1) .

هذه مناقب عظيمة، بينة واضحة، لاتكلف فيها ولا إطراء، ولامبالغة في المدح، قد أهلت إمام الائمة ومقرىء الامة أبا عمر الطلمنكي ليكون أحد كبار أئمة الهدى والرشاد في عصر كان من أزهى عصور الثقافة الاسلامية، وكل عصورا لثقافة الاسلامية زاهية رغم حقد الحاقدين من المستعربين، هذا العصر الذي بلغت فيه الثقافة الاسلامية أوج العظمة والسمو في مجال التربية والتعليم وتلقي العلوم، كما سيأتي تبيينه عند ترجمة الامام ابن عبد البر القرطبي في الفصل الموالي .

ونقل القاضي عياض في ترتيب المدارك أقوال أئمة كبار معدلين في محاسنه والثناء عليه فقال رحمه الله تعالى:" قال حاتم : كان أبوعمر من أهل العناية بالعلم والضبط له، وله علوم حسنة. وقال ابن الحطار الخولاني: كان من الفضلاء الصالحين على هدي وسنة، قديم الطلب للعلم، مقدما في الفهم مجودا للقرآن حسن اللفظ به، فضائله جمة أكثر من أن تحصى .

وقال أبوعمرو المقرىء: وكان فاضلا شديدا في كتاب الله، سيفا على أهل البدع (2).

وقال الحافظ الذهبي عنه : الامام المقرىء المحقق المحدث الحافظ الاثري... كان من بحور العلم (3).

---

(1) كتاب الصلة : 49/1. (2) ترتيب المدارك : 33/8.
(3) سير أعلام النبلاء : 17/566-567.

المطلب التاسع : مؤلفاته

جمع الامام أبوعمر الطلمنكي كتبا حسانا كثيرة النفع ، على مذاهب أهل السنة ، ظهر فيها علمه ، واستبان فيها فهمه، وكانت له عناية كاملة بالحديث ونقله ، وروايته، وضبطه ، ومعرفة برجاله وحملته ، حافظا للسنن ، جامعا لها ، إماماً فيها.(1)

قال القاضي عياض:

وألف تواليف نافعة كثيرة كبارا ومختصرة احتسابا ،
ككتاب الدليل الى معرفة الجليل نحو مائة جزء ،
وكتابه في تفسير القرآن نحو هذا ،
وكتاب البيان في إعراب القرآن ،
وفضائل مالك ،
ورجال الموطأ ،
وكتاب الرد على ابن مسرة،
وكتاب الوصول الى معرفة الاصول ،
وغير ذلك من تواليفه (2).

وقال الحافظ الذهبي:

رأيت له كتابا في السنة في مجلدين عامته جيد (3) .
وله رسالة في أصول الديانات الى أهل لشبونة (4) .

---

(1) يراجع كتاب الصلة: 49/1.
(2) ترتيب المدارك للقاضي عياض: 33/8.
(3) لعله يشير الى كتاب الوصول الى معرفة الاصول ، سير أعلام النبلاء : 569/17.
(4) ذكره الداودي في طبقات المفسرين: 79/1.

المطلب العاشر : وفاته

قال ابن بشكوال: أخبرني أبو القاسم إسماعيل بن عيسى بن محمد الحجاري عن أبيه قال: خرج علينا أبو عمر الطلمنكي يوما ونحن نقرأ عليه فقال: اقرأوا وأكثروا، فإنني لا أتجاوز هذا العام، فقلنا له: ولم يرحمك الله؟! قال: رأيت البارحة في منامي منشدا ينشدني:

اغتنموا البر بشيخ ثَوَى ** تَرْحَمُهُ السُّوقَةُ والصيد
قد خُتِمَا لعمْر بِعِيدٍ مَضَى ** ليس له من بعده عيد.

قال: فتوفي في ذلك العام (1).

قال حاتم بن محمد: توفي رحمه الله سنة تسع وعشرين وأربعمائة (429هـ) (2).

وذكر القاضي عياض أن أبا عمر سكن قرطبة ودرّس بها، ثم سكن المرية ثم مرسية ثم سرقسطة ثم عاد الى بلده طلمنكة مرابطا فتوفي بها في صدر المحرم سنة تسع وعشرين وقيل في ذي الحجة سنة ثمان، وقد قارب التسعين وصحبه ذهنه (3).

وقال الحميدي مخالفا أصحاب السير الذين جاءوا من بعده: مات بعد العشرين وأربعمائة (4). وقد اعتذر في مقدمته أنه لم يتوفر على المصادر الكافية، لما أملى تراجم علماء الاندلس على أهل العراق.

---

(1) كتاب الصلة: 1/49-50.
(2) المصدر السابق: 1/50.
(3) ترتيب المدارك: 8/33.
(4) جذوة المقتبس للحميدي: 106.

أما ابن عميرة الضبي فذكر أنه توفي في ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، وله تسع وثمانون سنة (1) .

والراجح أن وفاته كانت في ذي الحجة سنة تسع وعشرين وأربعمائة كما اختاره الحافظ الذهبي (2).

---

(1) بغية الملتمس للضبي : 162 .

(2) سير أعلام النبلاء : 568/17 .

المطلب الحادي عشر : مصادر ترجمته

من أهمها ما يأتي:

1 - جذوة المقتبس : 106 .

2 - بغية الملتمس : 162 .

3 - كتاب الصلة لابن بشكوال:1/48-49-50 .

4 - ترتيب المدارك للقاضي عياض:8/32-33 .

5 - الديباج المذهب لابن فرحون :39-40 .

6 - سير أعلام النبلاء:17/566-567-568-569 .

7 - تذكرة الحفاظ للذهبي:3/1098-1100 .

8 - طبقات المفسرين للداودي:1/79-80 .

9 - طبقات الحفاظ للسيوطي:423-424 .

وغيرها كثير من المراجع التي أخذت من أهم هذه المصادر المذكورة في هذا المطلب .

المبحث الثاني :

مصدر فهم عقيدته : كتاب الوصول الى معرفة الاصول

المدخل .

المطلب الاول : نسبة الكتاب الى المؤلف .

المطلب الثاني : محتوى الكتاب .

المطلب الثالث : أهمية الكتاب .

المطلب الرابع : منهج المؤلف في الكتاب .

المطلب الخامس : مصادر الكتاب .

*

* *

*

المدخل :

الامام أبوعمر الطلمنكي صاحب كتاب "الوصول الى معرفة الاصول" من أجل علماء المالكية داخل الاندلس وخارجها خلال القرن الخامس الهجري . وقد نقل عنه كثير من أئمة العقيدة ، واستشهدوا بكتابه وما ورد فيه من أقوال ، واتخذوه مرجعا أساسيا لفهم عقيدة القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، وفي مقدمتهم شيخ الاسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني الشامي رحمه الله تعالى(1) ، فقد أثنى على الكتاب خيرا ونوه كثيرا بمنهج أبي عمر الطلمنكي . هذا وإني حاولت في هذه الدراسة استخراج ما تيسر من نصوص جيدة من هذا الكتاب من السفر العظيم "مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية" ، وحول النصوص المذكورة انصبت دراستي لمنهجه مستأنسا بما ورد سابقا في الترجمة من أقوال جهابذة العلم من أئمة الاسلام في كتب التاريخ والسير. فالكتاب لازال مفقودا حتى الساعة بناء على التطلاعات المحدودة بأئمة العقيدة الاسلامية في بلاد الحجاز وفي بلاد الهند في أوساط أهل الحديث وباكستان وفي المغرب ، عسى الله تعالى أن يظهره ويرى نور الطبع قريبا على يد بعض الباحثين في إحدى مكتبات روسيا وألمانيا الشرقية سابقا ، أو بلاد شبه جزيرة البلقان ، فإن هذه المكتبات تزخر بتراثنا الاسلامي الرائد ، والحمدلله الذي أنقذ أهلها من مخالب الشيوعية الرجعية .

---

(1) هوتقي الدين أحمدبن عبدالحليم بن عبدالسلام بن أبي القاسم ابن الخضر بن تيمية النمري الحراني ، العالم الرباني ، سيد الحفاظ بحر العلوم ، مفتي الامة ، قريعة الدهر ، أعجوبة الزمان ، حجة الله على عباده ، الجامع بين العلوم النقلية والعقلية بأنواعها ، ومذاهب أهل الملل والنحل ، وآراء المذاهب ، ومقالات الفرق ، ما لايعلم مثله عن أحد من علماء الارض لاقبله ولابعده ، مع بيان حقيقة الشريعة المطهرة

=

....

= على وجه الصحيح ، وقوة الحكم في احقاق الحق بالحجج والبراهين ونصر مذهب السلف على من خالفه من سائر المضلين ، وقوة الحكم في إبطال الباطل : فبحثه واستدلاله يزلزل زخرف المبطلين لم يظهر من علم أحد ما ظهر من علمه، ولم يؤت أحد مثل ما أتي من الحفظ والفهم ، والذكاء ، وعلو الكعب .ولد رحمه الله بحران من أعمال أورفة في تركيا عام 661 ، وهاجر أبواه به وبإخوته الى دمشق تخلصا من ظلم التتار. نشأ منذ صغره راتعا بين العلوم في رياض الكتب النافعة ينفق أوقاته في الدراسة والمطالعة خصوصا في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . وكان صوّاما قوّاما يقف عند حدود الله ويتبع أوامره ويجتنب نواهيه، وقد كان يقول: " إنه ليقف خاطري في المسألة ، والشيء أو الحالة التي تشكل علي ، فأستغفر الله تعالى الألف مرة أو أكثر أو أقل حتى ينشرح الصدر وينحل إشكال ما أشكل ، وقد أكون إذ ذاك في السوق أو المسجد أو المدرسة ، لايمنعني ذلك من الذكر والاستغفار الى أن أنال مطلوبي" توفي رحمه الله سنة (728هـ) .

(مقدمة مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية :1/ أ - ب ، وكتاب العقود الورية في مناقب شيخ الاسلام أحمد بن تيمية للحافظ ابن عبدالهادي تلميذ الشيخ ص:4 وما بعدها).

المطلب الاول : نسبة الكتاب إلى المؤلف

يعتبر كتاب " الوصول الى معرفة الاصول" لابي عمر الطلمنكي من أهم الكتب المصنفة في العقيدة القرآنية النبوية على منهج أهل السنة والجماعة ، نسبه إليه ونوه به جم غفير من الجهابذة، بحور العلم وأوعية المعارف اليقينية ، في طليعتهم الحافظ المحقق الناقد شيخ الاسلام شمس الدين الذهبي رحمه الله، وشيخ الاسلام ابن تيمية ، والحافظ الكبير العلامة عماد الدين ابن كثير وغيرهم من علماء الاسلام كالامام السيوطي والامام الداودي صاحب كتاب طبقات المفسرين وابن فرحون صاحب الديباج المذهب وذكر اسم الكتاب قبلهم جميعا حافظ المغرب شيخ الاسلام القاضي عياض في ترتيب المدارك (1) .

قال الحافظ الذهبي:" ورأيت له كتابا في السنة (2) في مجلدين عامته جيد"(3) .

وهو الكتاب نفسه الذي سماه الامام القاضي عياض : الوصول إلى معرفة الاصول .

وذكر التسمية نفسها ابن فرحون " الوصول الى معرفة الاصول"(4).

أما الامام السيوطي رحمه الله فقد اكتفى بالاشارة الى الكتاب في ترجمة أبي عمر فقال:

"... وكان إماما عارفا بأصول الديانة على الاسناد ، سيفا مجردا على أهل الاهواء والبدع قامعا لهم"(5).

---

(1) ترتيب المدارك :33/8 ، فسمى كتاب أبي عمر الطلمنكي في العقيدة "الوصول الى معرفة الاصول" .

(2) يقصد أبا عمر الطلمنكي .

(3) سير أعلام النبلاء :569/17 .

(4) الديباج المذهب لابن فرحون: 39 .

(5) طبقات الحفاظ للسيوطي: 424 .

فلايمكن أن يوصف بهذه الصفات المحمودة الجليلة ، إلا إذا أطلع الواصف على مصدر موضح لما قال في مجال ذلك وهو علم أصـــول الديـــن .

لكن الحافظ الداودي رحمه الله تداركه الامر فسمى الكتاب وذكره في ترجمته فقال عن أبي عمر الطلمنكي :

" وكتابه : الوصول الى معرفة الاصول جيد "(1) .

أما بالنسبة للامام الحبر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله، فقد سمى الكتاب ونوه به وبطحبه وأثنى على منهجه في مواضع كثيرة من مجموع فتاواه .

قال رحمه الله :" وقال الطلمنكي أحد أئمة المالكية قبل ابـــن عبدالبر والباجي وطبقتهما في " كتاب الوصول الى معرفة الاصول "(2)

وسماه أيضا بقوله :" والاصول لابي عمر الطلمنكي "(3) .

وقال أيضا :" وقد ذكر أبوعمر الطلمنكي الامام في كتابه الذي سماه "الوصول الى معرفة الاصول"(4) .

---

(1) طبقات المفسرين للداودي: 79/1 .
(2) مجموع فتاوى شيخ الاسلام: 219/3 .
(3) المصدر السابق: 24/5 .
(4) المصدر نفســه: 189/5 .

المطلب الثاني : محتوى الكتاب

يبحث كتاب "الوصول الى معرفة الاصول" في المسائل العقيدية على منهج السلف أصحاب الحديث، الذين يعرف مذهبهم لدى الخاص والعام بمذهب أهل السنة والجماعة وأهل السنة والاستقامة.

فبيّن صاحب الكتاب رحمه الله عقيدة السلف وما كانوا عليه من اتباع للحديث، وذم للهوى ومقاطعة وهجران لأهل البدع.

ومن أخص خصائص ما اشتمل عليه كتاب أبي عمر روايته الاجماع في أهم مباحث العقيدة، خصوصا في الصفات الإلهية ومنهج إثباتها بقسميها الاثنين: الصفات الذاتية والصفات الفعلية، فقد روى إجماع علماء الاندلس والشام والحجاز وتهامة والعراق على إثبات الصفات الالهية والاسماء الحسنى.

كما روى بإسناده الصحيح المعروف لدى المحققين من أهل هذه الصنعة أي الحديث، وحدة موقف علماء الاخبار والاثار من الايمان، مع اعتقادهم جميعا زيادته ونقصانه، يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي.

كما تضمن الكتاب حقيقة الايمان بالصفات الالهية وأنها ليست على المجاز كما يزعم أهل الاهواء.

واشتمل الكتاب على نبذ ومقاطعة منهج الجهمية الجعدية، والمعتزلة الواصلية والخوارج كلاب أهل النار والرد عليهم شأنه في ذلك شأن إمامه إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه وعن أهل الحديث قاطبة.

وسيأتي تفصيل ذلك كله بالنماذج المختارة من كتاب: "الوصول الى معرفة الاصول" في المبحث الثالث من هذا الفصل بحول الله تعالى.

المطلب الرابع : أهمية الكتاب

يعرض كتاب "الوصول الى معرفة الاصول" عقيدة مالكية الاندلس فيثبت أصولها في كل مباحث العقيدة، في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، على منهج أهل السنة والجماعة شأنه في ذلك شأن غيره من كتب العقيدة التي صنفها رواد المدرسة الاندلسية في العقيدة خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين ككتاب أصول السنة للامام ابن أبي زمنين، وكتاب التمهيد لابن عبد البر، ومنظومة القحطاني الاندلسي.

وكتاب "الوصول الى معرفة الاصول" نموذج جيد يثبت بإنصاف أنّ مالك بن أنس إمام دار الهجرة كان له مذهب في الفقه الاكبر قبل أن يكون له مذهب في الفقه الاصغر: علم الفروع.
والعدول عن منهج الامام مالك في التوحيد يعتبر عند الفقهاء تلفيقا لايجوز قبوله، وسوء تأدب مع إمام دار الهجرة، ومنقصة وغض من مكانته العلمية الشريفة، فكأنّ من رغب عن منهجه العقيدي الذي هو مذهب الاخبار والآثار، حقّر من شأنه واستصغره، ونسب إليه العجز وقلة المعرفة والعلم بعقيدة الاسلام.
والامام أبوعمر الطلمنكي في كتابه يقيم الحجج والبراهين على أن مالكا رحمه الله كان له منهج في العقيدة، نقله عنه الثقات من أهل الدين بالاسانيد العالية، فكما أنّ لمالك منهجا أخلاقيا وسلوكيا، وكما أن له منهجا في الفروع، فإن له قبل كل ذلك منهجا قويما في العقيدة، مستقيما، لانه منهج الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

فكتاب "الوصول الى معرفة الاصول" لؤلؤة مضافة الى لآلىء القرن الخامس الهجري في الفردوس المفقود، وهو عبارة عن

أسفار منّ علينا بها رب العزة والجلال في شكل مصادر أساسية لفهم عقيدة الاسلام ، الذي جاء به القرآن وبيّنته السنة النبوية. فهذا الكتاب وكتاب التمهيد بما تناول من قضايا العقيدة ، وكتاب أصول السنة للامام ابن أبي زمنين ، ومنظومة الامام القحطاني المالكي الاندلسي ، كلها بسطت قضايا العقيدة الاسلامية وبينتها إبانة تامة على منهج القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم والائمة المجتهدين ومن سلك مسلكهم من الطائفة المنصورة.

المطلب الرابع : منهج المؤلف في الكتاب

سلك الامام أبوعمر الطلمنكي في كتابه "الوصول إلى معرفة الاصول" مسلك أهل الحديث في عرض وإثبات وتقرير العقيدة، متأسيا بإمامه مالك بن أنس ، نجم أهل الحديث في زمانه رحمه الله ، وأحد أمناء الله على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وهذا المنهج القويم يتجلى في إيراد النصوص القرآنية من كتاب الله عزوجل ، ومن السنة النبوية الصحيحة ، ثم من آثار الصحابة المرضيين ، والتابعين رحمهم الله وتابعيهم ، والائمة المجتهدين ، وسأذكر أمثلة مفصلة لذلك من كتابه ضمن المبحث الثالث من هذا الفصل بحول الله تعالى .

المطلب الخامس : مصادر الكتاب

لقد مر معنا في الترجمة أن الامام أبا عمر الطلمنكي ولد في القرن الرابع الهجري، وتوفي في القرن الخامس الهجري، كانت ولادته ووفاته بعد انتهاء عصر تدوين الحديث النبوي، فهو لامحالة يرجع في تلقي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من سبقه من أئمة هذا الشأن .

فالامام الطلمنكي لاينفرد بحديث نبوي، لانه رحمه الله لم يسمع من الصحابة المرضيين، ولا من التابعين ولا تابعيهم ولا الائمة المجتهدين، ولكنه كان في حكم الحاضر معهم، والسامع منهم بواسطة الاسناد الصحيح الذي خص الله به هذه الامة، وميّز به علماءها، فبواسطة الاسناد رقي الطلمنكي سلم السمو، وبواسطة الاسناد الذي هو سلاح هذه الامة كما ثبت ذلك عن سفيان الثوري، فقد سار الامام الطلمنكي على منهج أهل الحديث في قبول الاخبار وردها، وشدة التحري في تعديل الرواة وتجريحهم، فقد سافر رحمه الله وطاف الدنيا مشرقها ومغربها من أجل سماع الحديث محاولة منه الحصول على الاسناد العالي، واعتنى بهذا الامر أشد العناية وأدقها، شأنه في ذلك شأن أهل هذه الصنعة الذين بهم حفظ الله تعالى الدين الحنيف .

المبحث الثالث :

منهج العقيدي

المطلب الاول : أصول منهجه في العقيدة .

المطلب الثاني : قواعده في العرض والاثبات .

المطلب الثالث : خصائص منهجه العقيدي .

*

* *

*

المطلب الاول : أصول منهجه في العقيدة

كان الامام أبوعمر الطلمنكي مالكي الاصول في المنهج ، وكان أشعري الاسس والقواعد في المنهج العقيدي ، أعني أنه كان على المنهج القويم والصراط المستقيم في العقيدة ، لان كلا من مالك بن أنس وأبي الحسن الاشعري كان منهجهما في العقيدة قرآني المصدر ، وحديثي اللب والمشرب ، لكونهما قد سلكا في عقيدتهما مسلك السلف أصحاب الحديث وهكذا فقد كان أبوعمر على الحق والصواب لما حكّم منهج إمامه في العقيدة ، لان أقوال مالك معتمدة ، فهي مرآة صقيلة لاصداء فيها لأقوال الصحابة المرضيين ، والتابعين لهم بإحسان ، وهي أقوال أئمة السنة والجماعة وأهل الحديث كالاوزاعي ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وعبدالله بن المبارك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهويه وأمثالهم ، ومن سلك مسلكهم من أئمة الدين (1).

صنف الامام أبوعمر الطلمنكي كتابه " الوصول الى معرفة الاصول" على طريقة هؤلاء الائمة رضوان الله تعالى عليهم ، فكان لايحتج إلا بما هو في الكتاب المسطور ، وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم بالاسانيد الصحيحة ، نقلُ العدل الضابط عن مثله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لايرتضي القطع في الاسناد ، ولا التدليس ، وهذا منهج أهل العلم إجماعا كما رواه كثيرا في كتابه ، سلكه كل علماء الاسلام من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر والاندلس ، قال قتيبة بن سعيد :"إذا رأيت الرجل يحب سفيان ومالك بن أنس والاوزاعي وشعبة وابن المبارك ،

---

(1) انظر فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية :412/5 .

وأبا الاحوص وشريكا ووكيعا ويحيى بن سعيد ، وعبدالرحمن بن مهدي فما علم أنه صاحب سنة "(1) .

ومن هؤلاء الائمة الفضلاء أبوالحسن الاشعري الامام المفترى عليه قال رحمه الله :

" هذه حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة ، جملة ما عليه أهل الحديث والسنة ..."(2) فذكر رحمه الله قضايا عديدة فصل فيها منهج السلف أصحاب الحديث كإثبات الصفات الخبرية ، والايمان بالقدر ، والهداية والاضلال ، ورؤية الله عز وجل ، والايمان بالشفاعة ، ولايكفّر أحدا من أهل القبلة بذنب ، وغيرها من المسائل الى أن قال في نهاية عقيدة السلف أهل الحديث :

" فهذه جملة ما يأمرون به ، ويستعملونه ، ويرونه . وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول ، وإليه نذهب ، وما توفيقنا إلا بالله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وبه نستعين ، وعليه نتوكل وإليه المصير"(3).

وهذا القول نفسه كتبه بخط يده ، وأملاه على طلابه ، ووصل إلينا عن طريق الاسناد الصحيح في كتابه " الابانة عن أصول الديانة "وهو من الكتب الاخيرة التي صنفها في آخر عمره قبل أن يلتحق بالدار الاخرة رحمه الله تعالى ، قال رحمه الله :

" قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها : التمسك بكتاب ربنا عزوجل ، وبسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك

---

(1) عقيدة السلف أصحاب الحديث :68 .

(2) مقالات الاسلاميين: 345/1 .

(3) مقالات الاسلاميين : 345/1-350 .

معتصمون(1) وبما كان يقول به أبوعبدالله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه، ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لانه الامام الفاضل والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدَّم، وجليلمعظَّم، وكبير مفخَّم، وعلى جميع أئمة المسلمين"(2).

لقد وفق الامام أبوعمر الطلمنكي للحق غاية التوفيق لما اختار تحكيم ضوابط منهج مالك بن أنس في العقيدة، فأقوال مالك وقفوا عده معتمدة لدى كبار أئمة المذاهب الاسلامية على منهاج الحق والصواب، وقد تقدم أن منهج مالك هو منهج السلف أصحاب الحديث، وقد بيّن رحمه الله أصول منهجه العقيدي في كتابه، قال شيخ الاسلام ابن تيمية:

"وروى أبوعمر الطلمنكي بإسناده المعروف عن موسى بن هارون الحمال قال: أملى علينا اسحاق بن راهويه أن الايمان قول وعمل يزيد وينقص، لاشك أن ذلك كما وصفنا، وأنما عقلنا هذا بالروايات الصحيحة والآثار العامة المحكمة، وآحاد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين، وهلم جرا على ذلك، وكذلك بعد التابعين من أهل العلم على شيء واحد لايختلفون فيه وكذلك في عهد الاوزاعي بالشام وسفيان الثوري بالعراق، ومالك ابن أنس بالحجاز، ومعمر باليمن، على مافسرنا وبينا أن الايمان قول وعمل يزيد وينقص"(3).

---

(1) لاجل هذا التصريح اللطيف المبارك الجليل، قلت مصدرا هذا المطلب إن أبا عمرا لطلمنكي كان أشعري المنهج ولم يكن كلابيا أشعريا وهي المرحلة العلمية الثانية الذي تاب منها أبوالحسن الى المرحلة السلفية التي مات عليها.

(2) الابانة عن أصول الديانة: باب في إبانة أهل الحق والسنة: 52.

(3) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية: 308/7.

وقد روى رحمه الله بإسناده المتصل إجماع أئمة الحديث النبوي في قضايا عقيدية كثيرة لاينبغي التقليل من شأنها ، ولايجوز إهمال تعلمها ، فقال في شأنها فيما رواه عنه شيخ الاسلام ابن تيمية : قال الطلمنكي:" وقد أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله على عرشه بائن من جميع خلقه ، وتعالى الله عن قول أهل الزيغ ، وعما يقول الظالمون علوا كبيرا "(1) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية :

وقال أبوعمر الطلمنكي :" وأجمعوا - يعني أهل السنة - على أن لله عرشا ، وعلى أنه مستو على عرشه ، وعلمه وقدرته وتدبيره بكل ما خلقه " قال:" فأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى (وهو معكم أينما كنتم)[الحديد:4]ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علمه ، وأن الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء"(2) .

ومن الادلة على وحدة المنهج العقيدي واجماع السلف على قضايا العقيدة دون اختلاف ولاتضارب في الأقوال ، ما رواه شيخ الاسلام ابن تيمية فقال:

قال أبوعمر الطلمنكي:" أجمعوا - يعني أهل السنة - على أن الله يأتي يوم القيامة والملائكة صفا لحساب الامم وعرضها كما يشاء وكيف يشاء ، قال تعالى:(هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر)[البقرة:210] ».

وقال تعالى:(وجاء ربك والملك صفا)[الفجر:22] .

وقال: وأجمعوا على أن الله ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية :501/5 .
(2) المصدر السابق :519/5 .

على ما أثبت به الآثار كيف شاء ، لايحدُّون في ذلك شيئا ثم روى بإسناده عن محمد بن وضاح قال: وسألت يحيى بن معين عن النزول فقال نعم ، أقرّ به، ولاأحدّ فيه حدّا "(1) .

ولقد كان قول مالك رحمه الله في الاستواء من أنبل الاجوبة على هذه المسألة ، وأقواها ستيعابا ، لان فيه نبذ التكييف، وإثبات الاستواء المعقول ، وقد أئتم أهل العلم بقوله واستجودوه واستحسنوه .(2)

وقبل سوق نصوص أخرى طلمنكية يحسن بنا توضيح كلمة وردت في هذا النص وهي قول أبي عمر "لايحدّون في ذلك شيئا " فما هو مراده رحمه الله بهذه العبارة ؟

لقد كتب الامام الحافظ سيف السنة وقامع البدعة ناصر الدين أبومحمد محمود بن أبي القاسم بن بدران الدشتي كتابا سماه "إثبات الحد لله عزوجل"(3) وقد أساء كثير من أهل العلم الذين لاخبرة لهم بهذه الصنعة ، صنعة العقيدة الاسلامية القرآنية النبوية على منهج السلف أصحاب الحديث ، ولجهل من الجهة المختصة في مكتبة أم القرى بمكة ، فقد كتب على الصفحة الاولى من المخطوطة (يمنع النظر في هذا الكتاب !) .

روى الحافظ الدشتي رحمه الله تعالى بإسناد متصل عن الامام اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصبهاني رحمه الله: تكلم أهل الحقائق في تفسير الحد بعبارات مختلفة محصول تلك العبارات أن حد كل شيء موضع بينونته عن غيره ، فإن كان غرض القائل بقوله ليس لله حد لايحيط الخلق به فهو مصيب ، وإن كان غرضه بذلك لايحيط علم الله بنفسه فهو ضال ، أو كان غرضه أن الله

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الاسلام: 5/577-578.
(2) المصدر السابق: 5/520.
(3) توصلت منذ سنين بصورة من المخطوطة هدية من سماحة والدنا الشيخ حماد بن محمد الانصاري محدث الديار الحجازية .

في كل مكان بذاته فهو ضال"(1).

ومما رواه ابن تيمية من القول بإجماع السلف وتوحيد قولهم في العقيدة قال رحمه الله:

"وذكر أبوعمر الطلمنكي إجماع أهل السنة على أن الايمان قول وعمل ونية وإصابة سنة"(2).

وجمّاع القول في هذا المطلب أن أصول منهج عقيدة أبي عمر الطلمنكي يمكن عرضها على الشكل التالي:

1 - اعتماده في التصنيف العقيدي على البراهين القرآنية.

2 - اعتماده على الادلة الحديثية مع شدة تحريه في قبول الرواية وردها.

3 - تقديمه أقوال الصحابة على غيرهم.

4 - استدلاله بأقوال أئمة السلف أصحاب الحديث.

5 - هيمنة الطابع النقلي والمذهب الحديثي على منهجه في كتابه "الوصول الى معرفة الاصول".

6 - لم يكن منهجه منهجا فكريا مستقلا، فقد وقف من العقل موقفا سليما، لم يعتد به كثيرا، كما أنه لم يهمله في الاستدلال، ولم يكن يعتد بكفاية العقل واستقلاله في مسائل العقيدة خلافا لأهل الاهواء، فوظيفة العقل عند الامام الطلمنكي وعند أهل الحديث أن يفهم محتوى النصوص الشرعية القرآنية والحديثية وأقوال الصحابة المرضيين والتابعين، وليست وظيفته ابتكار الادلة والبراهين.

ومن هنا جاءت مخالفته لمنهج المتكلمين واضحة بينة، لان عقيدتهم ترمي الى تفويض دعائم وأسس عقيدة الانبياء والرسل،

---

(1) اثبات الحد لله عزوجل للحافظ الدشتي لوحة 9، صورة من مكتبة الشيخ حماد الانصاري في المدينة النبوية.

(2) مجموع فتاوى شيخ الاسلام: 332/7.

بما يثيره أهلها من تشككات وسفسطات ، وقد صرح بمخالفتهم في كل ذلك فقال منزها رب العزة والجلال عن النقائص التي ينسبها اليه أهل الهوى والكلام:" وقد أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله على عرشه بائن من جميع خلقه ، وتعالى الله عن قول أهل الزيغ ، وعما يقول الظالمون علوا كبيرا "(1).

ومن الادلة على ركونه الى مقارعة الخصوم بالحجج العقلية ، فالعقل الصريح لايخالف النقل الصحيح ، قال رحمه الله يرد على أصحاب التحريف التأويل الباطل مستدلا بالنقل ثم بالعقل على قرب العبد من ربه وقرب الخالق عزوجل من عبده قربا يليق بجلاله من غير تكييف ولاتمثيل ، استدل بقوله تعالى: (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)[سورة ق :16] ،قال رحمه الله:" لان الله لما كان عالما بوسوسته كان أقرب إليه من حبل الوريد ،وحبل الوريد لايعلم ما توسوس به النفس.

ويلزم الملحد على اعتقاده أن يكون معبوده مخالطا لدم الانسان ولحمه ، وأن لايجرد الانسان تسمية المخلوق حتى يقول: خالق ومخلوق ! لان معبوده بزعمه داخل حبل الوريد من الانسان وخارجه، فهو على قوله ممتزج به غير مباين له "(2) .

ومن هنا كان منهج الامام أبي عمر الطلمنكي منهجا واضح المعالم ،يضع الإصر والأغلال التي كانت حول أعناق ،وفي أيدي المتكلمين الحيارى ؛ فتحقق بمنهجه في التصنيف العقيدي

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية :501/5 .

(2) المصدر السابق : 501/5 .

وهو يعرض قواعد إثبات أسماء الله الحسنى وصفاته العليا ، ويثبتها على الوجه المشروع بدون تمثيل ولاتشبيه ولا إلحاد فيها ولا تعطيل ، ولكن مثبتة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة على منهج أهل السنة والجماعة، مبينا لطلاب الهدى وسطية منهجه الذي ليس منهج المعطلة عبّاد العدم ، ولا منهج الممثلة المشبهة عبّاد الصنم ، إنما هو منهج وسط،كاللبن يذر أبيض صافيا لذيذ الطعم للشارب من بين فرث ودم ، إنه منهج جميع أنبياء رب العالمين على نبينا وعليهم أفضل الصلوات وأزكى التسليم .

المطلب الثاني : قواعده في العرض والاثبات

سلك الامام أبوعمر الطلمنكي مسلك أهل السنة والجماعة في تقرير العقائد الدينية والرد على أهل الاهواء ، فكان يعتمد على الاستشهادات القرآنية ، ثم يستشهد بالاحاديث النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين وأئمة السلف .

ومذهبه هو ما كان عليه الصحابة المرضيون وأتباعهم ، يثبتون لله تعالى كل الصفات التي وردت في محكم التنزيل ، وفي السنة الصحيحة لايردون شيئا منها أو يؤولونه ، لانهم يعتقدون أن صفات الله جل وعلا لاتشابه صفات خلقه ، كما أن ذاته المقدسة لاتشابه ذوات خلقه ، فصفاته تليق به عزوجل.

وهذا يظهر جليا وواضح من خلال النص الآتي ، كما يوضح القواعد المنهجية التي قعدها الامام الطلمنكي لفهم عقيدة القرآن والسنة النبوية ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية قال أبو عمر الطلمنكي:

" وقال أهل السنة في قوله : (الرحمن على العرش استوى)[طه :5] الاستواء من الله على عرشه المجيد على الحقيقة لا على المجاز، واستدلوا بقول الله : (فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك) [المؤمنون:28] وبقوله :(لتستووا على ظهوره)[الزخرف :13] ، وبقوله :(واستوت على الجودي)[هود :44] .

إلا أن المتكلمين من أهل الاثبات في هذا، على أقوال ، قال مالك رحمه الله : إن الاستواء معقول ، والكيف مجهول ، والايمان به

واجب والسؤال عنه بدعة" .

وهكذا فقد كان قول مالك - كما سبق في المطلب الاول من هذا المبحث - في الاستواء من أنبل جواب وقع في هذه المسألة، وأشده استيعابا، لان فيه نبذ التكييف، وإثبات الاستواء معقول، وقد تنم أهل العلم بقوله واستجودوه واستحسنوه، ومن السابقين الى هذه المكارم أبوعمر الطلمنكي رحمه الله تعالى.

وهكذا فإن ما قيل في الاستواء يقال في كل الصفات الذاتية والفعلية . فالغضب معلوم ، والكيف مجهول، والايمان به واجب ، والسؤال عن كنهه بدعة.

والقدم معلومة ، وكيفيتها مجهولة ، والايمان بها واجب ، والسؤال عنها بدعة.

والضحك معلوم ، وكيفيته مجهولة ، والايمان به واجب، والسؤال عنه بدعة ، وهكذا في كل الصفات الالهية .

تفهم بهذه القاعدة المالكية الجليلة.

وكذلك الامر بالنسبة لاثبات العلو لله جل وعلا ، علوا يليق بذاته ، لايعلم كنهه إلا الله جل وعلا ، أما معناه فيعلم الامام الطلمنكي منه ما علمه أئمة السلف وهو كون الله جل وعلا بائنا من خلقه فوق كل مخلوقاته على عرشه وهو آخر مخلوقاته ، ليس في مكان لانه كان قبل أن يخلق المكان إنما هو مستو على عرشه ، قال الامام أبوعمر:

" وقد أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله على عرشه بائن من جميع خلقه ، وتعالى الله عن قول أهل الزيغ، وعما يقول الظالمون علوا كبيرا "(1).

---

(1) مجموع الفتاوى : 501/5.

فمن هم أهل الزيغ والظالمون ؟ هم الذين ذكرهم إمام دار الهجرة، بشر وحذر المسلمين من شرورهم وأباطيلهم ، وقد تقدم ذلك في تبيين موقف مالك بن أنس من المتكلمين أهل الاهواء في الفصل الثاني من هذا الباب الاول ، والمراد بهم : الجهمية الجعدية ، والمعتزلة الواصلية ، والمرجئة ، والخوارج كلاب أهل النار ، والكُلَّابية ، والقدرية ، فالامام الطلمنكي خالفهم في منهجهم العقيدي ، لان أسس منهجهم وقواعده مخالفة لأسس وقواعد السلف ، فهم قد وقفوا من النصوص الشرعية القرآنية موقف التحريف والتأويل متسترين بالمجاز الذي هو ضد الحقيقة، فأنكروا صفات الله عزوجل التي أثبتها لنفسه وأثبته له نبيه ومصطفاه في صحيح سننه .

أما فيما يخص نصوص الحديث النبوي الصحيح ، فإنَّ هذه الطوائف، إذا استطاعوا الطعن في النصوص لم ينتظروا ذلك بل عجلوا به ، وما أجمعت الامة على صحته من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حرفوه بتأويلهم الفاسد ، متسترين بقواعد بلاغية لاأساس لكل ذلك من الصحة ،وتوضيحه بتفصيل يأتي في الباب الثالث وفي الفصل الخامس من هذه الاطروحة بحول الله تعالى .

هذا وإن الحديث عن القواعد المنهجية في البحث العقيدي هو حديث ذو أهمية كبيرة في دراسة النصوص ، ومناهج السلف أصحاب الحديث في هذا الامر لاتزيد على نوعين اثنين :

النوع الاول: منهج العرض والاثبات، أي عرض القضايا الكلية للاعتقاد، وتبيين الكيفية التي يتم بها إثباتها.

النوع الثاني: منهج المناقشة والرد، أي الرد على أصحاب العقائد الفاسدة من أهل الزيغ والاهواء.

وفي كتاب "الوصول الى معرفة الاصول" اعتنى الامام أبو عمر بالقسم الاول لأهميته، لان المسلم يجب عليه أن يعرف الطريقة السليمة التي بها يتمكن من معرفة خالقه بأسمائه وصفاته، ويثبت لأنبيائه النبوة على منهج السلف أصحاب الحديث مخالفا بذلك للفلاسفة المتكلمين المفترين على أنبياء الله الأباطيل التي من أقبحها، قولهم بأن النبوة مكتسبة تأتي عن طريق الخلوة والرياضة البوذية وتعذيب النفس والجسم.

ولم يفت الامام الطلمنكي في منهج عرضه وإثباته للقضايا الاعتقادية أن يخلل كتابه بالرد على أهل الاهواء والبدع والتحذير من فاسد قولهم، والدعوة الى هجرانهم ومقاطعتهم اتقاء شرورهم المتمثلة في تشككاتهم.

ويمكن حصر قواعد منهج الامام الطلمنكي في فهم عقيدة الاسلام في الأسس الاربعة التالية:

الاساس الاول: إثبات كل الصفات التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

الاساس الثاني: عدم رد شيء من الصفات الالهية أو تحريفها تحت رداء التأويل.

الاساس الثالث: عدم تحكيم العقل في تقرير العقيدة.

الاساس الرابع: اعتقاد مخالفة صفات الله عزوجل للمخلوقين.

هذه القواعد والأسس المستفادة من نصوص كتاب "الوصول الى معرفة الاصول" هي قواعد السلف في تقرير عقيدة الايمان بصفات الله عزوجل ، فقد صرح أئمة السلف بما تحتوي عليه من عبارات خالية من مصطلحات المنطق الارسطي والفكر اليوناني وما أروع إجابة الامام الشافعي عن سؤال الربيع بن سليمان لما سأل عن صفات الله تعالى فأجاب الامام الشافعي بقوله :

"حرام على العقول أن تمثل الله تعالى ، وعلى الأوهام أن تحده ، وعلى الظنون أن تقطع ، وعلى النفوس أن تفكر ، وعلى الضمائر أن تعمق وعلى الخواطر أن تحيط ، وعلى العقول أن تعقل إلا ما وصف به نفسه أو على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام"(1) .

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الاسلام : 6/4 .

المطلب الثالث : خصائص منهجه العقيدي

يتميز منهج أبي عمر الطلمنكي بخصائص ومميزات أهلته الى أن يتبوأ مكانة الريادة في مطلع القرن الخامس بالاندلس وفي كل ربوع العالم الاسلامي، ويصبح النموذج القويم للعقيدة المالكية الاندلسية، وذلك لما خصّ به من مزايا متعددة، من أبرزها وأجلها الدقة في التحري والقبول، والرد، والنقد، مخالفاً بذلك منهج الهوى والكلام الذي قد اعتاد أقطابه وأتباعهم الركون الى الطيش في التجادل، والنزق الفكري في تقرير المسائل الاعتقادية، لافتقادهم أسباب تقوية منهج البحث العقيدي فاختل عندهم الميزان، وتعذر التمييز بين الصحيح والسقيم، فحكّموا افتراضاتهم، وتخيلاتهم، وتخميناتهم، في أسمى وأشرف العلوم الشرعية بدون منازع إلا من كابر وركب رأسه ورد كلام الله عزوجل وكلام رسله وأنبيائه على نبينا وعليهم الصلاة والسلام. ألا وهو علم أصول الدين الذي لامصدر له إلا الوحي الالهي بشقيه .

قال أبوعمر الطلمنكي:

" قال أهل السنة في قول الله تعالى :﴿ الرحمن على العرش استوى﴾ إن الاستواء من الله على عرشه المجيد على الحقيقة لا على المجاز"(1) .

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الاسلام : 221/3 .

وقال أيضا :

" وأجمع المسلمون من أهل السنة أن معنى (وهو معكم أينما كنتم)[الحديد:4] ونحو ذلك من القرآن : أن ذلك علمه وأن الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء"(1).

وقال أيضا :

"... وكذلك الجواب في قوله فيمن يحضره الموت (ونحن أقرب إليه منكم ولكن لاتبصرون)[الواقعة:85] أي بالعلم به والقدرة عليه، إذ لايقدرون له على حيلة ولايدفعون عنه الموت، وقد قال تعالى:(توفته رسلنا وهم لايفرطون)[الانعام:61]، وقال تعالى: (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم)[السجدة:11]"(2)

وقال أيضا :

" وأجمعوا على أن الله ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا، على ما أثبتت به الآثار كيف شاء ، لايحدون في ذلك شيئا "(3) .

من خلال هذه النصوص وغيرها نقف على خصائص منهج أبي عمر الطلمنكي في تقرير العقيدة .

فقد كان يصف الله تعالى بما وصف به نفسه ، ووصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم ، فطان منهجه عن التحريف والتمثيل والتكييف والتعطيل ، فالله تعالى ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

وكان عنده من التحقيق في المسائل ما كان عند أئمة السلف سواء في العلم والعمل ، فلم يبدل ولم يغير أصول المنهج .

(1) مجموع الفتاوى : 260/3 .
(2) المصدر السابق : 501/5-502.
(3) المصدر السابق : 578/5 .

ومن الخصائص المذكورة أيضاً علمه رحمه الله بالألفاظ الموجودة في كتاب الله عزوجل ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعنده المعرفة السليمة الكاملة بها ، فاستفاد منها عقيدته واستقام لها تصوره ، وهذا يدل على سعة معرفته بلغة القرآن وكمال علمه بها .

ومن خصائص منهجه أنه لم يبدل كلام الله ولم يحرفه عن المراد شرعاً ، ولايقول قولاً غير الذي قيل له ؛ فتصريحه في الاستواء ومعناه المعروف في اللغة العربية وهو العلو والمباينة من المخلوقات ، قال فيه قول الامام مالك بن أنس ، وعادى مثله أهل الزيغ والظلم ، ومن هم أهل الزيغ ؟ إنهم الذين يؤوّلون الاستواء بالاستيلاء ، الذين يجيبون السائل بغير ما أجاب به مالك ، الذين يسلكون غير سبيل مالك بن أنس ، وسبيل مالك هي القرآن والسنة النبوية الصحيحة على منهج أهل السنة والجماعة .

* *

الفصل السادس :

عقيدة ابن عبد البر ومنهجه في الرد والتناظر

المبحث الاول : التعريف بابن عبد البر

المبحث الثاني : عقيدته .

المبحث الثالث : منهجه في الرد على أهل الاهواء .

المبحث الرابع : دفاعه عن عقيدة السلف .

المبحث الخامس : منهجه في التناظر والتجادل .

*

* *

*

المبحث الاول : التعريف بابن عبد البر

هو الامام العلامة، حافظ المغرب، شيخ الاسلام، أبوعمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري الاندلسي القرطبي المالكي(1) .

والنمري نسبة الى نمر بن قاسط بن هنب، بن أقصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة .

ونمر بكسر الميم ككتف أبوقبيلة عربية شامخة، أعقب من تيم اللات، وأوس مناة، ومن تيم اللات بنو الضحيان وهو عامر بن سعد بن الخزرج بن سعد بن تيم اللات، وإليه كانت الرياسة واللواء والحكومة .

والنسبة تكون بفتح الميم استيحاشا لتوالي الكسرات، لان فيه حرفا واحدا غير مكسور(2) .

وموطن الامام ابن‌عبد البر في الاندلس مدينة قرطبة .

وقرطبة: بضم أوله وسكون ثانيه، وضم الطاء المهملة أيضا والباء الموحدة، قال يوقوت: كلمة فيما أحسب أعجمية رومية، ولها في العربية مجال يجوز أن يكون من القرطبة وهو العدو الشديد، وقال الاصمعي: طعنه فقرطبه إذا صرعه...وأعظم مدينة بالاندلس قرطبة وليس لها في المغرب شبيه في كثرة

---

(1) سير أعلام النبلاء للحافظ شمس‌الدين الذهبي: 153/18، الجذوة: 344، بغية‌الملتمس: 489، وفيات‌الاعيان: 64/6 .

(2) انظر تاج‌العروس من جواهر القاموس للزبيدي: 586/3 .

الاهل وسعة الرفعة ، ويقال إنها كأحد جانبي بغداد وإن لم تكن كذلك فهي قريبة منها ، وهي حصينة بسور من حجارة، ولها باب مشرعان في نفس السور الى طريق الوادي من الرصافة، والرصافة مساكن أعالي البلد متصلة بأسفله من ربضها ، وأبنيتها مشتبكة محيطة من شرقيها وشماليها وغربيها وجنوبيها ، فهو الى واديها وعليه الرصيف المعروف بالاسواق والبيوع ومساكن العامة بربضها (1) .

ولايمكن الانتقال الى ذكر مولد شيخ الاسلام ابن عبد البر ، إلا بعد اقتطاف باقة من أزهار بستان أمير البيان الامير شكيب أرسلان رحمه الله تعالى ونور قبره ، قال:

ومن أشهر مدن الاندلس مدينة قرطبة أعادها الله تعالى للاسلام، وبها الجامع المشهور ، والقنطرة المعروفة بالجسر ، وقد ذكر ابن حيان أنه بنى على أمر عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ، ونصّه : وأقام فيها بأمره على النهر الاعظم بدار مملكتها قرطبة الجسر الاكبر الذي ما يعرف في الدنيا مثله ،ويقول الامير شكيب أرسلان: وفيها يقول بعض علماء الاندلس:

بأربع فاقت الامصار قرطبة *** منهن قنطرة الوادي وجامعها

هذان ثنتان والزهراء ثالثة *** والعلم أعظم شيء وهو رابعها .
(2)

ثم ذكر رحمه الله ما قاله أبوالفضل التيفاشي عن سمة العلم المتوارث في أهل قرطبة من أن مناظرة قد جرت بين يدي ملك

---

(1) معجم البلدان: ياقوت الحموي: 324/15.

(2) الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية للامير شكيب أرسلان :1/192-193.

المغرب المنصور يعقوب وبين الفقيه أبي الوليد بن رشد ، والرئيس أبي بكر بن زهر ، فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة : ما أدري ما تقول ؟ غير أنه إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه ، حملت الى قرطبة حتى تباع فيها ، وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية ، قال :وقرطبة أكثر بلاد الله كتبا (1) .

وكنيته : أبو عمر ، لم يختلف في هذه الكنية رجال لتاريخ والسير ، فقد تم اتفاق كبار أئمة هذا الشأن على أن كنية ابن عبد البر أبوعمر ، كالحميدي(2) والقاضي عياض (3) والضبي(4) والقاضي ابن خلكان(5) والحافظ الذهبي (6) والسيوطي(7) وابن فرحون(8).

مولده : كان في سنة ثمان وستين وثلاثمائة في شهر ربيع الاخر ، وقيل في جمادى الاولى ، فاختلفت الروايات في الشهر عنه (9).

---

(1) الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية : 196/1.
(2) جذوة المقتبس : 344 .
(3) ترتيب المدارك : 127/8.
(4) بغية الملتمس : 489 .
(5) وفيات الاعيان : 64/6 .
(6) سير أعلام النبلاء : 153/18.
(7) طبقات الحفاظ : 431 .
(8) الديباج المذهب : 357.
(9) انظر سير أعلام النبلاء : 153/18 ، والصلة : 242/1 ، ووفيات الاعيان : 64/6 ، والجذوة : 344 ، وطبقات الحفاظ : 431.

المبحث الثاني : عقيدته

إن من أوجب الواجبات على كل مسلم ذكرا كان أم أنثى ، أن يفني عمره في تحصيل العلم النافع الذي هو فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل: الذكر والانثى معا ، هذا العلم الذي هو أصل الدين والفقه الاكبر ، المنحصر في معرفة الله الخالق المستحق للعبادة ، ومعرفة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ومعرفة الاسلام ، حتى تسلم عبادته لله جل وعلا ، ويستقيم عمله، وتصح دعوة غيره من الناس الى هذا الخير ، ويتمرن على تحمل صنوف الاذى ، في ضوء الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ومجادلة المنصفين بالتي هي أحسن ، ومجانبة المغالطين بالتي هي أحسن .

ونحن في أمس الحاجة الى القدوة السليمة القويمة التي تأخذ بأيدينا الى سبيل النجاح ، وشاطىء النجاة ، في وقت كثر فيه اختلاط المفاهيم ، وإعجاب كل ذي هوى بهواه ، تحت ستار العقل والعقلانية . فكان لابد لنا من نموذج سليم في مجتمعنا السقيم الذي يكافح ويجاهد في سبيل الله من أجل غرس العقيدة الصحيحة في نفوس المسلمين،وتحصينهم من التأثر بالافكار الفاسدة ومن عبث أصحاب الاهواء والاراء المقنّعين بقناع الاسلام وهم ألد خصومه وأعدائه ؛ كالغلاة ، والجاهليين ممن يحملون شعارات إسلامية لتنظيماتهم المفكّكة المجزئة المفرقة . فالعقيدة الاسلامية التي يشرحها ابن عبد البر ويبين مباحثها للدارسين عقيدة الوحدة والتظامن وجمع الشمل ، فهي عقيدة

أنبياء الله ورسله جميعا، لانها عقيدة القرآن الكريم الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، القرآن الذي نسخ الشرائع كلها ولم ينسخ عقيدة إمام الحنفاء ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

إن العقيدة التي يوضح ابن عبد البر أصول منهجها هي عقيدة السلف: الصحابة رضوان الله عليهم، والتابعون رحمهم الله تعالى، وتابعوهم ومن سلك مسلكهم من الائمة المجتهدين الذين حفظ الله بهم الدين من كيد الكائدين، ومن افتراء المبطلين أصحاب الشبه والشهوات، هي عقيدة عرض قضاياها ومسائلها على منهج أهل السنة والجماعة، كلها السهولة والوضوح والنقاء.

كانت عقيدة الامام ابن عبر البر: القرآن الكريم.

وكانت عقيدته السنة النبوية الصحيحة.

وكانت عقيدته أقوال السلف أهل الحديث أعلم خلق الله بالله بعد الانبياء والرسل والخلفاء الراشدين.

قال الحافظ شمسالدين الذهبي عن ابن عبد البر: وكان في أصول الديانة على مذهب السلف، لم يدخل في علم الكلام، بل قفا آثار مشايخه رحمهم الله (1).

فكان منهجه منهج مشايخه أهل الاندلس من الفتح الى زمنه. وسأوضح معالم منهجه العقيدي في المباحث المقبلة من هذا الفصل الرابع.

لكن ينبغي أن لايفوتني في هذا المبحث أن أصرح بأن أهم جوانب هذا المبحث المستحق للابانة والشرح، هو كون عقيدة

---

(1) سير أعلام النبلاء: 161/18.

الامام ابن عبدالبر في أصولها ، ومباحثها ، وقواعد منهجها كانت مالكية على مذهب الامام مالك بن أنس ، نستفيد هذا مما قيده ابن عبد البر بيده ، وخطه ستنشره بمزبره.

ولقد كانت عقيدة مالك وأصولها وقواعد منهجها : القرآن والسنة النبوية الصحيحة ، على مذهب الحديث ، وروح عقيدة مالك الاسناد الذي هو السلم المرتقى به الى السطح والقمة. كان ابن عبد البر يثبت لله جل وعلا من الأسماء والصفات ما أثبت الله تعالى لنفسه ، وما أثبته له نبيه ومصطفاه محمد ابن عبدالله صلى الله عليه وسلم ، من غير تكييف ولا تمثيل ولاتحريف ولا تعطيل ، وبلاتجزئة ولاتبعيض ، وساقيم البراهين الواضحة ، وأثبت الحجج القاطعة على أن هذا حق ، وهو أحق أن يتبع ، والحق واضح أبلج وضده الباطل لجلج ، وليس بعد الحق إلا الضلال.

وتوفي الحافظ أبوعمر يوم الجمعة آخر يوم من شهر ربيع الاخر ، سنة ثلاث وستين وأربعمائة بمدينة شاطبة من شرق الاندلس ، وصلى عليه صاحبه أبوالحسن طاهر بن مغور المعافري(1) .

---

(1) وفيات الاعيان: 69/6 .

المبحث الثالث : منهجه في الرد على أهل الاهواء

لقد أخذ منهج الامام ابن عبد البر في العقيدة طابعا عالميا وشموليا ، فالاصول الاعتقادية واحدة منذ آدم الى محمد صلى الله وسلم عليهما ، وابن عبدالبر في تحكيم منهج الانبياء سار على مذهب إمامه إمام دار الهجرة مالك بن أنس، فواجه أهل الاهواء والبدع ، ورد أباطيلهم ، وبيّن فسادأقوالهم ومعتقداتهم ، وحذر المسلمين من مغبة الوقوع في سجن أوهامهم الخاطئة ، ورهّب من مخالطتهم ، ودعا الناس الى مقاطعتهم لسد الطرق الموصلة الى الوقوع في شرورهم. فعقد بابا بعنوان "باب في إنكار أهل العلم ما يجدونه من الاهواء والبدع " وهو الباب ما قبل الاخير من كتابه :" جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ".

ويمكن استخلاص طريقته في الرد على أهل الاهواء والبدع من خلال شرحه للموطأ ، والكتاب المشار إليه قريبا ، وكذا كتابه " الانتقاء في فضائل الثلاثة الائمة الفقهاء " وحصر قواعدمنهجه في الاسس الثلاثة الاتية :

1 ـ تحكيم القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة في قضايا العقيدة وعدم رد شيء منها أوتحريفه تحت ستار التأويل.

2 ـ تقديمه أقوال الصحابة رضي الله عنهم ، وأقوال التابعين وتابعيهم والائمة المجتهدين على أقواله .

3 ـ عدم مجالسة أهل البدع أو مجادلتهم أو سماع بدعهم أو عرض شبههم ، فإثارة الشبه لاتولّد إلا الشبه .

وقد كان ابن عبد البر شديدا على أهل الاهواء، وسيفا قاطعا لاهل البدع شأنه في ذلك شأن إمامه مالك بن أنس، فقد حدد موقفه منهم لما ساق قول الامام مالك في شأنهم "وقال مالك: أهل الاهواء بئس القوم لايسلم عليهم، واعتزالهم أحب إلي" (1). فهو من أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به لاجهمي ولاقدري ولارافضي (2).

وروى بإسناده المتصل المعروف عن عثمان بن أبي داود قال: سمعت الزهري يقول: دخلنا على أنس بن مالك بدمشق وهو وحده يبكي، فقلت ما يبكيك؟ قال: لاأعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة.

وقال الحسن البصري: لوخرج عليكم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عرفوا منكم إلا قبلتكم. (3)

ومن استدلاله على وجوب هجران أهل البدع وعدم مخالطتهم ما رواه بالاسناد المتصل عن مالك قال:" قدم علينا ابن شهاب قدمة يعني من الشام فقلت له: طلبت العلم حتى إذا كنت وعاء من أوعيته تركت المدينة ونزلت إدامًا؟ فقال: كنت أسكن المدينة والناس ناس، فلما تغير الناس تركتهم" (4).

وبإسناده المعروف عن أبي الدرداء قال:" ما لي أرى علماءكم يموتون، وجهالكم لايتعلمون، لقد خشيت أن يذهب الاول ولايتعلم الآخر، ولوأن العالم طلب العلم لازداد علما، ولو أن الجاهل

---

(1) الانتقاء: 34.
(2) المصدر السابق: 35.
(3) جامع بيان العلم وفضله: 244/2.
(4) المصدر السابق: 245/2.

طلب العلم لوجد العلم قائما، ما لي أراكم شباعا من الطعام جياعا من العلم"(1).

وقد استحسن ابن عبد البر ما صح عن الامام الشافعي من كراهته لمذاهب أهل الكلام والبدعة، ومما رواه عنه بالاسناد المتصل قوله رضي الله عنه: "لو علم الناس ما في الكلام والاهواء لفروا منه كما يفرون من الأسد"(2).

هذا ولما حاول بعض أهل الاهواء أن ينسب الى الامام الشافعي قولا في رؤية الله عزوجل يوم القيامة، غير الذي قاله وصح عنه، هب الامام ابن عبد البر فرد عليهم بأن الصحيح الثابت عن الشافعي في الرؤية أن الله عزوجل يراه أولياؤه في الاخرة، وأن ما رواه عنه بعض أهل الكلام مخالف لما صح عنه بالاسناد الصحيح (3).

---

(1) جامع بيان العلم وفضله: 246/2.
(2) الانتقاء: 79.
(3) انظر المصدر السابق: 81.

المبحث الرابع : دفاعه عن عقيدة السلف

إن الحديث عن دفاع ابن عبد البر عن عقيدة السلف أصحاب الحديث يشتمل عن إبانته وشروحه لما تضمنته كتاباته عن أصول العقيدة الاسلامية من مصدرها التوقيفي ، الذي هو الوحي الالهي بشقيه : القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة، على منهج أهل السنة والجماعة .

فقد عرض الامام ابن عبد البر مباحثها في سهولة ويسر وهذه من أخص خصائصها ؛ كما وضح فساد المناهج المخالفة لمنهجها ، وهي مناهج أهل الاهواء والبدع ؛ منطلقا رحمه الله تعالى من نصوص شرعية نورانية ، لها نور يتلألأ ضياء ، حيث يأخذ بقلب المؤمن الموحد لله تعالى الى شاطئ النجاة ، بعد أن اصطبغ بالصبغة المنجّية له من العذاب يوم لقاء الله عزوجل ، تلك الصفة التي لايسلم قلب امرئ يوم القيامة إلا إذا كان عليها ، مصداقا لما ورد في محكم التنزيل : (يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم)(1) .

هذه العقيدة السلفية التي دافع عنها الامام ابن عبدالبر في كتبه : "جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله" و" الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء" و" التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد " ، هي عقيدة لاتقبل الجدال

---

(1) الشعراء : 88-89 .

والتناظر كما قرر الامام ابن عبد البر: "لان الله عزوجل لايوصف عند الجماعة أهل السنة إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أجمعت الامة عليه، وليس كمثله شيء فيدرك بقياس أو بإنعام نظر، وقد نهينا عن التفكر في الله، وأمرنا بالتفكر في خلقه الدال عليه، وللكلام في ذلك موضع غير هذا. والدين قد وصل الى العذراء في خدرها في صفاته وأسمائه"(1).

والمقصود بهذه الدراسة في هذا المطلب - أعني دفاع ابن عبدالبر عن عقيدة السلف - هو عرض الكيفية التي يعرف بها الموحد لله تعالى ربه، لينجو من التعطيل والتمثيل والتشبيه لصفات الله تعالى العليا، والالحاد في الاسماء الحسنى.
قال ابن عبد البر: "قال أبوعمر: ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوط في كتاب الله أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أجمعت عليه الامة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولايناظر فيه"(2).

ومن منهجه في الدفاع عن عقيدة السلف أصحاب الحديث، حرصه الشديد على التحذير من أهل الاهواء والبدع، وعنايته الفائقة بطالب العلم الشرعي وأخذه بيده ليعرف موقف السلف من أهل الاهواء ومن بدعهم الكلامية، والسبيل الاقوم في ذلك،

---

(1) جامع بيان العلم وفضله: 113/2.
(2) المصدر السابق: 117/2-118 .

هو تحكيم كتاب الله عزوجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الصحيحة في كل قضايا الاعتقاد، وعدم رد شيء منهما أو تحريفه تحت ستار طاغوت التأويل.

هذا وقد اقتدى ابن عبد البر بالسلف في هذه الاصول وهو مذهب إمامه مالك بن أنس رضي الله عنه، وذلك بيّن واضح من خلال توثيقه أقوال إمامه "وقال مالك بن أنس ليس الجدال في الدين بشيء" وقوله أيضا :" قال مالك : أهل الاهواء بئس القوم لايسلم عليهم واعتزا لهم أحب إلي"(1).

وموقفه رحمه الله هو موقف إمامه، انتصر لذلك لما قرره قائلا :" كان مالك بن أنس يقول لايؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ ممن سواهم . لايؤخذ من سفيه، ولايؤخذ من صاحب هوى يدعو الى بدعته، ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس وإن كان لايتهم على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لايعرف ما يحمل وما يحدث به"(2).

ولايتم ما قاله الامام وقرره إلا بتحكيم منهج الصحابة المرضيين في العقيدة، لان منهجهم هو الاعلم والاحكم والاسلم والاعقل، وخير من عقله بعدهم التابعون وتابعوهم والائمة المجتهدون، ومن حاد عنه خسر وخاب :"قال أبوعمر رواها السلف وسكتوا عنها (3)، وهم كانوا أعمق الناس علما وأوسعهم فهما، وأقلهم تكلفا، ولم يكن سكوتهم عن عيّ، فمن لم يسعه ما وسعهم فقدخاب وخسر"(4).

---

(1) الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء:34.

(2) المصدر السابق :16.

(3) يقصد أحاديث الصفات والقدر.

(4) جامع بيان العلم وفضله : 118/2.

وابن عبد البر يلح إلحاحا على ضرورة تحكيم منهج الصحابة في العقيدة لمن كان يرجو الهداية والتوفيق والسلامة، ويدافع عن هذا المنهج دفاعا بينا واضحا ؛ وذلك بشرح أصوله من خلال كلام الصحابة المرضيين أنفسهم ، فقد روى بالاسناد المتصل عن قتادة قال: قال ابن مسعود: من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنهم كانوا أبر هذه الامة قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، وأقومها هديا ، وأحسنها حالا ، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم (1).

وقد ثبت الشيء نفسه عن الحسن البصري رحمه الله تعالى(2).

فقد روى ابن عبد البر بإسناده المعروف أن الحسن كان في مجلس فذكر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال: إنهم كانوا أبرّ هذه الامة قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم ، فإنهم ورب الكعبة على الهدي المستقيم"(3).

ولا يفوت الامام ابن عبد البر وهو يسوق هذه النصوص أن يصل بالقارىء الى نتيجة قررها عقب ذلك ، وهي أن متابعة الصحابة المرضيين لاتتم ولاتحصل إلا بنبذ كل جدال وخوض في

(1) جامع بيان العلم وفضله :119/2.

(2) هو الحسن بن أبي الحسن يسار الامام شيخ الاسلام أبو سعيد البصري ، وأمه خيرة مولاة أم سلمة. حفظ كتاب الله في خلافة عثمان ، ولازم الجهاد ، ولازم العلم والعمل. وكان أحد الشجعان الموصوفين يذكر مع قطري بن الفجاءة. وكان عالما رفيعا ثقة حجة مأمونا عابدا ناسكا كثير العلم فصيحا جميلا وسيما. مات سنة عشر ومائة. (تذكرة الحفاظ: 1/71-72).

(2) جامع بيان العلم وفضله :119/2.

المسائل الاعتقادية التي لامجال للعقل في شيء من ذلك على الاطلاق: " قال أبوعمر: أجمع أهل الفقه والآثار مع جميع الامصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ، ولايعدون عند الجميع في جميع الامصار في طبقات العلماء، وإنما العلماء أهل الاثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالاتقان والميز والفهم" وقال أيضا فيما رواه بالاسناد المتصل عن أبي عبدالله محمد بن أحمد ابن اسحاق بن خويز منداد المصري المالكي قال في كتاب الاجارات من كتابه في الخلاف قال مالك: لاتجوز الاجارات في شيء من كتب الاهواء والبدع والتنجيم، وذكر كتبا ثم قال: وكتب أهل الاهواء والبدع عند أصحابنا هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم وتفسخ الاجارة في ذلك، قال: وكذلك كتب القضاء بالنجوم وعزايم الجن وما أشبه ذلك، وقال في كتاب الشهادات في تأويل قول مالك: لاتجوز شهادة أهل البدع وأهل الاهواء قال: أهل الاهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلم فهو من أهل الاهواء والبدع، أشعريا كان أو غير أشعري، ولاتقبل له شهادة في الاسلام أبدا، ويهجر ويؤدب على بدعته، فإن تمادى عليها استتيب منها "(1).

هكذا كان ابن عبد البر يسير على هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مقتفيا أثر أئمة السلف، الذين استضاءوا بمنارة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان أبوعمر يتقدم أقوالهم على قوله، ولايختار إلا ما أجمعوا عليه من محكم التنزيل،

---

(1) جامع بيان العلم وفضله: 117/2.

وصحيح الاخبار ، من ذلك أيضا ما رواه باتطال في الاسناد عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال: وايم الله إن كنا لنلتقط السنن من أهل الفقه والثقة ونتعلمها شبيها بتعلمنا أي القرآن وما برح من أدركنا من أهل الفقه والفضل من خيار أولية الناس يعيبون أهل الجدل والتنقيب والاخذ بالرأي وينهون عن لقائهم ومجالستهم ، ويحذرون مقاربتهم أشد التحذير ويخبرون أنهم أهل ضلال وتحريف لتأويل كتاب الله وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كره المسائل وناحية التنقيب والبحث (1)، وزجر عن ذلك وحذره المسلمين في غير موطن حتى كان من قوله كراهية لذلك :"ذروني ما تركتكم فإنما هلك الذين من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم (2).

وجمّاع القول في هذا المطلب أن الامام ابن عبد البر قد سار على منهج الامام مالك بن أنس في الدفاع عن عقيدة السلف أصحاب الحديث ،وذلك من خلال النصوص الواضحة التي مرت قبل حين ، فقد كره مجالسة أهل الاهواء والبدع الكلامية ، وحذر من مخالطتهم ومجادلتهم ،ونهى عن إثارة الشبه وعرضها ، لان في ذلك بلبلة وتشويشا لأفكار المسلمين ،وعجزهم عن إبطالها وردها ، أما أمثال أبي عمر ابن عبدالبر من كبار أئمة السلف ، فقد دحر الله به كل شبهة في زمانه، ورد به كيد

---

(1) المراد بها التعمق في قضايا العقيدة كالتنطع والتعمق في مسائل القضاء والصفات الالهية.

(2) جامع بيان العلم وفضله :120/2 .

المتكلمين من أهل الفلسفة ، كما طان به رحمه الله قلوب طلبة العلم الشرعي وحمى أفكارهم من أفن الكلام . وطان به مصدر التلقي عن السلف ، أي تلقي العلوم الشرعية وعلى رأسها علم أصول الدين ، وبيّن فساد منهج المخالفين الذين لا مصدر لتخميناتهم ومجهولاتهم إلا العقل ، وهو في حقيقة الامر محض الهوى ، لان العقل الانساني إنما هو في حقيقة أمره عاجز كل العجز عن الاستقلال بمعرفة عالم الغيب ، فلن يستقيم حاله أبدا إلا إذا وعى وفهم وأدرك أسرار محكم التنزيل وصحيح سنة نبينا المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم ، عندها يهتدي ويكون سببا لهداية صاحبه .

المبحث الخامس : منهجه في التناظر والتجادل

ومن الادلة والبراهين المضيئة على عالمية منهج الامام ابن عبدالبر العقيدي شرحه وإبانته لنصوص شرعية قيمة انتصر من خلالها في تجويز المناظرة والمجادلة لكل من ينشد الحق، ويلتمس الاخذ بالوسائل العلمية في ضوء ضوابط للوصول الى حقائق المسائل والقضايا ، غايته إحقاق الحق، وإبطال الباطل ، وذلك من خلال كتابه الفريد من نوعه ، العالمي في توجيهه وتكوينه للعلماء والدعاة الى الله :"جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله" .

لقد حرصت في هذا المبحث على تبيين وتوضيح ما تميز به ابن عبد البر دوليا في أوساط المثقفين باختلاف وتنوع مشاربهم المذهبية المناهضة لمذهب الروافض والخوارج ؛ فاسترشدوا جميعا حنبليّهم وشافعيّهم ومالكيّهم وحنفيّهم بأصوله العلمية في التجادل والتناظر ، هذا العلم الذي كانت الريادة فيه ولازالت لعلماء الاسلام ، لانهم علموا كابن عبدالبر أن التجادل يلزم أن يكون هدفه الهداية والدلالة ، بمعنى إحقاق الحق وإبطال الباطل ، لكونه ظاهرة إنسانية :" والجدل ظاهرة إنسانية بل عالمية لوجوده في غير الاجناس البشرية كالملائكة وإبليس ".(1)

---

(1) انظر حاشية الدكتور زاهر الالمعي على استخراج الجدال من القرآن الكريم للامام عبدالرحمن بن نجم، ابن الحنبلي: 10.

فما هو المراد بالمناظرة والجدل ؟

قال ابن منظور :

"والمناظرة أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معا كيف تأتيانه "(1) .

وقال الزبيدي:" والمناظرة أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معا كيف تأتيانه وهو مجاز . والمناظرة المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته والنظر البحث "(2) .

أما المعنى العرفي الاصطلاحي فقد انتقيت تعريفين أحدهما لطاش كبري زادة نقلا عن حاجي خليفة ، وثانيهما لابن خلدون.

قال صاحب مفتاح السعادة :" علم آداب البحث ويقال له علم المناظرة : قال المولى أبوالخير في مفتاح السعادة وهو علم يبحث فيه عن كيفية إيراد الكلام بين المناظرين"(3) .

وعرّفه ابن خلدون بقوله :" إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها الى حفظ رأي أو هدمه "(4).

وأما الجدال فهو مذموم في كل موضع ذكر إلا في ثلاثة مواضع ، قاله الامام ناصح الدين ابن الحنبلي(5) ، هذه المواضع أحدها في سورة النحل :﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾(6).

---

(1) لسان العرب لابن منظور:5 ، فصل النون:"نظر".

(2) تاج العروس للزبيدي:575/3 .

(3) كشف الظنون لحاجي خليفة :38/1 .

(4) مقدمة ابن خلدون:1068/3 .

(5) كتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم:51 .

(6) سورة النحل : 125 .

والموضع الثاني في سورة العنكبوت :(ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن)(1) .

والموضع الثالث في سورة المجادلة :(قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها)(2) وهذه المرأة هي خولة بنت ثعلبة الانصارية ، وزوجها أوس بن الصامت، أول من ظاهر في الاسلام، قال الامام الشوكاني: أخرج أحمد وأبوداود وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقيمن طريق يوسف بن عبدالله بن سلام قال: حدثتني خولة بنت ثعلبة قالت : فيّ والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة ، قالت : كنت عنده، وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه ، فدخل عليّ يوما فراجعته بشيء فغضب فقال: أنت علي كظهر أمي ، ثم رجع فجلس في نادي قومه ساعة ، ثم دخل علي فإذا هو يريدني عن نفسي ، فقلت : كلا والذي نفس خولة بيده لاتصل إلي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا ،ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم فذكرت ذلك له ،فما برحت حتى نزل القرآن ، فتغشى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يتغشاه ثم سرى عنه، فقال لي:" يا خولة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك ثم قرأ عليّ (قد سمع الله قول التي تجادلك) الى قوله :(عذاب أليم) فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:" مريه فيلعتق رقبة " قلت :يا رسول الله : ما عنده ما يعتق ، قال:"فليصم شهرين متتابعين" قلت : والله إنه لشيخ كبير ما به من صيام، قال :

---

(1) سورة العنكبوت : 46 .

(2) سورة المجادلة : 1 .

"فليطعم ستين مسكينا وسقاً من تمر" قلت : والله ما ذاك عنده ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :" فأنا سأعينه بفرق من تمر" فقلت : وأنا يا رسول الله سأعينه بفرق آخر ، فقال : " قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيرا " قالت : ففعلت ، وفي الباب أحاديث . انتهى كلام الامام الشوكاني(1).

فأما قوله سبحانه :(وجادلهم بالتي هي أحسن)(2) فيحتمل أن يكون المراد بالاحسن الاظهر من الادلة ، ويحتمل بالتعجيز عن الإتيان بمثل القرآن لانه أحسن الادلة نظاما وبيانا ، وأكملها حسنا وإحسانا ، وأرجحها من الثواب ميزانا ، وأوضحها على اختلاف مدلولاتها كشفا وبرهانا ، ويحتمل بالاصغاء الى شبههم والرفق بهم في حلها ودحضها ، ويحتمل بترك الغلظة عليهم في جدالهم لتكون الحجة عليهم أظهر ، والجحد منهم أنكد، وهي سنة الانبياء عليهم السلام مع الامم عند الدعوة والمجادلة، من ذلك لما قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم مجنون قال: " وما مسني السوء"(3) أي جنون ، من غير أن يقابلهم على ذلك بقول خشن مع النخوة العربية والعزة الهاشمية . وقالوا لنوح عليه السلام :(إن هو إلا رجل به جنة) (4) (قال رب انصرني بما كذبون)(5) وقالوا له :(إنا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين)(6).

---

(1) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: 184/5 .

(2) سورة النحل : 125.

(3) سورة الاعراف :188.

(4) سورة المؤمنون:25 .

(5) السورة نفسها :26.

(6) سورة الاعراف :60-61 .

وقالوا لصالح: (إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا ... قال رب انصرني بما كذبون)(1).

وقالوا لهود: (إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين)(2).

فلو قابلهم الانبياء بغلظة لنفرت طباعهم وانصرفت عقولهم عن التدبر لما قالوا. والتدبر لما جاءوا به من البينات فلم تتضح لهم المحجة ولم تقم عليهم الحجة (3).

عقد الامام ابن عبدالبر في كتابه "جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله" بابا جيدا أثبت فيه منهج السلف في التناظر والتجادل وإقامة الحجة على الخصوم، انطلاقا من كتاب الله عزوجل، فاستدل بالايات القرآنية التي تثبت التجادل والتناظر في الدنيا والاخرة خصوصا "والجدل ظاهرة إنسانية بل عالمية لوجودها في غير الاجناس البشرية كالملائكة وإبليس"(4).

ومن أسباب عناية الامام ابن عبد البر بهذا العلم أن الجدال يعود بمعناه العام الى نزعة البيان والافصاح الموجودة فطريا في الانسان وهو بتعبير آخر وسيلة إفصاح عما يجيش في النفس من تأثرات وأحاسيس إما لاظهار مبدإ، أو نصرة حق أو تصحيح خطأ أو توجيه مفهوم، أو غير ذلك مما جبلت عليه النفوس البشرية، وبأي دافع كان هذا الحوار الانساني، فالجدل ضرورة حتمية فلا يقال إنه واجب ولامكروه لانه طبيعة وجبلّة في

---

(1) سورة المؤمنون: 38-39.

(2) سورة الاعراف: 66-67.

(3) يراجع كتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم للامام ناصح الدين عبدالرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي (ت 634هـ): 51-52-53-54.

(4) مقدمة محققه لكتاب المذكور في الاحالة رقم: 1 ص: 10.

الفطرة الانسانية ، قال تعالى في سورة الكهف :54 (وكان الانسان أكثر شيء جدلا)"(1)

فاستدل على مشروعيته في كتاب الله عزوجل ، فبدأ ابن عبدالبر بذكر نموذج نبي الله ابراهيم ، خليل الرحمن وإقامته الحجة على قومه بعد جدل طويل ، سيأتي تفصيله من كتاب ابن عبدالبر "جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله" ثم أعطى نموذجا آخر لنبي الله نوح صلى الله عليه وسلم ، ثم بعده نبي الله موسى ، واستدل على مشروعية الجدل والمناظرة من القرآن الكريم في الدنيا والاخرة ، ثم أردف هذه النصوص القرآنية بنصوص حديثية مع نماذج من مجادلة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكتاب ، ثم ساق بعد ذلك أقوال السلف ، وهذا هو منهج المحدثين الذين شرفهم الله بمعرفة كتابه العزيز ، وأسرار التنزيل ، وخصّهم بفقه كلام سيد الانبياء والمرسلين .

وابن عبد البر إنما أراد بذلك الجدل المحمود الذي يهدف الى إحقاق الحق وإبطال الباطل ، وعالمية منهجه في المناظرة تتجلى في كونه قد أصل هذا الفن بطريقة علمية جيدة، في أسلوب رصين سهل لايحتاج الدارس الى استعمال المعاجم والقواميس اللغوية للوقوف على ما تعذر فهمه لعدم وجود ما يتعذر فهمه ويعسر على القارىء ؛ هذا الاسلوب الذي يعكس تسلسلا منهجيا فيما في إثبات فن المناظرة وعلم إقامة الحجج والبراهين على الخصوم ، مكّنه من كل ذلك استقراؤه الشامل الكامل لاصول هذا العلم في كتاب الله عزوجل بالاضافة الى

---

(1) المرجع السابق :11 .

إحاطته بما ورد في السنة النبوية في هذا المضمار وكذا أقوال الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، فهو رحمه الله تعالى لاينفرد برأي ولايستأثر بفكرة إلا بعد أن يسوق أقوال الأئمة السلف ويحدد موقفهم، فيصرح للقارىء بأنه لم يكن مبدلا ولامغيرا ولايحيد عن قواعدهم العلمية وذلك لوحدة مصدرا لتلقي وهو الوحي الالهي بقسميه الاثنين: القرآن والحديث الصحيح على منهج السلف.

وموضوعه رحمه الله تعالى حيوي، منشط للعقل، موقظ لهمم طلاب العلم عندما يعرض مواقف الصراع بين الحق والباطل، الشيء الذي يجعل الدارس لمصدره يقر بعالميته في المنهج والمضمون، فهو يعطي الدارس المختص من طلاب العلم الشرعي وغيرهم من المنصفين طلاب العلوم الانسانية، شعورا بمتعة عالية، تغمر الوجدان والحس والخواطر، فيستزيدون من هذه الملكات، بدافع من النهم العلمي المنقطع النظير، لاسيما وهدف الامام ابن عبدالبر كما سلف إنما هو تقرير الجدل الممدوح والتحذير من الجدل المذموم ليكون طالب العلم الشرعي خصوصا والمسلم المثقف عموما على بصيرة مما يقدم إليه من أصول هذا العلم؛ لاسيما وقد علّمنا ابن عبد البر أن: "كل مجادل عالم، وليس كل عالم مجادلا" وشرح ذلك بقوله رحمه الله أنه ليس كل عالم يتأتى له الحجة ويحضرها لجواب، ويسرع إليه الفهم بمقطع الحجة، ومن كانت هذه خطاله فهو أرفع العلماء وأنفعهم مجالسة ومذاكرة والله يؤتي فضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم (1).

---

(1) جامع بيان العلم وفضله: 130/2.

وهذا بيان لما ورد في كتاب ابن عبد البر لهذه المسائل مسألة مسألة :

الأولى : هذه المسألة تتناول الأدلة التي استخرجها الإمام ابن عبد البر لأهل العلم من كتاب الله عزوجل لإثبات الجدل وإقامة الحجج والبراهين العلمية ، حيث علّم الله عزوجل خلقه وعباده السؤال والجواب وأصول المجادلة والمناظرة لما قال في محكم كتابه كما أخبر بذلك واستخرجه ابن عبد البر(1) قال الله تعالى: (قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون)(2) .

قال جمال الدين القاسمي المفسر المحدث المفكر الإسلامي الكبير(3):(قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق) أي بوجه من الوجوه ، كبعثة الرسل ،وإيتاء العقل ، وتمكين النظر في آيات الكون والتوفيق للتدبر . (قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق) وهو تبارك وتعالى(أحق أن يتبع) أي يعبد ويطاع ، (أمن لا يهدي) أي إلا أن يهديه الله تعالى - نزل منزلة من يعقل لإفحامهم - وقيل معناه أمن لا يهتدي من الأوثان إلى مكان

---

(1) يراجع جامع بيان العلم وفضله :123/2.

(2) سورة يونس :35.

(3) هو علامة الشام، ونادرة الأيام، والمجدد لعلوم الإسلام، محيي السنة بالعلم والعمل والتعليم، والتهذيب والتأليف، وأحد حلقات الاتصال بين هدي السلف، والارتقاء المدني الذي يقتضيه الزمن، الفقيه الأصولي، المفسر المحدث، الأديب المتفنن، التقي الأواب، الحليم الأواه، العفيف النزيه، صاحب التصانيف الممتعة، والأبحاث المقنعة، صديقنا الصفي، وخليلنا الوفي، وأخونا الروحي، قدس الله روحه، ونور ضريحه، وأحسن عزاءنا عنه، نشأ في بيت من بيوت العلم والدين في دمشق الشام، ولد سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف (1283). وتوفي سنة (1332).
(شيخ الشام جمال الدين القاسمي بقلم الشيخ محمود مهدي الاستانبولي:15).

فينتقل إليه إلا أن ينقل ، أو لايهتدي ولايصح منه الاهتداء ، إلا أن ينقله الله من حاله الى أن يجعله حيوانا مكلفا فيهديه. وقد قرىء: (أمّن لايهدّي) بفتح الياء والهاء وتشديد الدال ، أصله يهتدي ، أدغمت التاء في الدال ، ونقلت فتحة التاء المدغمة الى الهاء ، وقرىء بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال ، لانه لما نقلت الحركة التقى ساكنان ، فكسر أولهما للتخلص من التقائهما ، وقرىء بسكون الهاء وبتخفيف الدال على معنى(يهتدي) . والعرب تقول: يهدي بمعنى يهتدي ، يقال هديته فهدى أي اهتدى ، وقوله تعالى(فما لكم) مبتدأ وخبر ، والاستفهام للانكار والتعجب ، أي أي شيء لكم في اتخاذ هؤلاء العاجزين عن هداية أنفسهم ، فضلا عن هداية غيرهم شركاء. وقوله (كيف تحكمون) مستأنف أي كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون أنهم أنداد لله ؟! (1)

ومن الادلة القرآنية التي استخرجها الامام ابن عبد البر لاثبات التناظر والتجادل من كتاب الله عزوجل (2)، قوله تعالى يعلم عباده السؤال والجواب والمجادلة: (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده ؟ قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون) (3) .

ومنها قوله تعالى كما استدل بذلك ابن عبد البر (4).

(ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) (5).

---

(1) محاسن التأويل لمحمدجمال الدين القاسمي: 9/31-32.

(2) جامع بيان العلم وفضله: 2/123.

(3) سورة يونس: 34 .

(4) جامع بيان العلم وفضله: 2/ .

(5) سورة الانفال: 42.

معناه يرفع حجة الحق على الباطل ، ليصير الامر ظاهرا ، والحجة قاطعة ، والبراهين ساطعة ، ولايبقى لأحد حجة ولاشبهة، فحينئذ يهلك من هلك ،أي يستمر في الكفر من استمر فيه على بصيرة من أمره ، أنه مبطل لقيام الحجة عليه ، ويؤمن من آمن عن حجة وبصيرة ويقين...(1).

فابن عبدالبر رحمه الله يرى أن هذا النوع من الجدل والمناظرة ضروري لتبليغ رسالة التوحيد ودفع ما يعتورها من الشبه ، لانه يشتمل على التوجيه الى سبيل الرشاد .

ومنها أيضا النص الشرعي الذي استدل به ابن عبد البر في مصنفه (2) وهو قول الله عزوجل:

(إن عندكم من سلطان بهذا)(3) .

قال الامام ابن عبدالبر: قال المفسرون: من حجة، قالوا :والسلطان الحجة ،وقال الله عزوجل:(قل فلله الحجة البالغة)(4) انتهى كلام ابن عبد البر(5).

قال شيخ الشام وعلامةأهل الحديث في هذا الزمان:" تنبيه : دلت الاية على تسمية البرهان سلطانا ، قال الامام ابن قيم الجوزية في "مفتاح السعادة": إنه سبحانه سمى الحجة العلمية سلطانا . قال ابن عباس رضي الله عنه: كل سلطان في القرآن فهو حجة ، وهذا كقوله تعالى:(إن عندكم من سلطان بهذا) يعني ما عندكم من حجة بما قلتم ، إن هو إلا قول على الله بلاعلم . وقوله تعالى في سورة النجم:23: (إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان).

---

(1) محاسن التأويل:66/8.
(2) جامع بيان العلموفضله :122/2.
(3) يونس : 68 .
(4) الانعام:149.
(5) جامع بيان العلم وفضله :122/2.

يعني ما أنزل بها حجة ولابرهانا ، بل هي من تلقاء أنفسكم وآبائكم ، وقوله تعالى: (أم لكم سلطان مبين)(1) يعني حجة واضحة . إلا موضعا واحدا اختلف فيه، وهو قوله :(ما أغنى عني ماليه . هلك عني سلطانيه)(2) فقيل: المراد به القدرة والملك، أي ذهب عني مالي وملكي ، فلامال لي ولاسلطان ، وقيل هو على بابه ، أي انقطعت حجتي وبطلت ، فلاحجة لي . والمقصود أن الله سبحانه سمى علم الحجة سلطانا، لانها توجب تسلط صاحبها واقتداره ، فله بها سلطان على الجاهلين ، بل سلطان العلم أعظم من سلطان اليد . ولهذا ينقاد الناس للحجة ما لاينقادون لليد ، فإن الحجة تنقاد لها القلوب ، وأما اليد فإنما ينقاد لها البدن ، فالحجة تأسر القلب وتقوده ، وتذل المخالف، وإن أظهر العناد والمكابرة ، فقلبه خاضع لها ذليل ، مقهور تحت سلطانها ، بل سلطان الجاه إن لم يكن معه علم يساس به، فهو بمنزلة سلطان السباع والأسود ونحوها ، قدرة بلاعلم ولارحمة، بخلاف سلطان الحجة ، فإنه قدرة بعلم ورحمة وحكمة ، ومن لم يكن له اقتدار في علمه ، فهو إما لضعف حجته وسلطانه ، وإما لقهر سلطان اليد والسيف له ، وإلافالحجة ناصرة نفسها ، ظاهرة على الباطل ، قاهرة له . انتهى (3).

---

(1) الصافات: 156 .

(2) الحاقة : 28-29 .

(3) محاسن التأويل: 62/9 .

المسألة الثانية: التي استخرجها الامام ابن عبد البر من القرآن العظيم لاثبات الجدل والمناظرة وإقامة الحجة، إثبات كتاب الله عزوجل للتجادل والتناظر يوم القيامة (1).

قال الله عزوجل: (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها)(2) .

والمراد باليوم في هذه الاية يوم القيامة قاله غير واحد من المفسرين (3) ومعنى تجادل أي تحتج وتسعى في خلاصها (4).

وقوله جل وعلا في سورة الزمر:

(إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون)(5).

معنى ربكم مالك أموركم، فتحتج أنت عليهم بأنك بلّغتهم ما أرسلت به من الاحكام والمواعظ التي من جملتها ما في هذه الايات، واجتهدت في الدعوة الى الحق حق الاجتهاد، وهم قد لجّوا في المكابرة والعناد (6).

ومن الادلة التي ساقها الامام ابن عبد البر في هذه المسألة قول الله عزوجل في سورة يٓس:65 (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون).

معناه أنهم عندما يجحدون ما اجترموه في الدنيا ويحلفون ما فعلوه أثناء محاورتهم، فيختم الله على أفواههم، ويستنطق جوارحهم . قال الرازي: وفي الختم على الافواه وجوه . أفواها

---

(1) جامع بيان العلم وفضله: 122/2.

(2) سورة النحل: 111.

(3) الكشاف للزمخشري: 638/2، وتفسير القرآن الجليل للنسفي: 64/3، وكتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي: 163/2، وفتح القدير للشوكاني: 198/3.

(4) محاسن التأويل: 167/10.

(5) سورة الزمر: 31.

(6) يراجع تفسير القاسمي محاسن التأويل: 207/14.

أن الله يسكت ألسنتهم فلا ينطقون بها ، وينطق جوارحهم فتشهد عليهم ، وأنه في قدرة الله يسير ، أما الاسكات فلا خفاء فيه ، وأما الانطاق فلأن اللسان عضو متحرك بحركة مخصوصة ، فكلما جاز تحركه بها ، جاز تحرك غيره بمثلها ، والله قادر على الممكنات . والوجه الاخر أنهم لا يتكلمون بشيء لانقطاع أعذارهم وانتهاك أستارهم ، فيقفون ناكسي الرؤس، وقوف القنوط اليئوس لا يجد عذرا فيعتذر ، ولا مجال توبة فيستغفر . وتكلم الايدي ظهور الامور بحيث لا يسع معه الانكار ، حتى تنطق به الايدي والابصار ، كما يقول القائل : " الحيطان تبكي على صاحب الدار " إشارة إلى ظهور الحزن (1).

كان لابد من هذا البيان المنقول عن أهل التفسير تمهيدا لتعليق ابن عبد البر الذي رواه بإسناده المتصل عن الشعبي عن أنس بن مالك في قوله تعالى : (اليوم نختم على أفواههم) قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه ، وقال : " هل تدرون مم ضحكت ؟ " وذكر شيئا ثم قال : " في مجادلة العبد ربه يوم القيامة ، قال : يقول : يا رب ألم تجرني من الظلم ؟ قال : بلى ، قال : فإني لا أجيز علي اليوم شاهدا إلا من نفسي قال (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) (2) كذا قال : فيختم على فيه ، ويقال لأركانه ، انطقي ، فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول : بعدا لكم فعنكم كنت أناضل " (3).

---

(1) محاسن التأويل : 83/14 .

(2) الاسراء : 14 .

(3) جامع بيان العلم وفضله : 122/2 .

المسألة الثالثة: تناول الامام ابن عبدالبر فيها الحديث عن نماذج من جدل الانبياء في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

النموذج الاول: جدل نبي الله ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

استدل الامام ابن عبدالبر في مصنفه (1) على جدل نبي الله ابراهيم وإقامته الحجة على قومه بقول الله عزوجل:
(ألم تر الى الذي حاجّ ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال ابراهيم ربي الذي يحيى ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر)(2).
قول الله تعالى: (أن آتاه الله الملك) أي لان آتاه الله يعني أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر، فحاج لذلك، أو حاجه لأجله، ووضع المحاجة التي هي أقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه الشكر، كما يقال: عاداني فلان لأني أحسنت إليه، تريد أنه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لأجل الاحسان.
وتفصيل المناظرة أن المناظر بفتح الظاء: لما سأل نبي الله ابراهيم: من ربك الذي تدعونا إليه؟ أجاب نبي الله: ربي الذي يحيى بنفخ الروح في الجسم، ويميت بإخراجها منه. فقال: أنا أحيي بالعفو وأميت بالقتل، فلما سلك الطاغية مسلك التلبيس والتمويه على الرعاع، وكان بطلان جوابه

---

(1) جامع بيان العلم وفضله: 122/2.
(2) البقرة: 258.

من الجلاء والظهور بحيث لايخفى على أحد ، والتصدي لإبطاله من قبيل السعي في تحصيل الحاصل ، انتقل ابراهيم عليه السلام، إرسالا لعنان المناظرة معه ، الى حجة أخرى لاتجري فيها المغالطة ولايتيسر للطاغية أن يخرج عنها بمخرج مكابرة أو مشاغبة أو تلبيس على العوام. وهو ما قصّه تعالى بقوله : (قال ابراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فائت بها من المغرب) أي إذا كنت كما تدعي من أنك تحيي وتميت ، فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود ، في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته . فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق ، فإن كنت إلها كما ادعيت فائت بها من المغرب (فبهت الذي كفر) تحير ودهش وغلب بالحجة لما علم عجزه وانه لايقدر على المكابرة في هذا المقام (والله لايهدي القوم الظالمين) أي لايلهمهم حجة ولابرهانا ، بل حجتهم داحضة عند ربهم (1) .

قال أبوعمر معلقا : فانقطع وخصم ولحقه البهت عند أخذ الحجة له (2) .

وقال أيضا : ووصف الله عزوجل خصومة ابراهيم صلى الله عليه وسلم قومه ورده عليهم وعلى أبيه في عبادة الاوثان :(إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) (3) الى قوله (أف لكم ولما تعبدون من دون الله)(4) الايات كلها ، ونحوهذا في سورة الظلة (5) :(إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون. قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين. قال هل يسمعونكم إذ تدعون .

---

(1) يراجع محاسن التأويل:3/327-328 .
(2) جامع بيان العلم وفضله:122/2.
(3) الانبياء : 52 .
(4) الانبياء : 67 .
(5) هي سورة الشعراء .

أو ينفعونكم أو يضرون)(1).فحادوا عن جواب سؤاله هذا إذ انقطعوا أو عجزوا عن الحجة فقالوا: (بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) وهذا ليس بجواب عن هذا السؤال، ولكنه حيدة وهرب عما لزمهم، وهو ضرب من الانقطاع (2) . وهكذا فقد أجابهم ابراهيم عليه السلام بالحجة العظمى التي قال عنها ابن عبدالبر أنها العلم والبرهان وهي الحجة في قوله تعالى: (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء)(3)، قال أبوعمر: قالوا العلم والحجة، أي قال السلف .

النموذج الثاني: الذي بينه الامام ابن عبدالبر في جدال الانبياء لاممهم، هو جدال نبي الله نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فاستدل ابن عبدالبر على ذلك بقوله الله تعالى: (قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا)(5) الايات الى قوله تعالى: (وأنا بريءمما تجرمون)(6) .

وهكذا فقد تنكّر القوم، وقالوا لنبيهم قد أطلت جدالنا، وأتيته بأنواعه .

النموذج الثالث : جدال نبي الله موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام قال ابن عبدالبر:وقال في قصة موسى صلى الله عليه وسلم: (قال فمن ربكما يا موسى)(7) الايات الى قوله تعالى: (تارة أخرى)(8) وكذلك قول فرعون:(وما رب العالمين)(9)

---

(1) سورة الشعراء:70-71-72-73-74.
(2) جامع بيان العلم وفضله:123/2.
(3) سورة الانعام:83 .
(4) جامع بيان العلم وفضله:123/2.
(5) هود: 32 .
(6) هود: 35 .
(7) طه: 49 .
(8) طه: 55 .
(9) الشعراء:23.

الى قوله: (أو لو جئتك بشيء مبين)(1) يعني والله أعلم بحجة واضحة أدحض بها حجتك. انتهى كلام ابن عبد البر(2).

قال محمد جمال الدين القاسمي: ذهب بعض المفسرين إلى أن فرعون كان من المعطلة، لا يقر بخالق، ولا يعترف بمعبود، لظاهر قوله تعالى في سورة القصص:38 (ما علمت لكم من إله غيري) وأن قومه كانوا لا يؤلهون سواه، قال ابن كثير: ومن زعم من أهل المنطق أن هذا سؤال عن الماهية فقد غلط، فإنه لم يكن مقرا بالصانع، حتى يسأل عن الماهية بل كان جاحدا له بالكلية فيما يظهر، وقال القاسمي: وقدمنا أنه حققت الاكتشافات الصحيح والتاريخ الوثيق، أنه كان من الوثنيين الغالين، وأن له ولقومه عدة معبودين علويين وسفليين(3).

النموذج الرابع: جدال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لاهل الكتاب قال أبو عمر: وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب وباهلهم بعد الحجة، قال الله عزوجل: (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب)(4) الاية، ثم قال: (فمن حاجك فيه من بعدما جاءك من العلم)(5) والمعنى: فمن جادلك من النصارى بإيراد حجة "فيه" أي في شأن عيسى زعما منهم أنه ليس على الشأن المتلو (من بعدما جاءك من العلم) أي الذي أنزلنا إليك، وقصصناه عليك في أمره، قاله القاسمي.

---

(1) الشعراء : 30 .
(2) جامع بيان العلم وفضله :123/2.
(3) محاسن التأويل:11/13.
(4) آل عمران:59.
(5) آل عمران:61.

وقال أيضا: وللفاضل المهايمي في هذه الآية أسلوب لطيف في التأويل حيث قال: "الحق" أي الثابت الذي لا يقبل التأويل جاء "من ربك" الذي رباك بالاطلاع على الحقائق (فلا تكن من الممترين) بما ورد في الانجيل من إطلاق لفظ الاب على الله، فإنه إطلاق مجازي لانه لما حدث منه كان كأبيه، وإذا ظهر لك الحق من ربك بالبيان التام (فمن حاجك) أي جادلك (فيه) لاثبات ابنيته بظواهر الانجيل (من بعد ما جاءك من العلم) القطعي الموجب لتأويله (فقل) لم يبق بيننا وبينكم مناظرة، ولكن نرفع عنادكم بطريق المباهلة (تعالوا) أي اقبلوا أيها المجادلون إلى أمر يعرف فيه علو الحق وسفول الباطل (ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) أي يدع كل منا ومنكم نفسه، وأعزة أهله، وألصقه بقلبه، ممن يخاطر الرجل بنفسه لهم ويحارب دونهم، ويحملهم على المباهلة (ثم نبتهل) نتضرع إلى الله تعالى ونجتهد في دعاء اللعنة (فنجعل لعنة الله) طرده (على الكاذبين) منا ومنكم ليهلكهم الله وينجي الصادقين، فلا يبقى العناد الباقي عليكم بعد اتفاق الدلائل العقلية والنقلية (1).

وقال أبو عمر: قال صلى الله عليه وسلم: "إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض" الحديث :2 .

هذا الحديث رواه الامام مالك في الموطأ بالاسناد المتصل عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله

---

(1) محاسن التأويل : 4/112-113.

(2) جامع بيان العلم وفضله :2/123.

عليه وسلم قال: إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئا فإنما أقطع له قطعة من النار (1).

النموذج الخامس: احتج ابن عبدالبر على مشروعية الجدل والمناظرة بالسنة النبوية الصحيحة، فقد قال رحمه الله: وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن آدم احتج مع موسى، قال صلى الله عليه وسلم: فحج آدم موسى(2).

قال إمام الائمة أبوبكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (223-311هـ): حدثنا يحيى بن حبيب الحارثي، وقال: حدثنا معتمر بن سليمان قال أبي، عن سليمان، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "احتج آدم وموسى عليهما السلام فقال موسى: يا آدم أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة فقال آدم: وأنت يا موسى اصطفاك الله بكلامه، تلومني على عمل كتبه الله علي قبل أن يخلق السموات والارض قال: فحج آدم موسى"(3).

وقد اهتدى العلامة المحقق الشيخ محمد بن أحمد السفاريني الى نصوص جيدة، أزال الله بها كل إشكال، ومحق بها باطل المفترين ممن يستدلون بهذا الحديث على الاحتجاج بالقدر

---

(1) تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك للسيوطي: 197/2.

(2) جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله: 124/2.

(3) كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عزوجل: 129/1.

على المعاصي ويتمادون في تدسية أنفسهم ، ويستحسن بل أعتقد من الواجب أن أسوقها تحصينا لكل من يتدبرها من طلبة العلم ، وتصحيحا لهذا المفهوم الذي يبحث موضوعه قضية عقيدية ذات أهمية بالغة ضل فيها حشود من الدارسين، وتفرقت الامة في إدراكها طرائف قددا ، إلا من عصمهم الله من الزلل لأخذهم بأصول علم العقيدة الاسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة على منهج أهل السنة والجماعة .

قال رحمه الله تعالى: "قال شيخ الاسلام ابن تيمية روّح الله روحه : ظن طوائف في هذا الحديث أن آدم احتج بالقدر على الذنب ، وأنه حج موسى بذلك ، فطائفة من هؤلاء يدعون التحقيق والعرفان يحتجون بالقدر على الذنوب مستدلين بهذا الحديث ، وطائفة يقولون الاحتجاج به سائغ في الاخرة لا في الدنيا ، وطائفة يقولون هو حجة للخاصة المشاهدين للقدر دون العامة ، وطائفة كذبت به كالجبائي وغيره ، وطائفة تأولته تأويلات فاسدة مثل قول بعضهم إنما حجه لانه كان قد تاب . وقول آخر : كان أباه ، والابن لايلوم أباه ، وقول آخر: كان الذنب في شريعة ، واللوم في أخرى .

قال: وهذا كله تعريج عن مقصود الحديث .

وظاهر ما يؤخذ من كلام شيخ الاسلام ، ومن مفهوم الحديث أن آدم إنما حج موسى عليهما السلام لكونه قد كان تاب من الذنب الصوري واستسلم للمصيبة التي لحقت الذرية بسبب أكله المقدر عليه .

فالحديث تضمن التسليم للقدر عند المصائب لاعند الذنوب والمعايب فيصبر على المصائب ، ويستغفر من الذنب كما قال تعالى:

(فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك)(1) وقال تعالى:
(ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه)(2)
قالت طائفة من السلف: كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول:
هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم.
فالايمان بالقدر والرضا بما قدره الله من المصائب، والتسليم لذلك
هو من حقيقة الايمان، وأما الذنوب فليس لاحد أن يحتج على
فعلها بقدر الله تعالى، بل عليه أن لايفعلها، وإذا فعلها
فعليه أن يتوب منها كما فعل آدم عليه السلام.
وقال العلامة ابن مفلح في الآداب: قال شيخ الاسلام تقي الدين
ابن تيمية قدس الله روحه: موسى قال: لماذا أخرجتنا ونفسك
من الجنة؟ فلامه على المصيبة التي حصلت بسبب فعله لا لأجل
كونها ذنبا، ولهذا احتج عليه آدم عليه السلام بالقدر. وأما
كونه لاجل الذنب كما يظنه طوائف من الناس فليس مرادا
بالحديث فإن آدم عليه السلام كان قد تاب من الذنب، والتائب
من الذنب كمن لاذنب له، ولايجوز لوم التائب باتفاق الناس
قال ولان آدم عليه السلام احتج بالقدر وليس لأحد أن يحتج بالقدر
على الذنب باتفاق المسلمين وسائر أهل الملل وسائر
العقلاء(3).
فانظر أيها القارئ رحمك الله الى كتابة هذا الشيخ العلامة
العبقري، وكيف وفق الى استخراج هذه الدرر والبواقيت

---

(1) سورة غافر: 55 .
(2) سورة التغابن: 11 .
(3) لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية: 347/1 .

من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية ليهدي إلينا هذا الطبق النوراني ليحصننا من الشبه القاتلة للقلوب المولدة للحيرة، ويصحح مفهومنا في عقيدة القدر، وينحي الاذى عن طريقنا العلمي، فنور الله قبره وجزاه عن المسلمين علماء ومتعلمين خيرا لجزاء.

المسألة الرابعة: وهي تشتمل على نماذج من جدل الصحابة المرضيين وإقامتهم الحجة على خصومهم، استدل بها ابن عبدالبر على مشروعية الجدل والمناظرة عند السلف، فقد كان رحمه الله يستدل على جواز الجدل في حالة الاضطرار إليه فقط، لان الجدل غالبا ما يدعو الى حب الرياسة، وكثيرا ما يخل الجدل بالدين، ويدعو الى الشحناء والشنآن لاجل هذه الآثار السيئة كرهه علماء السلف، لكن إذا اضطر إليه العالم المحقق الماهر(1) ولم يجد منه مهربا لاينبغي أن يتركه كما فعل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.

النموذج الاول: قال أبوعمر: "وجادل عمر بن الخطاب اليهود فيجبريل وميكائيل، فقال جماعة من المفسرين: كان لعمر أرض بأعلى المدينة فكان يأتيها وكان طريقه على موضع مدارسة اليهود، وكان كلما مر دخل عليهم فسمع منهم، وأنه دخل عليهم ذات يوم فقالوا: يا عمر، ما من أصحاب محمد أحد أحب إلينا منك، إنهم يمرون بنا فيؤذوننا وتمر بنا فلاتؤذينا، وإنا لنطمع فيك، فقال لهم عمر: أي يمين فيكم أعظم؟قالوا:

(1) وهذا أصل من أهم أصول العلم أي علم المناظرة عند ابن عبدالبر فهو القائل ما ثبت عن السلف: "لاتصح المناظرة ويظهر الحق بين المتناظرين حتى يكونا متقاربين أو متساويين في مرتبة واحدة من الدين والفهم والعقل والانصاف، وإلا فهو مراء ومكابرة" (جامع بيان العلم وفضله: 132/2).

الرحمن، قال: فبالرحمن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء أتجدون محمدا عندكم نبيا؟ فسكتوا، قال: تكلموا، ما شأنكم؟ والله ما سألتكم وأنا شاك في شيء من ديني، فنظر بعضهم لبعض، فقام رجل منهم فقال: أخبروا الرجل أو لأخبرنّه، قالوا: نعم إنا نجده مكتوبا عندنا، ولكن صاحبه من الملائكة الذي يأتيه بالوحي هو جبريل، وجبريل عدونا وهو صاحب كل عذاب وقتال وخسف، ولو أنه كان وليه ميكائيل لآمنا به، فإن ميكائيل صاحب كل رحمة وكل غيث، قال لهم: فأنشدكم بالرحمن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء، أين ميكائيل وأين جبريل من الله؟ قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، قال عمر: فأشهد أن الذي هو عدو للذي عن يمينه هو عدو للذي عن يساره، والذي هو عدو للذي عن يساره هو عدو للذي عن يمينه، وأنه من كان عدوا لهما فإنه عدو لله. ثم رجع عمر ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحي، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه: (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين، من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين)(1)... الآيات. فقال عمر: والذي بعثك بالحق لقد جئت وما أريد إلا أن أخبرك، فهذا مما صدق الله فيه قول عمر واحتجاجه. وهو باب من الاحتجاج لطيف مسلوك عند أهل النظر. وتركنا اسناد هذا الخبر وسائر ما أوردناه من الاخبار في هذا الباب والباب الذي قبله وبعده لشهرتها في التفاسير والمصنفات "(2).

---

(1) سورة البقرة: 97-98.

(2) جامع بيان العلم وفضله: 2/123-124.

والنموذج الثاني من جدل الصحابة المرضيين الذي ساقه ابن عبد البر في سفره العظيم القيم، تلك المناظرة التي جرت بينهم يوم السقيفة، وبعدها في خلافة أبي بكر الصديق لما قاتل مانعي الزكاة فقال الإمام ابن عبر البر:

وتجادل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم السقيفة، وتدافعوا وتقرروا، وتناظروا حتى صار الحق في أهله (1).

وتناظروا بعد مبايعة أبي بكر في أهل الردة، وفي فصول يطول ذكرها واحتجوا على أبي بكر بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها حقنوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) فقال أبوبكر: من حقها الزكاة، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، ولو منعوني عناقا ويروى عقالا (2) لقاتلتهم عليه. فبان لعمر وغيره من الصحابة الذين خالفوا أبا بكر في ذلك أن الحق معه فبايعوه. وقال أبوعمر: وقوله صلى الله عليه وسلم: " إلا بحقها " مثل قوله عزوجل: (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) سورة الأنعام: 151. انتهى استدلال ابن عبر البر وتعليقه (3). هذا بالنسبة للنموذج الثاني من جدل الصحابة المرضيين.

---

(1) جامع بيان العلم وفضله: 2/125.

(2) قال الفيروزآبادي: والعناق أيضا الداهية والأمر الشديد والخيبة... وزكاة عامين قيل ومنه قول أبي بكر رضي الله تعالى عنه: لو منعوني عناقا ويروى عقالا وهو زكاة عام. (القاموس المحيط: 3/278 باب القاف فصل العين).

(3) جامع بيان العلم وفضله: 2/125.

والنموذج الثالث من جدل الصحابة رضي الله عنهم في كتاب ابن عبد البر، هو استدلاله رحمه الله على جواز ومشروعية الجدل المحمود والمناظرة المشروعة بما وقع بين علي بن أبي طالب والخوارج، وبين عبد الله بن عباس وأولئك الاشرار، قال ابن عبد البر: "وناظر علي رضي الله عنه الخوارج حتى انصرفوا، وناظرهم ابن عباس أيضا بما لامدفع فيه من الحجة من نحو كلام علي، ولولا شهرة ذلك وخشية طول الكتاب لاجتلبت ذلك على وجهه"(1).

وهكذا يقرر الامام ابن عبد البر أن العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم قد تناظروا وتجادلوا في مسائل الاحكام ومناظراتهم أكثر من أن تحصى كما صرح بذلك أبوعمر رحمه الله تعالى(2). وقد رأيته رحمه الله يرغب في المناظرة من توفرت فيه الشروط اللازمة في المسألة الرابعة من هذه المسائل(3) بأمثلة تثبت أن أئمة السلف منها ما رواه عن الاحنف بن قيس: قال أبوعمر:

"ومن مليح الاحتجاج والكر على الخصم ما روي حماد بن سلمة عن الازرق بن قيس أن الاحنف بن قيس كان يكره الصلاة في المقصورة، فقال له رجل: يا أبا بحر لم لاتصلي في المقصورة؟ قال له الاحنف: وأنت لم تصل فيها؟ قال: لاأترك، قال الاحنف فلذلك لاأصلي فيها. وهذا ضرب من الاحتجاج وإلزام الخصم بديع"(4).

---

(1) جامع بيان العلم وفضله: 126/2.

(2) ينظر المصدر السابق: 131/2.

(3) انظر حاشية الصفحة رقم: 49.

(4) جامع بيان العلم وفضله: 132/2.

ومن تلك الامثلة الرائدة أيضا التي ساقها الامام ابن عبد البر أيضا في هذا الصدد قوله:

"وقال المزني: لاتعدو المناظرة إحدى ثلاث : إما تثبيت لما في يديه، أو انتقال من خطإ كان عليه، أو إرتياب فلايقدم من الدين على شك. قال وكيف ينكر المناظرة من لم ينظر فيما به يردها. قال: وحق المناظرة أن يراد بها الله عزوجل، وأن يقبل منها ما يتبين"(1).

وهكذا فقد كان التوجيه الاندلسي المالكي لعلم المناظرة توجيها عالميا رائدا في عصر ابن عبدالبر وقبله أيضا، فقد وضع الامام القحطاني(2) في منظومته شروطا وقواعد للمناظرة اشتملت على تسلسل منهجي رائع، يشهد المنصف من الدارسين له بعالمية منهج مالكية الاندلس في أشرف أصول العلم، سادت اليوم سماء البلاد الراقية صناعيا، التي تدعو صباح مساء الى المحاورة والمناظرة من أجل التقارب السياسي العالمي، والعدل الاجتماعي داخل الامم والمجتمعات.

قال الامام القحطاني:

أصل الجدال من السؤال وفرعه

حسن الجواب بأحسن التبيان

لاتلتفت عند السؤال ولاتعد

لفظ السؤال كلاهما عيبان

---

(1) جامع بيان العلم وفضله :132/2.

(2) هومحمدبن صالح المعافري القحطاني.قال المقري في نفح الطيب 342/2 كان من أفاضل الناس ومن ثقاتهم، رحل في طلب العلم الى المشرق والمغرب وجمع تاريخا لاهل الاندلس. قال الزركلي في الاعلام.مات سنة 383هـ.32/7.

وإذا غلبت الخصم لاتهزأ بـه
فالعجب يخمد جمرة الاحسان
فلربما انهزم المحارب عامدا
ثم انثنى فسطا على الفرسان
واسكت إذا وقع الخصوم وقعقعوا
فلربما ألفوك في بحران
ولربما ضحك الخصوم لدهشة
فاثبت ولاتنكل عن البرهان
فإذا أطالوا في الكلام فقل لهم
إن البلاغة ألجمت ببيان
لاتغضبن إذا سئلت ولاتصح
فكلاهما خلقان مذمومان
واحذر مناظرة بمجلس خيفة
حتى تبدل خيفة بأمان
ناظر أديبا منصفا لك عاقلا
وانصفه أنت بحسب ماتريان
ويكون بينكما حكيم حاكما
عدلا إذا جئناه تحتكمان.(1)

*   *

(1) أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة للشيخ علي ابن سليمان آل يوسف :27-28 .

الفصل السابع :

أبو عمرو الداني ومنهجه العقيدي

المبحث الاول : حياته .

المبحث الثاني : مصدر دراسة عقيدته .

المبحث الثالث : منهجه في تقرير عقيدته .

*

* *

*

المبحث الاول : حياته

والإمام الثالث المختار من أئمة المدرسة الاندلسية الرائدة في القرن الخامس الهجري، الذي كان منارة أنارت درب المعرفة للطالبين، وسراجا أنار منهج الهداية للدارسين، وأخذ بأيديهم لسلوك طريق العارفين برب العالمين، هو الامام الحافظ المجود المقرىء الحاذق عالم الاندلس أبوعمرو الداني رحمه الله تعالى آمين.

1 - اسمه ونسبه وكنيته :

هو الإمام عثمان بن سعيد، بن عمر الاموي مولاهم القرطبي ثم الداني. وكنيته أبوعمرو، يعرف قديما بابن الصيرفي(1) قال ابن بشكوال : ويكنى أبوعمرو(2) وذكره الذهبي في السير(3) وكذا قاله السيوطي(4).

2 - مولده :

ولد في مدينة قرطبة سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة. قال ابن بشكوال: قال أبوعمرو: سمعت أبي رحمه الله غير مرة يقول: إني ولدت سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، وابتدأت أنا بطلب العلم بعد سنة خمس وثمانين وأنا ابن أربع عشرة سنة (5).

---

(1) الجذوة: 286، الصلة لابن بشكوال: 385/2، سير أعلام النبلاء: 77/18، طبقات الحفاظ للسيوطي: 428، طبقات المفسرين للداودي: 379/2.

(2) الصلة : 385/2 .

(3) سير أعلام النبلاء: 77/18.

(4) طبقات الحفاظ: 428.

(5) الصلة: 386/2.

وأجمعت مصادر ترجمته على أن مولده رحمه الله كان سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة (1).

3 - رحلته العلمية :

انطلق الامام أبوعمرو في صباه يبحث عن المعرفة وبرتاد مدارس المغرب والمشرق الفقهية، طلبا للعلم لإرواء روحه الظمأى الى نور العلم الشرعي، فمكنه الله تعالى من تحقيق رغبته ونيل بغيته، قال عن نفسه :"وتوجهت الى المشرق لأداء فريضة الحج يوم الاحد الثاني من المحرم سنة ثمان وتسعين، وحججت سنة ثمان، وقرأت القرآن وكتبت الحديث وغير ذلك في هذين العامين، وانصرفت الى الاندلس سنة تسع وتسعين، وهي ابتداء الفتنة الكبرى التي كانت بالاندلس، ووصلت الى قرطبة في ذي القعدة سنة تسع وتسعين والحمدلله على كل حال"(2).

وهكذا تمت رحلة الامام أبي عمرو الى القيروان(3)، حدد الحافظ الذهبي المدة التي مكثها أبوعمرو في القيروان بأربعة أشهر(4) ثم الى كل من الشام والعراق والحجاز، وهو ما صرح به ابن بشكوال بقوله:" ورحل الى المشرق "(5).

قال الحافظ الذهبي:" المشرق في عرف المغاربة مصر وما بعدها من الشام والعراق وغيرذلك، كما أن المغرب في عرف العجم وأهل العراق أيضا مصر وما تغرّب عنها "(6).

---

(1) سيرأعلام النبلاء : 77/18، طبقات الحفاظ: 429.، طبقات المفسرين: 379/2.
(2) الصلة : 386/2.
(3) كما ذكرها صاحب الصلة: 386/2.
(4) سيرأعلام النبلاء: 77/18.
(5) الصلة: 385/2.
(6) سير أعلام النبلاء: 80/18.

4 - مذهبه وعقيدته :

أما مذهبه فقد كان على مذهب مالك بن أنس حقا صدقا عدلا، في العقيدة والفكر والذوق والاخلاق والمعاملات، والعبادات . وكان مذهب مالك رحمه الله (1) القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة ، على منهج الصحابة والتابعين .

قال ابن بشكوال :

" وكان أبوعمرو مجاب الدعوة (2) مالكي المذهب (3)".

وقد صرح الامام أبوعمرو بانتمائه لهذا المذهب في أرجوزته السائرة بقوله رحمه الله :

تدري أخي أين طريق الجنة ؟*** طريقها القرآن ثم السنّة
كلاهما ببلد الرسول *** وموطن الاصحاب خير جيل
فاتبعن جماعة المدينهّ *** فالعلم عن نبيهم يروونه
وهم فحجة على سواهم *** في النقل والقول وفي فتواهم
واعتمدنّ على الإمام مالك *** إذ قد حوى على جميع ذلك
في الفقه والفتوى إليه المنتهى*** وصحة النقل وعلم من مضى. (4)

---

(1) لقد تقدم تفصيل مذهبه رحمه الله في ترجمته في الفصل الثاني من الباب الاول من الاطروحة .

(2) شأنه في ذلك شأن أولياء الله تعالى ، وليس لله أولياء إلا أهل القرآن وأهل الحديث ، فهم الاقطاب والابدال وصفوة الخلق بعد الانبياء والرسل.

(3) الصلة : 386/2 .

(4) السير : 18/81-82 .

5 ـ شيوخه :

سمع أبا مسلم محمد بن أحمد الكاتب صاحب البغوي، وهو أكبر شيخ له.

وأحمد بن فراس المكي،

وعبدالرحمن بن عثمان القشيري الزاهد،

وعبدالعزيز بن جعفر بن خواستي الفارسي نزيل الاندلس،

وخلف بن ابراهيم بن خاقان المصري وتلا عليهما،

وحاتم بن عبدالله البزار،

وأحمد بن فتح بن الرسان،

ومحمد بن خليفة بن عبدالجبار،

وأحمد بن عمر بن محفوظ الجيزي،

وسلمة بن سعيد الإمام،

وسلمون بن داود القروي،

وأبا محمد بن النحاس المصري،

وعلي بن محمد بن بشير الربعي،

وعبدالوهاب بن أحمد بن منير،

ومحمد بن عبدالله بن عيسى الاندلسي،

وأبا عبدالله بن أبي زمنين،

وأبا الحسن علي بن محمد القابسي، وعدة.(1)

---

(1) سير أعلام النبلاء: 18/78-79، الصلة: 2/385-386، طبقات المفسرين: 2/380.

وتلا أيضا على أبي الحسن طاهر بن غلبون ،
وأبي الفتح فارس بن أحمد الضرير ،
وسمع سبعة ابن مجاهد من أبي مسلم الكاتب بسماعه منه . (1)

6 - تلاميذه :

حدث عنه وقرأ عليه عدد كثير منهم:
ولده أبو العباس ،
وأبو داود سليمان بن أبي القاسم نجاح ،
وأبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن الدش ،
وأبو الحسين بن أبي زيد بن البياز ،
وأبو الذواد مفرج الاقبالي ،
وأبوبكر محمد بن المفرج البطليوسي ،
وأبوبكر بن الفصيح ،
وأبوعبدالله محمد بن مزاحم ،
وأبوعلي الحسين بن محمد بن مبشر ،
وأبو القاسم خلف بن ابراهيم الطليطلي ،
وأبوعبدالله محمد بن فرج المغامي ،
وأبو إسحاق ابراهيم بن علي نزيل الاسكندرية،
وأبو القاسم ابن العربي ،
وأبوعبدالله محمد بن عيسى بن الفرج التجيبي المغامي ،
وأبوتمام غالب بن عبيدالله القيسي ،
ومحمد بن أحمد بن سعود الداني ،
وخلف بن محمد المريي ابن العريبي ، وخلق كثير.(2)

(1) سير أعلام النبلاء : 78/18 .
(2) سير أعلام النبلاء : 79/18 ، الصلة :386/2 .

7 ـ تصانيفه :

بلغت تواليف أبي عمرو الداني مئة وعشرين كتابا (1).

قال ابن بشكوال: " وكان أحد الائمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وإعرابه ، وجمع في معنى ذلك تواليف حسانا مفيدة يكثر تعدادها ويطول إيرادها "(2) .

قال الحافظ الذهبي:

ألف كتاب "جامع البيان في السبع " ثلاثة أسفار في مشهورها وغريبها .

وكتاب " التيسير" وقد طبع في الهند كما قال المعلق في حاشية سير أعلام النبلاء: 80/18.

وكتاب " الاقتصاد " في السبع ،

و"إيجاز البيان" في قراءة ورش ،

و"التلخيص" في قراءة ورش أيضا ،

و"المقنع " في الرسم.

وكتاب " المحتوى في القراءات الشواذ" فأدخل فيها قراءة يعقوب وأبي جعفر،

وكتاب "طبقات القراء"في مجلدات ،

و"الارجوزة في أصول الديانة " ،

وكتاب " الوقف والابتداء " ،

وكتاب " العدد " ،

وكتاب "التمهيد في حرف نافع " مجلدان ،

وكتاب " اللامات والراءات " لورش ،

---

(1) سير أعلام النبلاء: 81/18.

(2) الصلة: 386/2 .

وكتاب "الفتن الكائنة" مجلد بدل

وكتاب "الهمزتين" مجلد،

وكتاب "الياءات" مجلد. وله توا

وجزءين (1).

ومن أجلّ كتبه في علم القراءا ..

الرواة عن نافع (2) وموضوعه القر

الكريم مع التعريف بالاختلاف الوارد فيها بين أصحاب الامام نافع الاربعة: اسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الانصاري،

واسحاق بن محمد بن المسيب،

وعيسى بن مينا قالون المدني،

وعثمان بن سعيد ورش المدني، صاحب الرواية المغربية المعروفة برواية ورش، هؤلاء هم الائمة الاربعة الذين أخذوا مباشرة عن الامام نافع، القراءة تلاوة، وأدوها الى الناس حكاية (3).

---

(1) سير أعلام النبلاء: 18/80-81.

(2) تحقيق الأستاذ الدكتور التهامي الراجي الهاشمي أستاذ التعليم العالي بجامعة محمد الخامس. طبع تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر احياء التراث الاسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الامارات العربية المتحدة: 1403هـ-1982م.

(3) اقتطاف من تصدير معالي وزير أوقاف المملكة المغربية. الهاشمي الفلالي أمين لكتاب التعريف في اختلاف الرواة عن نافع لابي عمرو الداني، تحقيق الدكتور التهامي الراجي الهاشمي.

8 - ثناء العلماء عليه :

قال ابن بشكوال: " وكان حسن الخط ، جيد الضبط ، من أهل الحفظ والعلم والذكاء والفهم ، متفننا في العلوم ، جامعا لها ، معتنيا بها ، وكان ديّنا فاضلا ورعا سنيا "(1).

وقال الحافظ الذهبي: " وفي فهرس ابن عبيدالله الحجري قال: والحافظ أبوعمرو الداني ، قال بعض الشيوخ : لم يكن في عصره ولابعد عصره أحد يضاهيه في حفظه وتحقيقه، وكان يقول: ما رأيت شيئا قط إلا كتبته ، ولاكتبته إلا وحفظته ، ولاحفظته فنسيته ، وكان يسأل عن المسألة مما يتعلق بالآثار وكلام السلف، فيوردها بجميع ما فيها مسندة من شيوخه الى قائلها "(2) .

وعلق الامام الذهبي على النص بقوله : " قلت : الى أبي عمرو المنتهى في تحرير علم القراءات ، وعلم المصاحف ، مع البراعة في علم الحديث والتفسير والنحو وغير ذلك "(3).

كما أخبر الحافظ الذهبي بوحشة ومنافرة شديدة، كانت قائمة بين أبي عمرو الداني، وبين أبي محمد ابن حزم الظاهري، أفضت بهما الى التهاجي ، علق على هذه الوحشة الحافظ الذهبي بكلمة ذهبية جاء فيها تقريره بأفضلية الامام أبي عمرو: "وهذا مذموم من الأقران ، موفور الوجود ، نسأل الله الصفح ،وأبو عمرو أقوم قيلا ، وأتبع للسنة ، ولكن أبا محمد أوسع دائرة في العلوم ، بلغت تواليف أبي عمرو مئةوعشرين كتابا "(4).

---

(1) الصلة : 386/2 .
(2) سير أعلام النبلاء: 80/18 .
(3) المصدرالسابق: 80/18 .
(4) المصدر نفسه : 81/18 .

7 - وفاته :

قال الحميدي : مات في شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة بدانية من بلاد الاندلس (1) ووافقه الحافظ الذهبي بقوله :

"مات أبوعمرو يوم نصف شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة ، ودفن ليومه بعد العصر بمقبرة دانية ، ومشى سلطان البلد أمام نعشه ، وشيعه خلق عظيم رحمه الله تعالى"(2) .

وقال ابن بشكوال :" وقرأت بخط أبي الحسن المقرىء قال: توفي أبوعمرو المقرىء بدانية يوم الاثنين في النصف من شوال، سنة أربع وأربعين وأربعمائة ، وكان دفنه بعد صلاة العصر، في اليوم الذي توفي فيه ، ومشى السلطان أمام نعشه ، وكان الجمع في جنازته عظيما "(3).

---

(1) جذوة المقتبس : 287 .

(2) سير أعلام النبلاء :83/18 .

(3) الصلة : 387/2 .

المبحث الثاني : مصدر دراسة عقيدته

منها أي من مصادر دراسة عقيدته كتابه :
الارجوزة في الديانة، التي قال عنها الحافظ الذهبي:
" هي أرجوزة طويلة جدا "(1).
وقد أتحف الحافظ الذهبي طلاب العقيدة الاسلامية بسبعة وثلاثين بيتا منها، في حين نجد الامام الداودي قد اكتفى باختيار ستة أبيات فقط هي:

كلّم موسى عبده الكليما ** ولم يزل مديرا حكيما
كلامه وقوله قديم ** وهو فوق عرشه العظيم
والقول في كتابه المفصل ** بأنه كلامه المنزل
على رسوله النبي الصادق ** ليس بمخلوق ولا بخالق
من قال فيه إنه مخلوق ** أو محدث فقوله مروق
أهون بقول جهم الخبيث ** وواصل وبشر المريسي.(2)

ومن مصادر دراسة عقيدة أبي عمرو الداني كتب التراجم التي ترجمت له.
وكتاب " السنن الواردة في الفتن" الذي حققه الاستاذ الدكتور رضاء الله بن محمد ادريس المباركفوري، ونال به درجة دكتوراه الدولة من الجامعة الاسلامية في المدينة النبوية.

---

(1) سير أعلام النبلاء: 83/18 .
(2) طبقات المفسرين: 382/1 .

المبحث الثالث : منهجه في تقرير عقيدته

استمد الامام أبوعمرو الداني أصول منهجه العقيدي وقواعده من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة كما صرح بذلك في أرجوزته :

تدري أخي أين طريق الجنة ** طريقها الكتاب والسنه (1)

وهذا هو منهاج إمام دار الهجرة في العقيدة كما مر معنا في الفصل الثاني من هذا الباب .

وهذا المنهاج له مصدر واحد في تلقي أصول العقيدة ، هو الوحي الالهي بشقيه ، مخالف لمنهج أهل البدع والاهواء الذين يعتمدون على آرائهم وأهوائهم في تقرير عقائدهم.

قال أبوعمرو:

واطرح الاهواء والمراء *** وكل قول ولد الآراء (2)

ثم يواصل الامام تقرير عقيدته في ضوء الكتاب والسنة النبوية، قال في موقفه من الايمان:

ومن عقود السنة الايمان ** بكلما جاء به القرآن

وبالحديث المسند المروي ** عن الائمة عن النبي

وهذا هو السبب الذي من أجله قضى الله تعالى في أزله أن تكون هذه الشريعة الغراء مهيمنة على الشرائع كلها، وناسخة لها ؛ فقد تولى عزوجل حفظها بالاسناد الذي ميز الله به هذه الامة عن باقي الامم وفضلها على كثير ممن خلق تفضيلا بما فيهم بنو اسرائيل . فعقيدته تظهر أهم مسائلها واضحة من خلال المطالب التالية :

---

(1) سير أعلام النبلاء: 81/18 .

(2) المصدر السابق: 82/18 .

المطلب الاول : عقيدته في الايمان

يعتقد أبوعمرو أن الايمان اعتقاد وقول وعمل ، فهو اعتقاد بالجنان ، وقول باللسان ، وعمل بالاركان ، يزيد بطاعة الرحمن ، وينقص بطاعة الشيطان ، وهذا هو منهج مالك بن أنس كما تقدم معنا في ترجمته.

قال أبوعمرو:

وبعد فالايمان قول وعمل *** ونية عن ذاك ليس ينفصل

فتارة يزيد بالتشمير *** وتارة ينقص بالتقصير (1)

---

(1) سير أعلام النبلاء: 83/13 .

المطلب الثاني : مذهبه في الصفات الالهية

كان أبوعمرو لايخالف إمامه ويتركه ليحكّم منهج غيره، وكأن غيره أعلم منه في العقيدة والسلوك، كما يعتقده من ينتسب الى مذهب مالك زورا وبهتانا، كان يوافق إمام دار الهجرة في تحكيم ضوابط منهج الصحابة والتابعين في الايمان بالصفات الذاتية والصفات الفعلية، فقد أثبت لله من الاسماء والصفات الالهية ما أثبته سبحانه لنفسه وما أثبته له نبيه ومصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم من غير تكييف ولاتمثيل ولاتشبيه ولاتحريف. قال رحمه الله:

كلّم موسى عبده تكليما ** ولم يزل مدبرًا حكيما
كلامه وقوله قديم ** وهو فوق عرشه العظيم
والقول في كتابه المفصل ** بأنه كلامه المنزل
على رسوله النبي الصادق ** ليس بمخلوق ولا بخالق
من قال فيه :إنه مخلوق ** أومحدث فقوله مروق (1)

ثم وضح رحمه الله أصول منهجه في إثبات الصفات الالهية بنظمه:

ومن صحيح ما أتى به الخبر ** وشاع في الناس قديما وانتشر
نزول ربنا بلا امتراء ** في كل ليلة الى السماء
من غير ما حد ولاتكييف ** سبحانه من قادر لطيف (2).

---

(1) سير أعلام النبلاء: 82/18 .
(2) المصدر السابق: 83/18 .

المطلب الرابع : موقفه من الفرق الكلامية

كان شديدا عليهم جميعا شأنه في ذلك شأن الامام مالك بن أنس كما تقدم في المبحثين الثاني والثالث من الفصل الثاني من هذا الباب.

وقد صرح أبوعمرو بمعاداة الفرق الكلامية من جهمية جعدية، ومعتزلة واصلية قدرية نفاة القدر، محكما ضوابط أصول اعتقاد إمامه مالك بن أنس في تحديد موقفه من أهل الاهواء الذين أسسوا آراءهم على عقليات، ومعقولات بزعمهم، وهي في حقيقة أمرها جهليات، لكونها عبارة عن قواعد كلامية صادرة عن افتراضات المبتدعة وتخميناتهم، وضعوها ليردوا بها النصوص الشرعية الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إما بتضعيفها أو تكذيبها أو تحريفها تحت قناع التأويل!

وقد خصهم أبوعمرو رحمه الله تعالى بأبيات كانت بمثابة سيوف قاطعة لرقابهم المتطاولة، جاء فيها ذم رؤساء التجهم والاعتزال. فقال:

أهون بقول جهم الخسيس *** وواصل وبشر المريسي
ذي السخف والجهل وذي العناد *** معمر وابن أبي داود (1)

---

(1) أحمد بن أبي دواد: هو القاضي الكبير أبوعبدالله أحمد بن فرح بن حريز الايادي البصري ثم البغدادي الجهمي عدو أحمد ابن حنبل. كان داعيا لى خلق القرآن، له كرم وسخاء وأدب وافر ومكارم. مات في المحرم سنة أربعين ومائتين، ودفن بداره ببغداد. (سير أعلام النبلاء: 170/11).

وابن عبيد(1) شيخ الاعتزال *** وشارع البدعة والضلال
والجاحظ(2) القادح في الاسلام *** وجبت هذي الأمّة النظام(3)
والفاسق المعروف بالجبائي(4) *** ونجله السفيه ذي الخناء

---

(1) وابن عبيد هو عمرو بن عبيد الزاهد العابد القدري، كبير المعتزلة وأولهم أبو عثمان البصري، قال النسائي: ليس بثقة، وقال ابن المبارك: دعا الى القدر فتركوه، قال ابن علية: أول من تكلم في الاعتزال واصل الغزال، فدخل معه عمرو بن عبيد فأعجب به وزوجه أخته. وقد كان المنصور يعظم ابن عبيد، قال الحافظ الذهبي: اغتر بزهده وإخلاصه وأغفل بدعته. (السير: 6/104-105).

(2) الجاحظ: هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي أخذ عن النظام. قال الذهبي: كان ماجنا قليل الدين. مات سنة خمس وخمسين ومائتين. (السير: 11/526-530).

(3) النظام: هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار المعروف بالنظام، ولد بالبصرة سنة (160هـ). وكان في زمان شبابه عاشر قوما من الثنوية وقوما من السمنية القائلين بتكافؤ الادلة. وخالط بعد كبره قوما من ملحدة الفلاسفة، ثم خالط هشاما الرافضي.
(الفرق بين الفرق: 113).

(4) الجبائي هو أبو علي الجبائي من علماء القرن الثالث الهجري وكانت المعتزلة البصرية في زمانه على مذهبه، ثم انتقلوا بعده الى مذهب ابن أبي هاشم.
(الفرق بين الفرق: 167).

والاحقي وأبي هذيل[1] *** مويدي الكفر بكل ويل
وذي العمى ضرار[2] المرتاب *** وشبههم من أهل الارتياب

* * *

(1) هو محمد بن الهذيل بن عبيد الله البصري العلاف، شيخ الكلام ورأس الاعتزال، صاحب التصانيف والذكاء البارع. مات سنة ست وعشرين ويقال سنة خمس وثلاثين ومائتين. لم يلق عمرو ابن عبيد بل لازم تلميذه عثمان بن خالد الطويل.
(سير أعلام النبلاء: 11/173-174).

(2) ضرار بن عمرو شيخ الضرارية، قال حنبل: دخلت على ضرار ببغداد وكان مشوها وبه فالج، وكان معتزليا، فأنكر الجنة والنار، وقال اختلف فيهما، هل خلقتا بعد أم لا؟ فوثب عليه أصحاب الحديث وضربوه. وقال أحمد بن حنبل: إنكار وجودهما كفر. قال الله تعالى: (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) [غافر: 46]. ومات زمن الرشيد سنة ثلاث ومائتين.
(سير أعلام النبلاء: 11/544-545).

الباب الثاني :

منهج مالكية الاندلس في تقرير العقيدة

الفصل الاول : منهجهم في إثبات التوحيد لله جل وعلا .

الفصل الثاني : مذهبهم في إثبات العرش لله تعالى.

الفصل الثالث : مذهبهم في الايمان .

الفصل الرابع : موقفهم من المشبهة .

الفصل الخامس : موقفهم من التأويل .

*

* *

*

الفصل الأول :

منهجهم في إثبات التوحيد لله عز وجل

المبحث الأول : المدخل إلى علم التوحيد .

المبحث الثاني : منهجهم في إثبات أسماء الله الحسنى .

المبحث الثالث : منهجهم في إثبات الصفات الخبرية الذاتية .

المبحث الرابع : منهجهم في إثبات الصفات الخبرية الفعلية .

*

* *

*

المبحث الاول : المدخل الى علم التوحيد

ينبغي لكل داخل في فن من الفنون أن يعلم قبل الشروع في دراسته معرفة ماهيته، وموضوعه ليكون على بصيرة، حتى لايبعد سعيه عبثا، ويعرف دليله، واستمداده، ومناهج البحث فيه، وثمرة دراسته ليعينه على تحصيله، ويجنبه المزالق والزلل عند التلقي.

فالدارسون في هذا الزمان لاينقصهم العلم ولا الفهم في مختلف العلوم، فقد علم جل المتخصصين مشربهم فيما يهوونه من التخصصات، لكن المفتقد بينهم هو روح العلم وحلاوة المعرفة التي هي العمل بالعلم. فالعلم وحده لايكفي حتى يقترن بالعمل، ولايكون العمل مقبولا حتى يكون صالحا، والعمل الصالح هو الذي يبتغي به صاحبه وجه الله عزوجل، ويكون على هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وعلى أصحابه ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليما.

هذا وإن العوائق التي حالت بين المسلمين وبين استرجاع مركز ريادتهم للعالم في مختلف العلوم والمعارف (كنتم خير أمة أخرجت للناس) [آل عمران: 110]، لكثيرة جدا، والعائق الاساسي هو افتقادهم لمقومات الشخصية الاسلامية الاصيلة، وضياعهم بين شتى العقائد والاخلاق الدخيلة والافكار الهدامة، ولاسبيل الى الخلاص إلا بالرجوع الى الله كلية، بعقائدنا أولا وقبل كل شيء، ثم بأذواقنا، وخواطرنا، ومناهجنا الاخلاقية،

ومعاملاتنا وعباداتنا ، وهذه هي الثقافة الاسلامية المعصومة من الضلال والخذلان ، لكونها إسلامية المصدر ، فمصدرها هو الاسلام الذي جاء به القرآن ، وصحت به السنة النبوية، وهذا لن يحصل أبدا إلا بتعلم أصول الاسلام من مصدرها الوحيد الذي هو الوحي الالهي بشقيه ، من أعلم خلق الله بالله بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم الصحابة المرضيون ، وتلامذتهم التابعون ، وأهل الحديث بعدهم ، ومنهم إمام دار الهجرة مالك بن أنس .

قال ابن فارس في باب الجيم فصل النون:

" نهج بفتح العين وكسرها (النهج) بفتح فسكون(الطريق الواضح) البين ، وهو النهج محرّكة أيضا ،والجمع نهجات ونهج ونهوج ... وطرق نهجة واضحة (كالمنهج) بالفتح و(المنهاج) بالكسر ، وفي التنزيل (لكلجعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) المنهاج الطريق الواضح "(1) .

وقال الازهري:" قال الليث : طريق نهج وطرق نهجة، وقد نهج الامر وأنهج لغتان ، إذا وضح ،ومنهج الطريق وضحه ، والمنهاج : الطريق الواضح "(2) .

وقال الراغب الاصفهاني:" النهج الطريق الواضح ، ونهج الامر وأنهج وضح ، ومنهج الطريق ومنهاجه "(3).

---

(1) معجم مقاييس اللغة :109/2.
(2) تهذيب اللغة :62/6 .
(3) معجم مفردات ألفاظ القرآن:528 .

وقد انتقيت كتابا قيما من بين كتب أصول البحث العلمي ومناهجه، فاخترت منه المراد بكلمة منهاج في التصور الاسلامي، فذلك ما نقله الاستاذ محمد بن لطفي الصباغ عن الدكتور عبدالرحمن بدوي من كتاب مناهج البحث العلمي في تعريف المنهج: "هو فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الافكار، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، وإما من أجل البرهنة عليها للآخرين وتعليمهم إياها حين نكون بها عارفين" وبعد أن ساقت هذا التعريف، بقي علينا أن نسوق تعريفه الوجيز لكلمة منهاج:

"فالمنهج هو الخطة التي يسير عمل المؤلف وفقها ليسجل ما انتهى إليه علمه من نتائج "(1).

وهذا الذي سنحاول إبانته وشرحه في هذه الدراسة بحول الله تعالى.

أما التوحيد فهو مصدر وحد يوحد، نقل الازهري عن الليث قوله: رجل وحيد لاأحد معه يؤنسه، وقد وحد يوحد وحادة ووحدة ووحدا، والتوحيد الايمان بالله وحده لاشريك له، والله الواحد الاحد، ذو الوحدانية والتوحد ...

وقال الازهري: قلت: والواحد في صفة الله معناه أنه لاثاني له، ويجوز أن ينعت الشيء بأنه واحد، فأما أحد فلايوصف به غيرالله لخلوص هذا الاسم الشريف له جل ثناؤه (2).

---

(1) المناهج والاطرالتأليفية في تراثنا للدكتورمحمدبن لطفي الصباغ: 9.

(2) تهذيب اللغة: 5/192-197-198، فانظرالى المحققين من جهابذة علماء اللغةالعربية، كيف كانوا على علمنا موقفيف بعقيدة القرآن وهذا تصريح الازهري دال على ذلك، فقد قال رحمه الله: وأما قول الناس توحدالله بالامر

والتوحيد في الاصطلاح، أو أصول الدين، أو الفقه الاكبر، أو علم العقائد:

" هو العلم بالعقائد الدينية عن الادلة اليقينية، أي العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من أدلتها اليقينية "(1).

وعرفه الاستاذ محمد عبده بقوله:

"التوحيد علم يبحث فيه عن وجود الله وما يجب أن يثبت له من صفاته وما يجوز أن يوصف به، وما يجب أن ينفى عنه، وعن الرسل لاثبات رسالتهم وما يجب أن يكونوا عليه، وما يجوز أن ينسب إليهم وما يمتنع أن يلحق بهم. أصل معنى التوحيد اعتقاد أن الله واحد لاشريك له، وسمي هذا العلم به تسمية له بأهم أجزائه وهو إثبات الوحدة لله في الذات والفعل في خلق الاكوان، وأنه وحده مرجع كل كون ومنتهى كل قصد. وهذا المطلب كان الغاية العظمى من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، كما تشهد به آيات الكتاب العزيز..."(2).

بالنسبة للتعريف الاول فهو قريب من تعريف المتكلمين للتوحيد، فهو يرجع الى اعتبار هذا العلم ملكة يتمكن صاحبها من إيراد الحجج على العقائد ودفع الشبه عنها (3).

= وأما قول الناس توحد الله بالامر وتفرد، فإنه وإن كان صحيحا في العربية فإني لا أحب أن ألفظ بلفظ في صفة الله لم يصف به نفسه في التنزيل أو في السنة، ولم أجد المتوحد ولا المتفرد في صفاته. (تهذيب اللغة: 197/5).

---

(1) لوامع الانوار: 5/1.

(2) رسالة التوحيد: 5.

(3) يراجع التعليق بتفصيل في كتاب دعوة التوحيد للعلامة المحقق أستاذ العقيدة الاسلامية بالازهر الدكتور محمد خليل هراس: 10.

أما فيما يخص التعليق على التعريف الثاني وهو للامام الاستاذ محمد عبده، فقد كتبت ما لا أرغب في تكراره في هذا المقام عن عقيدته في كتابي "عقيدة الامام ابن خزيمة وموقفه من الفرق الكلامية"، ولاينبغي أن يفوتني نقل ما كتبه الاستاذ الامام محمد خليل هراس من النقد المنهجي لتعريف الامام محمد عبده للتوحيد بالمعنى الاصطلاحي، رغم أن الاستاذ محمدا عبده لم يسع إلا في طلب الوصول الى الحق، لكن ليس كل من طلب الحق أدركه وناله، فلابد من توفر الباحث على آلات وأدوات تساعدة تكون وسيلة للوصول الى الهدف، قال الاستاذ المحقق محمد خليل هراس معلقا على تعريف الاستاذ الامام محمد عبده:

" وقد غلط الشيخ محمد عبده في اعتباره توحيد الربوبية والانفراد بالخلق هو الغاية العظمى من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإن هذا النوع من التوحيد كانت تقرّ به الامم التي بعثت إليها الرسل ولم يقع نزاع فيه بينهم وبين الرسل، وإنما كان النزاع في توحيد الالهية والعبادة، ولهذا لم يجيء على لسان الرسل عليهم السلام الدعوة الى اعتقاد أن الله هو وحده الخالق، وإنما كان مدار دعوتهم هو عبادة الله وحده لاشريك له، فكل منهم كان مفتتح دعوته لقومه (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)(1) ولهذا أيضا كانت كلمة التوحيد التي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعو إليها وأن يقاتل الناس حتى يقولوها هي (لا إله الا الله) (2)

---

(1) سورة الاعراف : 59 .

(2) سورة محمد : 19 .

ومعنى الاله المعبود، ولوكان توحيد الربوبية هو المقصود لكانت كلمة التوحيد هي (لارب إلا الله) والقرآن نفسه يحكي عن المشركين أنهم كانوا يقرون لله بالربوبية المطلقة، قال تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله)(1) وقال: (قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله)(2).

ولعل فضيلة الشيخ عبده في هذا كان متأثرا بالاشعرية الذين جعلوا الانفراد بالخلق هو أخص خصائص الالهية، واهتموا في كتبهم بإقامة البراهين على هذا النوع من التوحيد دون أن يشيروا الى توحيد الالهية الذي هو أقصى الغايات ونهاية النهايات. وقد أحسن العلامة السيد رشيد رضا حين قال مستدركا على أستاذه: فات الاستاذ أن يصرح بتوحيد العبادة، وهو أن يعبد الله وحده ولايعبد غيره بدعاء ولابغير ذلك مما يتقرب به المشركون إلى ما عبدوا معه من الصالحين والاصنام المذكّرة بهم وغير ذلك، كالنذور والقرابين تذبح بأسمائهم أو عند معابدهم"(3) انتهى كلام الامام الاستاذ محمد خليل هراس.

وهو كلام قيم مفيد، آثرت نقله على تعبيري الخاص وصياغتي الشخصية، نظرا لكون الاستاذ الامام محمد خليل هراس أعلم مني وأفقه وأسد قولا، وإن كنا معا ننتمي الى مدرسة واحدة وهي

---

(1) سورة لقمان : 25 .
(2) سورة يونس : 31 .
(3) دعوة التوحيد : 8-9 .

المدرسة السلفية ، فهذا هو الفضل العظيم من الله تعالى والمنة الكبرى .

ثم أحال الاستاذ الامام محمد خليل هراس قارئي كتاب رسالة التوحيد على مصادر فهم المعنى الاصطلاحي لكلمة "توحيد" وفي طليعة تلك المصادر شرح عقيدة الامام الطحاوي لابي العز الحنفي(1) .

وهنا أنقل الى القارىء التعريف الاصطلاحي المختار من كتاب الامام أبي العز الحنفي ، حتى يكون القارىء لهذا الانجاز على بينة من أصول علم العقيدة ، التي في ضوئها يعرف التفريق بين ما هو حسن وما هو غير حسن .

قال الامام أبو العز:

" ثم التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان: توحيد في الاثبات والمعرفة ، وتوحيد في الطلب والقصد. فالاول هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه ، ليس كمثله شيء في ذلك كله ، كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم . وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الافصاح كما في أول (الحديد) و(طه) وآخر (الحشر) وأول (ألم تنزيل السجدة) وأول (آل عمران)وسورة (الإخلاص) بكاملها وغير ذلك .

---

(1) كتاب العقيدة الطحاوية هو كتاب أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي توفي(321هـ) ، بيّن فيه عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، وأبي يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري ، وأبي عبدالله محمد بن الحسن الشيباني ، وهي عقيدة الائمة المجتهدين جميعهم.
(المجموعة العلمية من درر علماء السلف تحقيق العلامة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله ، ص:15).

والثاني: وهو توحيد الطلب والقصد، مثل ما تضمنته سورة (قل يا أيها الكافرون) و(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم)[آل عمران:64] وأول سورة (تنزيل الكتاب) وآخرها، وأول سورة (يونس) وأوسطها وآخرها، وأول سورة (الأعراف) وآخرها، وجملة سورة (الأنعام). وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، بل كل سورة في القرآن، فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري. وإما دعوة إلى عبادته وحده لاشريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الارادي الطلبي. وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكمّلاته. وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد. فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم"(1).

فمن خلال تعريف أبي العز الحنفي، تبيّن بوضوح أن علم التوحيد هو علم العبد واعترافه واعتقاده وإيمانه بتفرد الرب عزوجل بكل صفة كمال، وتوحيده في ذلك، واعتقاد أن الله تعالى لاشريك له في كماله، وأنه ذو الالوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

لكنّ سائلا قد يسأل عن مصدر هذا التقسيم المذكور في تعريف الامام أبي العز الحنفي، وما هو الدليل عليه؟

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية: 88.

لقد شرع الله تعالى للمسلمين وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة من ركعات صلاتهم سواء كانت فريضة أو نافلة، فلا يقبل الله صلاة من لم يقرأ هذه السورة في صلاته كما صحّ بذلك الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . والسبب في ذلك أنها اشتملت على التوحيد بأنواعه الثلاثة المذكورة فيها . فهي السبع المثاني(1) وهي القرآن العظيم لكونها اشتملت على كل ما اشتمل عليه كتاب الله من الموضوعات إجمالا ، وموضوعات القرآن ثلاثة : التوحيد والتشريع وتاريخ الانبياء مع أممهم .

ف(الحمدلله رب العالمين) تتضمن هذه الاية النوع الاول من أنواع التوحيد ، وهو توحيد الله تعالى في ربوبيته أي في حاكميته وسيادته وفي خلقه وإحيائه وإماتته . والمسلم المحقق هذا النوع من التوحيد ملزم بتحقيق لوازمه من توحيد الالهية والأسماء والصفات وتوحيد النبي صلى الله عليه وسلم بالاتباع .

والله معناه : قال أبوجعفر الطبري: وأما تأويل قول الله تعالى ذكره (الله) فإنه على معنى ما روي لنا عن عبدالله بن عباس : هو الذي يألهه كل شيء ، ويعبده كل خلق (2).

والرب معناه : قال أبوجعفر:

وأما تأويل قوله (رب) فإن الرب في كلام العرب منصرف على معان فالسيد المطاع فيهم يدعى ربا ، ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة :

---

(1) وإنما سمي القرآن مثاني لان الأنباء والقصص تثنى فيه .
(انظر تفسيرغريب القرآن لابن قتيبة :35) .

(2) جامع البيان عن تأويل القرآن: 122/1.

واهْلَكْن يوماً ربَّ كِنْدَةَ وابْنَهُ ** وَرَبَّ مَعَدٍّ بَيْنَ خَبْتٍ وَعَرْعَرِ.

يعني برب كندة: سيّد كندة.

والرجل المصلح للشيء يدعى ربا، ومنه قول الفرزدق بن غالب:

كانوا كسالئةٍ حمقاء إذا حقنت ** سلاءها في أديم غير مربوب (1)

وحاصل كلام ابن جرير في تفسير الرب قوله:

فربنا جل ثناؤه السيد الذي لاشبه له ولامثل في سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والامر (2).

وقوله (الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين) دليل توحيد الاسماء والصفات..

وقوله (إياك نعبد وإياك نستعين) دليل توحيد العبادة، ومعناه نخشع لك ونذل ونستكين يا ربنا، ونستعين على عبادتنا إياك وطاعتنا لك في أمورنا كلها، لا أحدا سواك، إذ كان من يكفر بك يستعين في أموره معبوده الذي يعبده من الاوثان دونك، ونحن بك نستعين في جميع أمورنا مخلصين لك العبادة (3).

---

(1) قال الاستاذ محمود محمد شاكر: سلأ السمن يسلؤه: طبخه وعالجه فأذاب زبده، والسلاء بكسر السين: السمن. وحقن اللبن في الوطب، والماء في السقاء: حبسه فيه وعبأه. رب نحى السمن يربه: دهنه بالرب وهو دبس كل ثمرة، وكانوا يدهنون أديم النحى بالرب حتى يمتنوه ويصلحوه، فتطيب رائحته، ويمنع السمن أن يرشح، من غير أن يفسد طعمه أو ريحه، وإذا لم يفعلوا ذلك بالنحى فسد السمن، وأديم مربوب: جلد قد أصلح بالرب يقول: فعلوا فعل هذه الحمقاء، ففسد ما جهدوا في تدبيره.
(حاشية تفسير ابن جرير: 142/1).

(2) جامع البيان: 142/1 .

(3) المصدر السابق: 160/1.

والعبادة لاتكون تامة بالخضوع والتذلل فقط حتى يصحبهما الحب، والتعظيم والاجلال وتوحيد الله بذلك، فالعبادة غاية التذلل في غاية الحب مع التوحيد واتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأداء جميع الواجبات وترك المحرمات (1).

وقوله سبحانه: (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم) دليل على توحيد النبي صلى الله عليه وسلم بالمتابعة.

قال أبوجعفر: "وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل، وذلك هو الصراط المستقيم لان من وفّق لما وفق له من أنعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء فقد وفق للاسلام، وتصديق الرسل، والتمسك بالكتاب، والعمل بما أمر الله به، والانزجار عما زجره عنه، واتباع منهج النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وكل عبد صالح، وكل ذلك من الصراط المستقيم.

وهذا معنى قول المسلم: لاإله الا الله محمد رسول الله، فالشطر الاول من الكلمة الطيبة شرحته الايات المتعلقة بتوحيد الربوبية والاسماء والصفات وهو توحيد المعرفة والاثبات، والشطر الثاني شرحته آيات توحيد العبادة وتوحيد المرسل (بفتح السين) بالمتابعة. قال الله جل وعلا في سورة النساء: (فلاوربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)(2).

---

(1) انظر سبيل الرشاد في هدي خير العباد: 26/1.
(2) سورة النساء: 65.

قال أبوجعفر: يعني جل ثناؤه بقوله "فلا" فليس الامر كما يزعمون أنهم يؤمنون بما أنزل إليك، وهم يتحاكمون الى الطاغوت، ويصدون عنك، إذا دعوا إليك يا محمد.
واستأنف القسم جل ذكره فقال: "وربك" يا محمد "لايؤمنون" أي لايصدقون بي وبك وبما أنزل إليك (حتى يحكموك فيما شجر بينهم) يقول: حتى يجعلوك حكما بينهم فيما اختلط بينهم من أمورهم فالتبس عليهم حكمه... (ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت) يقول: لايجدوا في أنفسهم ضيقا مما قضيت، أي لاتأثم بإنكارها ما قضيت، وشكلها في طاعتك، وأن الذي قضيت به بينهم حق لايجوز لهم خلافه...
(ويسلموا تسليما) يقول: ويسلموا لقضائك وحكمك، إذعانا منهم بالطاعة، وإقرارا لك بالنبوة تسليما "(1)
وقد تضمنت هذه الاية الكريمة شروط الشطر الثاني من كلمة الشهادة، وقد شرحها الاستاذ الامام في تفسيره العقيدي فقال في شروطها:

1 - أن يقول (2) بلسانه لا إله إلا الله محمد رسول الله.
2 - أن يعرف معنى الشهادتين.
3 - أن يعرف الضروري مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو كل ما فرض الله عليه في الاسلام.
4 - أن لايرد شيئا مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.
5 - أن يرد كل نزاع مع غيره الى كتاب الله وسنة رسوله.

---

(1) جامع البيان: 8/518-519.
(2) أي المسلم.

6 - أن يرضى بحكم الكتاب والسنة، ولو كان فيه قتله وقتل أعز الناس عنده.

7 - أن لايجد في ذلك حرجا أو كراهية في نفسه.(1)

أما فيما يخص شروط الشطر الاول من كلمة الشهادة فللكلام في ذلك موضع غير هذا.

وأول من حقق هذا النوع من التوحيد الذي نسيه كثير من الناس في هذا الزمان، هم تلامذة رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته المرضيون، الذين فقهوا ما كان يرمي إليه عليه السلام من خلال خطبته في كل المناسبات التعليمية والسياسية والاجتماعية والمالية والجهادية أثناء توجيهه للمجاهدين. فكان يخبر دوما عليه الصلاة والسلام أن خير الهدي هديه صلى الله عليه وسلم، معناه أن خير الطرق الموصلة الى الله عزوجل، وخير الطرق في الايمان والعقائد والاخلاق والاداب والاحكام، هي الطريقة التي كان عليها النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فهي المحجة البيضاء التي لايزيغ عنها إلا من اختار الضلالة وفضلها على الهدى، وشر أمور الدين المحدثات أي البدع في الدين والابتداع في التشريع، تلك البدائع التي لم تكن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وإنما أحدثها المبتدعون الذين أفسدوا ولم يصلحوا. فالاسلام دين كامل مكمّل، والمكمّل لايكمّل. قال الله جل وعلا: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)(2).

---

(1) سبيل الرشاد للدكتور الهلالي: 230/2.
(2) سورة المائدة: 3.

موضوع علم التوحيد

موضوع علم التوحيد هو المعلوم من حيث يتعلق به إثبات العقائد الدينية ، إذ موضوع كل علم ما يبحث في ذلك العلم عن عوارضه الذاتية ، ولاشك أنه يبحث في هذا العلم عن أحوال الصانع من الاولية والوحدة والقدرة والارادة وغيرها ، ليعتقد ثبوتها لله تعالى ، وكذا جميع مباحث العقيدة الاسلامية ، سواء ما تعلق منها بالله عزوجل وصفاته ، أم بالرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام من حيث ما يجب لهم وما يجوز ويمتنع عليهم ، أم باليوم الآخر وتفصيل ما يقع فيه ، وبجميع أخبار الغيب التي وردت في الكتاب والسنة . وهذا أولى من زعم أن موضوعه ذات الله تعالى وتقدّس للبحث عن صفاته وأفعاله .

وقال الشيخ السفاريني :" واعلم أنّا لانأخذ الاعتقادات الاسلامية من القواعد الكلامية ، بل إنما نأخذها من النصوص والاخبار النبوية "(1) .

---

(1) لوامع الانوار : 5/1 .

وانظر أيضا مصدر هذه الضوابط : دعوة التوحيد : 8 .

استمداده

يستمد هذا العلم أصوله ومادته من القرآن الكريم، وكتب التفسير المعتمدة البعيدة عن الاهواء والفلسفة والكلام، ومن الحديث النبوي الصحيح ومن مصادر فهم العقيدة الاسلامية وأهمها :

كتاب السنة للامام أحمد بن حنبل .

كتاب السنة لابنه الامام عبدالله بن أحمد.

كتاب التوحيد لامام الائمة ابن خزيمة.

كتاب التوحيد والرد على الجهمية للامام البخاري.

كتاب خلق أفعال العباد للامام البخاري .

كتاب الرد على الجهمية لابن قتيبة.

كتاب الرد على الجهمية للحافظ ابن منده.

كتاب الرد على الجهمية للامام عثمان بن سعيد الدارمي.

كتاب الرد على الجهمية والزنادقة للامام أحمد بن حنبل.

كتاب رد عثمان بن سعيد على بشر العنيد الدارمي.

كتاب السنة للامام ابن أبي عاصم النبيل الشيباني .

كتاب الشريعة للامام الآجرّي .

كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للحافظ اللالكائي.

كتاب الايمان لابي عبيد القاسم بن سلام .

كتاب الايمان للحافظ ابن أبي شيبة.

كتاب العرش وما روي فيه للحافظ ابن أبي شيبة.

كتاب الاربعين في دلائل التوحيد لابي اسماعيل الهروي .

كتاب الحيدة للامام عبدالعزيز بن يحيى الكناني .

كتاب التمهيد للحافظ ابن عبدالبر القرطبي.

كتاب أصول السنة للحافظ ابن أبي زمنين الاندلسي .

كتاب الوصول الى معرفة الاصول للحافظ الحجة أبي عمرو الطلمنكي.

الارجوزة في أصول الديانة للحافظ القارىء أبي عمرو الداني.

كتاب الفقه الاكبر للامام أبي حنيفة .

عقيدة الامام أبي جعفر الطحاوي .

وغير هذه الكتب ممن صنفها أصحابها على منهاج النبوة وهو منهاج مؤلفيها وجامعيها ، وهم أهل الحديث أولياء الله وأصفياؤه رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بعلومهم آمين (1).

---

(1) وتضاف الى هذا التصنيف كتب الامام أبي الحسن الاشعري:

أ ـ كتاب الابانة عن أصول الديانة .

ب ـ كتاب أصول السنة وهو كتابه رسائل الثغر .

ج ـ مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين .

د ـ كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع .

مسائل علم التوحيد وأهدافه

ومسائله هي القضايا النظرية الشرعية الاعتقادية (1) .

إن تحديد هدف مادة من المواد ، يكون بمثابة تركيز على المحور الذي في فلكه تدور معارفها وعلومها .

وأهداف علم التوحيد جليلة وسامية ، من أجلها ترسيخ العقيدة الاسلامية على أسس علمية ويقينية . ومن أجل الاهداف أيضا الحصول على ما يسمى بالعلم النافع لإدخال السكينة والطمأنينة على النفس الانسانية مع مساعدتها على الارتقاء ، قال جل وعلا :

(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)(2).

فلايمكن للنفس الانسانية أن تزكو ، وتهذب إلا إذا حكّمت منهج الله تعالى في عقيدتها أولا وقبل كل شيء ليستقيم عملها ، لأجل ذلك كان غرس علم أصول الدين في نفوس الناس هو أمثل طريقة لتكوين العناصر الصالحة لتقوم بدورها الريادي الكامل في هذه الحياة ، لاقامة الحجة على الخلق بمحكم آيات التنزيل وصحيح السنة النبوية .

والخلاصة أن من حقق التوحيد بأنواعه وأقسامه المذكورة آنفا ، يصير إيمانه وتصديقه بالاحكام الشرعية متقنا محكما لاتنزلزله شبه المبطلين ، ولايستحوذ عليه الدجاجلة والافاكون.

---

(1) لوامع الانوار : 5/1 .
(2) سورة الاسراء : 70 .

ثمرته

في الدنيا انتظام أمر المعاش بالمحافظة على العدل والمعاملة التي يحتاج إليها في إبقاء النوع الانساني على وجه لايؤدي الى الفساد ، وفي الآخرة النجاة من العذاب المترتب على الكفر وسوء الاعتقاد (1).

هذا وإن العقيدة الصحيحة والصادقة لها آثار تعرف بها ، ومقتضيات تعرب عنها وتفصح ، وتميزها عن غيرها من العقائد الفاسدة ، فالحكم على صاحبها يكون من خلال عمله الصالح في الاحكام الظاهرة ، أما السرائر فيوكل أمرها الى الله جل وعلا .

---

(1) لوامع الانوار : 5/1 .

مناهج البحث في أصول الدين

إن المراد بالمناهج هنا، هي تلك المسالك والطرق التي نهجها الناس في تطبيقهم في المباحث العقائدية، ليصلوا حسب ضوابطهم وقواعدهم الى حقائقها، بمنهجية محددة، وهي سعيهم بالوسائل المقننة والمقعدة عندهم وفق قوانين خاضعة لاتجاهاتهم للدفاع عما عندهم من معتقدات.

وعندما أركز على هذه الدراسة، فهدفي هو توضيح الوسيلة الصالحة القويمة الموصلة الى الحقيقة والبر في العقيدة، بعد عرض أصول المناهج الفاسدة، لان من لم يعرف الشر والباطل وقع فيهما. فتحكيم الضوابط العلمية السليمة مأمن لنا وعصمة من الزلل والغلو والشذوذ، لاجل ذلك فالعقيدة الاسلامية تحتاج إلى منهج قويم سديد ابتغاء العصمة من الضلال، وقد ساهم أهل الحديث في تبيين منهج الرشاد لفهم النصوص القرآنية والحديثية، فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

وقد افترق الناس وافترقت مناهجهم في علم أصول الدين الى ثلاث فرق كما قسمهم شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: فالسلف والائمة وأتباعهم آمنوا بما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الاخر، مع علمهم بالمباينة التي بين ما في الدنيا وبين ما في الاخرة، وأن مباينة الله لخلقه أعظم.

والفريق الثاني: الذين أثبتوا ما أخبر الله به في الاخرة من الثواب والعقاب، ونفوا كثيرا مما أخبر به من

الصفات، مثل طوائف من أهل الكلام (1).

والفريق الثالث: نفوا هذا وهذا، كالقرامطة والباطنية، والفلاسفة أتباع المشائين، ونحوهم من الملاحدة الذين ينكرون حقائق ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر (2).

(انتهى كلام شيخ الاسلام) (3).

---

(1) قد تقدم الحديث عن الكلام وبدعه وفرق المبتدعة بما يغني عن تكراره في هذا الموضع، وذلك في الباب الاول من هذه الاطروحة.

(2) قال ابن الجوزي: الباطنية قوم تستروا بالاسلام وما لوا الى الرفض، وعقائدهم وأعمالهم تباين الاسلام بالمرة. (تلبيس إبليس: 102).
والقرامطة: هؤلاء قوم تبعوا طريق الملحدين، وجحدوا الشرائع ...وأما ألقابهم فإنهم يسمون: الاسماعيلية، والباطنية، والقرامطة، والخرّمية، والبابكية، والمحمّرة، والسبعية، والتعليمية: (القرامطة لابن الجوزي: 29-35).

(3) الرسالة التدمرية: 32-33.

اهتمام العلماء المسلمين بالتوحيد

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد أن ذكر أصل العلم الالهي، ومبدأه، ودليله الاول، وتقرير الحجة في القرآن الكريم بالرسل عليهم السلام:

"... ولهذا كان طائفة من أئمة المصنفين للسنن على الابواب، إذا جمعوا فيها أصناف العلم ابتدأوها بأصل العلم والايمان، كما ابتدأ (البخاري صحيحه) ببدء الوحي ونزوله، فأخبر عن صفة نزول العلم والايمان على الرسول أولا، ثم أتبعه بكتاب الايمان الذي هو إقرار بما جاء به، ثم بكتاب العلم الذي هو معرفة ما جاء به، فرتبه الترتيب الحقيقي. وكذلك الامام أبومحمد الدارمي صاحب (المسند): ابتدأ كتابه بدلائل النبوة، وذكر في ذلك طرفا صالحا. وهذان الرجلان أفضل بكثير من مسلم والترمذي ونحوهما، ولهذا كان أحمد بن حنبل يعظم هذين ونحوهما، لانهم فقهاء في الحديث أصولا وفروعا "(1).

وقد تقدم الإخبار بأسماء مصادر فهم عقيدة الاسلام بما يغني عن الاعادة في هذا الموضع.

ومن الكتب الرائدة في علم التوحيد كتاب السنة للامام أحمد بن حنبل، ويأتي بعده كتاب التوحيد لامام الائمة محمد بن اسحاق بن خزيمة (223-311هـ)، الذي شرح فيه منهج الصحابة المرضيين والتابعين وتابعي التابعين، والائمة المجتهدين، في تقرير العقيدة، بما صح وثبت عن رسول الله نبينا محمد

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الاسلام: 4/2.

صلى الله عليه وسلم بالاسانيد الثابتة الصحيحة بنقل أهل العدالة موصولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد منّ الله تعالى على مؤلف الكتاب بالتوفيق لما يحب ويرضى من صحة مذهب أهل الآثار في العقيدة، وإبطال مذاهب أهل الزيغ والاهواء والبدع.

ومن أجل المصنفات في عصرنا التي احتلت مكان الريادة في التصنيف العقيدي كتاب "سبيل الرشاد في هدي خير العباد" للاستاذ الامام أبي شكيب الدكتور محمد تقي الدين الهلالي الحسيني رحمه الله تعالى، الذي وفقه الله تعالى إلى تأليف كتاب لم ينسج بعد تفسير ابن كثير مثله، في الجمع والانتقاء والتهذيب والمضمون والابانة والشرح لغوامض المسائل العقائدية. فقد تناول الاستاذ الامام في كتابه شرح أنواع التوحيد الاربعة، التي أولها توحيد الربوبية، وثانيها توحيد العبادة، وثالثها توحيد الاتباع، ورابعها توحيد الاسماء والصفات.

هذا وإن أنواع التوحيد الثلاثة كما صرح بذلك المؤلف في مقدمة كتابه، وأن توحيد الاتباع داخل في توحيد العبادة، لكنه جعله قسما مستقلا لكثرة خلاف المقلدين لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم. فجمع في كتابه آيات توحيد الربوبية وما يتعلق بها من الاحاديث النبوية وكلام علماء السلف، وكذا آيات توحيد العبادة وما يتعلق بها من كلام النبوة، وما صح عن السلف، وهكذا في جميع أنواع التوحيد الاربعة، معتمدا على تفسير الحافظ ابن كثير في منهج تصنيفه. لان الاستاذ

الامام صرح بأنه لم ير أحدا من المفسرين قد اعتنى بالتوحيد مثله .

ومنهج الاندلسيين في إثبات التوحيد لله عزوجل هو منهج مالك بن أنس ، لم يبدلوا ولم يغيروا .

روى مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه كما تنتج الإبل من بهيمة جمعاء ، هل تحس من جدعاء قالوا : يا رسول الله أرأيت الذي يموت وهو صغير . قال: الله أعلم بما كانوا عاملين(1).

قال الاستاذ أبوعمرة معلقا : هذا الحديث مما اختلفت فيه أنظار العلماء وتوجيهاتهم(2) ، والذي يظهر أن الحديث يعني أن الله خلق الانسان وأعطاه من الاستعداد للتعرف به والاستقامة على دينه ما لم يعطه للبهائم والحيوانات فهو مستعد لقبول ما يطبع فيه من خير ، فلهذا يجب علينا أن نستغل أبناءنا وموالدنا في تعليمهم العقيدة الصحيحة التي وجدوا من أجلها (3).

---

(1) التمهيدلما في الموطأ من المعاني والاسانيد لابن عبدالبر: 57/18 .

(2) قد كتبت كتابا في سنة 1986 بتاريخ النطرى ، واسمه :دراسة حديث«كل مولود يولد على الفطرة رواية ودراية»وذلك لنيل شهادة الدراسات الجامعية العليا في جامعة محمد الخامس كلية الاداب بالرباط .

(3) العقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية وقدرتها على مواجهة التحديات : للدكتور محمد بن عبدالرحمن المغراوي: 19 .

ومن مصادر المالكية المبينة لمنهج الاندلسيين منهم في العقيدة إبان القرن الرابع الهجري أرجوزة الامام محمد بن طالح القحطاني الاندلسي ، الذي شرح منهجه في إثبات التوحيد لله عزوجل ، فقال :

واعلم بأن الله رب واحد *** متنزه عن ثالث أو ثان
الاول المبدي بغير بداية *** والآخر المفني وليس بفان
وكلامه صفة له وجلالة *** منه بلا أمد ولا حدثان
دن بالشريعة والكتاب كليهما *** فكلاهما للدين واسطتان.(1)

وهكذا فإن منهاج علماء الاندلس في إثبات وجود الله هو منهاج أهل الحديث ، أولياء الله حقا ؛ فهو أمر فطري معلوم بالضرورة ، والادلة على ذلك كثيرة جدا ،كالكون المرئي والآفاق ،والنفس الانسانية ،والآثار والوحي الالهي بشقيه .

ومن علماء المالكية الذين اكتالوا بالمكيال الاوفى من علوم السلف لاسيما في مجال التوحيد : الامام ابن عبد البر القرطبي رحمه الله تعالى ،قال أبوعمر: قد أجمع العلماء على أن من العلم ما هو فرض عين متعين على كل امرىء في خاصته بنفسه ومنه ما هو فرض على الكفاية إذا قام به قائم سقط فرضه على أهل ذلك الموضع ، واختلفوا في تلخيص ذلك، والذي يلزم الجميع فرضه من ذلك ما لايسع الانسان جهله من جملة الفرائض المفترضة عليه ،نحو الشهادة باللسان والاقرار بالقلب

---

(1) أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة لعلي بن سليمان آل يوسف ص :12-13.والارجوزة هي لمحمد بن طالح القحطاني المعافري الاندلسي المالكي.وكنيته أبوعبدالله، رحل في طلب العلم إلى المشرق والمغرب وجمع تاريخا لاهل الاندلس (ت 383هـ).
(الاعلام للزركلي: 32/7 ، ونفح الطيب للمقري: 342/2).

بأن الله وحده لاشريك له ، لاشبه له ولامثل ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، خالق كل شيء وإليه مرجع كل شيء ، المحيي المميت الحي الذي لايموت (1).

وبعد هذا وضح الامام ابن عبدالبر أصول منهجه في إثبات التوحيد لله تعالى غاية التوضيح ، وبيّن أن للدين أصلين اثنين: وهما إثبات التوحيد لله تعالى ، وهو شطر كلمة الشهادة، وإثبات النبوة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبه ختمها رب العزة والجلال وهو الشطر الثاني من الكلمة الطيبة، وهو دين جميع الأنبياء والرسل كما قال الامام القحطاني الاندلسي:

وشريعة الاسلام أفضل شرعة *** دين النبي الصادق العدناني
هو دين رب العالمين وشرعه *** وهو القديم وسيد الاديان
هو دين آدم والملائكة قبله *** هو دين نوح صاحب الطوفان
وله دعا هود النبي وصالح *** وهما لدين الله معتقدان
وبه أتى لوط وصاحب مدين *** فكلاهما في الدين مجتهدان
هو دين ابراهيم وابنيه معا *** وبه نجا من لفحة النيران
وبه حمى الله الذبيح من البلا *** لما فداه بأعظم القربان
هو دين يعقوب النبي ويونس *** وكلاهما في الله مبتليان
هو دين داود الخليفة وابنه *** وبه أذل له ملوك الجان
هو دين يحيى مع أبيه وأمه *** نعم الصبي وحبّذا الشيخان
وله دعا عيسى بن مريم قومه *** لم يدعهم لعبادة الصلبان
والله أنطقه صبيا بالهدى *** في المهد ثم سما على الصبيان

---

(1) جامع بيان العلم وفضله: 12/1.

وكمال دين الله شرع محمد *** صلى عليه منزل القرآن
الطيب الزاكي الذي لم يجتمع *** يوما على زلل له أبوان
الطاهر النسوان والولد الذي *** من ظهره الزهراء والحسنان
وأولو النبوة والهدى ما منهم *** أحد يهودي ولا نصراني
بل مسلمون ومؤمنون بربهم *** حنفاء في الاسرار والاعلان.(1)

هذا النص شرح اتجاه المدرسة الاندلسية في العقيدة، وحدد مصدرها، وبيّن أن عقيدة علماء الاندلس هي العقيدة التي مات عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي عقيدة جميع إخوانه الانبياء والرسل منذ آدم الى أن ختم الله تعالى الرسالة والنبوة بالقرآن الكريم الذي نزله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه العقيدة لم تنسخ برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، إنما النسخ كان في الاحكام والتشريعات (2).

وقد ورد إجماع علماء الاندلس على هذه الاصول العقيدية، فنجد ابن عبد البر قد تناول بالابانة والشرح هذه القضية الهامة (3).

---

(1) أربح البضاعة: 20-21.

(2) قد بينت هذه المسألة في كتابي "عقيدة الامام ابن خزيمة وموقفه من أهل الاهواء" وهو أطروحة جامعية نلت بها دبلوم الدراسات العليا في أصول الدين سنة 1989 في جامعة الحسن الثاني عين الشق بالدار البيضاء.

(3) وقد بينت موقفه في الباب الاول من هذه الاطروحة، وشرحت مصادر عقيدته، فأرى لا داعي لاعادة نقل ما قرر وكتب هناك فليراجع.

قال رحمه الله تعالى:" واتفق أهل الاسلام أن الدين تكون معرفته على ثلاثة أقسام: أولها معرفة خاصة الايمان والاسلام، وذلك معرفة التوحيد والاخلاص ولايوصل الى علم ذلك إلا بالنبي صلى الله عليه وسلم، فهو المؤدي عن الله، والمبين لمراده، وبما في القرآن من الامر بالاعتبار في خلق الله بالدلائل من آثار صنعته في بريته على توحيده وأزليته سبحانه، والاقرار والتصديق بكل ما في القرآن وبملائكة الله وكتبه ورسله"(1).

فالامام ابن عبدالبر ينطلق من مصدر واحد لتقرير عقيدته في توحيد الله عزوجل وكذا في سائر مباحث العقيدة، من الوحي الالهي بشقيه، على منهج النبي صلى الله عليه وسلم، مبينا وموضحا من قبل أعلم خلق الله بالله تعالى بعد النبي صلى الله عليه وسلم والانبياء والرسل، وهم الصحابة المرضيون، شأنه في ذلك شأن كافة علماء الاندلس، وذلك انطلاقا من قول الله تعالى في سورة الانعام:

(وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرقبكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)(2) .

وقال الامام ابن أبي زمنين المالكي الاندلسي قبل أن يستدل بهذه الآية الكريمة في باب الحض على لزوم السنة واتباع الائمة: اعلم رحمك الله أن السنة دليل القرآن وأنها لاتدرك بالقياس ولاتؤخذ بالعقول وإنما هي في الاتباع للائمة ولما مشى عليه جمهور هذه الامة (3) وقد ذكر الله عزوجل أقواما أحسن الثناء

---

(1) جامع بيان العلم وفضله: 49/2.

(2) سورة الانعام: 153 .

(3) وذلك في العقائد أولا وقبل كل شيء لتحصل معرفة الله تعالى قبل الشروع في عبادته بالاعمال والاحكام.

عليهم فقال: (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هدا هم الله وأولئك هم أولوا الالباب)(1) .

ثم استدل بالاية المذكورة في سورة الانعام .

---

(1) الزمر: 17-18 .

المبحث الثاني : منهجهم في إثبات أسماء الله الحسنى

لقد تسمى إلهنا جل وعلا بأسمائه الحسنى ، وأظهرها لعباده من أجل معرفته ودعائه بها ، وذكره بها ، وكل أسمائه توقيفية ما عرفنا منها وما لم نعرف بواسطة الوحي الالهي ، معناه أنه هو تباركت أسماؤه الذي سمى نفسه بتلك الاسماء الحسنى ، وكل أسماء الله حسنى ، كما قال عبدالله بن عباس : " وكل أسمائه حسنى"(1) فلايجوز للبشر أن يطلق بعض الاسماء على الله تعالى ، التي لم ترد في محكم التنزيل ولا في صحيح السنة النبوية . وهذا هو منهج الاندلسيين في إثبات الاسماء الحسنى لله عز وجل كما صرحوا بذلك من خلال مطادر فهم عقيدتهم ، قال الامام ابن أبي زمنين: " قال محمد : وقال عز من قابل(ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تسعة وتسعون اسما ثم ذكرها كلها . فأسماء ربنا وصفاته قايمة في التنزيل محفوظة عن الرسول ، وهي كلها غيي مخلوقة ولامستحدثة ، فتعالى الله عما يقول به الملحدون علوا كبيرا "(2).

---

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن :281/13 .

(2) أصول السنة : لوحة 6 .

وقد روى الامام ابن عبدالبر إجماع علماء الاندلس، وإجماع الامة الاسلامية على تحكيم ضوابط هذا المنهج المذكور، وصرح بقوله رحمهالله تعالى:

"قال أبوعمر: ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلاما جاء منصوصا في كتاب الله أوصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أجمعت عليه الامة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولايناظر فيه"(1).

وقال أيضا: "والذي عليه جماعة أهل السنة أنه لم يزل بصفاته وأسمائه ليس لأوليته ابتداء، ولا لآخريته انقضاء، وهو على العرش استوى"(2).

يزعم بعض الاحداث وأشباه الدارسين ممن ابتلينا بهم في هذا الزمان، أن الكتابة في مثل هذه الموضوعات مضيعة للوقت واستنزاف للطاقات التي كان من الاحسن صرفها في موضوعات الساعة، ومنهم من غلا وصرح أن قضايا العقيدة في زعمه يستطيع الالمام بها كلها في بضع دقائق من ساعته! فهو بزعمه يصرح بأنه قادر على تدبر القرآن الكريم في ربع ساعة! والقرآن من سورة الفاتحة الى آخر سورة الناس، كله توحيد، توحيد الله المرسل (بكسر السين) وتوحيد المرسل (بفتح السين) أي توحيد النبي صلى الله عليه وسلم بالمتابعة. فعلى هذا المعترض أن يتواضع ويتعلم، وألايركب رأسه الفارغ، ويتوب الى الله تعالى من هذا القول الباطل، ولن يتم له ذلك إلاإذا

---

(1) جامع بيان العلم وفضله: 2/117-118.
(2) المصدر السابق: 1/12.

تعلم كيف يسأل ربه التوبة، لن يحصل له ذلك حتى يعرف اسم ربه التواب والغافر والغفار ثم يسأله التوبة والمغفرة. وليعلم علم اليقين أن معرفة أسماء ربه الحسنى وصفات الله العليا هي من أوجب الواجبات التي فرضها الله تعالى عليه كما فرضها على كل مسلم ومسلمة معترفا كان أو مدعيا.

قال الله عزوجل:

(ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها)(1).

وقال جل شأنه:

(أيًّا ما تدعو فله الاسماء الحسنى)(2).

وقال تبارك اسمه:

(الله لا إله إلا هو له الاسماء الحسنى)(3).

وقال جل وعلا:

(له الاسماء الحسنى)(4).

قال القاسمي في معنى الاية الاولى وهي آية سورة الاعراف:

"والمعنى: لله الاسماء التي هي أحسن الاسماء وأجلها، لإنبائها عن أحسن المعاني وأشرفها "(5).

قال الاستاذ الشيخ الامام عبدالرحمن بن ناصر السعدي في تفسير هذه الاية الكريمة ما قد حل به شبهة تعترض سبيل بعض الدارسين فقال: " هذا بيان لعظيم جلاله وسعة أوصافه بأن له الاسماء الحسنى،

---

(1) سورة الاعراف: 180.
(2) سورة الاسراء: 110.
(3) سورة طه: 8.
(4) سورة الحشر: 24.
(5) محاسن التأويل: 305/7.

أي له كل اسم حسن، وضابطه أنه كل اسم دال على صفة كمال عظمته وبذلك كانت حسنى، فإنها لودلت على غير صفة، بل كانت علما محضا لم تكن حسنى، وكذلك لو دلت على صفة ليست بصفة كمال، إما صفة نقص أو صفة منقسمة الى المدح والقدح لم تكن حسنى. فكل اسم من أسمائه دال على جميع الصفة التي اشتق منها (1)، مستغرق لجميع معناها، وذلك نحو "العليم" الدال على أن له علما محيطا عاما لجميع الاشياء، فلايخرج عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء، و"الرحيم" الدال على أن له رحمة عظيمة واسعة لكل شيء، و"القدير" الدال على أن له قدرة عامة لايعجزها شيء ونحو ذلك، ومن تمام كونها حسنى أنه لايدعى إلا بها، ولذلك قال "فادعوه بها" وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة، فيدعى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب، فيقول الداعي مثلا: اللهم اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، وتب علي يا تواب، وارزقني يا رزاق، والطف بي يا لطيف، ونحو ذلك. وقوله (وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) أي عقوبة وعذابا على إلحادهم في أسمائه.

وحقيقة الالحاد الميل بها عما جعلت له، إما بأن يسمى بها من لايستحقها كتسمية المشركين بها لآلهتهم، وإما بنفي معانيها وتحريفها، وأن يجعل لها معنى ما أراده الله ولارسوله، وإما أن يشبه بها غيرها "(2).

---

(1) قد أحسن الامام ابن قتيبة في كتابه "تفسير غريب القرآن" وأجاد وأفاد لقارىء لما أبان وشرح اشتقاق أسماء الله وصفاته وإظهار معانيها، فلتراجع الصفحة: 6 وما بعدها.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: 59/3.

وأخرج الامام مسلم في جامعه المسند الصحيح من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدة من أحصاها دخل الجنة" وزاد همّام عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه وتر يحب الوتر.(1)

قال شارح الحديث رحمه الله تعالى:

قوله صلى الله عليه وسلم: "إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة . إنه وتر يحب الوتر" وفي رواية من حفظها دخل الجنة. قال أبو القاسم القشيري: فيه دليل على أن الاسم هو المسمى إذ لو كان غيره لكانت الاسماء لغيره لقوله تعالى (ولله الاسماء الحسنى) قال الخطابي وغيره: وفيه دليل أن أشهر أسمائه سبحانه وتعالى (الله) لإضافة هذه الاسماء إليه. وقد روي أن الله هو اسمه الاعظم. قال أبو القاسم الطبري، وإليه ينسب كل اسم له. فيقال الرؤف أو الكريم الله.

واتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى، فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة. فالمراد الإخبار بدخول الجنة بإحصائها لا الاخبار بحصر الاسماء. ولهذا جاء في الحديث الاخر: أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، وقد ذكر الحافظ أبوبكر بن العربي المعافري المالكي عن بعضهم أنه قال: لله تعالى ألف اسم .

قال ابن العربي: وهذا قليل فيها والله أعلم.

---

(1) صحيح الامام مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار: 6-5/17 .

وأما تعيين هذه الاسماء فقد جاء في الترمذي وغيره في بعض أسمائه خلاف، وقيل إنها مخفية التعيين كالاسم الاعظم، وليلة القدر ونظائرها. وأما قوله صلى الله عليه وسلم: من أحصاها دخل الجنة، فاختلفوا في المراد بإحصائها، فقال البخاري وغيره من المحققين: معناه حفظها، وهذا هو الاظهر، لانه جاء مفسرا في الرواية الاخرى: من حفظها، وقيل أحصاها عدّها في الدعاء بها. وقيل: أطاقها أي أحسن المراعاة لها، والمحافظة على ما تقتضيه، وصدق بمعانيها، وقيل: معناه العمل بها، والطاعة بكل اسمها والايمان بها لايقتضي عملا. وقال بعضهم: حفظ القرآن وتلاوته كله لانه مستوف لها وهو ضعيف والصحيح الاول. قوله صلى الله عليه وسلم: " إن الله وتر يحب الوتر" الوتر الفرد، ومعناه في حق الله تعالى الواحد الذي لاشريك له ولانظير، ومعنى يحب الوتر تفضيل الوتر في الاعمال وكثير من الطاعات، فجعل الصلاة خمسا، والطهارة ثلاثا، والطواف سبعا والسعي سبعا، ورمي الجمار سبعا، وأيام التشريق ثلاثا والاستنجاء ثلاثا، وكذا الاكفان. وفي الزكاة خمسة أوسق، وخمس أواق من الورق، ونصاب الابل، وغير ذلك. وجعل كثيرا من عظيم مخلوقاته وترا، منها السموات والارضون والبحار وأيام الاسبوع وغير ذلك (1).

لذا كان لابد من التصديق بمعاني أسماء الله الحسنى، والمحافظة على ما تقتضيه، ولايتم ذلك للمؤمن إلا إذا داوم على عدها ودعا الله تعالى بها متوسلا إليه بها، فيسهل عليه حفظها، لانه بمداومته على إحصائها وقراءتها باستمرار لايشعر إلا وقد

---

(1) شرح مسلم للنووي: باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها: 17/5-6 .

حفظها حفظا جيدا . وأفضل طريقة يستعين بها المؤمن على حصول المراد ، أتحفه بها في هذه الاطروحة ، هي الطريقة الرائدة الفريدة من نوعها التي نظم بها أستاذنا الامام محمد تقي الدين الهلالي نور الله قبره آمين ، وبيّن هدفه من نظم أسماء الله الحسنى شعرا بقوله :

"وإنما جمعتها وشرحتها ليتوسل بها إخواننا الموحدون الى الله الكريم امتثالا لأمره ، وطمعا في رحمته ، فإن المبتدعين يتوسلون الى الله تعالى بذوات المخلوقين والمؤمنون المتبعون لكتاب ربهم وسنة نبيهم ، إنما يتوسلون الى الله تعالى بأسمائه وبصفاته وبأعمالهم الصالحة ..."(1).

قال رحمه الله :

" الحمدلله القائل(ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) وصلاة الله وسلامه على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان . أما بعد : فيقول العبد الفقير لرحمة ربه محمد تقي الدين بن عبدالقادر الهلالي الحسيني: اطلعت على قصيدتين في أسماء الله الحسنى إحداهما للحافظ الضمياطي المصري رحمه الله ، التزم فيها أن يجعل كل بيت مشتملا على اسمين ; والثانية للعلامة أحمد بن عبدالعزيز الهلالي لم يلتزم فيها عددا خاصا في كل بيت،فيشتمل البيت الواحد على ثلاثة أسماء أو أربعة ، وظهر لي أن أنظم قصيدة تشتمل على أسماء الله الحسنى ،وألتزم اسما واحدا في كل بيت والباقي دعاء ،فيسر الله ذلك ونظمتها في العاشر من ذي القعدة سنة 1397هـ ، والله أسأل أن ينفعني بها وينفع بها من شاء من عباده الصالحين.(2)

---

(1) سبيل الرشاد : 226/6 .

(2) وقد أنعم الله علي برفقته يرحمه الله في سنة 1396هـ في المدينة النبوية وجدة والرياض وأثينا وباريس، كنت أول من أمسك القلم ليخط ما أملته خواطر هذا الجهبذ من نظم لأسماء الله الحسنى فجزاه الله خير الجزاء وأسكنه الفردوس الاعلى بجوده وفضله وكرمه آمين .

قصيدة أسماء الله الحسنى

بقلم الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

بدأت باسم الإله الواحد الأزلي
ذا الفضل والجود والإحسان لم يزل
ثم الصلاة على محمد وعلى
آل النبي ذوي الإكرام والنزل
لله أسماؤه الحسنى فسائله
بها بصدق يكون الخير فيه جلي
نظمتها قاصدا وجه الإله بها
مسهلا حفظها للسائلين ولي
فقلت والله أسأل الإعانة في
ما قد قصدته والتوفيق في عملي
إني من الله أرجو اليسر في عجل
وأن ينجيني ربي من الوجل
وأنت رحماننا دنيا وآخرة
فارحم بفضلك ضعفي أعطني أملي
ويا رحيما بكل المؤمنين أجب
دعاء عبد ضعيف لج في الزلل
يا مالكا عبدك المضطر مبتهل
إليك، ما لي سواك مبرىء عللي
قدوس طهر فؤادي كي أكون على
هدى وذكرك ربي دائما شغلي

ويا سلام سلاماتٍ تصاحبني
من كل سوء ومن عيب ومن خطل
يا مؤمنا اعطيني أمْنا وعافية
طول الحياة ويوم الهول والخجل
ويا مهيمن أمّن جمعنا أبدا
من المخاوف في التفصيل والجمل
ويا عزيزا لك العز العظيم فجد
لنا بعز الى الآباد متصل
جبار إني كسير أنت تجبرني
واكسر عداتي في الابكار والاصل
إلهنا متكبر نعظمه
فمن تكبر فارده الى السفل
يا خالق الخلق هب لي خيرهم أبدا
وكف عني أذى ذي المكر والحيل
يا بارئا جد ببرء منك في عجل
وألبس الجسم منه سابغ الحلل
ويا مصور حبب لي دعاك فما
إن يعتري طلبي شيء من الملل
غفار فاغفر ذنوبا أنت تعلمها
قد أوقعتني في خسر وفي خلل
قهار فاقهر عدوا ظل يحقرني
حتى يرى في الورى أدنى من الجعل
وهّاب هب لي رزقا واسعا غدقا
والعلم والفقه مقرونيين بالعمل

رزاق إني فقير أنت ترزقني
فيسر الرزق وابعثه على عجل
فتاح أسألك الفتح المبين لكي
تردي عداتي وإن كانوا على الفلل
عليم جد لي بعلم منك يحملني
على التقى واحمني من عصبة الجدل
يا قابض اقبض عدوا جاء يختلني
واضربه بالضر والافلاس والخبل
يا باسط الجود والنعماء تبسط لي
رزقي وأنفقه في أحسن السبل
يا خافض اخفض عداة الذكر كلهم
ورافضين حديث أفضل الرسل
يا رافع ارفع لنا ذكرا ومنزلة
بقفونا المصطفى في القولوالعمل
أنت المعز فمن أعززته ارتفعت
رايات نصر له في السهلوالجبل
أنت المذل فمن أذللته انهزمت
أجناده وهوى في شر مدخل
ويا سميع الدعا أدعوك مبتهلا
وأنت ربي مجيب كل مبتهل
ويا بصيراً بحالي قد مضى بصري
هب لي البصيرة كي أنجو من الخطل
إني الى الحكم الاعلى أحاكم من
بغى علي ولم يصغي الى عذل

فربنا العدل من قد جاء يظلمني
فخذه بالقصم والاتلاف والعلل

ألطف بنا يا لطيف في الحياة وجد
بحسن خاتمة عند انقضا الاجل

وهب لنا يا خبير خبرة وحجى
به نسير بجد دون ما كسل

وهب لنا يا حليم الحلم حين نرى
من بعض إخواننا شيئا من الزلل

أنت العظيم فعظم أجرنا كرما
وجد علينا بفضل غير منتقل

أنت الغفور فهب لي منك مغفرة
لكل ذنب وهب لي أعظم النحل

ويا شكور اجعلني شاكرا أبدا
لما مننت به وأعطني سؤلي

وأعل قدري يا علي عندكـ ثـ
ـم عند كل الورى من سافل وعلي

ويا كبير اجعل الاكبار يصحبني
وأصغر القرن واجعله من السفل

ويا حفيظا على الاشياء أجمعها
بارك جهودي واحفظني من الفشل

ويا مقيت فيسر قوتنا أبدا
من الحلال ونجنا من البخل

أنت الحسيب فحسبي أن أنال رضا
ك كنت في حزن أم كنت في جذل

ويا جليل فأعط حزبنا أبـــدا .

عز الجلالة واحفظنا من الوجـل

ويا كريم العطا يا نحن في ظمـأ

فأعطنا الورد في نهل وفي علـل

أنت الرقيب فجد بالستر منك على

ما كان مني من ذنب ومن خلـل

ويا مجيب الدعا أجب دعائي واحـ

ـفظني بفضلك من ذل ومن خجـل

يا واسع الجود وسع رزقنا أبـدا

وامنن علينا بخل ناصر وولـي

ويا حكيم فهب لي حكمة وهـدى

وامنن بنصر مبين شافيا غللـي

ويا ودود فهب لي الود أجمعـه

حتى أفوز بشوق جد مكتمـل

ويا مجيد فمجدنا بذكرك فـي

عسر ويسر بلا عجز ولا مـلل

يا باعث ابعث لنا النصر المبين على

محاربين لدين الحق في عجـل

أنت الشهيد على قوم طغوا وبغـوا

وحاربوا دين خير الخلق والرسـل

يا حق أعداء دين الحق قد غـدروا

وحاربوا نشره بالمكر والحيـل

ويا وكيل عليك اليوم معتمـدي

فكن نصيري واحفظني من الخطـل

ويا قوي فقوا اليوم زمرتنا

على الجهاد بجد دون ما كسل

ويا متين فمتن حزبنا أبدا

واجعله كالطود دوما شامخ القلل

ويا ولي تولنا بنصرك واجـ

ـعل من يط ربنا يسير في الوحل

ويا حميد فوفقنا لحمدك في

عسر ويسر وفي أمن وفي وجل

وأنت محص لمن عادى الهدى أبدا

فأوقعنهم بما كادوه من دخل

يا مبدىء أعطنا أمنا وعافية

إذا أقمنا وفي الاسفار والنقل

ويا معيد أعد للدين صولته

كما تقدم في أسلافنا الاول

وأنت محيي الرفاة أحي أنفسنا

بسنة المصطفى في القول والعمل

ويا مميت اجعل التهليل يصحبنا

عند الممات لكي ننجو من الخجل

يا حي أحي فؤادي كي أكون على

نهج السلامة في حلي ومرتحلي

يا رب أنك قيوم فلا أحد

يقوم إلا بما توليه من نحل

يا واجد جد لنا طرا بمعرفة

بها نحل الذي استعصى من العضل

يا ماجد هب لنا مجدا يميزنا

عن الالى قد غدوا في زمرة الهمل

يا واحد هب لنا التوحيد أجمعه
واجعله حليتنا ننجوا من العطل
وأنت يا ربنا الهنا أحد
لايرتضي الشرك إلا كل ذي خبل
يا فرد أنت بخلق الخلق منفرد
فمن يوحدك يبلغ غاية الامل
وأنت يا صمدا من يقصدنك يفز
بكل خير على الآمال مشتمل
وأنت يا قادر قدر لنا ظفرا
على الذين بغوا من جملة الدول
وأنت مقتدر بالحلم متصف
فاغفر لنا ذنبنا يا غافر الزلل
ويا مقدم قدم وفدنا أبدا
واجعل على فضلك المرجو متكلي
ويا مؤخر أخر من يحا ربنا
واجعله يا سيدي في زمرة السفل
يا أول اجعل مقامي أولا كرما
وحبك اجعله لي أحلى من العسل
يا آخر أخرن أعداءنا أبدا
وجد علينا بنصر جد مكتمل
يا ظاهر اظهرن حزب الرشاد على
من جاء يخدعهم بالخبث والدخل
يا باطن فاجعلن باطني أبدا
خلوا من الغم والاضغان والدخل

وأنت والي الألى يستنصرون على
أعدائهم بك في الابكار والاصل
يا ربنا المتعال فاحمنا أبدا
من كل ذي إحن للرشد منتحل
ومنك يا بر أرجو البر يغمرني
حتى أجيء غدا في أفضل الثلل
ثواب تب وتقبل واكفنا أبدا
أذى ذوي الشر من حاف ومنتعل
وأنت منتقم رب انتقم لي من
كل العدا وارمهم بالذل والهبل
ويا عفو اعف عن ذنبي فإنك ذو
فضل عظيم على المستعتب الوجل
ويا رؤوفا بكل المؤمنين أقل
عثار عبد ضعيف مسرف خجل
يا مالك الملك هب لي بغيتي كرما
وكف عني أذى ذي البغي والخطل
يا ذا الجلال والاكرام اغفرن زللي
وكن معي أبدا في الحادث الجلل
يا مقسط هب لنا القسطاس يصحبنا
إذا حكمنا بعدل دون ما خلل
يا جامع الناس فاجمع شملنا أبدا
على الهدى باتباع أفضل الرسل
وأغننا يا غني بالغنى كرما
وامنن برزق يرى كالوابل الهطل

وأنت مغني الورى والعبد في ظمأ
فاسقه عللا من بعد ما نهل

يا مانع امنع عبيدا يحتمي بك من
ظلم العداة وأهلكهم على عجل

يا ضار إني مضرور ومفتقر
الى رضاك فجد بالسؤل والامل

وأنت يا نافع انفعني بمعرفة
بها تزينني من وصمة العطل

وأنت نور وقلبي مظلم وهل
فامنن بنوروأمن مذهب وهلي

وأنت هاد فجد لي بالهدى أبدا
حتى أسير بلا خبط ولا وحل

ويا بديع السما والارض خذ بيدي
وسهل السير لي في أقوم السبل

وأنت وحدك باق لاتزول ومن
سواك يلقى الفنى في السهل والجبل

يا وارث الارض والآفاق جد كرما
بحسن خاتمة عند انقضا أجلي

ويا رشيد بنهج الرشد تسلكني
حتى أجيء غدا في أحسن الحلل

ويا صبور فهب لي الصبر أجمله
على النوائب في حلي ومرتحلي

ويا مغيث الورى لا أستغيث سوا
ك إن غوثك لي يغني عن الخول

ويا قريب بنيل القرب منك فجد
إني ببابك ما لي عنه من حول
إني بأسمائك الحسنى دعوتك لا
يخيب فيك الرجا يا واحدا أزلي
ثم الصلاة وتسليم يصاحبها
على الذي جاءنا بأفضل الملل
محمد المصطفى وآل كلهم
ما أطرب العيس حاد سار بالإبل.
(1)

---

(1) قصيدة : أسماء الله الحسنى :للدكتور محمد تقي الدين الهلالي

المبحث الثالث : منهجهم في إثبات الصفات الخبرية الذاتية

قد سبق أن بيّنت في المبحث الثاني من الفصل الأول من هذا الباب الثاني اعتقاد مالكية الأندلس أن أسماء الله تعالى كلها توقيفية، مصدرها الوحي الإلهي بشقيه: القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة على مذهب السلف أهل الحديث. وكذلك الشأن بالنسبة لصفات الله العليا، فإن مالكية الأندلس بالإجماع كما أثبت ذلك أبوعمر الطلمنكي(1) يعتقدون أنها كلها توقيفية لايجوز لمسلم أن يطلق شيئا منها على الله عزوجل في الإثبات أو في النفي إلا بإذن من الشرع وبما شرع الله تعالى في وحيه.

فكان منهج مالكية الأندلس منذ الفتح الى المرحلة الزمنية المدروسة في هذه الأطروحة، وبعدها بقليل، هو منهاج الحق والصواب، وهو خير الهدي، وخير الهدي هو المنهاج المعصوم.

ومن خلال مصادر فهم عقيدتهم المدروسة في هذا المبحث، نجدهم لم يحصروا صفات الله عزوجل في سبع صفات ممططة الى عشرين(2) بل يؤمنون بأن صفات الله لاتعد ولاتحصى، آمنوا

---

(1) نقل أبوعمرالطلمنكي إجماع علماء المالكية في الأصول الكلية للاعتقاد، ونقله عنه شيخ الاسلام ابن تيمية في مواضع كثيرة من مجموع فتاواه: انظر الجزء: 519/5 و577/5 و308/7 و332/7 و196/3.

(2) الصفة مصدر وصفت الشيء أصفه وصفا وصفة، مثل وعدوعدا وعدة، ووزن وزنا وزنة وهم يطلقون اسم المصدرعلى المفعول، كما يسمون المخلوق خلقا، ويقولون: درهم ضرب الامير، فإذا وصف الموصوف بأنه وسع كل شيء رحمة وعلما: سمي المعنى الذي وصف به بهذا الكلام صفة. فيقال للرحمة والعلم والقدرة: صفة بهذا الاعتبار، هذا حقيقة الامر.
(مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية: 340/6).

بما ورد منها في محكم التنزيل، وصحيح السنة النبوية، فأثبتوها على مذهب مالك وهو مذهب السلف أهل الحديث، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تحريف تحت قناع التأويل، لم يبدلوا ولم يغيروا، لم يبعضوا ولم يجزئوا صفات ربنا جل وعلا. لكن الكتب التي ملئت بها مكتباتنا ومعاهدنا ومؤسساتنا التعليمية، قد خالفت كل المخالفة منهج الإمام مالك في العقيدة والزهد أيضا.

قال عبدالواحد بن عاشر في منظومته:

في عقد الأشعري وفقه مالك *** وفي طريقة الجنيد السالك (1)

قال شارح المنظومة: أخبر أن نظمه هذا جمع مهمات العلوم الثلاثة وهي: العقائد والفقه والتصوف، المتعلقة بأقسام الدين الثلاثة وهي: الإيمان، والإسلام، والإحسان (2).

وكأن مالكا رحمه الله تعالى لم يكن له منهج عقيدي قرآني نبوي أصيل مبني على الإسناد الصحيح الذي ميز الله به هذه الأمة عن باقي الأمم، وبه أي بالإسناد حفظ الله العقيدة الإسلامية من كل تغيير وتبديل وتحريف، قال سيد العلماء العاملين في زمانه أبو عبدالله سفيان الثوري: "الإسناد سلاح المؤمن، فمن لم يكن له سلاح فبأي شيء يقاتل؟" (3).

وقد اشتمل الشطر الثاني على بهتان عظيم مثل الشطر الأول، قال الناظم: " وفي طريقة الجنيد السالك " وهو عجز البيت،

---

(1) الحبل المتين عن نظم المرشد المعين لمحمد الفتحي المراكشي: 3 المكتبة الشعبية، بيروت - لبنان.

(2) الحبل المتين: 3 .

(3) سير أعلام النبلاء: 7/273-274 .

وكأن مالكا رحمه الله تعالى لم يكن له منهج سلوكي أخلاقي أصيل مبني على الزهد، خال من الخرافات التصوفية، مطهر من الفكر الأسطوري الدخيل على الثقافة الإسلامية!

ورحم الله شيخ الحرمين أبا الحسن محمد بن عبدالملك الكرجي مؤلف كتاب: "الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزاما لذوي البدع والفضول" والذي أنكر فيه هذا المنحى التلفيقي الذي سلكه أمثال صاحب المنظومة الناقلون من كتب الفلاسفة المتكلمين(1)، وحذر المسلمين من تحكيم ضوابط هذا المنهج الفاسد، ثم مدح منهج كبار أيمة الاسلام بعد عصر التابعين كمالك والثوري، وأحمد بن حنبل والبخاري صاحب الصحيح، وعبدالله بن المبارك، والأوزاعي، والليث بن سعد، وإسحاق ابن راهويه ثم قال: "... إن في النقل عن هؤلاء إلزاما للحجة على كل من ينتحل مذهب إمام يخالفه في العقيدة، فإن أحدهما يضلل صاحبه أو يبدعه، أو يكفره، فانتحال مذهبه - مع مخالفته له في العقيدة - مستنكر والله شرعا وطبعا، فمن قال: أنا شافعي الشرع، أشعري الاعتقاد، قلنا له: هذا من الأضداد، لابل من الارتداد، إذ لم يكن الشافعي أشعري الاعتقاد.

---

(1) سيأتي الاستدلال على ذلك بعد حين، عن طريق عرض نصوص منها من مصادر عقيدة القوم ك: إضاءة الدجنة للمقري، وأم البراهين الكبرى للسنوسي، وحاشية الدسوقي على أم البراهين والجوهرة في التوحيد للقاني، والعقائد النسفية للنسفي وغيرها من كتب عقيدة الفلسفة والكلام التي نسخها الله بمحكم التنزيل ليثبت بعقيدة القرآن عقيدة جميع الانبياء والرسل قبل أن يخلق الله فلاسفة الهند والرومان واليونان.

ومن قال: أنا حنبلي في الفروع ، معتزلي في الأصول ، قلنا له: قد ضللت إذن عن سواء السبيل فيما تزعمه ، إذ لم يكن أحمد معتزلي الدين والإجتهاد ، قال: وقد افتتن أيضا خلق من المالكية بمذاهب الأشعرية (1) ، وهذه والله سبّة وعار ، وفلتة تعود بالوبال والنكال وسوء الدار ، على منتحل مذاهب هؤلاء الأئمة الكبار . انتهى كلام شيخ الحرمين (2).

وهكذا نجد كبار أئمة المالكية قد حفظهم الله تعالى من التكلف في الاعتقاد ، فقد نهجوا الصراط المستقيم في العقيدة قبل الأحكام ، وهذا مذهب مالك وهو مذهب علماء أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر ، أثبتوا لله ما أثبت لنفسه من الأسماء والصفات ، وأقروا بذلك بألسنتهم وصدقوا بذلك بقلوبهم من غير أن يشبهوا خالقهم بأحد من مخلوقاته .

والسبب الذي من أجله قسمت هذا المبحث : مبحث الصفات الإلهية إلى قسمين ، هو توضيح وتبيين قواعد المنهج العقيدي في الإثبات والتنزيه واليأس التام وقطع الطمع من إدراك حقيقة وكنه الصفات الإلهية أي نهاية العلم بصفات الله جل وعلا ، هذا من جهة ، ومن ناحية أخرى ليعلم القارىء من طلابنا أن منهج مالكية الأندلس وهو منهاج السلف الصالح ، مخالف تمام المخالفة لمنهاج الفلسفة والكلام، المبني على التجزئة والتبعيض ، معناه أن أنصار المذهب الكلامي يؤمنون بعشرين صفة ، وفي الحقيقة إنما هي سبعة ، بل ستة، ولكن المتفلسفين من الأشعرية الكلابية، والحنفية الماتوريدية، ومن كان على

---

(1) ومن بينهم طحب المنظومة التي اخترت منها ما تقام به الحجة على الناظم .

(2) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام: 4/175-176-177.

شاكلتهم مططوها حتى يموهوا على القارىء لكتبهم الكلامية.
وهي: الأولى نفسية: أراد بها الأشعرية الكلابية الوجود حتى يفروا من إثبات ما أثبته الله تعالى في محكم تنزيله، وهو أعلم بنفسه من جميع خلقه، فلا أحد يمكنه أن ينزه الباري جل وعلا مثل نفسه.

قال جل وعلا: (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك)(1).

وقال سبحانه: (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة)(2).

وقال جل ثناؤه: (ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي)(3)

وقال تبارك اسمه: (ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد)(4)

فأثبت النفس لذاته المقدسة رغم أنف المعطلة.

وخمس سلبية وهي القِدم (بكسر القاف) والبقاء، ومخالفته تعالى للحوادث، والقيام بالنفس والوحدانية، والأشعرية الكلابية والحنفية الماتوريدية يسمونها سلبية، لأنها تدل على سلب ما لا يليق بالله تعالى.

وسبع معاني: وهي القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر والكلام.

وسبع معنوية: وهي فرع عن صفات المعاني المذكورة وهي قولهم:

---

(1) سورة المائدة: 116.
(2) سورة الأنعام: 54.
(3) سورة طه: 40-41.
(4) سورة آل عمران: 30.

كونه تعالى قادرا ، ومريدا ، وعالما ، وحيا ، وسميعا ، وبصيرا ، ومتكلما (1).

إن هذا المنهج في تقسيم الصفات فاسد ، وفساده يتجلى بوضوح تام في كونه بعيدا عن ذكر الله ، فقد حدد صفات الله العليا وحصرها في عشرين صفة، بدون إذن شرعي من الله تعالى ، قال تعالى: (أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا)(2) وقال جل وعلا : (والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشإ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم)(3).

والمراد بالصفات الخبرية الذاتية التي نحن بصدد عرض طريقة فهمها في ضوء الكتاب والسنة النبوية من خلال مصادر مالكية الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، أنها كل صفة غير متعلقة بالمشيئة الإلهية ، بمعنى أن الله تعالى لايتصف بضدها ، فهي لاتنفك عن الذات المقدسة كالعلم ، والقدرة والإرادة والسمع ، والبصر والكلام والحكمة ، والرحمة، والعزة ، والعلو وهكذا . فلايجوز لمسلم أن يقول إن الله عليم متى شاء !

---

(1) انظر الغنية في أصول الدين لأبي سعيد عبدالرحمن النيسابوري من الصفحة 86 إلى الصفحة :116.

(2) وأصول الدين للبغدادي: من الصفحة 102 الى 114.
وكتاب الإرشاد للجويني من ص :77 إلى ص :134.
وكتاب الإعتقاد للامام البيهقي من ص :13 إلى ص :45 .
وكتاب الجوهرة للقاني مع شرح البيجوري:54, 58, 63،
وغيرها من كتب الأشعرية الكلابية .

(2) الأنعام : 114 .

(3) الأنعام : 39 .

فهذه الصفة ومثيلاتها من الصفات الذاتية هي ملازمة لذات الله عزوجل.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ولفظ "ذات" تأنيث ذو، وذلك لايستعمل إلا فيما كان مضافا الى غيره، فهم يقولون: فلان ذو علم وقدرة، ونفس ذات علم وقدرة، وحيث جاء في القرآن أو لغة العرب لفظ "ذو" ولفظ "ذات" لم يجيء إلا مقرونا بالاضافة كقوله تعالى: (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم)(1) وقوله: (عليم بذات الصدور)(2). وقول خبيب رضي الله عنه: وذلك في ذات الله (3) ونحو ذلك..."(4).

فإثبات الذات هو إثبات وجود لا إثبات كيفية كما ثبت عن الامام ابن تيمية (5). أما كون صفات الله الذاتية خبرية، فإن معناه أن منهج إثباتها هو الوحي الالهي بشقيه، وهو الخبر الصادق الذي جاء به القرآن وصحت به السنة النبوية على طريقة السلف. القرون المشهود لها بالخيرية على لسان الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، وهي كثيرة لايعدها ولايحصيها إلا من

---

(1) سورة الانفال: ٨ .

(2) (إن الله عليم بذات الصدور) لقمان: 23.

(3) هذا صدر بيت من أبيات قالها خبيب رضي الله عنه وهو الصحابي الجليل خبيب بن عدي بن عامر بن مجدعة بن جحجبا الانصاري الشهيد. فهو القائل:

فلست أبالي حين أقتل مسلما ** على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الاله وإن يشأ ** يبارك على أوصال شلو ممزع

سير أعلام النبلاء: 246/1، وحاشية الارنؤط: 247/1.

(4) مجموع فتاوى شيخ الاسلام: 98/6-99.

(5) مجموع الفتاوى: 6/4.

لايضل ولاينسى وهو مولانا تبارك اسمه . وقد ذكرت في الصفحة الماضية بعضا منها كـ: النفس ، والعلم ، والقدرة ، والارادة ، والكلام ، والسمع ، والبصر ، والحكمة ، والرحمة ، والعزة ، والعلو . وأذكر هنا : الوجه ، والعين ، واليد ، والرجل ، والساق ، والاصبع (1).

فكبار علماء المالكية وفي طليعتهم مالكية الاندلس خلال الحقبة الزمنية المدروسة في هذه الاطروحة، لم تكن لهم لاثلاثية ولا ازدواجية في المنهج ، بل كانوا على منهج مالك في أصول العلم وفي أصول الدين ، ومنهج مالك هو القرآن الكريم، ومنهج مالك هو السنة النبوية الصحيحة، ومنهج مالك هومذهب السلف ومذهب الصحابة والتابعين وتابع التابعين ، كما سيتضح لقارىء هذا الكتاب .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية مبينا هذه الحقيقة بعد أن ذكر إجابة مالك عن سؤال السائل(2) :" ومن أوّل الاستواء بالاستيلاء فقد أجاب بغير ما أجاب به مالك ، وسلك غير سبيله ، وهذا الجواب من مالك رحمه الله في الاستواء شاف كاف في جميع الصفات ، مثل النزول والمجيء ، واليد والوجه وغيرها . فيقال

---

(1) شرح الامام ابن خزيمة في كتابه :" التوحيد وإثبات صفات الرب جل وعلا " منهج السلف في إثبات الصفات الجزئية الذاتية والفعلية .وقد بينت رده على المخالفين من المشبهة عباد الصنم، ومن المعطلة عباد العدم، وكان هذا موضوع أطروحتي الاولى التي قدمتها لنيل دبلوم الدراسات العليا في أصول الدين فيط معةا لحسن الثاني عين الشق 1.

(2) "لما سئل مالك بن أنس رحمه الله تعالى فقيل له :يا أبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى؟ فأطرق مالك وعلاه الرحضاء - يعني العرق - وانتظر القوم ما يجيء منه، فرفع رأسه اليه السائل وقال: الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة، وأحسبك رجل سوء ، وأمر به فأخرج ".(مجموع فتاوى شيخ الاسلام :4/4).

في مثل النزول: النزول معلوم، والكيف مجهول، والايمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وهكذا يقال في سائر الصفات، إذ هي بمثابة الاستواء الوارد به الكتاب والسنة"(1).

ومنهج السلف الذي كان عليه مالك رحمه الله هو إثبات الصفات، وإجراؤها على ظاهرها، ونفي الكيفية عنها، لان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، وإثبات الذات إثبات وجود، لاإثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات، وعلى هذا مضى السلف كلهم، كما بيّن ذلك شيخ الاسلام(2).

ولم يكن مذهب مالك في الصفات هو التفويض كما يزعم بعض من لاعلم له، وذلك عندما يفهم مما روي عن الوليد بن مسلم(3) أنه قال: سألت مالك بن أنس وسفيان الثوري، والليث بن سعد، والاوزاعي، عن الاخبار التي جاءت في الصفات فقالوا: أمروها كما جاءت أمروها كما جاءت بلاكيف(4)، فلم يكن مالك ولاأئمة السلف من المفوضة، بل كان مثبتا للصفات مفوضا نهايتها لعلمها أي كنهها لله وحده.

والمراد بالتفويض في لغة العرب ما نقله ابن فارس في معجمه: "فوض" الفاء والواو والضاد أصل صحيح يدل على اتكال في الامر على آخر ورده عليه، ثم يفرّع فيرد إليه ما يشبهه. من ذلك فوض

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الاسلام: 4/4.

(2) المصدر نفسه: 6/4.

(3) الوليد بن مسلم هو الامام عالم أهل الشام، أبو العباس الدمشقي الحافظ مولى بني أمية، قال الذهبي: وكان من أوعية العلم، ثقة حافظا. توفي سنة خمس وتسعين ومائة (سير أعلام النبلاء: 9/211-212-220).

(4) مجموع الفتاوى: 39/5 وانظر عقيدة السلف للطابوني: 38.

إليه أمره، إذا رده ، قال الله تعالى في قصة من قال: (وأفوض أمري إلى الله)(1) ومن ذلك قولهم: باتوا فوضى ، أي مختلطين ، ومعناه أن كلا فوض أمره إلى الآخر(2).

وهكذا نجد مالكية الاندلس قد سلكوا مسلكا مغايرا لمسلك ناظم البويت الشعري ، لكونهم قد علموا علم اليقين أن الحق في هذه المسألة - كغيرها من مسائل العقيدة الاسلامية - هو ما كان عليه مالك بن أنس ، فرأوا أن من الواجب عليهم بصفتهم دعاة إلى الحق والصواب أن يبينوا نفي ما يظنه الجاهل أنه من الدين وليس هو من الدين في شيء ، وبمنهجهم هذا الذي هو منهج الائمة المهتدين بخير الهدي ، طاغ شيخ الاسلام ابن تيمية قاعدته الجليلة داعيا إلى تحكيم ضوابطها بقوله: "ويجب على أهل العلم أن يبينوا نفي ما يظنه الجاهل من النقص في صفات الله تعالى ، وأن يبينوا صون كلام الله ورسوله عن الدلالة على شيء من ذلك ، وأن القرآن بيان وهدى وشفاء ، وإن ضل به من ضل فإنه من جهة تفريطه ، كما قال تعالى: (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلا خسارا)(3) وقوله: (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى)(4)"(5).

---

(1) سورة غافر: 44 .
(2) معجم مقاييس اللغة: 460/4 .
(3) سورة الاسراء : 82 .
(4) سورة فصلت : 44 .
(5) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية: 400/6 .

وفي طليعة هؤلاء الائمة الامام ابن أبي زمنين صاحب المصدر القيم لعقيدة القرآن والسنة النبوية، وهو كتاب قد زهد فيه جل الدارسين والمشتغلين بعلم العقيدة الاسلامية، مع شدة حاجتهم اليه لتصحيح معتقدهم في ضوء الوحي الالهي الذي يعتبر المصدر الوحيد لهذا السفر العظيم .

قعّد الامام قانون كتابته في علم العقيدة في مقدمة كتابه، وشرح الاسس التي ينبغي أن تفهم عقيدة مالك بن أنس في ضوئها، وهي عقيدة السلف أصحاب الحديث . فجاء منهجه واضحا جليا خلوا من كل تلفيق أو تعقيد، تحت ستار العقلانية والكلام، فأثبت في كتابه ما أثبت الله لنفسه من الاسماء الحسنى، والصفات العليا، وما أثبته له نبيه ومصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم من الاسماء والصفات، غير مفرق بين إثبات الاسم أو الصفة، ولا فرق بين الصفات الذاتية والصفات الفعلية في الاثبات .

قال رحمه الله تعالى بالاسناد المتصل:

" عن عبد الرحمن بن القاسم (1) بن القاسم أنه قال: لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن، ولا يشبه يديه بشيء ولا وجهه بشيء، ولكن يقول: له يدان كما وصف نفسه في القرآن، وله وجه كما وصف نفسه يقف عندما وصف به نفسه

---

(1) عبد الرحمن بن القاسم عالم الديار المصرية ومفتيها، أبو عبد الله العتقي مولاهم المصري صاحب الامام مالك، وعن مالك أنه ذكر عنده ابن القاسم فقال: عافاه الله، مثله كمثل جراب مملوء مسكا .
توفي رحمه الله في صفر سنة إحدى وتسعين ومائة .
(سير أعلام النبلاء: 9/120-121-125).

في الكتاب ، فإنه تبارك وتعالى لامثل له ولاشبيه، ولكنه هو الله الذي لاإله إلا هو كما وصف نفسه، ويداه مبسوطتان كما وصفهما ، والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه كما وصف نفسه "(1).

من خلال النص ،تتجلى وسطية المنهج المالكي في العقيدة، عقيدة وسط بين المعطّلة النفاة للصفات الالهية، الذين بدلوا وغيروا ما قيل لهم في محكم التنزيل ، وبين المشبهة الغلاة عباد الصنم الذين أعرضوا عن ذكر الرحمن فوقعوا في الخسران.

والنص يبين أسسًا أحسن عرضها الامام ابن أبي زمنين ، قد تم الاجماع عليها كما نقل ذلك أبوعمر الطلمنكي فيما تقدم من النصوص ، هذه الاسس تتجلى في:

1 - إثبات المالكية للصفات الالهية على منهج السلف أهل الحديث .

2 - تنزيههم الله تعالى عن مشابهة مخلوقاته .

3 - تصريحهم باليأس وقطع الطمع من إدراك كنه هذه الصفات، أي حقيقة نهايةالعلم بها الذي استأثر الله تعالى به وحده .

هذا وينبغي إدراك حقيقة أساسية في هذا المبحث ألا وهي كون الاسس الثلاثة المذكورة تخص أسماء الله الحسنى وصفاته العليا ، لافرق في تحكيمها بين الصفات الخبرية الذاتية والصفات الخبرية الفعلية .

ومن كبار علماء المالكية الذين بلوروا هذه الاسس وأغنوا

---

(1) أصول السنة :لوحة :5-6.

خزانة الاسلام بالتصنيف العقيدي(1) محكمّين ضوابط هذه القواعد العقيدية في إثبات الصفات الالهية، حبر الامة في القرن الخامس الهجري بالغرب الاسلامي، شاطره في الريادة الفكرية الدولية وقتئذ حبر الامة بالمشرق الاسلامي الحافظ الحجة الامام الخطيب البغدادي(2).

قال الامام أبوعمر:

"ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصا في كتاب الله أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أجمعت عليه الامة...(3)

وقال في الصفات الالهية: "رواها السلف وسكتوا عنها، وهم كانوا أعمق الناس علما وأوسعهم فهما وأقلهم تكلفا، ولم يكن سكوتهم عن عي(4)، فمن لم يسعه ما وسعهم فقد خاب وخسر.(5)

وقال أيضا:

" قال أبوعمر: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة (6) والايمان بها وحملها على الحقيقة

---

(1) قال في مصنفا ته شيخ الاسلام بن تيمية في التمهيد شرح الموطأ: "وهو أشرف كتاب صنف في فنه" (مجموع الفتاوى: 220/3).

(2) هو الامام الاوحد العلامة المفتي الحافظ الناقد محدث الوقت أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، صاحب التصانيف، وخاتمة الحفاظ. ولد سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة. وتوفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة. (سير أعلام النبلاء: 270/18، 286).

(3) جامع بيان العلم وفضله: 117/2.

(4) عدم الاهتداء لوجه المراد أو العجز عنه: انظر القاموس المحيط باب الواو والياء فصل العين والغين: 370/4.

(5) جامع بيان العلم وفضله: 118/2.

(6) الصفات الخبرية الذاتية والصفات الخبرية الفعلية على حد سواء.

لا على المجاز ، إلا أنهم لايكيفون شيئا من ذلك ولايجدون فيه صفة محصورة ، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ، ولايحمل شيئا منها على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقر بها مشبه ، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود . والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمدلله "(1).

وقال أيضا بصدد الحديث عن الصفات الذاتية في التمهيد :
"قال أبوعمر: الذي عليه أهل السنة وأئمة الفقه والاثر في هذه المسألة وما أشبهها الايمان بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها ، والتصديق بذلك ، وترك التحديد والكيفية في شيء منه "(2) .

فمن خلال هذه النصوص يظهر جليا أن منهج إثبات الصفات الالهية عند مالكية الاندلس مؤسس على ركائز وقواعد ثلاث ، هي التي تقدم تفصيلها في هذا المبحث لافرق في إثباتها بين كونها ذاتية أو فعلية .

وجمّاع القول في الصفات الالهية ما قرره شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله في مجموع فتاواه :
"وجماع القول في إثبات الصفات هو القول بما كان عليه سلف الامة وأئمتها (3) وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله، ويطان ذلك عن التحريف والتمثيل والتكييف والتعطيل.

---

(1) التمهيد :145/7 .
(2) المصدر السابق:148/7 .
(3) قد بينت ذلك في فصول الباب الاول من هذه الاطروحة ولله الحمد والمنة .

فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، فمن نفى صفاته كان معطلا ، ومن مثل صفاته بصفات مخلوقاته كان ممثلا ، والواجب إثبات الصفات ،ونفي مماثلتها لصفات المخلوقات ،إثباتا بلاتشبيه وتنزيها بلا تعطيل ،كما قال تعالى :(ليس كمثله شيء)(1) فهذا رد على الممثلة، (وهو السميع البصير)(2) رد على المعطلة ، فالممثل يعبد صنما والمعطل يعبد عدما "(3) .

---

(1) سورة الشورى: 11 .

(2) سورة الشورى: 11 .

(3) مجموع الفتاوى: 515/6 .

المبحث الرابع : منهجهم في إثبات الصفات الخبرية الفعلية

إن المراد بالصفات الخبرية الفعلية كل صفة تتعلق بالمشيئة الالهية، أي كل صفة يتصف الرب جل وعلا بضدها، كالفرح والضحك والسخط والكراهية والإتيان والمجيء والهرولة والمعية، والخلق والرزق، والاحياء والاماتة والنزول الى السماء الدنيا في الثلث الاخير من الليل، وعشية عرفة.
ومعنى كون هذه الصفات تتعلق بالمشيئة الالهية : أنه يجوز للمؤمن أن يقول : إن الله يحيي متى شاء، ويميت متى شاء، ويفرح متى شاء، ويسخط متى شاء.

وهذه الصفات الفعلية زلّت فيها أقدام الكثيرين، وسيأتي الحديث عنهم في الفصل المعد لذلك في موضعه بإذن الله تعالى.

وقد عرفها شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بقوله : " فصل في الصفات الاختيارية : وهي الامور التي يتصف بها الرب عزوجل فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته مثل كلامه، وسمعه، وبصره، وإرادته، ومحبته، ورضاه، ورحمته، وغضبه، وسخطه، ومثل خلقه، وإحسانه، وعدله، ومثل استوائه، ومجيئه، وإتيانه، ونزوله، ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة "(1).

---

(1) مجموع الفتاوى : 217/6 .

كان لابد من إفراد مسألة الصفات الاختيارية وطريقة مالكية الاندلس في الايمان بها ، ومنهجهم في إثباتها ، بدراسة مستقلة في مبحث خاص، نظرا لاضطراب كثير من الدارسين المحدثين اضطرابا بينا ، سببه جهلهم بالمنهاج السديد القويم ، وعدم اهتدائهم الى مصادر المعرفة والعلم الصحيح ، بالاضافة الى افترائهم على الائمة المقتدى بهم كالاربعة المجتهدين وأبي الحسن الاشعري المفترى عليه .

فبالنسبة للائمة الاربعة رحمة الله عليهم وعلى جميع المسلمين الذين شهدوا لله جل وعلا بالوحدانية ، ولنبيه المصطفى بالرسالة ، فإنهم قد صح عنهم الاجماع في الايمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا على منهاج النبوة ، وكذلك في كل الفظ بالكلية للاعتقاد ، فلم يكونوا ليسكتوا عن المبتدعة المفترين الكذب على الله ، فكانوا لهم بالمرصاد يحذرون الناس من نقل أقوالهم أو الافتتان بشبههم ، من ذلك على سبيل المثال موقف الامام الشافعي رحمه الله تعالى ممن يقول: هل الاسم هو عين المسمى أم غيره، وهذا ما ذكره الامام ابن تيمية رحمه الله :"... يروى عن الامام الشافعي والاصمعي وغيرهما أنه قال: إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمى فاشهد عليه بالزندقة "(1) وإنما أنكر الشافعي عليهم هذا الكلام لانه لم يعرف عن أحد من السلف الصالح أنه قاله ،كما بين ذلك شيخ الاسلام في الاحالة أسفله ، وقد شرح هذه المسألة ومثيلاتها أتباع الائمة المجتهدين في أهم مصادر فهم عقيدة

---

(1) مجموع الفتاوى : 187/6 .

الاسلام السديدة القوية التي أمر بها القرآن عبر العصور والاجيال منذ نبوة آدم الى أن ختم رب العزة والجلال النبوة بسيد الاولين والاخرين وسيد الانبياء والمرسلين محمد عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وفي مقدمتهم العلامة الحنفي الاثري علي بن أحمد بن أبي العز الحنفي تلميذ الحافظ ابن كثير الدمشقي رحمه الله تعالى ، فقال: "... وكذلك مسألة الصفة : هل هي زائدة على الذات أم لا ؟ لفظها مجمل ، وكذلك لفظ الغير ، فيه إجمال ، فقد يراد به ما ليس هو إياه ، وقد يراد به ما جاز مفارقته له .

ولهذا كان أئمة السنة رحمهم الله تعالى لايطلقون على صفات الله وكلامه أنه غيره ، ولا أنه ليس غيره ، لان إطلاق الاثبات قد يشعر أن ذلك مباين له ، وإطلاق النفي قد يشعر بأنه هو هو ، إذا كان لفظ الغير فيه إجمال ، فلا يطلق إلا مع البيان والتفصيل : فإن أريد به أن هناك ذاتا مجردة قائمة بنفسها منفصلة عن الصفات الزائدة عليها ، فهذا غير صحيح . وإن أريد به أن الصفات زائدة على الذات التي يفهم من معناها غير ما يفهم من معنى الصفة فهذا حق ، ولكن ليس في الخارج ذات مجردة عن الصفات ، بل الذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لاتنفصل عنها ، وإنما يفرض الذهن ذاتا وصفة ، كلا وحده ، ولكن ليس في الخارج ذات غير موصوفة فإن هذا محال ولو لم يكن إلا صفة الوجود ، فإنها لاتنفك عن الموجود ، وإن كان الذهن يفرض ذاتا ووجودا ، يتصور هذا وحده ، وهذا وحده ، لكن لاينفك أحدهما عن الاخر في الخارج .

وقد يقول بعضهم: الصفة لاعين الموصوف ولاغيره ، هذا له معنى صحيح ، وهو : أن الصفة ليست عين ذات الموصوف التي يفرضها الذهن مجردة بل هي غيرها ، وليست غير الموصوف، بل الموصوف بصفاته شيء واحد غير متعدد . فإذا قلت : أعوذ بالله فقد عذت بالذات المقدسة الموصوفة بصفات الكمال المقدسة الثابتة التي لاتقبل الانفصال .

وإذا قلت أعوذ بعزة الله ، فقد عذت بصفة من صفات الله تعالى ، ولم أعذ بغير الله ، وهذا المعنى يفهم من لفظ الذات ، فإن "ذات" في أصل معناها لاتستعمل إلا مضافة، أي: ذات وجود ، "ذات قدرة" ، "ذات عز" ، "ذات علم" ، "ذات كرم" ، إلى غير ذلك من الصفات ، "فذات كذا" بمعنى صاحبة كذا : تأنيث ذو. هذا أصل معنى الكلمة . فعلم أن الذات لايتصور انفصال الصفات عنها بوجه من الوجوه ، وإن كان الذهن قد يفرض ذاتا مجردة عن الصفات ، كما يفرض المحال ، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر" ( ) وقال صلى الله عليه وسلم: "أعوذ بكلمة الله التامات من شر ما خلق "(1) ولايعوذ صلى الله عليه وسلم بغير الله .وكذا قال صلى الله عليه وسلم: " اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك "(2) وقال صلى الله عليه وسلم: "ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا " . ، وقال صلى الله عليه وسلم:

---

(1) صحيح مسلم، باب الدعوات والتعوذ: 17/31-32 .

(2) الموطأ : ما جاء في الدعاء: 1/216.

"أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات" . انتهى كلام أبي العز رحمه الله (1).

كان لابد من نقل هذا النص كاملا تاما غير مبتور، وذلك نظرا لأهميته، ولاحتياج القارىء إليه في هذه المسألة لدحر كل شبهة واهية يتعلق بها بعض الدارسين لكتب الفلسفة الكلامية .

أما بالنسبة للامام أبي الحسن الاشعري المفترى عليه فقد مر معنا في هذه الاطروحة أنه كان يناصر مذهب الاعتزال أربعين سنة (2) ثم رجع عنه مخالفا أصوله الفاسدة وذلك بعد الدراسة المتواصلة والبحث العلمي الهادف الى إحقاق الحق وإبطال الباطل، فأخذ بقواعد مذهب عبدالله بن سعيد بن كلاب الذي يؤمن بسبع صفات، مططها الامام أبو الحسن حتى أوصلها الى عشرين صفة، لكن الله تعالى شرح صدره لنور الايمان فرجع عن المذهب الكلابي، وبعد أن تبين له فساده، من خلال قراءته لكتاب السنة لجبل السنة الامام أبي عبدالله أحمد بن حنبل الاستاذ الكامل المبجل كما وصفه بذلك أبو الحسن الاشعري(3) ثم كتب كتبا جيدة شرح فيها منهاجه القرآني الحديثي في العقيدة. وكلها عندي ولله الحمد محققة تحقيقا علميا، وقد مضى الكلام عليها في هذه الاطروحة فيلراجع في موضعه.

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية: 129-130-131 .
(2) كما ذكره المحققون من أئمة العقيدة
(3) انظر الابانة عن أصول الديانة: 52 طبعة الجامعة الاسلامية بتقديم سماحة الشيخ حماد بن محمد الانصاري .

وعلى هذا المنهاج السديد سار مالكية الاندلس في تقرير عقيدتهم ، فكانت سديدة لانها قرآنية المصدر ، وكانت قوية لانها حديثية القواعد والاصول .

وهذا مصدر فهم عقيدة مالك بن أنس بين أيدينا يوضح لنا منهاجه في إثبات الصفات الاختيارية لله جل وعلا ، على طريقة النبي صلى الله عليه وسلم كالرحمة والغضب والسخط والرضا والمحبة والكراهية.

فدليل صفة الرحمة ما ورد في الحديث القدسي:

"... قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأوا ، يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله تبارك وتعالى حمدني عبدي ويقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله أثنى علي عبدي... الحديث "(1) .

ودليل صفة الغضب وإثباتها لله عزوجل قوله تعالى في الحديث نفسه :

"... يقول العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل"(2) .

وروايته أيضا عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم لاتجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"(3).

---

(1) الموطأ: ما جاء في أم القرآن:106/1 .
(2) المصدر السابق :107/1.
(3) التمهيد لابن عبدالبر:41/5 .

ودليل إثبات صفتي السخط والرضا لله جل وعلا:

قال مالك في باب ما جاء في الدعاء، بإسناده المتصل عن عائشة أم المؤمنين قالت: "كنت نائمة الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففقدته من الليل فلمسته بيدي فوضعت يدي على قدميه وهو ساجد يقول: أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك لاأحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك" (1).

ودليل مالك على إثبات صفتي المحبة والكراهية لله جل وعلا، الحديث القدسي:

"قال الله تبارك وتعالى: إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه" (2).

ودليل مالك رحمه الله على إثبات صفة النزول لله جل وعلا على منهاجه وهو الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى بدون تكييف مع قطع الطمع من إدراك حقيقة الصفة ونهاية العلم بها.

روى مالك بإسناده المتصل عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر فيقول من يدعوني فأستجيب له. من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له" (3).

---

(1) الموطأ: ما جاء في الدعاء: 216/1.
(2) المصدر السابق: جامع الجنائز: 238/1.
(3) المصدر السابق: ما جاء في الدعاء: 216/1، وانظر كتاب التوحيد لابن خزيمة: 128-129، وكتاب النزول للدارقطني: من 108 إلى 114، كلاهما يروي أحاديث النزول عن مالك.

وقد قرر شيخ الاسلام ابن تيمية أن هناك اتفاقا بين مالك وأئمة أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات الالهية على منهاج السلف أصحاب الحديث، فنقل قول السجزي في الابانة: "وأئمتنا كالثوري ومالك، وابن عيينة، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وابن المبارك، والفضيل، وأحمد واسحاق: متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش، وأن علمه بكل مكان، وأنه يرى يوم القيامة بالابصار فوق العرش، وأنه ينزل الى سماء الدنيا، وأنه يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء، فمن خالف شيئا من ذلك فهو منهم بريء، وهم منه برآء"(1).

وقد بين كبار أئمة المالكية هذا المنهاج من خلال مصادر فهم عقيدتهم عبر القرنين الرابع والخامس الهجريين، منهم الامام ابن أبي زمنين القائل معقبا على أحاديث الصفات: "فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها نبيه صلى الله عليه وسلم وليس في شيء منها تحديد ولاتشبيه..."(2). فرسم ابن أبي زمنين منهاجه العقيدي المرتكز على مصدر واحد ألا وهو الوحي الالهي بشقيه: القرآن والسنة الصحيحة.

ومن كبار أئمة المالكية الذين أوضح الله بهم المنهاج العقيدي القرآني النبوي: أبوعمر الطلمنكي، الذي كان يثبت لله جل وعلا الصفات الاختيارية على منهاج النبوة كما مر معنا في الصفات الذاتية.

---

(1) مجموع الفتاوى: 222/3.
(2) أصول السنة: لوحة 5.

نقل شيخ الإسلام ابن تيمية من كتاب "الوصول الى معرفة الاصول" للطلمنكي قوله:

"وأجمعوا على أن الله ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا على ما أتت به الآثار كيف شاء، لايحدون في ذلك شيئا "(1).

ومنهم أيضا محدث الديار الاسلامية في القرن الخامس ابن عبدالبر القرطبي رحمه الله، الذي كان على منهاج الصحابة والتابعين في الايمان بالصفات الفعلية، يثبتها لله تعالى على الوجه الذي يليق بجلال الله، كما أثبت الصفات الذاتية وأسماء الله الحسنى. ومنهاجه مقعد مسطور بأنامل يده وطننا محفوظا على طريقة المحدثين. قال رحمه الله:

"وأما الفقه فأجمعوا على الجدال فيه والتناظر لانه علم يحتاج فيه الى رد الفروع على الاصول للحاجة الى ذلك، وليس الاعتقادات كذلك، لان الله عزوجل لايوصف عند الجماعة أهل السنة إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أجمعت الامة عليه، وليس كمثله شيء فيدرك بقياس أو إنعام نظر، وقد نهينا عن التفكر في الله وأمرنا بالتفكر في خلقه الدال عليه"(2).

ومن قواعده الدالة على عظيم فقهه في العقيدة قوله:" قال أبوعمر: رواها السلف وسكتوا عنها (3)، وهم كانوا أعمق الناس علما وأوسعهم فهما وأقلهم تكلفا، ولم يكن سكوتهم عن عي، فمن لم يسعه ما وسعهم فقد خاب وخسر"(4).

---

(1) مجموع الفتاوى: 578/5.
(2) جامع بيان العلم وفضله: 113/2.
(3) يقصد آيات وأحاديث الصفات الفعلية والذاتية.
(4) جامع بيان العلم وفضله: 118/2.

هذه نبذة من القانون الاساسي الذي هو بمثابة أصول العلم التي يلزم أن يتزود بها طالب العلم الشرعي حتى يكون على بصيرة من أمره ، خصوصا في مجال العقيدة الاسلامية ، وأجلّه معرفة الخالق جل وعلا بأسمائه وصفاته ، فالامام ابن عبدالبر الاندلسي كغيره من العلماء المالكية في الاندلس عبر القرنيين الرابع والخامس الهجريين قد آمنوا بالصفات الفعلية والذاتية كما جاءت عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، ففوضوا علم حقائقها الى الله تعالى ، فكلما يخطر من الخواطر والوساوس في قلوب البشر من إدراك كنه الصفات الالهية ، أي نهاية العلم بها ، فهو شر وقبح ، ذلك لان نصوص الوحي الالهي الواردة في إثبات صفات الله عزوجل لاتوهم نقصا في حق الله تعالى كما يزعم المتكلمون(1) فلوكان الامر كما يزعم المخالفون لمنهاج النبوة، لما أنزل الله تعالى آيات الصفات الالهية على رسوله محددا منهاج الاثبات والتنزيه، ومرهبا من طريقتي التحريف والتعطيل والتشبيه والتمثيل ، فلاأحد أعلم من الله بنفسه المقدسة ، ولاأحد من خلق الله أعلم بالله من رسله وأنبيائه ، وأعلم الناس بالله جل وعلا بعد الرسل هم أتباع الرسل ،ومنهم الصحابة المرضيون ، فمنهاجهم هو الاقوم والاعلم والاحكم والاسلم وقولهم هو الاسدّ ، وعلى ذلك كان مالك ابن أنس كما تقدم الحديث في بداية هذه الاطروحة عن طريقته

---

(1) لست الآن بصدد الحكم عن صواب المتكلمين الفلاسفة أو خطئهم، ولكنني أشير الى ذلك إشارة، وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه في الفصلين الاخيرين من هذه الاطروحة بحول الله تعالى لابانة المصادر الاسلامية التي تولت إصدار الحكم عليهم .

في تقرير العقيدة الاسلامية، وعلى مذهبه سار كبار أئمة الاندلس الذين لم يبدلوا ولم يغيروا كما فعل صاحب البويتة الذي تقدمت دراسته، وتتجلى شدة تحكيم ابن عبد البر ضوابط مناهج السلف أصحاب الحديث في تصريحه الاتي المختار كنص للاستدلال هنا على طريقته في إثبات الصفات الاختيارية، وذلك بعدأن ساق في تمهيده سلسلة من أحاديث النزول، فرد على القائلين بأن الله ينزل بذاته (1) مضيفين لفظ ذاته، فقال رحمه الله:

" قال أبوعمر: ليس هذا بشيء عند أهل الفهم من أهل السنة، لان هذا كيفية وهم(2) يفزعون منها، لانها لاتصلح إلا فيما يحاط به عيانا، وقد جل الله وتعالى عن ذلك، وما غاب عن العيون، فلايصفه ذوو العقول إلا بخبر، ولا خبر في صفات الله إلا ما وصف نفسه به في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، فلانتعدى ذلك الى تشبيه أو قياس أو تمثيل أو تنظير، فإنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"(3).

فانظر الى هذه النعمة العظيمة التي من الله بها على هذا الامام الجليل وهي نعمة الاعتصام بالكتاب والسنة التي لاينالها إلا من هدي الى صراط مستقيم.

ومصنفاته تزخر بالقواعد والاصول المنهجية الدالة على ذلك، من ذلك قوله رحمه الله تعالى:

"قال أبوعمر: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة

---

(1) قاله ابن حماد في رده على الجهمية فقال: ينزل بذاته وهوعلى كرسيه: (التمهيد: 7/144).

(2) أي السلف أصحاب الحديث.

(3) التمهيد: 7/144-145.

كلها في القرآن والسنة، والايمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لايكيفون شيئا من ذلك، ولايحدون فيه صفة محصورة"(1).

وقال أيضا:

"قال أبوعمر: الذي عليه أهل السنة وأئمة الفقه والاثر في هذه المسألة وما أشبهها: الايمان بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها، والتصديق بذلك، وترك التحديد والكيفية في شيء منه"(2).

وقوله رحمه الله "في هذه المسألة وما أشبهها" إشارة واضحة الى الصفات الذاتية والفعلية، وكذا كل مباحث العقيدة، الى أن ساق أحاديث شريفة توضح منهاجه المختار، وذلك بإسناده المعروف عن أحمد بن نصر أنه سأل سفيان بن عيينة قال: حديث عبدالله "إن الله عزوجل يجعل السماء على إصبع" وحديث: "إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن" "وإن الله يعجب أو يضحك ممن يذكره في الاسواق" وأنه عزوجل ينزل الى السماء الدنيا كل ليلة، ونحو هذه الاحاديث؟ فقال: هذه الاحاديث نرويها ونقر بها كما جاءت بلاكيف"(3).

وأهم مصادر العقيدة في القرن الرابع الهجري المصنفة على منهاج القرآن والسنة النبوية المنتمي أصحابها الى المذاهب الاربعة أثبتت الصفات الاختيارية على الاسس والقواعد التي ذكرها وقررها ابن عبد البر. منها كتاب العقيدة

(1) التمهيد: 145/7.
(2) المصدر السابق: 148/7.
(3) المصدر السابق: 148/7-149.

الطحاوية للامام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي المحدث الفقيه الحافظ الحنفي الذي يثبت لله الصفات الاختيارية على منهاج السلف أصحاب الحديث ، قال رحمه الله :

" والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى"(1).

قال الشارح :" ومذهب السلف وسائر الائمة إثبات صفة الغضب، والرضى ، والعداوة، والولاية ،والحب ، والبغض ،ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى"(2) .

ومن أهم مصادر الشافعية كتاب التوحيد لابن خزيمة ،الذي صنفه مؤلفه على منهاج المحدثين ، وهو دليل على وحدة المنهاج العقيدي بين كبار أئمة الاسلام ، قال رحمه الله مبينا منهاجه في إثبات الصفات الاختيارية لله جل وعلا:

"باب ذكر اثبات ضحك ربنا عزوجل بلاصفة تصف ضحكه، جل ثناؤه ، لا ولايشبه ضحكه بضحك المخلوقين ، وضحكهم كذلك، بل نؤمن بأنه يضحك ، كما أعلم النبي صلى الله عليه وسلم ، ونسكت عن صفة ضحكه جل وعلا ، إذ الله عزوجل استأثر بصفة ضحكه لم يطلعنا على ذلك فنحن قائلون بما قال النبي صلى الله عليه وسلم مصدقون بذلك ، بقلوبنا ،منصتون عما لم يبين لنا مما استأثر الله بعلمه "(3).

وفي ضوء المنهاج نفسه صنف إمام الحنابلة في القرن الرابع كتابه الابانة وعلى الطريقة نفسها طريقة المحدثين

---

(1) العقيدة الطحاوية : 57 .

(2) شرح العقيدة الطحاوية :524 .

(3) كتاب التوحيد لابن خزيمة :563 تحقيق الدكتور عبد العزيز بن ابراهيم الشهوان.

أعلم خلق الله بالله تعالى بعد الانبياء والرسل فقال رحمه الله بعد أن ذكر بعض الصفات الخبرية كالقرب ، والهرولة، والضحك ، والعجب :

"فكل هذه الاحاديث وما شاكلها تمرّ كما جاءت (1) لاتعارض ولاتضرب لها الامثال ، ولايواضع فيها القول ، فقد رواها العلماء، وتلقاها الاكابر منهم بالقبول ، وتركوا المسألة عن تفسيرها وراأوا أن العلم بها ترك الكلام في معانيها "(2).

فمن خلال هذه النصوص يتضح لنا أن مصدر فهم عقيدة الاسلام عند الائمة الاربعة وغيرهم من الائمة المجتهدين ، هوالقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة على منهاج السلف ، ومنهم مالك ابن أنس ، وعلى آثارهم سار مالكية الاندلس في الحقبة الزمنية المدروسة وقبلها ، وما أجمل ما كتبه شيخ الاسلام في هذا الصدد :
"ليس الاعتقاد لي ولا لمن هو أكبر مني ، بل الاعتقاد يؤخذ عن الله سبحانه وتعالى ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وما أجمع عليه سلف الامة . يؤخذ من كتاب الله تعالى ، ومن أحاديث البخاري ومسلم وغيرهما من الاحاديث المعروفة ، وما ثبت عن سلف الامة "(3).

* *

---

(1) وذلك في ضوء الاسس الثلاثة التي تقدم ذكرها ، وهي:
أ - الاثبات .
ب - التنزيه .
ج - اليأس وقطع الطمع من إدراك كنه الصفات وهونها بقالعلم بها .

(2) الشرح والابانة على أصول السنة والديانة لابن بطة العكبري: 227-228-229.

(3) مجموع الفتاوى : 203/3.

الفصل الثاني :

منهجهم في إثبات العرش لله جل وعلا

المبحث الاول : منهجهم في إثبات العرش والكرسي للرحمن .

المبحث الثاني : مذهبهم في إثبات صفة الاستواء .

المبحث الثالث : طريقتهم في إثبات العلو والفوقية للعلي الاعلى .

*

* *

*

المبحث الاول: منهجهم في إثبات العرش والكرسي للرحمن

خصصت فصلا كاملا لهذه المسألة العقيدية التي اضطرب فيها كثير من الدارسين المنتمين الى المذاهب الاربعة، وهدفي من تخصيص فصل كامل مستقل لهذه القضية هو إبانة براءة المالكية مما ينسب إليهم من الاقوال الفلسفية الكلامية. فقد كان منهجهم في إثبات ما أثبت الله تعالى لنفسه من عرش وكرسي وصفات ذاتية وصفات فعلية على الوجه اللائق بجلاله بدون مماثلة لأحد من مخلوقاته، منهجا مغايرا لما درج عليه الفلاسفة وتلامذتهم الجهمية الجعدية، وتلامذتهم المعتزلة الواصلية، وتلامذتهم الاشعرية الكلاّبية، والحنفية الماتوريدية. فكانوا يعتقدون أن العرش جزء من مخلوقات الله عز وجل، وهو سقف المخلوقات، وهو سرير ملك الرحمن جل وعلا، كما صحت بذلك الاحاديث النبوية.

وسأحاول في هذا الفصل ضبط لفظة كل من "عرش" و"كرسي" وذلك من مصادر فهم الالفاظ العربية، ثم أبين منهج السلف أصحاب الحديث، ومنهم كبار أئمة المذاهب الاربعة في القرنين الرابع والخامس، ثم أختم المبحث بسوق أدلة مالكية الاندلس الموافقة لمذهب السلف، وذلك من خلال مصادرهم المعتمدة في هذه المسألة.

شرح ابن فارس لفظة "عرش" بقوله:

" العين والراء والشين أصل صحيح واحد، يدل على ارتفاع في شيء مبني، ثم يستعار في غير ذلك». من ذلك العرش،

قال الخليل: العرش سرير الملك . وهذا صحيح ، قال الله تعالى: (ورفع أبويه على العرش)(1) ،ثم استعير ذلك فقيل لامر الرجل وقوامه : عرش ، وإذا زال ذلك عنه قيل: ثل عرشه "(2)

وقال ابن جرير الطبري في معنى العرش :

" وقوله : (ورفع أبويه على العرش) يعني على السرير "(3) .

وذهب طائفة من فلاسفة المتكلمين أن العرش فلك، والفلك في اللغة جسم كروي يحيط به سطحان: ظاهري وباطني ، وهما متوازيان مركزهما واحد (4).

وقال الراغب:" والفلك مجرى الكواكب وتسميته بذلك لكونه كالفلك قال:(وكل في فلك يسبحون)(5) وفلكة المغزل ومنه اشتق فلك ثدي المرأة، وفلكت الجدي إذا جعلت في لسانه مثل فلكة يمنعه عن الرضاع "(6).

ولادليل لهؤلاء على ما يزعمون ، لا من الشرع ولا من العقل ، وقد بين شيخ الاسلام للدارسين بطلان هذه المقالة في مجموع الفتاوى فقال:

" إنه لقائل أن يقول:لم يثبت بدليل يعتمد عليه أن"العرش" فلك من الافلاك المستديرة الكرية الشكل ، لابدليل شرعي ، ولابدليل عقلي .

---

(1) سورة يوسف : 100 .
(2) معجم مقاييس اللغة :264/4- 265 .
(3) جامع البيان:267/16 نقل ذلك عن ابن عباس وسفيان والسدي والضحاك ومجاهد وقتادة وغيرهم.
(4) التعريفات للجرجاني :72-73.
(5) سورة يس : 40 .
(6) معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الاصفهاني:400 .

وإنما ذكر هذا طائفة من المتأخرين الذين نظروا في "علم الهيئة" (1) وغيرها من أجزاء الفلسفة فرأوا أن الافلاك تسعة، وأن التاسع - وهو الاطلس - محيط بها، مستدير كاستدارتها، وهو الذي يحركها الحركة المشرقية، وإن كان لكل فلك حركة تخصه غير هذه الحركة العامة . ثم سمعوا في أخبار الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ذكر "عرش الله" وذكر "كرسيه" وذكر "السموات السبع" فقالوا بطريق الظن أن "العرش" هو الفلك التاسع، لاعتقادهم أنه ليس وراء التاسع شيء إما مطلقا، وإما أنه ليس وراءه مخلوق ..."

الى أن قال رحمه الله :

" والمقصود هنا أن ما ذكروه من أن "العرش" وهو الفلك التاسع : قد يقال إنه ليس لهم عليه دليل لاعقلي ولا شرعي" (2)

ثم خلص شيخ الاسلام الى تقرير عقيدة السلف في الايمان بالعرش وانتهى الى القول:

"وأما "العرش" فالاخبار تدل على مباينته لغيره من المخلوقات وأنه ليس نسبته الى بعضها كنسبة بعضها الى بعض، قال الله تعالى: (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به) الاية (3) وقال سبحانه :(ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) (4) فأخبر أن للعرش حملة اليوم ويوم القيامة، وأن حملته ومن حوله يسبحون ويستغفرون للمؤمنين .

---

(1) هو علم يعرف منه أحوال الاجرام البسيطة العلوية والسفلية وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعادها : (أبجد العلوم لصديق ابن حسن القنوجي: 2/576-577).

(2) مجموع الفتاوى: 6/546-547.

(3) سورة غافر: 7 .

(4) سورة الحاقة: 17.

ومعلوم أن قيام فلك من الافلاك - بقدرة الله تعالى - كقيام سائر الافلاك ، لافرق في ذلك بين فلك وفلك ، وإن قدر أن لبعضها ملائكة في نفس الامر تحملها فحكمه حكم نظيره. قال تعالى: (وترى الملائكة حافين من حول العرش) الآية (1). فذكر هنا أن الملائكة تحف من حول العرش وذكر في موضع آخر أن له حملة ، وجمع في موضع ثالث بين حملته ومن حوله فقال: (الذين يحملون العرش ومن حوله)(2).

وأيضا فقد أخبر أن عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السموات والارض كما قال تعالى: (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء)(3).

وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره ، عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والارض"، وفي رواية له: " كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر كل شيء" .

وفي رواية لغيره صحيحة: " كان الله ولم يكن شيء معه، وكان عرشه على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء".

وثبت في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء".

---

(1) سورة الزمر: 75 .
(2) سورة غافر : 7 .
(3) سورة هود : 7 .

وهذا التقدير بعد وجود العرش، وقبل خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة"(1).

فمن خلال هذه النصوص، يتضح جليا أننا عندما نعتقد جازمين أن الله جل وعلا مستو على عرشه لانجعله في مكان، لانه تعالى كان ولاشيء معه، فلم يكن في مكان، لانه لم يكن هناك مكان، لكنه تعالى لما خلق الكون والمكان وأوجده بالتكوين، فلازال كما كان بدون مكان لانه فوق الزمان والمكان. فالسموات السبع قد خلقت بعد العرش كما هو مصرح به في النص الحديثي السابق، فالعرش هو أعلى المخلوقات، وليس فوقه وبعده مخلوق، إنما فوقه الخالق الرحمن، وهو غني عن مخلوقاته وفوق مخلوقاته كلها لانه تعالى بكل شيء محيط(2).

ولنواصل مسيرتنا العلمية مستفيدين من شروح شيخ الاسلام لمنهاج السلف الصالح في الايمان بعرش الرحمن، وعلى هذا المنهاج كان مالك بن أنس، واقتدى بعلومه الحديثية مالكية الاندلس رحمة الله على الجميع.

قال شيخ الاسلام:

"وهو سبحانه وتعالى متمدح بأنه ذو العرش كقوله سبحانه: (قل لوكان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا) (3)

وقوله تعالى: (رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لايخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار)(4)

---

(1) مجموع الفتاوى: 6/550-551.

(2) ومن أجود المصادر التي بسط فيها الكلام وشرح شرحا وافيا كتاب التمهيد لابن عبد البر: 7/135-136.

(3) سورة الاسراء: 42.

(4) سورة غافر: 15.

وقال تعالى: (وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد)(1) وقد قرىء (المجيد) بالرفع صفة لله ، وقرىء بالخفض صفة للعرش.

وقال تعالى: (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله أفلا تتقون)(2) فوصف العرش بأنه مجيد وأنه عظيم وقال تعالى: (فتعالى الله الملك الحق لاإله إلا هو رب العرش الكريم)(3) فوصفه بأنه كريم أيضا .

وكذلك في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب :"لاإله إلا الله العظيم الحليم ، لاإله إلا الله رب العرش العظيم ، لاإله الا الله رب السموات ورب الارض رب العرش الكريم" فوصفه في الحديث بأنه عظيم ، وكريم أيضا "(4).

وعلى درب النجاة سار أئمتنا في الغرب الاسلامي في كل عقائدهم ، كما تنطق بذلك ألسنتهم بما وقر في قلوبهم ووصلنا بأنا ملهم بالعدل الضابط عن مثله إلى منتهى الاسناد ، شأنهم في ذلك شأن أئمة الاسلام الذين حفظ الله بهم عقيدة القرآن من عبث العابثين وتحريف المبطلين ، وعلى رأسهم الامام المبجل أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى . جاء في كتابه "السنة" : "وعرش الرحمن عزوجل فوق الماء(5) ، والله عزوجل على العرش،

---

(1) سورة البروج : 14-15.
(2) سورة المؤمنون: 86 .
(3) سورة المؤمنون: 116 .
(4) مجموع الفتاوى: 551/6-552.
(5) شرح ابن عباس قوله تعالى: (وكان عرشه على الماء) فقال :على متن الريح (العرش وما روي فيه لابن أبي شيبة :52).

والكرسي موضع قدميه"(1).

وقال إمام الائمة ابن خزيمة وهو من كبار أئمة الشافعية بعد أن ساق الاسناد: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه: "وإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تنفجر أنهار الجنة" قال ابن خزيمة: أمليته في كتاب الجهاد. وقال أبوبكر: فالخبر يصرح أن عرش ربنا جل وعلا فوق جنته، وقد أعلمنا جل وعلا أنه مستو على عرشه، فخالقنا عال فوق عرشه الذي هو فوق جنته(2).

وهذه هي عقيدة كبار أئمة الحنفية، قال الامام الطحاوي الحنفي رحمه الله:

"والعرش والكرسي حق، وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الاحاطة خلقه"(3).

وهي عقيدة أئمة الحنابلة وعلى رأسهم ابن بطة العكبري رحمه الله فقد قال بأن الله تعالى: "يسمع ويرى وهو بالمنظر الاعلى، ويقبض ويبسط ويأخذ ويعطي، وهو على عرشه بائن من خلقه"(4).

وقال أيضا: "وأن الله عزوجل على العرش"(5).

ووضح إثر ذلك مناهجه المبين للكيفية التي يلزم أن تثبت بها صفات الله تعالى وعرشه وكرسيه فقال: "ثم الايمان والقبول والتصديق بكل ما روته العلماء ونقله الثقات أهل الاثار

---

(1) السنة: 74-75.
(2) كتاب التوحيد لابن خزيمة بتعليق محمد خليل الهراس: 104.
(3) العقيدة الطحاوية: 36-37.
(4) الشرح والابانة: 188-189.
(5) المصدر السابق: 215.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقتها بالقبول ولاترد بالمعاريض، ولايقال لم وكيف، ولاتحمل على المعقول، ولاتضرب لها المقاييس، ولايعمل لها التفاسير إلا ما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو رجل من علماء الامة ممن قوله شفاء وحجة مثل أحاديث الصفات والرؤية "(1).

وهكذا فإن القواعد المنهجية في العقيدة متحدة لاتضارب فيها بين المذاهب الاسلامية الاربعة، ووحدة أصولهم جلية واضحة، لان مصدر التلقي عندهم جميعا واحد، هو الوحي الالهي بشقيه: القرآن والسنة الصحيحة.

وقد أشاد شيخ الاسلام بمنهج مالك في إثباته صفة الاستواء، استواء الله على عرشه، وقد مضى الكلام عليها في مبحث الصفات. الى أن قرر شيخ الاسلام:

"ومن أول الاستواء بالاستيلاء فقد أجاب بغير ما أجاب به مالك (2)، وسلك غير سبيله، وهذا الجواب من مالك - رحمه الله - في الاستواء شاف كاف في جميع الصفات، مثل النزول والمجيء واليد والوجه وغيرها "(3).

---

(1) الشرح والابانة: 213 .

(2) وكذا من أوّل العرش بالفلك كما تقدم، أو أوله بالملك، فرد عليهم أبو العز بقوله: وأما من حرف كلام الله وجعل العرش عبارة عن الملك، كيف يصنع بقوله تعالى: (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) الحاقة: 17، وقوله: (وكان عرشه على الماء) هود 7، أيقول: ويحمل ملكه يومئذ ثمانية؟! وكان ملكه على الماء! ويكون موسى عليه السلام آخذا بقائمة من قوائم الملك؟! هل يقول هذا عاقل يدري ما يقول؟! (شرح العقيدة الطحاوية: 312).

(3) مجموع الفتاوى: 4/4 .

وهذه نصوص صحيحة صريحة قد انتقيتها من مصادر فهم عقيدة مالكية الاندلس، تعرض إيمانهم بعرش الرحمن، فالعرش معروف في لغة العرب، وكيفيته مجهولة، والايمان به واجب، والبيأس وقطع الطمع من إدراك كنهه لازم وواجب أيضا .

قال الامام القحطاني المالكي الاندلسي:

سبحانه ملكا على العرش استوى

وحوى جميع الملك والسلطان (1)

وقال أيضا :

وهو جبار على العرش استوى

من غير تمثيل كقول الجاني (2)

ويقصد بالجاني المعطل الذي حرف الاستواء الى الاستيلاء فافترى على الله الكذب، لتبديله كلام الله . وسيأتي تفصيل الكلام في هذه القضية في موضعه وهو الفصل المعد للحديث عن تأويلات المتكلمين .

وقال الامام ابن أبي زمنين وهو من أئمة المالكية الكبار في القرن الرابع الهجري:

"باب في الايمان بالعرش قال محمد: ومن قول أهل السنة: إن الله عزوجل خلق العرش واختص بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه في قوله: (الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى)(3).

---

(1) أربح البضاعة: 11 .
(2) المصدر السابق: 35 .
(3) سورة طه: 5-6 .

وفي قوله: (ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها)(1) فسبحان من بعد فلايرى وقرب بعلمه وقدرته فسمع النجوى)(2).

فالنص لايحتاج الى تعليق، فنوره يتلألأ ويشق طريقه الى أفئدة طالبي الحق الذين تجنبوا المغالطات والمراوغات التي ملئت بها كتب المتكلمين، نسأل الله العصمة من الزلل والتوفيق في العمل بعد سلامة المعتقد .

ومن القرن الخامس نختار بدره الطالع وسراجه الذي أحيى الله تعالى به السنة وقمع به شوكة المبتدعين وأهل الاهواء، إنه إمام القرن الخامس الحافظ المجدد ابن عبدالبرالقرطبي صاحب التصانيف القيمة، فقد بيّن منهجه في الايمان بعرش الرحمن بعد أن ساق حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

" ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له "(3).

قال معلقا على النص ومستدلا على إثبات العرش بآيات من القرآن: " وفيه دليل على أن الله عزوجل في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة. وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إن الله عزوجل في كل مكان، وليس على العرش. والدليل على صحة ما قاله أهل الحق في ذلك قول الله عزوجل: (الرحمن على العرش استوى)(4) وقوله

---

(1) سورة الحديد: 4.

(2) أصول السنة: لوحة 7.

(3) التمهيد: 128/7.

(4) سورة طه: 5 .

عزوجل: (ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولاشفيع)(1) وقوله: (ثم استوى الى السماء وهي دخان)(2) وقوله: (إذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا)(3) وقوله تبارك اسمه: (إليه يصعد الكلم الطيب)(4) " انتهى ما اخترت من التمهيد (5).

وقال الامام أبوعمرو الداني في أرجوزته:

كلامه وقوله قديم *** وهو فوق عرشه العظيم (6)

أما بالنسبة لكرسي الرحمن ، فقد أجمع السلف أصحاب الحديث أن المراد به موضع القدمين ، قال الامام أحمد: "... والكرسي موضع قدميه "(7).

"روى الامام ابن خزيمة باسناده المتصل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الكرسي موضع القدمين والعرش لايقدر قدره "(8).

قال أبوجعفر في تأويل قوله تعالى: (وسع كرسيه السموات والارض)(9) اختلف أهل التأويل في معنى الكرسي الذي أخبر الله تعالى ذكره في هذه الاية أنه وسع السموات والارض. فقال بعضهم: هو علم الله تعالى ذكره، فذكر ابن جرير من قال ذلك

---

(1) سورة السجدة: 4 .
(2) سورة فصلت : 11.
(3) سورة الاسراء : 42.
(4) سورة فاطر : 10.
(5) التمهيد: 7/128-129-130.
(6) سير أعلام النبلاء: 18/82.
(7) السنة : 75 .
(8) التوحيد بتعليق الشيخ محمد خليل هراس: 107 .
(9) البقرة: 255 .

وهو ابن عباس رضي الله عنهما، الذي قال: (وسع كرسيه) قال: علمه (1).

وتعقيب شيخ الاسلام على هذا القول، جاء في مجموع الفتاوى: " وقد نقل عن بعضهم أن "كرسيه" علمه وهو قول ضعيف، فإن علم الله وسع كل شيء كما قال: (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما)(2) والله يعلم نفسه، ويعلم ما كان وما لم يكن، فلو قيل وسع علمه السموات والارض، لم يكن هذا المعنى مناسبا، لاسيما وقد قال تعالى: (ولايؤوده حفظهما)(3) أي لايثقله ولايكرثه، وهذا يناسب القدرة لا العلم، والاثار المأثورة تقتضي ذلك، لكن الآيات والاحاديث في العرش أكثر من ذلك صريحة متواترة. وقد قال بعضهم: إن "الكرسي" هو العرش، لكن الاكثرون على أنهما شيئان"(4) .

ثم ذكر الامام ابن جرير القائلين من أئمة العقيدة القرآنية بأن المراد بالكرسي موضع القدمين . وهو قول أبي موسى والسدي والضحاك والربيع بن أنس، فعن أبي موسى بإسناد متصل، نقل ابن جرير قوله: الكرسي موضع القدمين، وله أطيط كأطيط الرحل (5).

وعن الضحاك نقل قوله في تفسير الاية: قال: كرسيه الذي يوضع تحت العرش، الذي يجعل الملوك عليه أقدامهم.

وعن الربيع بن أنس قال: لما نزلت (وسع كرسيه السموات والارض) قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله :

---

(1) انظر تفسير الطبري: 397/5 .
(2) غافر: 7 .
(3) سورة البقرة: 255 .
(4) مجموع الفتاوى: 584/6-585 .
(5) أطّ الرحل ونحوه يئط أطيطا صوت (القاموس المحيط: باب الطاء فصل الهمزة والباء: 362/2) .

هذا الكرسي وسع السموات والارض، فكيف العرش؟ فأنزل الله تعالى: (وما قدروا الله حق قدره) الى قوله: (سبحانه وتعالى عما يشركون)(1).

والقول الثالث المنقول عن أئمة التفسير في معنى الكرسي هو للحسن الذي قال: الكرسي هو العرش (2).

وقد تقدم تعليق الامام ابن تيمية على القولين الاول والاخير ورجح الاوسط وهو قول السلف: أن الكرسي هو موضع القدمين.

وقال الامام ابن أبي زمنين:

باب في الايمان بالكرسي، قال محمد: ومن قول أهل السنة أن الكرسي بين يدي العرش وأنه موضع القدمين(3).

هذا ومن أجل المصادر التي اطلعت عليها في هذه المسألة: كتاب العرش وما روي فيه للامام ابن أبي شيبة، وكتاب الرسالة العرشية لشيخ الاسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى، والمصدران يشتملان على نصوص مشروحة وهي عبارة عن نقول من كتاب الله عزوجل، ومن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعقبها أقاويل السلف الصالح. فهي نصوص لها نور يضيء الدرب للسالكين من طلبة الهدى المخلصين، وهي نار يحرق لهيبها أبطار وأفئدة المعطلة النفاة للصفات الالهية.

---

(1) سورة الزمر: 67 .

(2) تفسير الطبري: 399/5 .

(3) أصول السنة: ل 7.

وقد شرف الله تعالى هذه الاطروحة لاشتمالها على نقول من السفرين الجليلين المشار إليهما ، ويلزمنا العمل على نشرهما وتوزيعهما ، وغيرهما من كتب العقيدة القرآنية الحديثية، عقيدة السلف أصحاب الحديث ، وذلك حتى يتمكن من الاطلاع عليها من لم يطلع عليها ، وليعرف هذا وغيره أن علماء السلف هم الذين قاموا بالواجب نحو نشر العلم ، ولكن نحن الذين قصرنا ولم ننشره . فالواجب علينا بصفتنا باحثين ودارسين ، أن ننشر هذا التراث الاسلامي الذي تركه لنا سلفنا ، حتى نعرف موقفهم من هذه المسائل العقيدية على ضوء النصوص القرآنية والاحاديث النبوية لنستحق صفة العبودية ونفوز برضى الله عزوجل .

المبحث الثاني : مذهبهم في إثبات صفة الاستواء

قد سبقت الاشارة الى أن مالك بن أنس كان أحد أمناء الله على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفه بذلك الامام النسائي رحمه الله تعالى .

نعم فقد كان من أئمة السلف المجاهدين الذين أقام الله تعالى بهم الحجة ، ودفع بهم الشر والبدعة عن دينه، فذب مثلهم عن عقيدة السلف ، وأوضح مذهب أهل السنة والجماعة . وقد مرت بنا الحادثة التي وقعت بينه وبين المتنطّع المتعمق في الدين وذلك في باب الصفات الخبرية ،لما سأل مالكا عن الاستواء ، فأجابه بقولة الرجل الملهم الذي لايحيد عن الاحتجاج بالوحي الالهي والاستدلال بنوره طرفة عين ، في العقائد والسلوك والمعاملات ، ولازالت قولة مالك قاعدة منهجية تنير الدرب للحائرين ، وتمهد السبيل لمن شاء من الدارسين أن يستقيم .

قال الامام ابن قتيبة رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: (على العرش استوى) قال أبوعبيدة : علا ، قال: وتقول استويت فوق الدابة ، واستويت فوق البيت ، وقال غيره : استوى: استقر ، واحتج بقول الله عزوجل: (فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك)(1) أي استقررت في الفلك."(2)

---

(1) سورة المؤمنون: 28 .

(2) تفسير غريب القرآن : 277 .

قال ابن جرير الطبري إمام اللغة العربية ومؤرخ الاسلام المحقق: " قال أبوجعفر: الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه: منها انتهاء شباب الرجل وقوته، فيقال إذا طار كذلك: قد استوى الرجل، ومنها استقامة ما كان فيه أود من الامور والاسباب، يقال منه: استوى لفلان أمره، إذا استقام بعد أود، ومنه قول الطرماح بن حكيم:

طال على رسم مهدد أبده *** وعفا واستوى به بلده

يعني استقام به.

ومنها الاقبال على الشيء، يقال استوى فلان على فلان بما يكرهه ويسوءه بعد الاحسان إليه، ومنها الاحتياز والاستيلاء، كقولهم استوى فلان على المملكة، يعني احتوى عليها وحازها، ومنها العلو والارتفاع، كقول القائل: استوى فلان على سريره يعني به علوه عليه.

وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه: (ثم استوى الى السماء فسواهن)(1) علا عليهن وارتفع، فدبرهن بقدرته، وخلقهن سبع سنوات.

والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله: (ثم استوى الى السماء) الذي هو بمعنى العلو والارتفاع، هربا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه - إذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها - الى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر، ثم لم ينج مما هرب منه !

فيقال له: زعمت أن تأويل قوله "استوى" أقبل، أفكان مدبرا عن

(1) البقرة: 29.

السماء فأقبل إليها؟ فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل، ولكنه إقبال تدبير، قيل له: فكذلك فقل: علا عليها علو ملك وسلطان، لا علو انتقال وزوال، ثم لن يقول في شيء من ذلك قولا إلا ألزم في الآخر مثله، ولولا أنا كرهنا إطالة الكتاب بما ليس من جنسه، لأنبأنا عن فساد قول كل قائل قال في ذلك قولا، لقول أهل الحق فيه مخالفا.

وفيما بينا منه ما يُشرف بذي الفهم على ما فيه له الكفاية إن شاء الله تعالى"(1).

فانظر بارك الله في عمري وعمرك، إلى علماء السلف، أئمة الهدى، كيف كان أحدهم موسوعة علمية متكاملة على علم تام ودراية كاملة بكل المذاهب والأقوال الفاسدة، ذلك لأنهم أطباء القلوب، ومن أوجب الواجبات المهنية على الطبيب الماهر الدراية بشتى الأمراض وأسبابها ليصل إلى الدواء الشافي بإذن الله تعالى، والطب نوعان: طب أبدان وطب أرواح، والأخير أسمى وأعلى مكانة، وأكثر فجاجا وتشعبا، لكن أئمة السلف كانوا فرسان الميدان، فرحمة الله عليهم وجزاهم الله عنا خير الجزاء.

كان أئمة المالكية في الأندلس يعتقدون أن القرآن العظيم يهدي إلى الرشد، فآمنوا به، ولم يشركوا بربهم في ربوبيته ولا في أسمائه وصفاته، ولا في إلهيته.

وهذه هي عقيدة إمام دار الهجرة مالك بن أنس كما تقدم تقريرها في موضعه من هذه الأطروحة. وهي عقيدة أهل بيعة الرضوان وعقيدة المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، الذين هم أعلم الناس بكتاب الله،

---

(1) جامع البيان: 1/429-430.

وأتقى الناس ، وأزهد الناس ، وأكملهم عقلا ، وأقومهم منهاجا ، وأعظمهم أجرا ، وأكثرهم حسنات متقبلات بعد الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

قال شيخ الاسلام :

"كان لهم من القوة في الحفظ والفهم والفقه في الدين والبصر والتأويل ما جعلهم يفجرون من النصوص أنهار العلوم ويستنبطون منها كنوزها "(1) .

وهكذا نجد مالكية الاندلس ، قد اقتفوا أثر سلفهم الصالح ، فلم يبدلوا قولا غير الذي قيل لهم ، ولم يصرفوا اللفظة العربية عن معناها كما فعل المحرفون للفظة الاستواء بالاستيلاء ، الذين أشار إليهم الامام أبوجعفر في النص السابق، لكن الاندلسيين علموا أن تحكيم ضوابط مناهج الصحابة المرضيين هو السبيل الوحيد الموصل الى الحقائق التي ليست بعدها حقائق، وهو من أوجب الواجبات التي يلزم التمسك بها والوقوف عندها ، كما قال أحد كبار أئمة العقيدة السلفية :

" الواجب علينا أن ننتهي في صفات الله الى حيث انتهى في صفته أو حيث انتهى رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولانزيل اللفظ عما تعرفه العرب وتضعه عليه ونمسك عما سوى ذلك "(2).

وهكذا نجدهم غير متكلفين لا في عقائدهم ولافي سلوكهم ولا في أحكامهم .

---

(1) مجموع الفتاوى:4/92-93 .

(2) الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة :237 ضمن عقائد السلف التي جمعها نشار .

وهذا هو العدل في العقيدة، وهو التوسط الذي كان عليه السلف أصحاب الحديث .

قال ابن قتيبة :

"وقد جعل الله التوسط منزلة العدل ، ونهى عن الغلو فيما دون صفاته ، من أمر ديننا فضلا عن صفاته ، ووضع عنا أن نفكر فيه كيف كان؟ وكيف قدر؟ وكيف خلق؟ ولم يكلفنا ما لم يجعله في تركيبنا ووسعنا "(1).

بعد معرفة القواعد المنهجية ، نشرع الآن في الجانب التطبيقي وذلك بعرض أقوال كبار أئمة المذاهب الاسلامية في هذا الموضوع، ثم نختم المبحث بسرد نصوص من مصادر فهم عقيدة مالكية الاندلس التي تفصل الكيفية التي ينبغي أن تثبت بها صفة استواء الله تعالى على عرشه ، وذلك تحصينا للدارسين من الوقوع في الزلل العقيدي الذي يترتب من خلال قراءتهم لكتب المصنّفين من المتكلمين الذين يحكّمون ضوابط مناهج المتفلسفة، هذا المنهاج الذي طغت على أصحابه الحيرة وكثرة التردد والتناقض ، وهكذا دائما تجد أهل الباطل ، والله عزوجل لايثبّت المبطلين. أما كتب العقيدة الاسلامية، المصنّفة على مناهج الحق والصواب ، فهي ثابتة ، والله جل وعلا يثبّت أتباع الرسل بالقول الثابت في الدنيا وعند المسألة في القبر وفي الدار الاخرة، هذه الكتب كثيرة ولله الحمد، لاسيما تلك التي اعتنت بهذا الموضوع ، وأفرده أصحابها بالتأليف، وفي طليعتها كتاب اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية للامام ابن قيم الجوزية الدمشقي (691-751هـ) فقد جمع

---

(1) الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة :243 .

فيه من الادلة والبراهين النقلية والعقلية والفطرية على استواء الله جل وعلا على عرشه ما لايكاد يحصى ويعد ، وساق أقوال كبار أئمة التفسير والحديث واللغة العربية والشعر الاسلامي وزهاد المتصوفة وغيرهم ، الشيء الذي لم يبق معه ريب لكل منصف طالب حق ، وكتب أخرى كثيرة قد سميتها في حواشي هذه الاطروحة ، من أهمها كتاب الحيدة لعبدالعزيز الكناني ، ورد عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ، وكتب شيخ الاسلام ابن تيمية .

ولنبدأ بأهم مصادر فهم العقيدة الاسلامية الذي يأتي في المرتبة الثانية بعد كتاب السنة للامام أحمد بن حنبل ، أعني كتاب التوحيد لإمام الائمة محمد بن اسحاق بن خزيمة ، قال رحمه الله :

"باب ذكر استواء خالقنا العلي الاعلى الفعال لما يشاء ، على عرشه ، فكان فوقه وفوق كل شيء عاليا كما أخبرنا الله جل وعلا في قوله : (الرحمن على العرش استوى)(1) وقال ربنا عزوجل : (إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش)(2) وقال في تنزيل السجدة : (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش)(3) وقال الله تعالى : (هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء)(4).

فنحن نؤمن بخبر الله جل وعلا أن خالقنا مستو على عرشه لانبدل كلام الله ، ولانقول قولا غير الذي قيل لنا كما قالت المعطلة

(1) سورة طه : 5 .
(2) سورة الاعراف :54.
(3) سورة السجدة :04.
(4) سورة هود : 07.

الجهمية أنه استولى على عرشه لا استوى، فبدلوا قولا غير الذي قيل لهم، كفعل اليهود لما أمروا أن يقولوا حطّة فقالوا حنطة مخالفين لأمر الله جل وعلا كذلك الجهمية"(1) .

ذكر الامام ابن خزيمة الايات القرآنية التي أخبر الله عز وجل فيها عن استوائه على عرشه، فذكر ثلاث آيات من السبع والاربع الاخرى هي قوله تعالى في سورة يونس:3 (إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش) وقوله تعالى في سورة الرعد:2 (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش).
وقوله جل وعلافي سورة الفرقان:59 (الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستةأيام ثم استوى على العرش، الرحمن،فاسأل به خبيرا) .
وقوله جل وعلا في سورة الحديد:4 (هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش).

فبعد عرض الامام ابن خزيمة لادلة استواء الله على عرشه وهو بهذا يحكّم ضابط منهاج الاثبات والعرض، نجده يلحقها بتعليقه المتضمن أسلوب الرد والمناقشة لعقائد خصومها الفاسدة، ويحذر من اقتفاء تبديلهم وافترائهم على الله بدعوى التأويل الذي هو في حقيقته محض التحريف والتبديل . ويحذر من هذه الخصلة التي سلكها الجهمية وتلامذتهم والتي هي من خلال اليهود، الذين أمرنا بمخالفة منهاجهم وأمرنا أن نسأل الله أن يوفقنا لمخالفتهم سبع عشرة مرة في صلواتنا المفروضة كل يوم وليلة .

---

(1) التوحيد : 101 .

وتناول الامام أبوالحسن الاشعري في كتابه الابانة عن أصول الديانة الرد على هؤلاء المعطلة من الجهمية الجعدية والمعتزلة الواصلية ومن سار على دربهم فقال:

"وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن قول الله عزوجل (الرحمن على العرش استوى)[طه:5] أنه استولى وملك وقهر، وأن الله عزوجل في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله عزوجل على عرشه - كما قال أهل الحق - وذهبوا في الاستواء الى القدرة.

ولوكان هذا كما ذكروه كان لافرق بين العرش والارض السابعة، فالله سبحانه قادر عليها وعلى الحشوش، وعلى كل ما في العالم، فلو كان مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء، وهو عزوجل مستو على الاشياء كلها، لكان مستويا على العرش وعلى الارض وعلى السماء وعلى الحشوش والاقذار، لأنه قادر على الاشياء مستول عليها، وإذا كان قادرا على الاشياء كلها ولم يجز عند أحد المسلمين أن يقول: إن الله عزوجل مستو على الحشوش والاخلية، لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الاشياء كلها، ووجب أن يكون معناه استواء يختص العرش دون الاشياء كلها"(1).

وقال شيخ الاسلام أبوعثمان اسماعيل بن عبدالرحمن الطابوني من علماء القرن الخامس في استواء الله على عرشه:

"ويعتقد أهل الحديث ويشهدون أن الله سبحانه وتعالى فوق سبع سموات على عرشه كما نطق به كتابه في قوله عزوجل:

---

(1) الابانة عن أصول الديانة: 86-87 تحقيق الارناؤوط.

(إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع إلا من بعد إذنه)(1) وقوله في سورة الرعد: (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش) وقوله في سورة الفرقان: (ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا) وقوله في سورة السجدة (ثم استوى على العرش) وقوله في سورة طه: (الرحمن على العرش استوى) يثبتون له من ذلك ما أثبته الله تعالى، ويؤمنون به ويصدقون الرب جل جلاله في خبره، ويطلقون ما أطلقه سبحانه وتعالى من استوائه على العرش، ويمرونه على ظاهره، ويكلون علمه الى الله، ويقولون: (آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الالباب)(2)، كما أخبر الله تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يقولون ذلك ورضيه منهم، فأثنى عليهم به"(3).

والامام الطبوني يحكّم منهج السلف ويشرحه بطريقته، وهو المعنى نفسه المروي عن أم سلمة وربيعة شيخ مالك بن أنس، وعن مالك أيضا، قاله شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فإذا قال السائل كيف استوى على العرش؟ قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما رضي الله عنهما: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والايمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة، لانه سؤال عما لايعلمه البشر ولايمكنهم الاجابة عنه"(4).

وكلام مالك صريح في إثبات الاستواء، وأنه معلوم، وأن له كيفية، لكن تلك الكيفية مجهولة لنا لانعلمها نحن، فكما أننا

---

(1) سورة يونس: 3.
(2) سورة آل عمران: 7.
(3) عقيدة السلف أصحاب الحديث: 17-18.
(4) مجموع الفتاوى: 25/3.

لانعلم حقيقة ذاته كيف هو ، فلايمكن أبدا أن نعلم صفة استوائه، لذا يلزمنا اليأس وقطع الطمع من إدراك حقيقة ذلك، ولهذا بدّع مالك السائل الذي سأله عن الكيفية ، فإن السؤال إنما يكون عن أمر معلوم لنا ، ونحن لانعلم كيفية استوائه، وليس كل ما كان معلوما وله كيفية تكون تلك الكيفية معلومة لنا، يبين ذلك أن المالكية وغير المالكية نقلوا عن مالك أنه قال : الله في السماء وعلمه في كل مكان ، حتى ذكر ذلك مكي - خطيب قرطبة - في كتاب التفسير الذي جمعه من كلام مالك، ونقله أبوعمر الطلمنكي ، وأبوعمر بن عبدالبر ، وابن أبي زيد في المختصر وغير واحد، ونقله أيضا عن مالك غير هؤلاء ممن لايحصى عددهم (1) .

ومن كبار أئمة مالكية الاندلس الذين أوضح الله بهم المنهاج العقيدي القرآني النبوي ، الامام أبوعمر الطلمنكي صاحب الكتاب الجليل: الوصول الى معرفة علم الاصول الذي نقل منه شيخ الاسلام كثيرا ، وقال رحمه الله:

" وقال الطلمنكي أحد أئمة المالكية - قبل ابن عبدالبروالباجي وطبقتهما - في كتاب "الوصول الى معرفة الاصول": أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى(وهو معكم أينما كنتم)(2) ونحوذلك من القرآن : أن ذلك علمه ، وأن الله فوق السموات بذاته مستو على العرش كيف شاء .

وقال أيضا : قال أهل السنة : في قوله تعالى:(الرحمن على العرش استوى)(3) أن الاستواء من الله على عرشه المجيد على الحقيقة، لا على المجاز"(4).

---

(1) مجموع الفتاوى:181/5.
(2) الحديد : 4 .
(3) طه : 5 .
(4) مجموع الفتاوى:219/3-220.

ونقل شيخ الاسلام عن أبي عمر الطلمنكي أنه قال:

" وقال أهل السنة في قوله (الرحمن على العرش استوى) الاستواء من الله على عرشه المجيد على الحقيقة لا على المجاز، واستدلوا بقول الله: (فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك)(1) وبقوله: (لتستووا على ظهوره)(2) وبقوله: (واستوت على الجودي)(3) إلا أن المتكلمين من أهل الاثبات في هذا على أقوال: فقال مالك رحمه الله: إن الاستواء معقول، والكيف مجهول، والايمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"(4).

ولقد كان أئمة مالكية الاندلس - شأنهم في ذلك شأن باقي أئمة السلف أصحاب الحديث - على دراية تامة وشاملة بمداخل المدارس الكلامية وأصولها، فتصدوا رحمهم الله لروادها بالنقد المنهجي والرد القويم والمناقشة الهادفة الى الرجوع بالخصم الى الوحي الالهي، ونبذ المغالطات والمكابرات التي تربوا عليها في ضوء المنطق اليوناني، فكان منهج السلف هو المنهج الاعلم والاحكم والاقوم والاسلم، والدليل على ذلك الرد القويم الذي تناوله الامام ابن عبدالبر في شرحه الموطأ والذي استأصل فيه أسنان المتكلمين وأضراسهم فتركهم دردا.

قال رحمه الله تعالى:

"وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل استوى استولى، فلامعنى له، لانه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة، والله لايغالبه ولايعلوه أحد، وهوالواحد

---

(1) المؤمنون: 28.

(2) الزخرف: 13.

(3) هود: 44.

(4) مجموع الفتاوى: 519/5.

الصمد ، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الامة أنه أريد به المجاز(1) ، إذ لاسبيل الى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك ، وإنما يوجه كلام الله عزوجل الى الاشهر والاظهر من وجوهه ، ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم ، ولوساغ ادعاء المجاز لكل مدع ، ما ثبت شيء من العبارات ، وجَل الله عزوجل عن أن يخاطب إلابما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها ، مما يصح معناه عند السامعين .

والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم ، وهو العلو والارتفاع على الشيءوالاستقرار والتمكن فيه . قال أبوعبيدة في قوله تعالى (استوى) قال: علا ، قال وتقول العرب : استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت . وقال غيره : استوى أي انتهى شبابه واستقر فلميكن في شبابه مزيد "(2).

(1) والمجاز ضد الحقيقة .والحقيقةهي اللفظ الدال على موضوعه الاصلي كالاسد للحيوان المفترس، والحمار للحيوان المعروف، والمجاز هوما أريد بهغيرالموضوع لهفي أصل اللغة، كالاسد للرجل الشجاع بعلاقة الشجاعةفي كل منهما .والحمار للبليد لعلاقة البلادةفي كل منهما ، ويحتاج إليهلنقل الالفاظ من حقائقها الى الاستعارةوالتمثيل والكنايةلما بينهما من العلاقةوالمناسبة، كاليد فإنها في أصل اللغةللجارحةأطلقت على القوةوالنعمة مجازا ، من حيث إن القوةتظهر في اليد والنعمةتولى بها ... (ذكرهفي صبح الاعشى فيصناعةالانشا لأبي العباس أحمدبن علي القلقشندي:154/1 (ت 821هـ) النا شروزارة الثقافةوالارشاد القومي ،المؤسسةالمصريةالعامةللتأليف والترجمةوالطباعةوالنشر.

(2) التمهيد لما في الموطأ من الاسانيد :131/7.

أما أن تأتي فرقة وتبدل كلام الله ، وتحرف الكلم عن موضعه كما فعلت الجهمية فيما أخبر عنهم الامام ابن خزيمة ، هذه الفرقة وتلامذتها الشواذ الذين يريدون بصرف اللفظة عن ظاهرها وعن المعنى الذي وضعت له ،دعم أصولهم العقائدية عن طريق التلاعب بالمعاني بطريقة تعسفية ؛ لكنّ جهابذة علماء السلف لهم ولأمثالهم بالمرصاد ، وسيأتي المزيد من الابانة والشرح في موضعه وهو الفصل المعد لتوضيح موقف مالكية الاندلس من تأويل المتكلمين .

المبحث الثالث : طريقتهم في إثبات العلو والفوقية للعلي الاعلى

إن هذا المبحث الثالث لمن أجل مباحث العقيدة الاسلامية، الذي ينبغي على الدارسين وطلبة العلم الشرعي في هذا البلد من بلاد الغرب الاسلامي، أن يولوه عناية خاصة بالدراسة المركزة لاسيما وهم يرددون طلب الهداية من الله تعالى في سبع عشرة ركعة كل يوم وليلة في صلاة الفريضة.

وإذا كانت الهداية هدايتين: هداية بيان وإرشاد، وهي التي يلزمنا نحن معشر الطلاب أن نعمل جادين على تحصيلها، لاسيما وأن منالها وإدراكها يسير وسهل على من يسره الله تعالى عليه، فهو منحصر في قراءة القرآن، وقراءة السنة النبوية قراءة فاحصة، وفهم معانيهما على منهاج السلف أصحاب الحديث، وهداية التوفيق هي النوع الثاني من أنواع الهداية، وهذه لايملكها ملك مقرب ولانبي مرسل ولازعيم روحي باصطلاح أتباع هذا المذهب! فالقلوب بيد الرحمن، إن شاء ثبتها على الحق، وإن شاء صرفها، قال جل وعلا:

(ومن يؤمن بالله يهد قلبه) (2).

وعندما تحصل الهداية الاولى لهذا الطالب، سيجد نفسه تمج ما اعتاد قراءته في كتب الفلسفة والكلام من سفسطات وتشككات وعبارات غريبة بمعاني غريبة قد كتبت بحروف عربية يرددها الطالب ويجهل مدلولاتها.

---

(1) مقرر في كتب أصول الدين عند أئمة هذا الشأن، انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة:

(2) سورة التغابن: 11.

وسيجد في قلبه وهو يقرأ كتاب ربه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قراءة تدبر، وفهم قوي مسترشدا بما أثر عن أئمة السلف أهدى خلق الله بعد الانبياء والرسل لانهم أفضل من فهم القرآن وتدبره، وحكمه عقيدة وسلوكا وذوقا وعبادة وحكما.

قلت سيجد في قلبه السكينة والطمأنينة والاستقرار النفسي، لان للقرآن نورا ينير المنهاج لقلب المؤمن، أما الفلسفة والكلام فلا تزيد قلب المفتتن بها إلا ظلاما دامسا وحيرة وقلقا.

وسيتبين لطالب هذه الهداية بوضوح حينئذ أنه قد عرف الحق، والحق ما قاله الله تعالى، وما قاله النبي صلى الله عليه وسلم فمتى حصل للطالب هذا الفضل عرف حقيقة الرجال وميز بينهم وبين الدجاجلة الذين يلبسون على الاحداث من شباب مجتمع الاستهلاك بدون تنخيل ولا غربلة.

فمأساة طلاب اليوم تتجلى في إعراضهم عن تعلم أصول العلم ليصلوا الى منهاج الحق والصواب، فتجد جلهم بل السواد الاعظم منهم قد حاد عن سبيل الرشاد، وطلب الحق من تصريحات الرجال وخطبهم النارية الانفعالية فهجروا باتجاههم الفاسد، كتاب الله عزوجل، فلو كان مرجع هؤلاء الشباب من طلبة العلم الشرعي واعتمادهم على ما يقوله الله تعالى في القرآن في العقيدة أولا وقبل كل شيء، وفي السلوك، وفي الاحكام والعبادات لسعدوا أنفسهم وأسعدوا غيرهم من رؤساء الفرق وزملاء الفرقة، وذلك بالنصيحة والتوجيه والامر بالرجوع الى دين الله في كل صغيرة وكبيرة.

وهذه كتب كالسيول تموج بها مكتبات هؤلاء القوم ، كلها تحمل في طياتها ضلالات وفساد عقائدي صريح ، نشأ عن جهل مؤلفيها بعقيدة القرآن ، عقيدة النبي صلى الله عليه وسلم. (1)
هذه الكتب التي تحمس لها الشباب المنتمي للفرق المعاصرة ؛ أعرض مؤلفوها عن أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، وليس للسنة أهل على الاطلاق إلا ما يفهم من ضابط المصطلح ، وهم أهل الحديث ، أهل العلم بالآثار والاخبار .
هذه الكتب قد نفى أصحابها ما أثبته الله تعالى لنفسه من الصفات الالهية ، وما أثبته له نبيه ومصطفاه من الصفات الذاتية والفعلية ، فكانوا بذلك نفاة معطلة ، وإن لم يقصدوا النفي والتعطيل ، فليس كل من طلب الحق أدركه ، فالحق لايدرك إلا بقواعد منهجية ، من فهمها وعلمها وصل الى الرشاد ، ومن حاد عنها وتركها وزهد فيها وقع في الشر والهلاك .

فكل من نفى العلو والفوقية لله العلي الاعلى الوهاب فقد خاب وخسر وهلك ، كما فعلت الاشعرية الكلابية ، والحنفية الماتوريدية ، فهاتان الطائفتان تعتقدان أن معبودهما وخالقهما

---

(1) منها كتاب الله جل جلاله لسعيد حوى .
وكتاب أركان الايمان لوهبي غاوجي .
وكتاب كبرى اليقينيات الكونية للبوطي .
وكتاب تبسيط العقائد الاسلامية لحسن أيوب .
وغيرها من الكتب المعاصرة والحديثة التي صنفت على مناهج الفلسفة والكلام والتي نبذت أصول وقواعد عقيدة القرآن والسنة النبوية الصحيحة على مناهج السلف أصحاب الحديث .

ليس داخل العالم ولا خارجه . كما تعتقد فرقة ضالة أخرى وهي أهون شرا من الفرقتين السالفتي الذكر ، أن معبودها وخالقها في كل مكان ! إنها فرقة المعتزلة الواصلية ، فهي بعقيدتها هذه تعبد صنما، فهي مثبتة ، والمثبت خير من النافي ، فهي عابدة للصنم وغيرها عابد للعدم ، وأصول كل هذه الفرق جهالات وضلالات وتشككات .

وسأقوم بعرض نصوص تدل على مدى فساد أصل ما نقلته أصحاب الكتب المعاصرة المذكورة في حاشية هذا المبحث ، هذه الاصول المنقولة من أهم مصادر عقيدة الفلسفة والكلام ، وأترك للقارىء مقارنة ما ورد فيها ، وبما ورد في مصادر المالكية الاندلس ، المنافية والمخالفة كل مخالفة لما ورد في كتب التعطيل والتحريف ؛ والحمد لله الذي منّ على أساطين عقيدة الفلسفة والكلام بالتوبة إليه جل وعلا ، كما صرحوا بذلك في آخر أيامهم كما سيأتي في الحديث عن ذلك في فصل التأويل بحول الله تعالى .

قال الجويني:

"فصل فيما يستحيل اتصاف الله به ، فإن قال قائل: قدذكرتم أنه لايمتنع اشتراك القديم والحادث في بعض صفات الاثبات ، ففصلوا ما يختص بالحوادث به من الصفات ، وهي تستحيل في حكم الاله . قلنا : نذكر أولا ما يختص الجواهر به التحيز (1) ، ومذهب

---

(1) الجوهر الفرد عندهم هوالجزء الذي لايتصور تجزئته عقلا ولاتقديرتجزئته وهما .وأما العرض فهي المعاني القائمة بالجواهر كالطعوم والروائح والالوان.
(انظرالغنية في أصول الدين للمتولي الشافعي:50) .

أهل الحق (1) قاطبة أن الله سبحانه وتعالى يتعالى عن التحيز والتخصص بالجهات . وذهب الكرامية وبعض الحشوية إلى أن الباري تعالى عن قولهم ، متحيز ، مختص بجهة فوق تعالى الله عن قولهم ، ومن الدليل على فساد ما انتحلوه أن المختص بالجهات يجوز عليه المحاذاة (2) مع الاجسام ، وكل ما حازى الاجسام لم يخل من أن يكون مساويا لاقدارها ، أو لأقدار بعضها ، أو يحازيها منه بعضه ، وكل أصل قاد الى تقدير الاله أوتبعيضه فهو كفر صراح (3) . ثم ما يحازي الاجرام يجوز أن يماسها ، وما جاز عليه مماسة الاجسام ومباينتها كان حادثا ، إذ سبيل الدليل على حدث الجواهر قبولها للماسة والمباينة على ما سبق ، فإن طردوا دليل حدث الجواهر ، لزم القضاء بحدث ما أثبتوا متحيزا ، وإن نقضوا الدليل فيما ألزموه انحسم الطريق على إثبات حدث الجواهر .

فإن استدلوا بظواهر قوله تعالى :(الرحمن على العرش استوى) [طه :5] فالوجه معارضتهم بآي يساعدوننا على تأويلها ، منها قوله تعالى في سورة الحديد :4(وهو معكم أينما كنتم) وقوله تعالى في سورة الرعد :33 (أفمنْ هو قائم على كل نفس بما كسبت)

---

(1) كلما ابتعد المرء عن القرآن والحديث انقلبت عنده المفاهيم، فنظر الى المسائل بعين حولاء تعكس المرئيات ، فطارت الحية الرقطاء عنده سمكة، بإلتقامها يلقى حتفه !

(2) يريد المحاذاة .

(3) هذا غلووشذوذ واضح وخروج عن منهج السلف، فأهل الفلسفة والكلام هم الذين يكفرون المسلمين ، ويخرجونهم من ملة الاسلام، وكتبهم مشحونة بهذا الافتراء والكذب على الله خلافا للسلف أصحاب الحديث الذين لايكفرون المعين كما سيتضح قريبا في فصل الايمان بحول الله تعالى .

فنسائلهم عن معنى ذلك ، فإن حملوه على كونه معنا بالاحاطة والعلم ، لم يمتنع منا حمل الاستواء على القهر والغلبة. وذلك شائع في اللغة ، اذ العرب تقول: استوى فلان على الممالك إذا احتوى على مقاليد الملك واستعلى على الرقاب ، وفائدة تخصيص العرش بالذكر أنه أعظم المخلوقات في ظن البرية، فنص تعالى عليه تنبيها بذكره على ما دونه" انتهى كلام عبدالملك الجويني (1).

هذا ديدن كل متفلسف متكلم:

- مخاطبة الناس بما لايفهمونه ،
- ابتداع مصطلحات دخيلة لاأصل لها من قرآن ولا سنة ،
- تحريف كتاب الله عن طريق التأويل وباسم التأويل ،
- رد النصوص الحديثية أو تكذيبها ، أو تضعيفها ،
- تفسيق أهل الحق والصواب ، والكذب عليهم ،والتصريح بكفرهم وخروجهم من الاسلام .

وجمّاع القول أن أهل الفلسفة والكلام قوم لم يتم لهم استقراء النصوص القرآنية والحديثية فيكل مسائل العقيدة ، بالاضافة الى عدم تأديتهم الامانة الىأهلها ، فلاينقلون كلام خصومهم مفصلا كما يفعل خصومهم عند مناقشة آرائهم وعقائدهم الفاسدة، بالاضافة الى كونهم لايعدلون ولايقسطون في الاستدلال ، لانهم لم يحصل لهم الفهم السليم للنصوص قبل الاستدلال بها كما تقدم في الاستدلال بقوله تعالى في سورة الحديد: (وهو معكمأينما كنتم) فلو قرأ قوله تعالى من أول آية المجادلة، علم وتيقن أن الاية

(1) انظر الارشاد الى قواطع الادلة في أصول الاعتقاد لعبدالملك الجويني: 58-59.

لاتأويل فيها بالمعنى الفلسفي الكلامي ، لتصدرها بقوله تعالى: (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض)(1) لكن القوم ينقصهم الاطلاع والاحاطة بالنصوص القرآنية والحديثية وفهمها فهما سليما على منهاج السلف أصحاب الحديث أعداء الفلسفة اليونانية والكلام الرومي .

فبدلا من أن يستضيئوا بنور الوحي الالهي ، اخترقوا به والتهبوا بنوره .

ومن المصادر المعتمدة لدى أصحاب الكتب المذكورة آنفا ، كتاب المواقف في علم الكلام ، قال مؤلفه في هذا الصدد : "المرصد الثاني في تنزيهه : وهي الصفات السلبية وفيه مقاصد : المقصد الاول : أنه تعالى ليس في جهة ولا في مكان ، وخالف فيه المشبهة (2) وخصوه بجهة الفوق" الى أن قال كلاما واضحا في إبانة فساد معتقده المخالف للوحي الالهي فقرر أن : "الاستدلال بالظواهر الموهمة بالتجسيم من الايات والاحاديث نحو قوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى، وجاء ربك والملك صفا صفا ، فإن استكبروا فالذين عند ربك . إليه يصعد الكلم الطيب . تعرج الملائكة والروح إليه . هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام . أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض .

(1) المجادلة : 7 .

(2) هكذا ينطاول المبتدعة من أبا طرة الفلسفة والكلام على أهل السنة والجماعة بحق :أهل الحديث فيصفونهم بأشنع الاوصاف ، والوصف السيء يعود على أهله ، وهم أحق به وأولى به ، لاجل هذه الامور عقدت فصلا خاصا لهذه المسألة ، وسميته ب"موقف مالكية الاندلس من المشبهة والتشبيه" والغاية كشف الغطاء عما يخفيه المبتدعة من وراء الاوصاف الدنيئة الواقعة بهم شرورها ومعانيها وسيأتي قريبا بحول الله تعالى تبيين كذبهم وافترائهم .

ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) وحديث النزول ، وقوله عليه السلام للجارية الخرساء : أين الله ؟ فأشارت إلى السماء فقرر ، فالسؤال والتقرير يشعران بالجهة . والجواب أنها ظواهر ظنية لاتعارض اليقينيات ، ومهما تعارض دليلان وجب العمل بهما ما أمكن ، فتؤول الظواهر إما إجمالا ، ويفوض تفصيلها إلى الله ، كما هو رأي من يقف على إلا الله ، وعليه أكثر السلف (1) كما روي عن أحمد : الاستواء معلوم ، والكيفية مجهولة ، والبحث عنها بدعة (2)..." انتهى كلام الايجي(3) .

قد تضمن الكلام المتقدم لهذا المتكلم الفيلسوف منهجا عقائديا مغايرا لاصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، وصرح صاحبه بسوء أدب وعدم توقير للرحمة المهداة محمد صلى الله عليه وسلم مما يزيد في ترسيخ ما ذكرت معلقا على مواقف الفلاسفة المتكلمين من النصوص القرآنية والحديثية . فنقول للمؤلف ولغيره أأنت أعلم أم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قرر أن الجارية مؤمنة بالله تعالى لكونها عرفت أن بارئها في السماء ، حتى تنكر ما آمنت به الجارية !
إن من أثبت العرش لله جل وعلا ، والفوقية والعلو له سبحانه فقد عرف ربه ، ومن أنكر ذلك فقد جهل ربه وعبد العدم !

---

(1) هذا محض الكذب منهم على السلف كما أسلفت من قبل ، فإن مذهب السلف هو إثبات الصفات الالهية على الوجه اللائق بالله تعالى ، من غير تشبيه ولاتمثيل ولاتحريف ولاتعطيل ولاتبديل أوتغيير تحت قناع التأويل كما هو ديدن المبتدعة . أما التفويض فهو مذهب المبتدعة والسلف أصحاب الحديث منه براء .

(2) قد تقدم وهو من كلام أم سلمة وربيعة وشيخ مالك ، ومالك بن أنس .

(3) المواقف : 272-273 .

روى الامام ابن خزيمة بإسناد متصل عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابي فقال: يا رسول الله: جهدت الانفس وضاع العيال ونهكت الاموال، وهلكت الانعام فاستسق الله لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويحك تدري ما تقول؟ فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال ويحك إنه لايستشفع بالله على أحد من جميع خلقه . شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله؟إن الله على عرشه، وعرشه على سماواته، وسماواته على أرضه" قال الامام ابن خزيمة: فيروى علي بن موسى هكذا وقال بأصبعه مثل القبة، وانه ليئط به مثل أطيط الرحل(1) بالراكب، فروى علي ابن موسى وأنا أسمع أن وهبا حدثهم بهذا الاسناد مثله سواء"(2).

وهكذا تجد أهل البدع من المتفلسفة المتكلمين يخرجون من هذه الدنيا وما عرفوا ربهم، ومن أوجب الواجبات معرفة الخالق المعبود بحق جل وعلا، ولاحققوا الايمان ولوازمه، ومن لوازمه إثبات الفوقية والعلو لله تعالى .

ومن أشدهم تحاملا على السلف وأكثرهم سبا وشتما الرازي صاحب كتاب التنقيص المسمى بأساس التقديس! فمن حججه الباطلة التي هي في حقيقتها شبه أنكر بها علو الله تعالى على خلقه،

---

(1) قال المعلق الشيخ محمد خليل هراس :أي ليصوت بالله كصوت الرحل وهو كور الناقة بالراكب الثقيل وهو معنى أطيط الرحل. (التوحيد : 104).

(2) التوحيد لابن خزيمة :103-104.

وخالف عقيدة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وعقيدة جميع الانبياء والرسل عليهم السلام، ما زعم أنها:

" الحجة التاسعة: قوله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)(1) وسئل النبي صلى الله عليه وسلم: أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله تعالى هذه الاية. ولو كان تعالى في السماء أو في العرش، لما صح القول بأنه تعالى قريب من عباده (2).

الحجة العاشرة: لو كان تعالى في جهة فوق، لكان سماء، ولو كان سماء، لكان مخلوقا لنفسه، وذلك محال، فكونه في جهة فوق: محال، وإنما قلنا إنه تعالى لو كان في جهة فوق لكان سماء...

الحجة الثانية عشرة: قوله تعالى: (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)(3) ولو كان الخالق في العرش، لكان حامل العرش حاملا لمن في العرش، فيلزم احتياج الخالق الى المخلوق. ويقرب منه قوله تعالى: (الذين يحملون العرش)(4).

الحجة السادسة عشرة: قوله تعالى: (واسجد واقترب)(5).

ولو كان في جهة الفوق، لكانت السجدة تفيد البعد من الله تعالى لا القربى منه، وذلك خلاف الاصل...

---

(1) البقرة : 186.

(2) وهو تصريح أفن بأن الله تعالى ليس على عرشه وهي عقيدة شيخ أفراخ المتكلمين جهم بن صفوان الترمذي.

(3) الحاقة : 17.

(4) غافر : 7.

(5) العلق : 19.

واعلم أن هذه الوجوه التي ذكرناها ، بعضها قوي وبعضها ضعيف ، وكيفما كان الامر فقد ثبت أن في القرآن والاخبار دلائل كثيرة تدل على تنزيه الله تعالى عن الحيز والجهة " انتهى كلام الفيلسوف الرازي(1) .

وهذا تصريح بالكذب على الله عزوجل ، والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والكذب على الصحابة المرضيين ، والكذب على التابعين وتابع التابعين والائمة المجتهدين ، الذين يثبتون لله كل صفة أثبتها لنفسه ، وأثبتها له نبيه ومصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هذه الصفات التي أثبتوها صفة العلو لله العلي الاعلى ،بدون تمثيل ولاتشبيه بصفات المخلوقين ، وبدون تعطيل ولاتحريف المتفلسفين المتكلمين أصحاب عقيدة السفسطات اليونانية ، والتشككات الاغريقية الدخيلة على العقيدة القرآنية الحديثية التي سأبينها من خلال مصادر المالكية الاندلس الموافقة لمصادر فهمها عند أئمة المذاهب الاسلامية المعتمدة .

ومن مصادر هؤلاء المتفلسفة المتكلمين الفاسدة ، المبعدة عن معرفة الله ، والمربكة التي زادت طلبة العلم ارتباكا وتشككا في عقائدهم ، في افريقيا البيضاء والسمراء ، وفي آسيا الوسطى وجنوب شرق آسيا ، العقائد النسفية التي نسفت العقيدة السلفية بمنهاجها الكاذب الخاطىء المعارض بوقاحة لكتاب الله عزوجل ولسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ،وقد اعتنى بها الشارحون المبتدعة الطاعنون على عقيدة أصحاب الشجرة وأهل بيعة الرضوان ، من هؤلاء الشراح المتفلسفة التفتزاني القائل:

---

(1) أساس التقديس لمحمد بن عمر الرازي: 41، 44، 46، 47.

"وذهبت المجسمة والنصارى إلى إطلاق الجسم والجوهر عليه بالمعنى الذي يجب تنزيه الله تعالى عنه...

وأما الدليل على عدم التحيز فهو أنه لو تحيز ، فأما في الازل فيكون متجزئا ، وإذا لم يكن في مكان لم يكن في جهة لاعلو يساوي الحيز أو ينقص منه، فيكون متناهيا أو يزيد عليه، فيكون متجزئا . وإذا لم يكن في مكان لم يكن في جهة ، لاعلو ولا سفل ولاغيرهما ، لانهما إما حدود وأطراف للامكنة ، أو نفس الامكنة باعتبار عروض الاضافة الى شيء...

واحتج المخالف بالنصوص الظاهرة في الجهة والجسمية والصورة والجوارح ، وبأن كل موجودين فرضا لابد أن يكون أحدهما متصلا بالاخر مماسا له ، أو منفصلا عنه ، مباينا في الجهة . والله تعالى ليس حالا ولا محلا للعالم ، فيكون مباينا للعالم في جهة، فيتحيز، فيكون جسما أوجزء جسم مصورا ، متناهيا . والجواب عنه أن ذلك وهم محض ، وحكم على غير المحسوس بأحكام المحسوس ، والادلة القطعية قائمة على التنزيهات ، فيجب أن يفوض علم النصوص الى الله تعالى على ما هو دأب السلف (1) إيثارا للطريق الاسلم (2) أو تؤول بتأويلات صحيحة على ما اختاره المتأخرون ، دفعا لمطاعن الجاهلين..." انتهى كلام المتفلسف التفتازاني (3).

---

(1) هذا كذب على الله تعالى وعلى النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وتابع التابعين والائمة المجتهدين ، فإن دأبهم الاثبات والتنزيه واليأس وقطع الطمع من إدراك حقائق ونهاية معاني وعلم الصفات الالهية .

(2) وطريقتهم الحقة هي الطريقة الاعلم والاحكم والاقوم والاسلم وطريقة الخلف المتفلسفين هي الازل عن الصراط المستقيم والاضل والاظلم .

(3) شرح العقائد النسفية لمحمود بن عمر التفتازاني: 32-33-34-35 .

وكلامه عبارة عن نقل حرفي لما تقدم في المصادر الام لعقيدة الفلسفة والكلام على منهج اليونان، فلاداعي للتعليق على أباطيله.

ومن تلك المصادر أيضا كتاب إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة لاحمد المقّري المغربي، وهو من المصادر المهمة للعقيدةالفلسفية الكلامية، قال في منظومته في هذا الصدد، أي إنكار العلو والفوقية للعلي الاعلى جل وعلا:

وأوجه التماثل المعدودة *** منفية في حقه مردوده
ككونه جرما(1) له التحيز *** أو عرضا له بها التميز
أوبارتسام في خيال يعتبر *** أو بزمان أومكان أوكبر
أوضده كما يقول الشانئ(2) *** نعم هو الاعلىالكبيرالشان
جل عن الجهات والاغراض *** فيما يشا والوصف بالاعراض (3)

وأختم أقوالهم بنموذج للسنوسي الذي سار على درب أئمته المتكلمين في إنكار ونفي العلو والفوقية لله جل وعلا، قال في أم براهينه بعد أن وضع فصلا عقد فيه شرح عقيدته في ما يستحيل في حق الله تعالى من الاضداد العشرين فقال:

"والمماثلة للحوادث بأن يكون جرما أو تتصف ذاته العلية بالحوادث أو يتصف بالصغر أو الكبر أو يتصف بالاغراض في الافعال أو الاحكام، وكذا يستحيل عليه تعالى أن لايكون قائما

(1) الجرم في اصطلاح الفلسفة والكلام: هوالجسم المركب أوالجوهر الفردالذي لايقبل الانقسام (شرح المنظومةلمحمدبن أحمد الداه الشنقيطي: 25).

(2) هذا ديدن المبتدعة يشتمون ويسبون أهل السداد والرشاد وينعتونهمبأقبح النعوت والاوصاف وهمأهللذلك وأقبح منه.

(3) إضاءة الدّجنّة للمقري: 25.

بنفسه بأن يكون صفة يقوم لمحل أو يحتاج الى مخصص"(1) .

وقال في أم البراهين الكبرى ، وهي عقيدته التي أيدها بالبراهين القطعية كما زعم في شرح كلامه المتقدم: "والمماثلة للحوادث بأن يكون جرما : أي تأخذ ذاته العلية قدرا من الفراغ أو يكون عرضا يقوم بالجرم ، أو يكون في جهة للجرم ، أوله هو جهة ، أو يتقيد بمكان أو زمان ...
فاعلم أن العالم كله منحصر في الاجرام والاعراض ، وهي المعاني التي تقوم بالاجرام ، ولاشك أن من صفات نفس الجرم التحيز أي أخذه قدرا من الفراغ بحيث يجوز أن يسكن ذلك القدر أويتحرك عنه، ومن صفات نفسه قبوله للاعراض أي للصفات الحادثة من حركة وسكون واجتماع وافتراق وألوان وأغراض ونحو ذلك ،ومن صفات نفسه التخصيص ببعض الجهات وببعض الامكنة ، وهذه الصفات كلها مستحيلة على مولانا جل وعز فيلزم أن لايكون تعالى جرما "(2) .

ومن خلال النص يتضح للقارىء لهذه الكتب أن أصحابها يأخذون عقائدهم في ضوء منهاج دخيل بعيد كل البعد عن مصدر العقيدة الاسلامية التوقيفي الثابت ، ألا وهو الوحي الالهي بشقيه، فإن الرجل قد بسط هذه المسألة العقيدية بسطا فلسفيا اغريقيا يحكم قواعد المنطق اليوناني ، شأنه في ذلك شأن أساطين هذه العقيدة ، والنص خال خلوا تاما من سوق الادلة القرآنية والحديثية، فقد أعرض صاحبه عن المحجة البيضاء والمنهاج المستقيم، الذي هو صراط الله العزيز الحميد ، الذي لايزيغ عنه إلا كل جاهل بالآثار والاخبار .

---

(1) أم البراهين الصغرى مع حاشية الدسوقي: 128،130،133.
(2) أم البراهين الكبرى مع حاشية الدسوقي أيضا : 129-130-131.

أما علماء الغرب الاسلامي، مالكية الاندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين، فقد كتب الله لهم السلامة من التعطيل والتحريف، والنجاة من الابتداع في الدين، فكانوا على عقيدة السلف أصحاب الحديث في كل مسائل العقيدة الاسلامية وخصوصا في إثبات العلو والفوقية لله جل وعلا، لم يخالفوا أئمة الحديث، وكان إمامهم مالك بن أنس أحد كبار أئمة الحديث، الذي أثبت لله العلو والفوقية على قاعدته المشهورة العلو معلوم، والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

وقد أجاد أئمتنا وأفادونا فوائد جليلة لما بينوا لنا ما يحصل عليه العبد الموحد لربه المؤمن به الذي أثبت لخالقه ما يستحق من الصفات الالهية ومنها العلو والفوقية وقرروا أن: العبد إذا أيقن أن الله تعالى فوق السماء عال على عرشه بلاحصر ولاكيفية، وأنه الآن في صفاته كما كان في أوليته، صار لقلبه قبلة في صلاته وتوجهه ودعائه، ومن لايعرف ربه بأنه فوق سماواته على عرشه، فإنه يبقى ضائعا لايعرف وجهة معبوده، لكن لوعرفه بسمعه وبصره وأوليته، وتلك بلا هذا معرفة ناقصة، بخلاف من عرف أن إلهه الذي يعبده فوق الاشياء، فإذا دخل في الصلاة وكبر توجه قلبه الى جهة العرش منزها ربه تعالى عن الحصر، مفردا له كما أفرده في أوليته وأزليته، عالما أن هذه الجهات من حدودنا ولوازمنا، ولايمكننا الاشارة الى ربنا في أوليته وأزليته إلا بها، لانا محدثون والمحدث لابد في أشارته الى جهة، فتقع تلك الاشارة الى ربه كما يليق بعظمته لاكما يتوهمه هو من نفسه، ويعتقد أنه في علوه قريب من خلقه

هو معهم بعلمه وسمعه وبصره وإحاطته وقدرته ومشيئته، وذاته فوق الاشياء، فوق العرش، ومتى شعر قلبه بذلك في الصلاة أو التوجه أشرف قلبه واستنار وأضاء بأنوار المعرفة والايمان، وعكسته أشعة العظمة على عقله وروحه ونفسه، فانشرح لذلك صدره، وقوي إيمانه، ونزه ربه عن صفات خلقه من الحصر والحلول، وذاق حينئذ شيئا من أذواق السابقين المقربين، بخلاف من لايعرف وجهات معبوده، وتكون الجارية راعية الغنم أعلم بالله منه، فإنها قالت: في السماء عرفته بأنه على السماء فإن في تأتي بمعنى: على كقوله تعالى في سورة المائدة: 26 : (يتيهون في الارض) أي على الارض، وقوله تعالى في سورة طه: 71 (ولأصلبنكم في جذوع النخل) أي على جذوع النخل، فمن تكون الراعية أعلم بالله منه (1) لكونه لايعرف وجهة معبوده، فإنه لايزال مظلم القلب، لايستنير بأنوار المعرفة والايمان، ومن أنكر هذا القول فليؤمن به وليجرب ولينظر الى مولاه من فوق عرشه مبصرا من وجه، أعمى من وجه، كما سبق مبصرا من جهة الاثبات والوجود والتحقيق، أعمى من جهة التحديد والحصر والتكييف، فإنه إذا عمل ذلك وجد ثمرته إن شاء الله تعالى، ووجد نوره وبركته عاجلا وآجلا (ولاينبئك مثل خبير)(2) والله سبحانه الموفق والمعين (3).

---

(1) كاسائط بين العقائد الفلسفية الكلامية الذين تقدم ذكرهم وذكر مؤلفاتهم التي هي مطارح العقائد السوداء لاعظم من المسلمين في هذا الزمان فالله المستعان.

(2) سورة فاطر: 14.

(3) انظر أصل هذا الفصل المختار من كتاب: رسالة في إثبات الاستواء والفوقية لابي محمد عبدالله بن يوسف الجويني والد عبدالملك: 185.

وختم الامام أبومحمد رسالته المسماة أسفله بنصيحة عظيمة الى المسلمين ، وما أحوج المتفلسفين المتكلمين إليها للتحرر من وسواس الشياطين الذي ملأ تطانيفهم ، قال رحمهالله تعالى : "فرحم الله عبدا وصلت إليه هذه الرسالة ولم يعالجها بالانكار، وافتقر الى ربه في كشف الحق آناء الليل والنهار وتأمّل النصوص في الصفات ، وفكر بعقله في نزولها ، وفي المعنى الذي نزلت له ، وماالذي أريد بعلمها من المخلوقات ، ومن فتح الله قلبه عرف أنه ليس المراد إلا معرفة الرب تعالى بها ، والتوجه إليه منها ، وإثباتها له بحقائقها وأعيانها ، كما يليق بجلاله وعظمته، بلاتأويل ولاتعطيل ولاتكييف ولاتمثيل ، ولاجمود ولا وقوف، وفي ذلك بلاغ لمن تدبر ، وكفاية لمن استبصر إن شاء الله تعالى والحمدلله وحده وصلى الله على من لانبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم ،والله سبحانه أعلم" (1).

إن ما كتبه الامام الجويني والد عبدالملك في هذه الرسالة البديعة ، قد نسف به كل ماافتراه المتكلمون في مقالاتهم الخاطئة التي حاولوا من خلالها أن يجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ،وأقام عليهم الحجج الدامغة فطار يرميهم بأحجارهم ويأخذ بإقرارهم، رحمة الله عليه وعلى كل أئمة سلفنا الطالحين المهتدين بحق .

وعلى هذا الدرب المشرق المنير سار بعده كل أئمةالسلف كابن تيمية الذي رد على أساطين التعطيل في هذه المسألة وغيرها من مسائل العقيدة الاسلامية، فدحر الباطل الذي انتصر له الرازي في تقديسه وأوضح رحمه الله أن صفة القرب لاتنافي علو الله

---

(1) رسالةفي إثبات الاستواء والفوقيةلابي محمدعبدالله الجويني ص: 187 ضمن الرسائل المنيرية .

على مخلوقاته، فهو سبحانه عليّ في دنوه، قريب في علوه كما عبر عن ذلك شيخ الاسلام، وقال رحمه الله تعالى يرد على افتراء الرازي ومن سار على درب الفلسفة والكلام من أتباعه وزمرته: "وليس معنى قوله: (وهو معكم)(1) أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لاتوجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الامة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته، هو موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان، وهو سبحانه فوق العرش، رقيب على خلقه مهيمن عليهم، مطلع إليهم، الى غير ذلك من معاني ربوبيته.

وكل هذا الكلام الذي ذكره الله سبحانه من أنه فوق العرش وأنه معنا - حق على حقيقته لايحتاج الى تحريف، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة، مثل أن يظن أن ظاهر قوله: (في السماء) أن السماء تقلّه أو تظله، وهذا باطل بإجماع أهل العلم والايمان، فإن الله قد وسع كرسيه السموات والارض، وهو الذي يمسك السموات والارض أن تزولا، ويمسك السماء أن تقع على الارض إلا بإذنه، (ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره)(2) وقد دخل في ذلك الايمان بأنه قريب من خلقه، مجيب، كما جمع بين ذلك في قوله: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) الاية (3).

(1) قال تعالى في سورة الحديد: 4 (هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير).

(2) الروم: 25.

(3) البقرة: 186.

وقوله صلى الله عليه وسلم للصحابة، لما رفعوا أصواتهم بالذكر: "أيها الناس، اربعوا على أنفسكم، فإنكم لاتدعون أصم ولا غائبا، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته" وما ذكر في الكتاب والسنة - من قربه ومعيته - لاينافي ما ذكر من علوه وفوقيته، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته، وهو عليّ في دنوه، قريب في علوه" (1).

نعم هذه هي عقيدة مالكية الاندلس في إثبات العلو والفوقية لله جل وعلا، لم يخالفوا مالك بن أنس كما يفعل المتأخرون ممن يزعمون أنهم على مذهب مالك، ومالك منهم بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب عليهما السلام.

روى الحافظ شمس الدين الذهبي في كتابه العلو للعلي الغفار:

"قال اسحاق بن عيسى الطباع: قال مالك، كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبرائيل على محمد صلى الله عليه وسلم لجدله؟ وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل في الرد على الجهمية: حدثني أبي حدثنا شريح بن النعمان عن عبدالله بن نافع قال: قال مالك بن أنس: الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لايخلو منه شيء" (2).

وقال أيضا:

"قال الحافظ إمام القراء أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني صاحب "التيسير" في أرجوزته التي في عقود الديانة:

كلامه وقوله قديم *** وهو فوق عرشه العظيم (3)

---

(1) مجموع الفتاوى: 3/142-143.
(2) العلو للعلي الغفار: 103.
(3) المصدر السابق: 181.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

"وقال الطلمنكي أحد أئمة المالكية - قبل ابن عبدالبر والباجي وطبقتهما - في كتاب الوصول الى معرفة الاصول؟ : أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى (وهو معكم أينما كنتم) ونحو ذلك من القرآن: إن ذلك علمه ، وأن الله فوق السموات بذاته مستو على العرش كيف شاء"(1).

ونقل شيخ الاسلام عن ابن عبد البر قوله :

" قال أبوعمر: أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة ، والايمان بها ، وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، إلا أنهم لايكيفون شيئا ولايحدون فيه صفة محصورة . وأما أهل البدع : الجهمية والمعتزلة والخوارج (2) فكلهم ينكرها ، ولايحمل شيئا منها على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقر بها مشبه ، وهم - عند من أقر بها - نافون للمعبود ، والحق ما نطق به كتاب الله ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وهم أئمة الجماعة".

وقال أيضا :

"الذي عليه أهل السنة ، وأئمة الفقه والاثر في هذه المسألة وما أشبهها : الايمان بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، والتصديق بذلك ، وترك التحديد ، والكيفية في شيء منه"(3).

ومن كبار أئمة مالكية الاندلس الذين أثبتوا لله العلو والفوقية على منهاج السلف الامام ابن أبي زمنين ، قال في

---

(1) مجموع الفتاوى:219/3.

(2) السلف يطلقون الجهمية على المعطلة النفاة، وتشمل هذه التسمية أفراخهم من الكلابية الاشعرية أيضا الذين تقدم ذكرهم والاستشهاد بنصوص من زبرهم.

(3) مجموع الفتاوى :221/3-222.

كتابه أصول السنة :" باب في الايمان بالعرش ، قال محمد :ومن قول أهل السنة أن الله عزوجل خلق العرش ، واختص بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ثم استوى عليه كيف شاء كما أخبر عن نفسه في قوله :(الرحمن على العرش استوى)(1)..."(2).

ويناقش الامام ابن عبدالبر خصوم السلف مناقشة هادئة علمية رائعة ، يفند فيها شبههم ، ويدحر أباطيلهم بقوله رحمه الله :
"قال أبوعمر: فإن احتجوا بقول الله عزوجل (وهو الذي في السماء إله وفي الارض إله)(3) وبقوله :(وهو الله في السموات وفي الارض)(4) وبقوله (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) الاية (5) وزعموا أن الله تبارك وتعالى في كل مكان بنفسه وذاته تبارك وتعالى ، قيل لهم: لاخلاف بيننا وبينكم وبين سائر الامة، أنه ليس في الارض دون السماء بذاته، فوجب حمل هذه الايات على المعنى الصحيح المجتمع عليه، وذلك أنه في السماء إله معبود من أهل السماء ، وفي الارض إله معبود من أهل الارض، وكذلك قال أهل العلم بالتفسير .
فظاهر التنزيل يشهد أنه على العرش ، والاختلاف في ذلك بيننا فقط ، وأسعد الناس به ، من ساعده الظاهر .وأما قوله في الاية الاخرى(وفي الارض إله) فالاجماع والاتفاق قد بيّن المراد بأنه معبود من أهل الارض فتدبر هذا فإنه قاطع إن شاء الله .(6)

---

(1) طه : 5 .
(2) أصول السنة : لوحة 7.
(3) الزخرف : 84 .
(4) الانعام :3 .
(5) المجادلة :7 .
(6) هكذا يلمس الطالب المنصف الباحث عن الحق ، أن هذه التفسيرات عبارة عن بيوت يستخرج من أصدافها وقواقعها ، لكن بعد الغوص لاستخراجها من قعر المحيطات ، فالسعيد من أسعده الله ووفقه للاطلاع على مكامن جواهرها بذات السلف، في مصادرهم التي هي عبارة عن مؤلفات جعلت لفهم عقيدة الانبياء والرسل عليهم السلام.

ومن الحجة أيضا في أنه عزوجل على العرش فوق السموات السبع ، أن الموحدين أجمعين ، من العرب والعجم إذا كربهم أمر ،أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم الى السماء ، يستغيثون ربهم تبارك وتعالى ، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه الى أكثر من حكايته، لانه اضطرار لم يونبهم عليه أحد ، ولاأنكره عليهم مسلم ،وقد قال صلى الله عليه وسلم للأمة التي أراد مولاها عتقها إن كانت مؤمنة ، فاختبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن قال لها : "أين الله ؟" فأشارت الى السماء ،ثم قال لها :"من أنا ؟" قالت : رسول الله، قال:" عتقها فإنها مؤمنة " .

فاكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم منها برفعها رأسها الى السماء ،واستغنى بذلك عما سواه ...

وأما احتجاجهم ،لوكان في مكان لأشبه المخلوقات ، لان ما أحاطت به الامكنة واحتوته مخلوق (1) فشيء لايلزم ، ولامعنى له، لانه عزوجل ليس كمثله شيء من خلقه ، ولايقاس بشيء من بريته ، لايدرك بقياس ولايقاس بالناس ،لاإله الا هو ، كان قبل كل شيء ، ثم خلق الامكنة والسموات والارض وما بينهما ، وهو الباقي بعد كل شيء ، وخالق كل شيء لاشريك له.

وقد قال المسلمون وكل ذي عقل: إنه لايعقل كائن لا في مكان منا ، وما ليس في مكان فهو عدم .

وقد صح في المعقول ،وثبت بالواضح من الدليل : أنه كان في الازل لا في مكان ، وليس بمعدوم . فكيف يقاس على شيء من خلقه ؟ أو يجري بينه وبينهم تمثيل أو تشبيه ؟ تعالى الله عما

---

(1) وهذا ما زعمها لمبتدعةا لمتفلسفون من أهل الكلام كما مر معنا من خلال مطادرهم.

يقول الظالمون علوا كبيرا . الذي لايبلغ من وصفه إلا الى ما وصف به نفسه ، أو وصفه به نبيه ورسوله ، أو اجتمعت عليه الامة الحنيفية عنه .

فإن قال قائل منهم: إنا وصفنا ربنا ، أنه كان لافي مكان ، ثم خلق الاماكن فطار في مكان ، وفي ذلك إقرار منا بالتغيير والانتقال ، إذ زال عن صفته في الازل ، وصار في مكان دون مكان ، قيل له : وكذلك زعمت أنت أنه كان لا في مكان وانتقل إلى صفة هي الكون في كل مكان ، فقد تغير عندك معبودك ، وانتقل من لامكان الى كل مكان . وهذا لاينفعك منه ، لانه إن زعم أنه في الازل ، في كلمكان كما هو الآن ، فقد أوجب الاماكن والاشياء موجودة في أزله ، وهذا فاسد .

فإن قيل: فهو يجوز عندك أن ينتقل من لامكان في الازل الى مكان؟ قيل له : أما الانتقال وتغيير الحال ، فلاسبيل الى إطلاقه ذلك عليه، لان كونه في الازل لايوجب مكانا ، وكذلك نقله لايوجب مكانا ، وليس في ذلك كالخلق ، لان كون ما كونه يوجب مكانا من الخلق ونقلته توجب مكانا ، ويصير منتقلا من مكان الى مكان ، والله عزوجل ليس كذلك ، لانه في الازل غير كائن في مكان ، وكذلك نقلته لاتوجب مكانا ، وهذا ما لاتقدر العقول على دفعه ، ولكنا نقول:

استوى من لامكان الى مكان ، ولانقول: انتقل ، وإن كان المعنى في ذلك واحدا ، ألا ترى أنا نقول: له عرش ، ولانقول: له سرير، ومعناهما واحد ، ونقول: هو الحكيم ، ولانقول: هو العاقل ، ونقول: خليل ابراهيم ، ولانقول: صديق ابراهيم، وإن كان المعنى في ذلك كله واحدا . لانسميه ولانصفه ولانطلق عليه إلا ما سمى به

نفسه على ما تقدم ذكرنا له من وصفه لنفسه ، لاشريك له ، ولاندفع ما وصف به نفسه ، لانه دفع للقرآن ، وقد قال الله عزوجل: (وجاءك ربك والملك صفا صفا)(1) وليس مجيئه حركة ولازوالا ولا انتقالا ، لان ذلك إنما يكون إذا كان الجائي جسما أو جوهرا ، فلما ثبت أنه ليس بجسم ولاجوهر ، لم يجب أن يكون مجيئه حركة ولانقلة ، ولو اعتبرت ذلك بقولهم:جاءت فلانا قيامته ، وجاء الموت ، وجاءه المرض وشبه ذلك ، مما هو موجود نازل به ، ولامجيء لبان ذلك ، وبالله العصمة والتوفيقه فإن قال قائل: إنه لايكون مستويا على مكان ، إلا مقرونا بالتكييف ، قيل: قد يكون الاستواء واجبا ،والتكييف مرتفع ، وليس رفع التكييف يوجب رفع الاستواء ، ولولزم هذا ،لزم التكييف في الازل ، لانه لايكون كائن في لامكان إلا مقرونا بالتكييف،وقد قلنا وأدركنا بحواسنا أن لنا أرواحا في أبداننا ، ولانعلم كيفية ذلك،وليس جهلنا بكيفية الارواح ، يوجب أن ليس لنا أرواح ، وكذلك ليس جهلنا بكيفية على عرشه يوجب أنه ليس على عرشه " انتهى كلام ابن عبدالبر رحمه الله تعالى وجزاه عن أمة الاسلام خير الجزاء (2).

وهكذا ترى الامام ابن عبد البر وهو من أكبر علماء المالكية وأعظمهم قدرا وأسدهم قولا وأعلمهم بكتاب الله تعالى ،وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم[3]،قد وفق بعلمه وفقهه في السنة والقرآن بعد التوفيق الالهي ، الى إعطاء القارىء والخصم حقائق ليست بعدها حقائق ، وهكذا كان كل أئمة السلف رحمة الله عليهم ، فمناهجهم في العرض والاثبات ،وفي الردوالمناقشة

(1) الفجر : 22.
(2) التمهيد :7/ من 133 إلى 137.
(3) أوحد في زمانه وعصره .

والمجادلة والمطقة، هي خير المناهج وأقومها وأعلمها وأحكمها وأتقاها وأسلمها، بخلاف مناهج الفلسفة والكلام الوحي مناهج الحيرة والارتباك، مناهج الخذلان، مناهج البعد عن الله وعن وحيه.

وخير أمور الدين ما كان سنة *** وشر الامور المحدثات البدائع

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يردد كثيرا في خطبه في مناسبات كثيرة: "فإن خير الكلام كلام الله وخيرا لهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها".

فخير الطرق الموصلة الى الله عزوجل هي الطريقة المعصومة من الزلل والخطأ والتقول على الله، إنها طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تقرير العقيدة الاسلامية بكل مباحثها، وكذا طريقته عليه الصلاة والسلام في السلوك، والذوق الاجتماعي، والحكم، والعبادات، والعلاقات بين الافراد والشعوب، وغيرها من مناحي الحياة الانسانية، فمن طلب علم التوحيد القرآني الحديثي حصلت له السكينة والطمأنينة وغشيته رحمة الرحمن الرحيم، ومن زاغ عن هذا المنهاج أزاغ الله قلبه وأهلكه.

وأختم هذا المبحث بعرض نصوص من أوثق مصادر فهم عقيدة كبار أئمة المذاهب الاسلامية المعتمدة، مبتدئا بالاستاذ الكامل والامام الجليل المجاهد الكبير بحق، أبي عبدالله أحمدبن حنبل الشيباني رحمه الله تعالى: حتى يتضح لكل معاند ومكابر من أتباع فلاسفة المتكلمين أن أئمة الاسلام كانوا برآء مما ابتدعه هؤلاء من عرض العقيدة في قوالب يونانية دخيلة على الفكر الاسلامي الاصيل.

قال رحمه الله:

"فإن احتج مبتدع ومخالف بقول الله عزوجل (50:16 ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)(1) وبقوله (57:4 وهو معكم أينما كنتم)(2) وبقوله (58:7 ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم - إلى قوله - هو معهم أينما كانوا)(3) ونحو هذا من متشابه القرآن. فقل: يعني بذلك العلم (4) لان الله تعالى على العرش، فوق السماء السابعة العليا ويعلم ذلك كله، وهو بائن من خلقه، لايخلو من علمه مكان، ولله عزوجل عرش، وللعرش حملة يحملونه، والله عزوجل على عرشه، ليس له حد، والله أعلم بحده (5).

وتتجلى وحدة المنهج العقيدي بين المذاهب الاسلامية المعتمدة في هذه النصوص المختارة من مصادر كبار أئمة هذا الشأن، في الذي قرره إمام الائمة محمد بن اسحاق بن خزيمة من كبار أئمة الشافعية رحمة الله عليه بعد أن ساق براهين قرآنية قطعت رقاب المعطلة: "... ألم تسمعوا قول الخالق البارىء (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لايستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون)(6) فأعلمنا الجليل جل وعلا في هذه الاية أيضا أن ربنا فوق ملائكته، وفوق ما في السموات وما في الارض من دابة، وأعلمنا أن الملائكة يخافون ربهم الذي فوقهم، والمعطلة تزعم أن معبودهم تحت الملائكة! ألم تسمعوا قول خالقنا: (يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج إليه)(7) أليس معلوما في اللغة السائدة بين

---

(1) سورة ق: 16.
(2) سورة الحديد: 4.
(3) سورة المجادلة: 7.
(4) وهذا رد صريح على النصوص الفلسفية الكلامية التي سبق عرضها.
(5) السنة للامام أحمد بن حنبل.
(6) سورة النحل: 49-50.
(7) سورة السجدة: 5.

بين العرب التي خوطبنا بها ، وبلسانهم نزل الكتاب أن تدبير أمر السماء إلى الارض إنما يدبره المدبر وهو في السماء لا في الارض ، كذلك مفهوم عندهم أن المعارج المصاعد ، قال الله تعالى: (تعرج الملائكة والروح إليه)(1) وإنما يعرج الشيء من أسفل إلى أعلى وفوق ، لا من أعلى إلى دون وأسفل فتفهموا لغة العرب لاتغالطوا .

وقال جل وعلا : (سبح اسم ربك الاعلى)(2) فالاعلى مفهوم في اللغة أنه أعلى كل شيء وفوق كل شيء ، والله قد وصف نفسه في غير موضع من تنزيله ، وأعلمنا أنه العلي العظيم ، أفليس العلي - يا ذوي الحجى - ما يكون عاليا لاكما تزعم المعطلة الجهمية أنه أعلى وأسفل ووسط ومع كل شيء ، وفي كل موضوع من أرض وسماء ، وفي أجواف جميع الحيوان ! ولو تدبروا الاية من كتاب الله لفهموها لعقلوا أنهم جهال لايفهمون ما يقولون وبان لهم جهل أنفسهم وخطأ مقالتهم ، قال الله تعالى لما سأله كليمه موسى عليه السلام أن يريه ينظر إليه : (قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل)(3) إلى قوله (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) أفليس العلم محيطا - يا ذوي الالباب - أن الله عزوجل لوكان في كل موضع ومع كل بشر وخلق كما زعمت المعطلة ، لكان متجليا لكل شيء ، وكذلك جميع ما في الارض لوكان متجليا لجميع أرضه سهلها ووعرها ، وجبالها براريها ومفاورها مدنها وقراها وعمارتها وخرابها ، وجميع ما فيها من نبات وبناء (لجعلها دكاً) كما جعل

---

(1) سورة المعارج :4.
(2) سورة الاعلى : 1.
(3) سورة الاعراف :143.

الله الجبل الذي تجلى له دكا ، قال الله تعالى: (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا)"(1)

وقال الامام أبوجعفر الطحاوي الحنفي رحمه الله تعالى:
"وهو مستغن عن العرش وما دونه ، محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الاحاطة خلقه" .

قال الشارح أبوالعز الحنفي:

" أما قوله وهو مستغن على العرش وما دونه ، فقال تعالى: (إن الله غني عن العالمين) العنكبوت :6 ،وقال تعالى: (والله هو الغني الحميد) فاطر:15 . وإنما قال الشيخ رحمه الله هذا الكلام هنا ،لانه لما ذكر العرش والكرسي ، ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش ،ليبين أن خلقه العرش لاستوائه عليه ، ليس لحاجته إليه ،بل له في ذلك حكمة اقتضته(2)، وكون العالي فوق السافل ، لايلزم أن يكون السافل حاويا للعالي محيطا به ، حاملا له ، ولا أن يكون الاعلى مفتقرا إليه . فانظر الى السماء ،كيف هي فوق الارض ،وليست مفتقرة إليها ؟ فالرب تعالى أعظم شأنا وأجل من أن يلزم من علوه ذلك ، بل لوازم علوه من خصائصه وهي حمله بقدرته للسافل ، وفقر السافل وغناه هو سبحانه عن السافل ، وإحاطته عزوجل به، فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته، وغناه عن العرش، وفقر العرش إليه وإحاطته بالعرش ،وعدم إحاطة العرش به، وحصره للعرش ،وعدم حصر العرش له، وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق .

---

(1) التوحيد لابن خزيمة بتعليق محمد خليل هراس :111-112.
(2) وفي هذا البيان والشرح نسف لباطل محمد بن عمر الرازي.

ونفاة العلو(1) أهل التعطيل ، لو فصلوا بهذا التفصيل ، لهدوا الى سواء السبيل ، وعلموا مطابقة العقل للتنزيل ، ولسلكوا خلف الدليل ، ولكن فارقوا الدليل ، فضلوا عن سواء السبيل (2).

وهكذا نرى أن هذه النصوص كلها تدل على أن الله تعالى في السماء وعلمه في كل مكان ، والقرب لاينافي العلو والفوقية، ونجد أن مالكية الاندلس قد استطاعوا من خلال تصانيفهم أن يبينوا لنا عقيدتهم على ضوء دراسة أصيلة لمذهب السلف أصحاب الحديث ، إبانة واضحة على منهاج قويم ، في حين نجدا لمتكلمين الفلاسفة سلكوا مسلكا مخالفا ، مسلك التكلف والتنطع والمراوغة والحيل ، تحت قناع التأويل تارة ، وبالرد الشنيع لنصوص القرآن والسنة تارة ، وبتقديس العقل وتقديمه على الشريعة تارة أخرى . فهل أمر المسلمون باتباع هذا العقل وتحكيمه ؟ لم يثبت دليل شرعي على تقديمه على النقل !

فمادامت عقول هؤلاء البشر من المتكلمين معرّضة للتعارض والتناقض حتى لايجوز أن تكون حاكمة في المسائل ، فالواجب على هؤلاء أن يحكموا كتاب ربهم في المسائل العقيدية وغيرها ، وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، بعد أن تبين لهم فساد منهجهم، وأنه لاقيمة له أمام النقول المتقدمة رغم كثرة الاسماء التي يسمونه بها، كالعقلي والفكري والنظري ، والوجداني ، ذلك لمخالفته الصريحة للقرآن وللسنة النبوية .

---

(1) من الجهمية الجعدية، والمعتزلة الواصلية، والكلابية الاشعرية ، والحنفية الماتوريدية .

(2) شرح العقيدة الطحاوية :313 .

وينبغي أن نسجل هنا قبل ختم المبحث ، أن هذا الصنف من علماء الكلام الذين تم الاستشهاد على فساد منهجهم من خلال مصادر عقيدتهم ، قد كانت لبعضهم خدمة جليلة في الاحكام والسلوك ، فنجد بعضهم قد خدم العلم ، وقام بإصلاحات في مختلف البلاد الاسلامية ، فعندما نوجه لهم نقد أعلام ملتنا لعقائدهم الفاسدة ، إنما نتكلم عنهم من ناحية التوحيد ، فنقول: رغم قيام هؤلاء المتكلمين بأعمال جليلة وكبيرة في مجال الاصلاح الاجتماعي والفقه الاسلامي والسلوك المبني على الزهد لا على الخرافات التصوفية ، مع كل ذلك فهم معطلة مبتدعة في العقيدة ، على منهاج فاسد ، فكان ينبغي عليهم - والان يجب على أتباعهم - كما اعتنوا بالتخصصات العلمية، وصلّحوا أعمالهم ، أن يصححوا عقائدهم ويصلحوها ، لان العمل بلاعقيدة صحيحة لاينفع عند الله أبدا كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة الحاجة ، ولحديث عائشة رضي الله عنها "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" .

* * *

الفصل الثالث :

موقفهم من التأويل بالمفهوم الكلامي

المبحث الاول : حقيقة التأويل .

المبحث الثاني : التأويل عند المتكلمين .

المبحث الثالث : رجوع أساطين الكلام عن التأويل الفاسد .

المبحث الرابع : براءة مالكية الاندلس من تأويل المتكلمين.

*

* *

*

المبحث الاول : حقيقة التأويل

تمهيد :

قدمت في فصول هذه الاطروحة أن مالكية الاندلس قد عرفوا بحبهم الشديد للاخبار والاثار ، وباتباعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم مقتفين أثر سلفهم الصالح ، ومواففين لهم في تحكيم الضوابط العلمية في تقرير العقيدة الاسلامية ، آخذين بأصولهم الايمانية في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ومخالفين بهذا المنهج الرشيد القويم مسلك الفلاسفة المتكلمين الذين بدلوا قولا غير الذي قيل لهم ، قال الله عزوجل في سورة طه :5 (الرحمن على العرش استوى) وقال الفلاسفة المتكلمون كما تقدم في المبحث الاخير من الفصل الثاني : الرحمن على العرش استولى! (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم)(1) في كل الصفات الالهية التي أثبتها الله تعالى لنفسه ، وأثبتها له نبيه ومصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم.

وهم بفعلهم هذا قد انحرفوا عن الصراط السوي الذي هو منهاج الله القويم .

وأسباب انحرافهم عن منهاج الحق والصواب كثيرة جدا (2) ولعل أولاها بالدراسة والبحث : التأويل في مفهوم المتكلمين بعد إظهار بطلانه من خلال مصادر لغة القرآن الكريم البريئة من مصطلحات وألفاظ اليونان ، فإن الله عزوجل أفرد بالعبادة

---

(1) سورة البقرة :59 .

(2) تقدم ذكرها في مدخل هذه الاطروحة .

والتوحيد قبل أن يخلق اليونان وأباطرة فكر الدجل اليوناني ، فكل الشرور الفكرية التي وقع فيها أهل الكلام فانعكس شرها على أفعالهم وأذواقهم وتصريحاتهم، كانت بسبب تحكيم العقل اليوناني الذي هو محض الهوى ، والهوى المجرد من قوانين الشريعة الغراء يهوي بأصحابه في النار .

يعتبر التأويل أصلا من الاصول المنهجية عند المتكلمين في مجال الاعتقاد والفكر ، وقاعدة من قواعدهم الاساسية التي بنوا عليها تخميناتهم وتشككاتهم وحيرتهم في معتقداتهم ، سواء في توحيد المعرفة والاثبات أو باقي المباحث العقيدية كالايمان ومباحثه التي سنعرض في الفصل الاخير من هذه الاطروحة بحول الله تعالى .

ولما اعتمد فلاسفة الكلام على التأويل الفاسد في تقرير عقيدة توحيد الاسماء والصفات ، فبدلا من أن ينزهوا خالقهم جل وعلا كما أمر بذلك في محكم تنزيله ، نقّصوه ووقعوا في تعطيل صفاته العليا التي أثبتها سبحانه لنفسه وأثبتها له نبيه ومصطفاه على منهاج إخوته أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم جميعا .

فكان هذا الاصل العاتي الطاغي أي التأويل بالمفهوم الفلسفي الكلامي سببا في تضييعهم في عقيدة النور والهدى: عقيدة القرآن والسنة النبوية الصحيحة ، حتى طاروا به معطلين لصفات الله العليا . فإذا جاءتهم آية قرآنية صريحة تثبت لله صفة من صفاته حرفوها تحت قناع التأويل بدعوى المجاز والمشاكلة والاستعارة وغير ذلك مما سيأتي تفصيله في المبحث الموالي من هذا الفصل .

وإذا صح حديث نبوي في إثبات صفة من صفات الله العليا إن كان يحتمل التأويل في مفهومهم أي التحريف والتبديل في مفهوم اللغة العربية التي خوطبنا بها وأنزل الله بها كتابه العزيز على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، وإن كان الحديث الصحيح لايحتمل عندهم تأويلا ردوه وكذبوا بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كذب اليونان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قبل أفراخهم المتكلمين، ومن يشابه أباه فما ظلم. وتكذيبهم يتم إما بالتصريح وإما بالطعن في أسانيد الاحاديث، كما سيأتي تفصيل ذلك في المبحث الثاني إن شاء الله تعالى.

وكل هذا التعسف ناتج عن افتتان القوم بعقولهم ومعقولاتهم، وهذا حبل من حبائل الشيطان، والشيطان لايعرف كللا ولافتورا، من أجل تضليل من اختار الضلالة على الهدى.

ولما كانت هذه الحالة المتردية في حياة المسلمين الفكرية والثقافية تستلزم المزيد من البحث والتقصي والدراسة قصد تحذيرهم من هذا الطاغوت، وترهيبهم من الوقوع في شركه، وتحصينهم من الافتتان بأساليب مروجيه في مصادر عرض عقائدهم اليونانية، رأيت من الواجب عليّ في هذه الدراسة أن أخص أطروحتي بفصل كامل مفصل، أبين فيه طريقة مالكية الاندلس في فهم التأويل، وطريقتهم هي طريقة السلف أصحاب الحديث، في كل قضايا ومسائل الاعتقاد. وطريقتهم هذه هي الطريقة الاسلم والاعلم والاحكم والاقوم والاسد قولا. وركزت على دراسة أهم الوسائل التي بها تحقق لهم الفهم السليم لهذه المسألة، التي ضل فيها المتكلمون ومن فتن بطريقتهم ومذهبهم آنفا وحاضرا، ألا وهي مسألة التأويل الذي لايمكن للمسلم أن يفهمه فهما صحيحا

إلا عن طريق الوحي الالهي . ذلك لان القرآن الكريم قد أنزله الله على قلب عبده ومصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم بلغة العرب، ووصلنا حديث النبي صلى الله عليه وسلم بالاسناد المتصل بلسان عربي فصيح ، وفهمنا الوحي الالهي بشقيه القرآن والحديث من الصحابة رضوان الله عليهم ، ومن التابعين وتابعيهم والأئمة المجتهدين رحمة الله عليهم أجمعين ، وذلك باللغة العربية ؛ وبهذه الطريقة ، وبهذا المسلك السديد ستغلّق أبواب المكر والمخادعة والحيل في وجه كل معتد أثيم يبدل كلام الله زاعما أنه أعلم بمراد الله من الله - تعالى الله عما يقول الظالم علوا كبيرا - ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك عن طريق التحريف والتبديل والتغيير المبرقع المقنع بالتأويل، تارة بالمجاز، وأخرى بالاستعارة والمشاكلة ، والغاية إحقاق الحق وإبطال الباطل والله الموفق .

قال إمام اللغويين والمحققين في مطلع القرن الثالث الهجري أبوجعفر الطبري رحمه الله تعالى:

"قال أبوجعفر: وأما معنى "التأويل" في كلام العرب، فإنه التفسير والمرجع والمصير ، وقد أنشد بعض الرواة بيت الاعشى:

على أنها كانت تأول حبها ** تأول رِبْعِيِّ السقاب فأصْحَبا

وأصله من: " آل الشيء الى كذا " إذا صار إليه ورجع "يؤول أولا" و"أولته أنا " صيرته إليه ، وقد قيل: (وأحسن تأويلا)(1) أي جزاء . وذلك أن "الجزاء" هو الذي آل إليه أمر القوم وصار إليه . ويعني بقوله: " تأول حبها " تفسير حبها ومرجعه .

---

(1) سورة النساء: 59 ، وسورة الاسراء: 35.

وإنما يريد بذلك أن حبها كان صغيرا في قلبه، فآل من الصغر الى العظم، فلم يزل ينبت حتى أصحب، فصار قديما، كالسقب الصغير الذي لم يزل يشب حتى أصحب فصار كبيرا مثل أمه"(1) انتهى كلام ابن جرير(2).

---

(1) تفسير ابن جرير الطبري: 6/204-205.

(2) قال محقق تفسير الطبري والمعلق عليه محمود محمد شاكر:
"الربعي الذي ولد في أول النتاج - والسقاب جمع سقب (بفتح فسكون) وولد الناقة ساعة وضعها يقال له: "سليل" قبل أن يُعرف أذَكَرٌ هو أم أنثى، فإذا علم أنه ذكر فهو "سقب" وأصحب: ذل وانقاد وأطاع.
وهذا البيت بهذه الرواية التي ذكرتها هنا، قد فسرها الازهري وقال: "هكذا سمعت العرب تنشده "وفسروا "تَوا لي ربعي السقاب" أنه من الموالاة: وهو تمييز شيء من شيء يقال: "وَالَيْنا الفصلان عن أمهاتها فتوالت "أي فصلناها عنها عند تمام الحول، وتشتد عليها الموالاة، ويكثر حنينها في إثر أمهاتها، ويتخذ لها خندق تحبس فيه وتسرح الامهات في وجه من مراتعها، فإذا تباعدت عن أولادها سرحت الاولاد في جهة غير جهة الامهات، فترعى وحدها، فتستمر على ذلك وتصحب بعد أيام.
أخبر الاعشى أن نوى صاحبته اشتدت عليه، فحن إليها حنين ربعي السقاب إذا ووليِ (فُصِل) عن أمه. وأخبر أن هذا الفصل يستمر على الموالاة، وأنه يصحب إصحاب السقب. قال الازهري: "وإنما فسرت هذا البيت، لان الرواة لما أشكل عليهم معناه، تخبطوا في استخراجه، ولم يعرفوا منه ما يعرفه من شاهد القوم في باديتهم".
أما الرواية الاولى فقد شرحها أبو جعفر فيما يلي، وأما رواية بيته الثانية، وهي قوله: "تنوا بع حبها " فإني لم أدر ما معناها، وأخشى أن يكون صوابها: "نزائع حبها " والنزائع جمع نزيعة، يقال: ناقة نازع من نوق نوازع. وناقة نزيعة: وهي التي تحن الى وطنها. نزع البعير الى وطنه: حن واشتاق".
(انتهى كلام المعلق على حاشية تفسير ابن جرير الطبري: 6/25).

وقال الراغب الاصفهاني:

"أول: التأويل من الاول أي الرجوع الى الاصل ومنه الموئل للموضع الذي يرجع إليه ،وذلك رد الشيء الى الغاية المرادة منه علما كان أو فعلا ،ففي العلم نحو:(وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم)(1).

وفي الفعل كقول الشاعر:

﴿ وللنوى قبل يوم البَيْنِ تأويلُ ﴾

وقوله تعالى:(هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله)(2) أي بيانه الذي هو غايته المقصودة منه ،وقوله تعالى:(ذلك خير وأحسن تأويلا)(3) قيل: أحسن معنى وترجمة ، وقيل أحسن ثوابا في الاخرة "(4) .

ومما هو مقرر عند كبار أئمة اللغة العربية من علماء السلف أصحاب الحديث ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية في هذا الصدد بقوله:

"فإن لفظ التأويل قد صار بتعدد الاصطلاحات مستعملا في ثلاثة معان:

أحدها : وهو اصطلاح كثير من المتأخرين من المتكلمين في الفقه وأصوله أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح ، لدليل يقترن به ،وهذا هو الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات ، وترك تأويلها ، وهل ذلك محمود أو مذموم ، أو حق أو باطل ؟

الثاني: أن التأويل بمعنى التفسير ، وهذا هوالغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن ، كما يقول ابن جرير وامثاله من

---

(1) آل عمران:7 .

(2) الاعراف :53 .

(3) النساء :59 .

(4) معجم مفردات ألفاظ القرآن:27 .

المصنفين في التفسير، واختلف علماء التأويل، ومجاهد إمام المفسرين قال الثوري إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، وعلى تفسيره يعتمد الشافعي وأحمد والبخاري وغيرهما، فإذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه فالمراد به معرفة تفسيره.

الثالث: من معاني التأويل: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، كما قال الله تعالى: (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق)(1). فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد هو ما أخبر الله به فيه مما يكون: من القيامة والحساب والجنة والنار ونحو ذلك، كما قال الله تعالى في قصة يوسف لما سجد أبواه وإخوته قال: (يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل)(2) فجعل عين ما وجد في الخارج هو تأويل الرؤيا.

الثاني: هو تفسير الكلام، وهو الكلام الذي يفسر به اللفظ حتى يفهم معناه، أو تعرف علته أو دليله.

وهذا التأويل الثالث هو عين ما هو موجود في الخارج، ومنه قول عائشة: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفرلي" يتأول القرآن يعني قوله: (فسبح بحمد ربك واستغفره)(3).

وقول سفيان بن عيينة: السنة هي تأويل الامر والنهي، فإن نفس الفعل المأمور به: هو تأويل الامر به، ونفس الموجود المخبر عنه، هو تأويل الخبر والكلام خبر وأمر"(4).

---

(1) سورة الاعراف: 53.
(2) سورة يوسف: 100.
(3) سورة النصر: 3.
(4) الرسالة التدمرية: 59-60.

وبعد هذا الشرح والابانة من قبل شيخ الاسلام ابن تيمية خلص الى تقرير ما يلي فقال:

" إذا عرف ذلك: فتأويل ما أخبر الله تعالى به عن نفسه المقدسة، المتصفة بما لها من حقائق الاسماء والصفات، هو حقيقة لنفسها لمقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات، وتأويل ما أخبر الله به تعالى من الوعد والوعيد، هو نفس ما يكون من الوعد والوعيد .

ولهذا ما يجيء في الحديث نعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه، لان ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الاخر، فيه ألفاظ متشابهة يشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا، كما أخبر أن في الجنة لحما ولبنا، وعسلا وخمرا ونحو ذلك، وهذا يشبه ما في الدنيا لفظا ومعنى، ولكن ليس هو مثله ولاحقيقته . فأسماء الله تعالى وصفاته أولى، وإن كان بينهما وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه، أن لايكون لأجلها الخالق مثل المخلوق، ولاحقيقته كحقيقته "(1) .

ومن أئمة الاسلام المحققين الذين شرحوا وبينوا حقيقة مصطلح "التأويل" وضابطه في اللغة العربية التي هي لغة القرآن والسنة النبوية الصحيحة: الامام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى الذي قال في مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة :

" فصل في بيان حقيقة التأويل لغة واصطلاح :

هو تفعيل من آل يؤول الى كذا إذا صار إليه، فالتأويل: التصيير، وأوّلته تأويلا، إذا صيرته إليه ... وقد أولته تأويلا وتأولته بمعنى، قال الاعشى:

---

(1) الرسالة التدمرية : 61 .

على أنها كانت تأول حبها ** تأول ربعي السقاب فأصحبا

قال أبوعبيدة في تفسير حبها ، ومرجعه الى أنه كان صغيرا في قلبه فلم يزل يشب حتى طار قديما هكذا ، كالسقب الصغير لم يزل يشب حتى طار كبيرا مثل أمه وطار له ابن يصحبه . انتهى كلامه (1) .

ثم تسمى العاقبة تأويلا لان الامر يصير إليها ، قال الله تعالى: (فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير وأحسن تأويلا)(2) .

وتسمى حقيقة الشيء المخبر به تأويلا ، لان الامر ينتهي اليه ، ومنه قوله تعالى: (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق "(3) .

فمجيء تأويله مجيء نفس ما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر والمعاد وتفاصيله والجنة والنار . ويسمى تعبير الرؤيا تأويلها بالاعتبارين ، فإنه تفسير لها ، وهو عاقبتها وما تؤول إليه . وقال يوسف لابيه : (يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) أي حقيقتها ومصيرها الى ههنا .

وتسمى العلة الغائية والحكمة المطلوبة بالفعل تأويلا ، لانها بيان لمقصود الفاعل وغرضه من الفعل الذي لم يعرف الرائي له غرضه به ، ومنه قول الخضر لموسى بعد أن ذكر له الحكمة المقصودة بما فعله من تخريب السفينة ، وقتل الغلام ، وإقامة الجدار بلاعوض : (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا)(4) فلما أخبره

---

(1) أي كلام أبي عبيدة .
(2) سورة النساء :59 .
(3) سورة الاعراف : 53 .
(4) سورة الكهف : 78 .

بالعلة الغائية التي انتهى إليها فعله قال: (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا)(1) .

فالتأويل في كتاب الله تعالى المراد منه حقيقة المعنى الذي يؤول اللفظ إليه ، وهي الحقيقة الموجودة في الخارج . فإن الكلام نوعان: خبر وطلب . فتأويل الخبر هو الحقيقة، وتأويل الوعد والوعيد هو نفس الموعود والمتوعد به ، وتأويل ما أخبر الله من صفاته العلى وأفعاله نفس ما هو عليه سبحانه ، وما هو موصوف به من الصفات العلى . وتأويل الامر هو نفس الافعال المأمور بها .

قالت عائشة رضي الله عنها :"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي" يتأول القرآن فهذا التأويل هو فعل نفس المأمور به ، فهذا هو التأويل في كلام الله ورسوله .

وأما التأويل في اصطلاح أهل التفسير والسلف من أهل الفقه والحديث ، فمرادهم به معنى التفسير والبيان ، ومنه قول ابن جرير وغيره : القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا .

ومنه قول الامام أحمد في "الرد على الجهمية فيما تأولته من القرآن على غير تأويله" فأبطل تلك التأويلات التي ذكرها وهو تفسيرها المراد بها ، وهو تأويلها عنده . فهذا التأويل يرجع الى فهم المؤمن ويحصل في الذهن ، والاول يعود الى وقوع حقيقته في الخارج "(2) .

من خلال هذا البيان القيم للامام ابن القيم قد اتضح لنا جليا أن المتكلمين قد ضلوا في فهم كلمة " التأويل" لانهم

(1) سورة الكهف : 82 .

(2) مختصر الصواعق المرسلة :1/10-11-12 .

لايعرفون اللغة العربية ، ومن يجهل اللغة العربية كيف يجرؤ على تفسير كتاب الله عزوجل !

كما تبين لنا في المبحث الاخير من الفصل الثاني من الباب الثاني من هذه الاطروحة ، أن الاخطاء والاغلاط التي وقع فيها فلاسفة المتكلمين فحرفوا وبدلوا دين الله ، كان سببها الجهل باللغة العربية ، فلوكانوا عارفين بلغة القرآن والسنة النبوية ،لما وقعوا في أغلاطهم المكشوفة كتحريف التأويل وشرحه بمعاني ليست عربية أوقعتهم في شرور فظيعة .

فلو قاموا بواجبهم نحو القرآن الكريم ،ونحو سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ففهموا معانيهما ، وتدبروا كتاب الله تعالى لأدركوا بأن تدبره عملية فكرية رائدة ، تترتب عليها نتائج محمودة، ألا وهي فهم ما قال الله تعالى ، وما قال رسوله صلى الله عليه وسلم ،لكنهم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم عطلوا صفات الله جل وعلاوتهجموا على مصابيح الهدى أصحاب الحديث أهل السنة والجماعة .وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل المعد لابانة موقف مالكية الاندلس من التشبيه والمشبهة .

المبحث الثاني : التأويل عند المتكلمين

قد سبقت الاشارة في مباحث هذه الاطروحة الى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في مناسبات متعددة : "وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم" ، وهذا تقرير ثابت توقيفي منه صلى الله عليه وسلم أن خير الطرق الموصلة الى الله ، والمبينة لتأويل كتاب الله تأويلا صحيحا سليما قويما عربيا أصيلا لاعوج فيه ولا التواء ، هي طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التأويل ، ومنهج النبي صلى الله عليه وسلم في تقرير ذلك هو الحق المبين وليس بعد الحق إلا الضلال .

كما تقدم في المبحث السابق شرح مفصل لانواع التأويل الثلاثة ومن بينها تأويل المتكلمين واتضح أنه تأويل مذموم ليس محمودا ، كما قرر ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية .

وهنا نجده يقعّد في خاتمته الجامعة للرسالة التدمرية في مجمل اعتقاد السلف ويبين ويشرح لكل منصف،وطالب علم يرغب في الوصول الى حقائق المسائل العلمية مبتغيا بهذا المنهاج صيانة العلم عن طريق هدف واضح ومقصد نظيف ناصع ،ألا وهو إحقاق الحق وإبطال الباطل ، فيقول:"فأما التأويل المذموم والباطل : فهو تأويل أهل التحريف والبدع الذين يتأولونه على غير تأويله ، ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله الى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك ، ويدعون أن في ظاهره من المحذور ما هو نظير المحذور اللازم فيما أثبتوه بالعقل ، ويصرفونه الى معان هي نظير المعاني التي نفوها عنه،فيكون ما نفوه من جنس ما أثبتوه، فإن كان الثابت حقا ممكنا ، كان المنفي مثله ،

وإن كان المنفي باطلا ممتنعا كان الثابت مثله.

وهؤلاء الذين ينفون التأويل مطلقا ويحتجون بقوله تعالى : (وما يعلم تأويله إلى الله)(1) قد يظنون أنا خوطبنا في القرآن بما لايفهمه أحد ،أو بما لامعنى له ، أو بما لايفهم منه شيء.

وهذا مع أنه باطل فهو متناقض ، لأنا إذا لم نفهم منه شيئا لم يجز لنا أن نقول له تأويل يخالف الظاهر ولايوافقه، لامكان أن يكون له معنى صحيح . وذلك المعنى الصحيح : لايخالف الظاهر المعلوم لنا ، فإنه لاظاهر له على قولهم ، فلاتكون دلالته على ذلك المعنى دلالة على خلاف الظاهر ، فلايكون تأويلا، ولايجوز نفي دلالته على معان لانعرفها على هذا التقدير .

فإن تلك المعاني التي دل عليها قد لانكون عارفين بها ، ولأنا إذا لم نفهم اللفظ ومدلوله ، فلأن لانعرف المعاني التي لم يدل عليها اللفظ أولى ،لان إشعار اللفظ بما يراد به أقوى من إشعاره بما لايراد به ، فإذا كان اللفظ لاإشعار له بمعنى من المعاني ، ولايفهم منه معنى أصلا لم يكن مشعرا بما أريد به ، فلأن لايكون مشعرا بما لم يرد به أولى . فلايجوز أن يقال: إن هذا اللفظ متأول ، بمعنى أنه مصروف عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح ، فضلا عن أن يقال: إن هذا التأويل لايعلمه إلا الله.

اللهم إلا أن يراد بالتأويل ما يخالف ظاهره المختص بالخلق ، فلاريب أن من أراد بالظاهر هذا ، لابد وأن يكون له تأويل يخالف ظاهره ، لكن إذا قال هؤلاء: إنه ليس لها تأويل يخالف الظاهر ، أو أنها تجري على المعاني الظاهرة منها كانوا متناقضين .

---

(1) سورة آل عمران: 7 .

وإن أرادوا بالظاهر هنا معنى ، وهناك معنى : في سياق واحد من غير بيان كان تلبيسا .

وإن أرادوا بالظاهر مجرد اللفظ أي تجري على مجرد اللفظ الذي يظهر من غير فهم لمعناه ، كان إبطالهم للتأويل أوإثباته تناقضا ، لان من أثبت تأويلا أو نفاه فقد فهم معنى من المعاني. وبهذا التقسيم يتبين تناقض كثير من الناس من نفاة الصفات ومثبتيها في هذا الباب "(1) .

إننا عندما نقرأ هذه الابانة والشرح لمسألة التأويل قراءة مركزة ، ونعود لنقرأ هذه الفقرات قراءة فاحصة ثانية ، نعلم علم اليقين أن كاتبها من علماء الاسلام الذين وفّقوا للصواب ، وسدد الله أقواله ، بعد أن شرح صدره للحق والاستقامة في الاعتقاد ثم العمل، فهما لاينفكان ولايفترقان أبدا ، كيف لا يتم ذلك وكلمة التوحيد هي: لاإله إلا الله محمد رسول الله وهي إيمان وعمل ، عقيدة وتشريع مع لزوم إفراد النبي صلى الله عليه وسلم بالمتابعة .

وعلى خلاف هذا المنهاج النوراني بنور الوحي الالهي ، نجد المتهوكين من أهل الكلام يسبحون في ظلام الارتباك والحيرة والتيه ولاأدل على ما أقول مما كتبته أيديهم في مطارح اعتقاداتهم المتداولة بين من فتن بأساليبهم ممن اختل عنده الميزان ، فانقلبت مفاهيمه لما حكّم هواه باسم العقل والمعقول .

قال الباقلاني وهومن كبار أساطين الفلسفة والكلام (2):

---

(1) الرسالة التدمرية : 71-72 ،وانظر مجموع الفتاوى:3/67-68 .

(2) هوإمام المتكلمين القاضي أبوبكرمحمد بن الطيب الباقلاني البصري من علماء القرن الخامس ،عاش في نهاية الرابع وتوفي سنة (403هـ).

"وقيل: سئل بعض أهل التحقيق عن الله عزوجل ما هو؟ فقال: إله واحد، فقيل له: كيف هو؟ فقال: ملك قادر، فقيل له: أين هو؟ فقال بالمرصاد، فقال السائل: ليس عن هذا أسألك، فقال: الذي أجبتك به هو صفة الحق، فأما غيره فصفة الخلق"(1).

قال الباقلاني معلقا على هذا البهتان والمخالفة الصريحة لعقيدة القرآن، وعقيدة الانبياء جميعا من فاتحهم آدم الى خاتمهم محمد عليهما الصلاة والسلام وكذا جميع الانبياء والمرسلين.

"وأراد بذلك أن يسأله عن التكييف والتحديد والتمثيل، وذلك صفة المخلوق لاصفة الخالق، ولان المتفكر إذا تفكر في خلق السموات والارض، وخلق نفسه، وعجائب صنع ربه، أداه ذلك الى صريح التوحيد، لانه يعلم بذلك أنه لابد لهذه المصنوعات من صانع، قادر، عليم، حكيم (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)(2) انتهى كلام الباقلاني(3).

سبحان الله! تبارك وتعالى عما يقول المحرفون أهل التنقيص علوا كبيرا.

نترك ما ثبت عن الله، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونركن الى أقوال المتهوكين، المبتدعة الضالين، الشاتمين لاهل الحديث بأشنع الشتائم والسباب، وأهل الحديث هم أعلم خلق الله بالله بعد الانبياء والرسل، أما الزائغ عن الهدى والسالك سبيل الضلال فيوصف عندهم بأنه من أهل التحقيق!

---

(1) الانصاف فيما يجب اعتقاده ولايجوز الجهل به: 43.
(2) الشورى: 11.
(3) الانصاف: 43.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، جارية تنجح في الاختبار العظيم ويبرسب ويخسر فيه أباطرة الكلام ، فالحمدلله رب العالمين (1) .

ومن أقوال أساطين الكلام المسطورة في أهم مصادر القوم ما قاله ابن فورك :

"... وذلك أن آي الكتاب قسمان:
فقسم هو محكم تأويله بتنزيله ، يفهم المراد منه بظاهره وذاته .
وقسم لايوقف على معناه إلا بالرد الى المحكم ، وانتزاع وجه تأويله منه ، فكذلك أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم جارية هذا المجرى ، ومنزلة على هذا التنزيل ، فمنها الكلام البين المستقل في بيانه بذاته ، ومنها المفتقر في بيانه الى غيره . وذلك على حسب عادة العرب في خطابها ، وعرف أهل اللغة في بيانها ، إذ لم يكن كل خطابهم جليا بينا مستغنيا عن بيان وتفسير "ولا كله خفيا مستحيلا يحتاج الى بيان وتفسير"(2) من غيره "(3).

قد تبين فساد قوله من خلال النص السابق لشيخ الاسلام ابن تيمية ولو قرأ هذا الرجل وأمثاله - رغم تقدم عصورهم بكثير من الازمان - ما كتبه شيخ الاسلام ابن قيم الجوزية ناسفا به باطل المتكلمين ، وناصرا الحق ، لعلم أن الحق أحق أن يتبع ، وأن ما كتب باطل يجب أن يقلع عنه ويتوب الى الله من أفنه .

---

(1) وسبب ذلك كله، الجهل بعقيدة الاسلام، وتحكيم فكر اليونان ، والاخذ بضوابط التأويل الفاسد المذموم تأويل أهل الفلسفة والكلام .

(2) قال محقق الكتاب :ما بين القوسين غير موجودفي نسخةأخرى.

(3) مشكل الحديث وبيانه لابن فورك :42,40 .

ودونك كلامه القيم الذي قرره في فصل جيد أعده لبيان أن أهل التأويل لايمكنهم إقامة الدليل السمعي على مبطل أبدا ، وهذا من أعظم آفات التأويل على حد تعبيره رحمة الله عليه، قال في ردوده على المعطلة : " الوجه الحادي والاربعون وهو: أن الرسول صلى الله عليه وسلم بيّن مراده . وقد تبين أكثر مما تبين لنا كثير من دقائق المعقولات الصحيحة ، ومعرفتنا بمراد الرسول صلى الله عليه وسلم من كلامه فوق معرفتنا بتلك الدقائق إذا كانت صحيحة المقدمات في نفسها ، صادقة النتيجة غير كاذبة، فكيف إذا كان الامر فيها بخلاف ذلك ؟ فتلك التي تسمى معقولات قد تكون خطأ ، ولكن لم يتفطن لخطئها .

وأما كلام المعصوم صلى الله عليه وسلم فقد قام البرهان القاطع على صدقه ، ولكن قد يحصل الغلط في فهمه فيفهم منه ما يخالف صريح العقل ، فيقع التعارض بين ما اقتضاه صريح العقل ، فهذا لابد منه .

ولكن إذا تأمله من وهبه الله حسن القصد وصحة التصور تبين له أن المعارضة واقعة بين ما فهمه النفاة من النصوص وبين العقل الصريح ، وأنها غير واقعة بين ما دل عليه النقل وبين العقل. ومن أراد معرفة هذا فليوازن بين مدلول النصوص وبين العقل الصريح ليتبين له مطابقة أحدهما للآخر ، ثم يوازن بين أقوال النفاة وبين العقل الصريح ، فإنه يتبين له حينئذ أن النفاة أخطأوا خطأين : خطأ على السمع ، فإنهم فهموا منه خلاف مراد المتكلم ، وخطأ على العقل بخروجهم عن حكمه "(1) .

---

(1) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة : 114/1.

وقال أيضا: "الوجه السادس والاربعون: أنه سبحانه بيّن لعباده بأنه يبين لهم غاية البيان وأمر رسوله بالبيان، وأخبر أنه أنزل عليه كتابه ليبين للناس. قال الزهري: "منَ الله البيان وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم" فهذا البيان الذي تكفل به سبحانه وأمر به رسوله إما أن يكون المراد به بيان اللفظ وحده، أو المعنى وحده، أو اللفظ والمعنى جميعا. ولايجوز أن يكون المراد بيان اللفظ دون المعنى، فإن هذا لافائدة فيه ولايحصل به مقصود الرسالة. وبيان المعنى وحده بدون دليله، وهو اللفظ الدال عليه، ممتنع، فعلم قطعا أن المراد بيان اللفظ والمعنى، فكما نقطع ونعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم بيّن اللفظ فكذلك نتيقن أنه بين المعنى، بل كانت عنايته ببيان المعنى أشد من عنايته ببيان اللفظ، وهذا هو الذي ينبغي، فإن المعنى هو المقصود، وأما اللفظ فوسيلة إليه، فكيف تكون عنايته بالوسيلة أهم من عنايته بالمقصود؟ وكيف يتيقن بيانه للوسيلة، ولايتيقن بيانه للمقصود؟ وهل هذا إلا من أبين المحال؟

فإن جاز عليه أن لايبين المراد من ألفاظ القرآن، وجاز عليه أن لايبين بعض ألفاظه، فإن كان المراد منها خلاف حقائقها وظواهرها دون مدلولاتها، وقد كتمه عن الامة ولم يبينه لها، كان ذلك قدحا في رسالته وعصمته، وفتحا للزنادقة من الرافضة وغيرهم باب كتمان بعض ما أنزل الله وهذا مناف للايمان به وبرسالته"(1).

---

(1) مختصر الصواعق المرسلة: 1/117-118.

ومن مصادر أباطيل الكلام كتاب الغنية في أصول الدين، فقد جمع كل النماذج الفاسدة للتأويل في قاموس المتكلمين، من أبرزها قوله:

"فإن استدلوا بظواهر الكتاب والسنة (1) مثل قوله سبحانه وتعالى: (الرحمن على العرش استوى)(2) وقوله تعالى في قصة عيسى عليه السلام: (إني متوفيك ورافعك إلي)(3) وقوله سبحانه وتعالى: (يخافون ربهم من فوقهم)(4) ومثل قوله عليه السلام (ينزل الله في كل ليلة الى سماء الدنيا) وغير ذلك من الايات والاخبار، فلأصحابنا في ذلك طريقان:

أحدهما الاعراض عن التأويل والايمان بها كما جاءت، والايمان بها صحيح وإن لم يعرف معناها كما أن إيماننا بجميع الانبياء والملائكة صلوات الله عليهم، والكتب المنزلة من الله تبارك وتعالى صحيح وإن لم يعرف شيئا في ذلك، وإيماننا بالحروف المقطعة في أوائل السور صحيح، وإن لم نعرف معناها، وهذا الطريق أقرب الى السلامة (5).

ومن أصحابنا من صار الى التأويل، والاختلاف صادر عن اختلاف القراءتين في قوله تعالى: (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) الى قوله: (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به)(6).

---

(1) يقصد محمدا رسول الله والصحابة المرضيين والتابعين ومن تبعهم بإحسان ممن لم يبدل دين الله ولم يغيره، كما غيره هو وزمرته من المتهوكين، فافهم هذا وقف عنده طويلا لتعرف مقصده ومقاصد المدرسة الفلسفية الكلامية.

(2) طه: 5. (3) آل عمران: 55. (4) النحل: 50.

(5) لكنه لم يسلكه، وعلم أن غيره من الطرق أسلم وأحكم وأعلم فلذلك سلكه وركن إليه فتاه في فجاج الجهل نهاية! نسأل الله جل وعلا الثبات على عقيدة الانبياء والرسل.

(6) آل عمران: 7.

فمن صار إلى الوقف على قوله: (وما يعلم تأويله إلا الله) أعرض عن التأويل وجعل قوله (والراسخون في العلم) كلاما مبتدأ ومعناه أن العلماء يقولون آمنا به.

ومن صار إلى الوقف على قوله (والراسخون في العلم) فيكون معناه أن الله تعالى يعلم تأويله، والراسخون في العلم أيضا يعلمون تأويله صار إلى التأويل.

ولكن الطريقة في الجواب معهم أن نعارضهم بآيات تخالف ظواهرها ظواهر هذه الآيات، وذلك مثل قوله تعالى: (ما يكون من نجوى ثلاث إلا هو رابعهم) إلى قوله تعالى: (هو معهم أينما كانوا)(1) وقوله تعالى: (وهو معكم أينما كنتم)(2) وموجب الآيتين حلوله في كل مكان، وقال تعالى: (ألا إنه بكل شيء محيط)(3) ومقتضى ظاهرها أنه محيط بالعالم.

فإن أعرضوا عن تأويل هذه الآيات مع الإيمان بظواهرها والاعتقاد بأنه لا يكون في كل مكان، وأنه غير محيط بالعالم أعرضنا نحن عن التأويل، وصرنا إلى الإيمان بما ورد مع الاعتقاد بأن الحق تعالى منزه على المكان (4)، وإن صاروا إلى التأويل وقالوا: المراد بقوله تعالى: (وهو معكم أينما كنتم) بالعلم لا بالذات، وكذلك قوله تعالى: (ألا إنه بكل شيء محيط) يعني بالعلم، ضربا إلى التأويل (5).

وقلنا المراد بقوله (6) الرحمن على العرش استوى بالقدرة.

---

(1) المجادلة: 7.
(2) الحديد: 4.
(3) فصلت: 54.
(4) إذا قالها متكلم فاعلم بأنه تصريح منه بنفي العلو للعلي الأعلى.
(5) قد تقدم نسف هذه الترهات في المبحث السابق بما يغني عن إعادة سوقها في هذا الموضع.
(6) كلام صاحب الغنية.

فإن قيل: إذا حملتم على القدرة لم يكن لتخصيص العرش فائدة

قلنا : فائدته : أن العرش أعظم المخلوقات ، فإذا قدر عليه علم من طريق التنبيه أنه قادر على ما هو دونه ، على أن مثل هذا يلزمهم فيما قالوا بأن الله تعالى عالم بكل مخلوق غير بني آدم ، فإذا حملوا على العلم لم يكن لتخصيص بني آدم فائدة.

فإن قالوا خص بني آدم تشريفا لهم .

قلنا وخص العرش بذلك تشريفا له .

فإن قيل الاستواء إذا كان بمعنى القهر والغلبة فيقتضي منازعة سابقة ، وذلك محال في وصفه ، قلنا : والاستواء بمعنى الاستقرار يقتضي سبق الاضطراب والانزعاج وذلك محال في وصفه (1).

وأما قوله تعالى:(ورافعك إلي) معناه الى كرامتي ورحمتي.

وقوله :(يخافون ربهم من فوقهم)(2) معناه يخافون ربهم أن ينزل عليهم عذابا من فوقهم ، وإنما خص جهة فوق ، لان الله تعالى أجرى سنته أن ينزل العذاب من فوق (3).

---

(1) هذا محض التشبيه، لانه يشبه صفات الخالق بالمخلوقين فروحه التي هي الآن في مستقرها (البرزخ)كانت في جسده من قبل وهو يجهل كل الجهل أن يصفها أو يحدد كنهها ونهاية علمه بها ، فكيف يجادل عن شيء لايزيده إلا تبها ؟! إنما هي نزعة العقيدة اليونانية الدخيلة على الفكر الاسلامي الاصيل .

(2) سورة النحل: 50.

(3) قال الله عزوجل في سورة الجاثية :23 (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلاتذكرون) قال الحافظ ابن كثير : أي إنما يأتمر بهواه، فمهما رآه حسنا فعله، ومهما رآه قبيحا تركه، وهذا قد يستدل به على المعتزلة في قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين .

وقال أيضا مفسرا قوله تعالى:(وأضله الله على علم): يحتمل قولين: أحدهما : وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك ،

=

وأما قوله عليه السلام: "ينزل الله في كل ليلة الى سماء الدنيا" والمراد به أنه يبعث ملكا الى سماء الدنيا حتى ينادي على ما ورد فيه الخبر(1)، ثم أضاف نزول الملك الى نفسه كما يقال نادى الامير في البلد إذا أمر بالنداء، ويقال قتل الامير فلانا والقاتل غيره (2) ويضاف الى الامير من حيث إنه هو الآمر به. فإن استدلوا بعرف الناس ورفع أيديهم الى السماء عند الدعاء، فرفع اليد الى السماء ليس لان الله تعالى في مكان(3) ولكن لان السماء قبلة الدعاء، كما أن الكعبة قبلة الصلاة في حال القيام، والارض قبلة في حال الركوع والسجود. وليعلم أن الله تعالى ليس في الكعبة ولا في الارض، وإن استدلوا بقصة المعراج وأن رسول الله صلى الله عليه

= والاخر: وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه، وقيام الحجة عليه، والثاني يستلزم الاول ولاينعكس، وفي معنى قوله تعالى: (وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة).
قال الحافظ: أي فلايسمع ما ينفعه، ولايعي شيئا يهتدي به، ولايرى حجة يستضيء بها. (تفسير الحافظ ابن كثير: 150/4).

---

(1) هذا هو ديدن المبتدعة، تحريف النصوص الثابتة، أو ردها كلية والتكذيب بها، أما هذا فقد افترى، وشرع وعلم - على حد تصريحه وقوله - ما لم يعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(2) أقبح بها من عقيدة يونانية خبيثة، أفعال الله وصفاته تقاس بأفعال مخلوقاته، فهذا محض الكذب على الله، وتنقيص صريح للذات الالهية المقدسة.

(3) جارية ترعى الغنم عقيدتها ولله الحمد أفضل وأقوم من عقائد أباطرة الكلام.

وسلم حمل الى جهة فوق وبقوله تعالى :(ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى)(1) فليس فيها حجة لان موسى عليه السلام سمع الكلام على الطور ، وكان ميعاده الطور ، ولم يدل على أن الله تعالى على الطور .

وقال في قصة ابراهيم :(إني مهاجر الى ربي)(2) وكانت هجرته الى الشام ولم يكن البارى تعالى في الشام فبطل قولهم .

وأما قوله تعالى:(ثم دنا فتدلى) فذلك دنو كرامة لامجاورة كقوله :(واسجد واقترب)(3) انتهى كلام صاحب الغنية (4) .

كان لابد من نقل هذه النصوص مفصلة لتكون نموذجا واضح الدلالة على تشبيه المتكلمين ، وتعطيلهم ، وتلاعبهم بالنصوص القرآنية والحديثية فضلوا وأضلوا قرّاء زبرهم .

ولله در الامام المجاهد المحقق المجدد ابن قيم الجوزية الذي أفاد وأحسن وأجاد لما جمع المحاذير الاربعة التي جمع كاتب هذه النصوص المنقولة من كتابه الغنية وكذا من على شاكلته من أهل الكلام ، فقال رحمه الله :

"... فجمعوا بين أربعة محاذير : اعتقادهم أن ظاهر كلام الله ورسوله محال باطل ، ففهموا التشبيه أولا . ثم انتقلوا منه إلى المحذور الثاني وهو التعطيل ، فعطلوا حقائقها بناء منهم على ذلك الفهم الذي لايليق بهم ، ولايليق بالرب سبحانه .

المحذور الثالث : نسبة المتكلم الكامل العلم ، الكامل البيان ، التام النصح الى ضد البيان والهدى والارشاد (5)»

---

(1) النجم: 8 . (2) العنكبوت :26. (3) العلق :19 .

(4) الغنية في أصول الدين لابي سعيد عبدالرحمن النيسابوري: 75-76-77-78-79 .

(5) كما فعل صاحب النص السابق من خلال ما خطته أنامل يده، وكما زعم غيره من أساطين الفلسفة والكلام :الجويني والغزالي والرازي .

وإن المتحيرين المتهوكين أجادوا العبارة في هذا الباب ، وعبروا بعبارة لاتوهم من الباطل ما أوهمته عبارة المتكلم بتلك النصوص .

ولاريب عند كل عاقل أن ذلك يتضمن أنهم كانوا أعلم منه أو أفصح أو أنصح للناس .

المحذور الرابع : تلاعبهم بالنصوص وانتهاك حرماتها (1).

فلو رأيتها وهم يلوكونها بأفواههم وقد حلت بها المثلات وتلاعبت بها أمواج التأويلات ، ونادى عليها أهل التأويل في سوق من يزيد ، فبذل كل واحد في ثمنها من التأويل ما يريد . فلو رأيتها وقد عزلت عن سلطنة اليقين ، وجعلت تحت حكم تأويل الجاهلين(2) ، هذا وقد قعد النفاة على صراطها المستقيم بالدفع في صدورها والاعجاز ، وقالوا :لاطريق لك علينا ، وإن كان ولابد فعلى سبيل المجاز ، فنحن أهل المعقولات وأصحاب البراهين وأنت أدلة لفظية ، وظواهر سمعية، لاتفيد العلم ولا اليقين ،

---

(1) ومن حرماتها تصديقها عند ثبوتها بالاسانيد المتصلة، ثم فهمها فهما جيدا قويما سليما وهوفهم السلف أصحاب الحديث، ثم بعد ذلك يمكن الدارس المختص أن يستدل بها بأمانة وقسطاس، بدون دعوى أنها أحاديث آحاد تارة، وبالطعن في رواتها تارة أخرى ، أوبدعوى المجاز مرة، وبمخالفتها لأصول المتهوكين وقواعدهم الوهمية التي بنوا عليها ترهاتهم مرة أخرى .

(2) كما مر معنا الان في النماذج المختارة في المبحث الحالي.

فسندك آحاد ، وهو عرضة للطعن في الناقلين .

فإن صح وتواتر ففهم مراد المتكلم منها موقوف على انتفاء عشرة أشياء لاسبيل الى العلم بانتفائها عند الناظرين والباحثين فلاإله إلا الله والله أكبر !!

كم هدمت هذه المعاول من معاقل الايمان ، وتثلمت بها حصون حقائق السنة والقرآن .

فكشف عورات هؤلاء وبيان فضائحهم من أفضل الجهاد في سبيل الله (1). وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : "إن روح القدس معك مادمت تنافح عن رسوله" .

واعلم أنه لايستقر للعبد قدم في الاسلام حتى يعقد قلبه على أن الدين كله لله، وأن الهدى هدى الله ، وأن الحق دائر مع الرسول صلى الله عليه وسلم وجودا وعدما ، وأنه لامطاع سواه ولامتبوع غيره ، وإن كان كلام غيره يعرض على كلامه ، فإن وافقه قبلناه ، لا لأنه قاله ، بل لانه أخبر به عن الله تعالى ورسوله ، وإن خالفه رددناه ، لا لأنه قاله، بل لأنه أخبر به عن الله تعالى ورسوله ، وإن خالفه رددناه ، ولايعرض كلامه صلى الله عليه وسلم على آراء القياسيين، ولا على عقول الفلاسفة والمتكلمين ، ولا أذواق المتزهدين ، بل تعرض هذه كلها على ماجاء به ،عرض الدراهم المجهولة على أخبار الناقدين ،

---

(1) وسأزيد وأضيف نصوط كتبتها أيدي الاساطين - وويل لهم مما كتبت أيديهم- لكشف عوراتهم وبيان فضائحهم التي ملئت بها زبر أوليهم حتى يتبين أن القوم قد ضلوا وأضلوا كثيرا من خلق الله من المخدوعين بمصطلحاتهم فحادوا جميعا عن سواء السبيل .

فما حكم بصحته فهو منها المقبول ، وما حكم برده فهو المردود" انتهى كلام شيخ الاسلام (1).

هذا النص العظيم ينير الدرب لكل حائر تائه قرأ ما كتبه ابن فورك وقبله الباقلاني وبعدهما أساطين الكلام: الجويني والغزالي والرازي وبعدهم ممن جاء من أفراخهم كالعضد الايجي والنسفي والسنوسي والمقّري واللقاني ، والهدف منه توجيه الدارس المنصف ، طالب العلم الحق وما العلم إلا كما ورد في النظم السليم:

أيها المغتدي ليطلب علما ** كل علم عبد لعلم الرسول

تطلب الفرع كي تصحح أصلا ** كيف أغفلت علم أصل الاصول

قلت المقصود توجيه الطالب المختص الى مصادر علم العقيدة الاسلامية الحقة ، ليتمكن من التمييز بين عقيدة الفلسفة والكلام وبين عقيدة الاسلام المناقضة لها . وليستطيع إدراك منعطفات ومنعرجات والتواءات المتكلمين التي شحنت بها مصادر قوالبهم النظرية .

هذا ولو حصّل طالب العلم في بحثه العلمي على المنهاج القويم بقواعده الاسلامية الاصيلة، الذي لايتأتى إلا من خلال مصادر فهم هذا المنهاج العقيدي ، لكان هذا كافيا بإذن الله لمصداقية ما يكتب ، موضوعا ومنهاجا وأهدافا . فالله الموفق والهادي الى الصراط المستقيم .

والآن حان الوقت للاطلاع على ما كتبه أحد أساطين الكلام من خلال أحد مصادر منهاجه ، إنه عبدالملك الجويني إمام طائفة المتكلمين في القرن الخامس الهجري الذي قال في صدد ما أعرضه

---

(1) مختصر الصواعق المرسلة: 1/48-49-50 .

الآن في هذا المبحث مكتفيا بسوق نصوص من كتابه، ومختزنا تعليقاتي إلى المبحث الموالي المعد للاستدلال من خلال كتب المحققين من علماء نقد الرجال على رجوعه إلى الله، والشيء نفسه سأسلكه بالنسبة للغزالي والرازي:

" فصل: اليدان والعين والوجه، ذهب بعض أئمتنا إلى أن اليدين والعين والوجه صفات ثابتة للرب تعالى، والسبيل إلى إثباتها السمع دون قضية العقل، والذي يصح عندنا حمل اليدين على القدرة، وحمل العين على البصر، وحمل الوجه على الوجود "(1).

وقال أيضا :

" ومن سلك من أصحابنا سبيل إثبات هذه الصفات بظواهر هذه الآيات، ألزمه سوق كلامه أن يجعل الاستواء والمجيء والنزول والجنب من الصفات تمسكا بالظاهر، فإن ساغ تأويلها فيما يتفق عليه، لم يبعد أيضا طريق التأويل فيما ذكرناه.

وكنا على الاضراب عن الكلام على الظواهر، فإذا عرض فسنشير إلى جمل منها في الكتاب والسنة، وقد صرح بالاسترواح إليها الحشوية الرعاع المجسّمة "(2).

إلى أن قال :

---

(1) الارشاد إلى قواطع الادلة في أصول الاعتقاد :146.

(2) الحشوية والرعاع والمجسمة عنده وعند أبا طرة أفن الكلام هم السلف أصحاب الحديث أعلم بدين الله وأعلم بعقيدة الانبياء والرسل، وأعلم بالله جل وعلا بعد الانبياء والرسل فما قبح بها من كلمات تهوي بقائلها في النار سبعين خريفا إن لم يصرح بتوبته منها كما صرح بكنا بتها فا نتبه جيدا أيها الطالب .

"ومما يسأل عن قوله تعالى: (وجاء ربك والملك صفا صفا)(1) وكذلك قوله تعالى: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة)(2) وليس المعني بالمجيء الانتقال والزوال تعالى الله عن ذلك (3)، بل المعني بقوله: (وجاء ربك) أي جاء أمر ربك وقضاؤه الفصل وحكمه العدل".

ثم قرر بعد سوقه شبهة:

"ومما يجب الاعتناء به معارضة الحشوية بآيات يوافقون على تأويلها، حتى إذا سلكوا مسلك التأويل عورضوا بذلك السبيل فيما فيه التنازع، فمهما يعارضون بقوله تعالى: (وهو معكم أينما كنتم)(4) فإن راموا إجراء ذلك على الظاهر، حلوا عقد إصرارهم في حمل الاستواء على العرش على الكون عليه، والتزموا فضائح لايبوء بها عاقل، وإن حملوا قوله: (وهو معكم أينما كنتم) وقوله (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولاخمسة إلاهو سادسهم)(5) على الاحاطة بالخفيات، فقد تسوغوا التأويل، وهذا القدر في ظواهر القرآن كاف.(6)

---

(1) الفجر: 22 .

(2) البقرة: 210 .

(3) لم يقل بهذا التشبيه أحد إلا صاحب النص، فقد نقلت إجماع علماء المالكية الاندلس، المقتدين بالنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة المرضيين، إثباتهم لكل صفات الله عزوجل اللازمة مثل: الاستواء والنزول والمجيء والاتيان التي أنكرها صاحب النص في حياته، ومثل أفعال الله المتعدية كالخلق والاعطاء وغير ذلك كما قرر شيخ الاسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى: 233/6، بينت كل ذلك في مباحث هذه الاطروحة بما يغني عن إعادة عرضه وبسطه في هذا الموضع .

(4) الحديد: 4. (5) المجادلة: 7 .

(6) أنت أيها الطالب عندما تقرأ كلام هذا الكاتب، يتخيل أليك في أول وهلة أن الرجل أوتي ذكاء ! لكن هذا الذكاء لم ينفعه

=

وأما الاحاديث التي يتمسكون بها، فآحاد لاتفضي الى العلم، ولو ضربنا عن جميعها لكان سائغا، لكنا نومىء الى تأويل ما دوّن منها في الصحاح، فمنها حديث النزول وهو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ينزل الله تعالى الى السماء الدنيا كل ليلة جمعة ويقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من داع فأجيب له؟" الحديث.(1) ولاوجه لحمل النزول على التحول، وتفريغ مكان وشغل غيره، فإن ذلك من صفات الاجسام ونعوت الاجرام. وتجويز ذلك يؤدي الى طرفي نقيض، أحدهما الحكم بحدوث الاله، والثاني القدح في الدليل على حدوث الاجسام"(2).

= أبدا في دين الاسلام بشيء! فالثعلب البري شديد المراوغة لفرط ذكائه إذا قورن بغيره كالاسد، ورغم ما أوتي من ذلك فإنه يقع بسهولة في يد القناصا لماهر.
إن الكاتب لم يؤت علما، ولم يؤت زكاة قلبية وخاطرية وذوقية، لانه أعطي كثيرا وحرم أصول العلم الالهي النبوي المعصوم، وقد سبق أن شرحت كلام شيخ الاسلام ابن عبدالبر في المبحث الثالث من هذا الفصل الذي ساقه في التمهيد: 133/7 إلى 137، انتزع به أنياب هذا الرجل وأسنانه فأبقاه دريدا، فيراجع لأهميته في الموضوع.

---

(1) قد صنف شيخ الاسلام ابن تيمية كتابا سماه حديث النزول ساق فيه الحديث الثابت الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بروايات متعددة وطرق متنوعة صحيحة، قطع به رؤوس المتكلمين بسيف الاسناد القاطع، وسيف السنة النبوية البتار، لكن المبتدع مكابر ومعاند دائما يركب رأسه الفارغ!.

(2) الارشاد: 148-149-150.

وعلى منهاج الجويني صنف الغزالي كتابه الاقتصاد في الاعتقاد، وانتصر لعقيدة التعطيل مصرحاً بموقفه من التأويل الفاسد قائلاً:

"الباب الثاني في بيان وجوب التصديق بأمور ورد بها الشرع وقضى بجوازها العقل...

ثم كل ما ورد السمع به ينظر، فإن كان العقل مجوزاً له وجب التصديق به قطعاً إن كانت الادلة السمعية قاطعة في متنها ومستندها لايتطرق إليه احتمال، ووجب التصديق بها ظناً إن كانت ظنية، فإن وجوب التصديق باللسان والقلب عمل يبنى على الادلة الظنية كسائر الاعمال ... وأما ما قضى العقل باستحالته فيجب تأويل ما ورد السمع به ولايتصور أن يشتمل السمع على قاطع مخالف للمعقول، وظواهر أحاديث التشبيه أكثرها غير صحيحة (1)، والصحيح منها ليس بقاطع بل هو قابل للتأويل، فإن توقف العقل في شيء من ذلك فلم يقض فيه باستحالة ولاجواز وجب التصديق أيضاً لأدلة السمع، فيكفي في وجوب التصديق انفكاك العقل عن القضاء بالاحالة وليس يشترط اشتماله القضاء بالتجويز..."(2).

انتهى كلام متكلم كبير، زعم أهلُ الفلسفة والكلام أنه يمثل أعظم القيم الفكرية منذ عصره الى يومنا! وهذه كتاباته مخيبة من التوفيق الى خير الهدي، مشحونة بعقائد أمشاج من يونانية ورومانية، لا علاقة لها بعقيدة القرآن والحديث، حتى وكأنه يخاطبك باللهجات الزنجية مصاغة في ألفاظ عربية!

(1) قدتقدم شرح ابن قيم الجوزية لموقف المتكلمين من النصوص الصحيحة التابتة في هذا المبحث وقرر موقف السلف أصحاب الحديث من مروجي هذه الترهات.

(2) الاقتصاد في الاعتقاد: للغزالي :132-133.

والاسطوانة الاخرى من أساطين الكلام هو فيلسوف المتأخرين من المتكلمين ، الذي سلط الله عليه شيخ الاسلام ابن تيمية ، فأخذ كتبه كتابا كتابا ، وكشف أباطيله وعوراته ، وبيّن للمعجبين به ممن جاءوا بعده في عصر ابن تيمية القرن الثامن الهجري ، أن الرجل لم يكن يعرف فلسفة اليونان ، ومنطق اليونان ، فقوّم مدلولات تلك العلوم ، ثم رد على روادها الذين لم يكن الرازي منهم لقصوره في العلم الذي تعاطاه (1).

والذي يهمنا هنا هو تبيين مسلك الرازي الموافق لمسلك المتكلمين في تحكيم ضوابط التأويل بمعنى التحريف والتبديل.

قال في كتابه أساس التقديس :

" المقدمة في بيان أن جميع فرق الاسلام مقرون بأنه لابد من التأويل في بعض ظواهر القرآن والاخبار ، أما في القرآن فبيانه من وجوه :

الاول هو أنه ورد في القرآن ذكر الوجه ، وذكر العين ، وذكر الجنب الواحد ، وذكر الايدي ، وذكر الساق الواحدة، فلوأخذنا بالظاهر ، يلزمنا إثبات شخص له وجه واحد . وعلى ذلك الوجه أعين كثيرة ، وله جنب واحد ، وعليه أيد كثيرة، وله ساق واحدة . ولانرى في الدنيا شخصا أقبح صورة من هذا الصورة المتخيلة ولا أعتقد أن عاقلا يرضى بأن يصف ربه بهذه الصفة ..."(2).

---

(1) رد عليه شيخ الاسلام في مواضع كثيرة في مجموع الفتاوى وخصّه برد ومناقشة أصول فكره الفلسفي في سفر جليل قيم: نقض تأسيس الجهمية .طبع بأمر من الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله، سنة 1391هـ بمكة مطبعة الحكومة .

(2) أساس التقديس : 105.

والصواب أنه لايمكن أن يوجد مسلم يفتري على الله هذا الافتراء الفاحش، ويشبه خالقه بمخلوق، ككاتب النص المفتقر المستحق لكل صفات النقص! فمن الوقاحة، وتعريض النفس لأنكل أنواع العقوبات أن يخاطب رئيسه بقوله: أنت يا سيدي لست كناسا ولاسباكا ولامنظف أزقّة وطرق، بل أنت أسمى منهم جميعا، فلم يزد على أن تنقص من سيده ونال منه، فما بال المتكلم بما لايليق!

وقال شارح العقائد النسفية في هذا الصدد:

" والنصوص من الكتاب والسنة تحمل على ظواهرها ما لم يصرف عنها دليل قطعي، كما في الآيات التي يشعر ظواهرها بالجهة والجسمية، ونحو ذلك. لايقال ليست هذه من النصوص بل من المتشابه، لانا نقول: المراد بالنص ههنا ليس ما يقابل الظاهر، والمفسر والمحكم، بل ما يعم أقسام النظم على ما هو المتعارف "(1).

ونختم هذه السلسلة من النصوص التعطيلية المبيِّنة لضوابط التأويل الفاسد بمعنى التحريف لدين الله، والتبديل لكلمات الله بقول المقري في الاضاءة:

والنص إن أوهم غيرا لائق *** بالله كالتشبيه بالخلائق
فاصرفه عن ظاهره إجماعا *** واقطع عن الممتنع الاطماعا
وما له من ذاك تأويل فقط *** تعين الحمل عليه وانضبط
كمثل وهو معكم فأول *** بالعلم والرعي ولا تطول
إذ لاتصح ههنا المصاحبه *** بالذات فاعرف أوجها لمناسبه (2)

---

(1) شرح العقائد النسفية لسعد التفتازاني: 105-106.

(2) إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة لاحمد المقري المغربي المالكي: 88-89.

المبحث الثالث :

رجوع أساطين الكلام عن التأويل الفاسد

تمهيد .

المطلب الاول : رجوع الاسطوانة الكلابية الاولى أبي الحسن الاشعري عن التأويل الفاسد .

المطلب الثاني : رجوع الاسطوانة الثانية أبي المعالي ابن الجويني .

المطلب الثالث : رجوع الاسطوانة الثالثة أبي حامد الغزالي .

المطلب الرابع : رجوع الاسطوانة الرابعة الفخر الرازي عن التأويل الفاسد .

*

* *

*

تمهيد :

من خلال النماذج التي سقت مستدلا بها على فساد التأويل بالمعنى الكلامي في المبحث المتقدم ، يتبين بوضوح عدم صلاحية قول كثير من الدارسين اليوم إن أساطين الكلام إنما أرادوا الوصول إلى الحقيقة بحسن نية ، وعن طريق الاجتهاد !
أقول: ليس كل من طلب الحق ناله وأدركه ، فالحق له منهاج واضح ، لابد من تحكيم قواعده للوصول إليه من غير شذوذ ولا انحراف ولا غلو .

فعن طريق المنهاج القويم يتم تقرير العقيدة الاسلامية في ضوء القرآن والسنة النبوية على مذهب السلف أصحاب الحديث . ذلك لان سلف هذه الامة الصالح ومن اقتفى أثرهم وسار على منهاجهم ،كالائمة المجتهدين ، وفقهاء مالكية الاندلس في العقيدة الذين أفردت منهجهم العقيدي بدراسة مركزة في فصول الباب الاول من هذه الاطروحة قد وصلوا إلى الحق بواسطة منهاج قويم حكيم يتجلى في تحكيمهم لضوابط وقواعد علمية تم لهم بها تقرير مسائل وقضايا العقيدة الاسلامية، هذه القواعد التي يمكن تلخيصها في أصولهم الاستدلالية التالية :

1 - تحكيم الوحي الالهي بشقيه : القرآن والسنة النبوية الصحيحة في كل قضية من قضايا العقيدة الاسلامية وعدم رد شيء منه أو تأويله .

2 - تقديم أقوال الصحابة المرضيين على كل قول في الابانة والشرح لقضايا الاسلام عموما ،ولقضايا العقيدة على وجه الخصوص .

3 - عدم الخوض في المسائل الاعتقادية مما لامجال للعقل فيه.
4 - عدم مجادلة أهل البدع أومجالستهم أو سماع كلامهم أو عرض شبههم.
5 - الحرص على جماعة المسلمين ووحدة كلمتهم، ونبذ الفرق الداعية الى الفرقة والتفرقة تحت تخطيطات مجزئة ومفرقة للمسلمين باسم التنظيمات (1).

أما أساطين الكلام فإنهم لم يسلكوا سبيل الهدى ليهتدوا في حياتهم العلمية، فتخبطوا في التشككات وسبحوا في بحورالحيرة والتردد والشك، لانهم أعرضوا عن مناهج الحق والصواب، وولوا وجوههم شطر القراطيس المستوردة من منتوجات الفكر الهندي(2) والفكر اليوناني في زمن الخليفة المعتزلي المأمون، ورحم الله الامام الحافظ الناقد المحقق شمس الدين الذهبي الذي قال فيه:

كان المأمون بأسا على الاسلام والمسلمين (3)، وذلك لبلبلته عقائد السذج من المسلمين، وتنكيله بعلماء الفقه الاكبر، عقيدةالانبياء والرسل، فساهم في إفساد عقائد المسلمين بترويجه مصطلحات مستوردة، وأطّر مروجيها في مباحث الالهيات والنبوات في الجانب العقيدي، فنتج عن ذلك تلاعب أساطين الكلام

(1) من مقدمة كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للحافظ اللالكائي، بقلم الدكتورأحمدسعدحمدان محقق الكتاب، بتصرف في هذه الاصول التي قال عنها الاستاذ أحمدحمدان: "هذا هوالمنهج السلفي في تقريرالعقيدة الاسلامية والردعلى البدع": 53/1.

(2) إذا يسرالله تعالى سأطول دراسة سفرقيّم مليء بما يثبت ما أكتب عن هؤلاء في هذا الصدد وهو: "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" لابي الريحان محمدبن أحمد البيروني(ت 440هـ).

(3) سيرأعلام النبلاء: 11 انظر ترجمة الامام أحمدبن حنبل رقمها: 78.

بالنصوص ، وعزلوها عن وظائفها فعاقبهم الله تعالى بالتشكك والارتباك والحيرة، ورحم الله الامام ابن رجب البغدادي (ت 795هـ) الذي حذر المسلمين من مزالق ومهالك المتكلمين بقوله :

"... إنما الاقتداء بأئمة الاسلام كابن المبارك ومالك والثوري والاوزاعي والشافعي ، وأحمد واسحاق وأبي عبيد ونحوهم . وكل هؤلاء لايوجد في كلامهم شيء من جنس كلام المتكلمين فضلا عن كلام الفلاسفة ، ولم يدخل ذلك في كلام من سلم من قدح وجرح .

وقد قال أبوزرعة الرازي: كل من كان عنده علم فلم يصن علمه واحتاج في نشره الى شيء من الكلام فلستم منه "(1).

فعلوم هؤلاء الاساطين الثابتة في كتبهم التي خطتها أناملهم باطلة مردودة عليهم ،لانها لم يأذن بها الله عزوجل ، فهي علوم أهل البدع التي نهى أئمة الاسلام قاطبة المسلمين عن تعاطيها.

قال الامام ابن رجب رحمه الله تعالى محذرا من النظر في مصادر علوم أهل البدع :

" وأما ما أحدث بعد الصحابة من العلوم التي توسع فيها أهلها وسموها علوما وظنوا أن من لم يكن عالما بها فهو جاهل أو ضال ، فكلها بدعة ، وهي من محدثات الأمور المنهي عنها "(2).

وشرها الكلام فهو مسلك وعر ،شر كله ، دقه وجله ،قليله وكثيره ، من تعاطاه ولم يتداركه الله بالرحمة تزندق .

وقال الامام الحافظ المحقق ابن رجب البغدادي الحنبلي في فصل عقده في كتابه فضل علم السلف على الخلف ، لمعرفة ميزان الصواب في أفضل العلوم:

---

(1) فضل علم السلف على الخلف لابن رجب البغدادي: 30-31 .

(2) المصدر نفسه : 24 .

فأما الدخول مع ذلك في كلام المتكلمين أو الفلاسفة فشر محض، وقلمن دخل في شيء من ذلك، إلا وتلطخ ببعض أوضارهم، كما قال أحمد: لايخلو من نظر في الكلام من أن يتجهم. وكان هو وغيره من أئمة السلف يحذرون من أهل الكلام، وإن ذبوا عن السنة. وأما ما يوجد في كلام من أحب الكلام المحدث واتبع أهله من ذم من لايتوسع في الخصومات والجدل، ونسبته الى الجهل والى الحشو أو أنه غير عارف بالله أو غير عارف بدينه فكل ذلك من خطوات الشيطان نعوذ بالله"(1).

وهكذا نجد أساطين الكلام خلال مرحلتهم العلمية، لما حادوا عن سواء السبيل، ودرسوا هذا الطاغوت الذي لايجوز أن يطلق عليه "علم الكلام" لان العلم هو الوحي الالهي بشقيه، والعلوم المساعدة على فهم الوحي الالهي، فلوكان الكلام علما لتعلمه الرعيل الاول، وظهر في حقل المعرفة وقتئذ.

ولما اختار كبار المتكلمين هذا المنهاج وفضلوه على منهاج السنة النبوية، خيبوا من الظفر بأهدى آيات كتاب الله عزوجل: (اهدنا الصراط المستقيم)(2) وقوله تعالى: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)(3).

فكان مرضهم عضالا قاتلا، إنه سرطان فكري خبيث!

لكن رحمة الله قريب من المحسنين، يتداركه عبده بالتوبة ما لم يغرغر، فالحمدلله الذي هدانا الى عقيدة الانبياء والرسل فله الحمد والمنة وحده.

---

(1) فضل علم السلف على الخلف :44.
(2) الفاتحة : 6 .
(3) الاسراء : 9 .

المطلب الاول : رجوع الاسطوانة الكلابية الاولى أبي الحسن الاشعري عن التأويل الفاسد .

كان أبو الحسن الاشعري رحمه الله تعالى هو الامام الاول والرئيس الكبير لهذه الاساطين الاشعرية الكلابية ، الثلاثة التي سأطول سوق الادلة الساطعة على رجوعهم الى الحق والهدى بعد الغي والضلال .

رجع أبو الحسن الاشعري الى الحق والصواب بعد أن نشأ وترعرع في الاعتزال أربعين سنة (1) ، ثم رجع عن اعتزالياته، وبالغ في الرد على المعتزلة .

ثم اعتنق عقيدة ابن كلاب التي تثبت لله من الصفات سبعا ، فمطّطها أبو الحسن وأوصلها الى عشرين ، وهي التي لايزال الكلابية في العالم الاسلامي يرددونها ، رغم انسلاخ ممططها عنها ، ورجوعه الى عقيدة آدم ومحمد وهي عقيدة جميع الانبياء والرسل الذين لانفرق بين أحد منهم في التوحيد . ثم ترك الامام أبو الحسن عقيدة التعطيل ، ورجع الى الفطرة ، الى عقيدة القرآن والسنة النبوية الصحيحة على منهاج السلف أصحاب الحديث أعلم خلق الله بالله بعد الانبياء والرسل على نبينا وعليهم الصلاة والسلام.

فعض بنواجده عليها ، وصنف كتبه ببيانه ، وهي مطبوعة موجودة عندنا ولله المنة والفضل والحمد والشكر ، قرأناها على أئمة العقيدة خلال رحلتي العلمية لبلاد الحجاز ، أذكر منهم :

سماحة الشيخ حماد بن محمد الانصاري ،

والشيخ عبدالله بن محمد الغنيمان ،

---

(1) انظر مجموع الفتاوى: 71/4 .

والشيخ محمد علي أمان الجامي ،

والشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ،

والشيخ علي عبدالرحيم الحذيفي الذي أشرف على بحثي في الاجازة بكلية أصول الدين بعنوان: "التوحيد في ضوء القرآن والسنة النبوية".

والشيخ محمد ناصرالدين الالباني ،

والشيخ الجليل الطيب رمضان أبوالعز ،

والشيخ علي عبدالرحيم رئيس أنصار السنة المحمدية بمصر.

وهذه الكتب هي :

- الابانة عن أصول الديانة .
- أصول السنة أو رسائل الثغر .
- مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين .
- كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع .

فلوكان الذين جاءوا من بعد هذا الامام ، يريدون الحق، وينشدون الحق ، ويومنون به ويعترفون بأن الحق أحق أن يتبع ، لوجدوا أنفسهم على منهاج الحق ، ولعلموا أن الاشخاص والذوات لادخل لهم في الحق .

فلو عرفوا الحق لعرفوا الرجال ، أما معرفة الرجال ليست دليلا على معرفة الحق .

المطلب الثاني : رجوع الاسطوانة الثانية أبي المعالي ابن الجويني عن التأويل الفاسد .

هو الامام الكبير شيخ الشافعية ، إمام الحرمين ، أبو المعالي عبدالملك ، ابن الامام أبي محمد عبدالله بن يوسف ابن عبدالله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني ، ثم النيسابوري ضياء الدين ، الشافعي صاحب التصانيف .

ولد في أول سنة تسع عشرة وأربعمائة .

توفي في الخامس والعشرين من ربيع الاخر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ودفن في داره (1).

قال الحافظ شمس الدين الذهبي:

"قلت كان هذا الامام مع فرط ذكائه وإمامته في الفروع وأصول المذهب وقوة مناظرته لايدري الحديث ، كما يليق به ، لامتنا ولا إسنادا . ذكر في كتاب "البرهان"(2) حديث في القياس ، فقال هو مدون في الصحاح ، متفق على صحته . قلت : بل مداره على الحارث بن عمرو ، وفيه جهالة ، عن رجال من أهل حمص ، عن معاذ فإسناده صالح .

قال المازري في شرح "البرهان" في قوله : إن الله يعلم الكليات لا الجزئيات : وددت لومحوتها بدمي . وقيل : لم يقل بهذه المسألة

---

(1) انظر سير أعلام النبلاء :18/468، 476هـ .

(2) هذا الكتاب في أصول الفقه، درس منهج الجويني من خلاله الاستاذ الزميل عبدالاله الجامعي ، دراسة منهجية هادفة رائدة بامتياز ولله الحمد والمنة ونوقشت أطروحته لنيل دبلوم الدراسات العليا في صيف سنة 1413هـ بجامعة محمد الخامس .

تصريح ، بل ألزم بها لانه قال بمسألة الاسترسال فيما ليس بمتناه من نعيم الجنة فالله أعلم .

قلت : هذه هفوة اعتزال ، هجر أبوالمعالي عليها ، وحلف أبوالقاسم القشيري لايكلمه ، ونفي بسببها ، فجاور وتعبد ، وتاب - ولله الحمد - منها ، كما أنه في الاخر ، رجح مذهب السلف في الصفات وأقره "(1) .

وهذه رحمة من الله عزوجل ، تداركه بها هذا الرجل الذي كان خطيرا وبلاء على العقيدة السلفية ، فها هو قد رجع الى دين الفطرة فيقر بمذهب خير القرون في توحيد المعرفة والاثبات ، وهذه كلمة من الامام الذهبي أخبر الائمة بالرجال في زمانه وبعده ، دلت على رجوع عبدالملك بما يقنعنا ، فنحن معشر الدارسين لايمكن أن نأخذ بقول مالم يحملنا على الاخذ به دليل ساطع ، حتى إذا قلنا قولا صدر منا على علم وبصيرة . ومن الادلة على رجوعه الى عقيدة السلف ما نقله الحافظ الذهبي عن الحافظ محمد بن طاهر الذي قال:

"سمعت أبا الحسن القيرواني الاديب - وكان يختلف الى درس الاستاذ أبي المعالي في الكلام - فقال: سمعت أبا المعالي اليوم يقول: يا أصحابنا : لاتشتغلوا بالكلام ، فلو عرفت أن الكلام يبلغ ما بلغ ما اشتغلت به "(2).

وقال أيضا :

"وحكى الفقيه أبوعبدالله الحسن بن العباس الرستمي قال: حكى لنا أبوالفتح الطبري الفقيه قال: دخلت على أبي المعالي في مرضه ، فقال: اشهدوا علي أني رجعت عن كل مقالة تخالف

---

(1) سير أعلام النبلاء: 18/471-472 .
(2) المصدر السابق: 18/474 . .

السنة ، وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور[1]"(2).

وهكذا إذا نظرت بصفتك طالب علم في كتب أساطين المتكلمين تجد أن أهل الكلام ينقسمون قسمين اثنين لاثالث لهما :

1 - طائفة رجعوا الى الحق فاعتنقوه كالجويني والغزالي والرازي .

2 - طائفة بقوا في حيرة وتشكك وتصدع ، فتجد الرجل منهم أحير من قط في بلاد لاتأمن القطط على حياتها ، لايدري الرجل ماذا يقول ، وماذا يفعل ، والسبب في ذلك كله : اعتماده على الفلسفة والكلام ، وإعراضه عن القرآن والسنة النبوية .

والجويني الابن كان من الطائفة الاولى ولله الحمد ، فقد تبين من خلال هذه الدراسة أنه اعتنق العقيدة الاشعرية الكلابية بعد الامام أبي الحسن الاشعري ، ونشط نشاطا كبيرا في دعوتها التعطيلية ، التي كان عليها أبوالحسن الاشعري في مرحلته العلمية الثانية . وهكذا كتب قبل أن يرجع الى الهدى والرشاد كتابه الارشاد الذي هو في حقيقة أمره الاضلال عن الذكر ، كتب هذا الكتيب المطبوع المتداول بين طلاب العلم في مشارق الارض ومغاربها من أندونيسيا والفلبين الى المغرب الاقصى وسائر دول إفريقية البيضاء والسمراء ، يدعو فيه الى التأويل والتعطيل ، والى إنكار صفات الله الفعلية والاختيارية . ولما تبين له في آخر عمره أن ماكتبه في هذا الكتيب التعطيلي باطل ، كتب رسالة سماها الرسالة النظامية ، بيّن فيها أن جميع ماكتبه في الارشاد مخالف للحق ، فهو راجع عنه الى الحق الذي بان له واتضح في ضوء الكتاب والسنة النبوية .

---

(1) أي يموت على الفطرة، على الاسلام الذي جاء بهالقرآن وصحت به السنةالنبوية .

(2) سير أعلام النبلاء : 474/18.

قال الحافظ شمس الدين الذهبي:

" قال أبو المعالي في كتاب "الرسالة النظامية": اختلفت مسالك العلماء في الظواهر التي وردت في الكتاب والسنة، وامتنع على أهل الحق فحواها، فرأى بعضهم تأويلها، والتزم ذلك في القرآن، وما يصح من السنن، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الرب تعالى. والذي نرتضيه رأيا، وندين الله به عقدا اتباع سلف الامة، فالاولى الاتباع، والدليل السمعي القاطع في ذلك أن إجماع الامة حجة متبعة، وهو مستند معظم الشريعة، وقد درج صحب الرسول صلى الله عليه وسلم على ترك التعرض لمعانيها، ودرك ما فيها، وهم صفوة الاسلام المستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لايألون جهدا في ضبط قواعد الملة والتواصي بحفظها، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها، فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغا أو محتوما، لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، فإذا تصرّم عصرهم وعصر التابعين على الاضراب عن التأويل، كان ذلك قطعا بأنه الوجه المتبع (1)، فحق على ذي الدين أن يعتقد تنزه الباري عن صفات المحدثين، ولايخوض في تأويل المشكلات، ويكل معناها إلى الرب، فليجر آية الاستواء والمجيء وقوله (لما خلقت بيدي) ص:75، (ويبقى وجه ربك) الرحمن : 27

(1) إذا اكتفيت بهذه العبارة وحدها من أول الفقرة لتبين لك أن الرجل قد تبرأ مما كتبه في الارشاد وغيره، وأن كل ما كتبه في التعطيل غير صواب، وغير صحيح، وأن تأويل المتكلمين طاغوت ينبغي أن يهدم بكل قوة يتوفر عليها طالب الحق والصواب.

و(تجري بأعيننا) القمر:14، وما صح من أخبار الرسول كخبر النزول وغيره على ما ذكرناه"(1).

فيلزم كل مقدس لهذه المصادر الكلامية، أن يقدس خالقه جل وعلا ويقلع عن شركه في المتابعة، ويفرد النبي صلى الله عليه وسلم بالاتباع كما أفرد الله جلا وعلا بالعبادة والطاعة في الاوامر واجتناب النواهي وهذا معنى لاإله الا الله محمد رسول الله، وقد تقدم الحديث عن شروط إفراد النبي صلى الله عليه وسلم بالمتابعة والطاعة في أمر، وفيما نهى عنه وزجر، فليراجع في موضعه (2).

---

(1) سير أعلام النبلاء: 18/473-474 .

(2) أما فيما يخص شروط كلمة التوحيد، فقد وردت مجموعة في قوله تعالى في سورة الممتحنة:4 (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذي معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لاستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير" .
عقد أستاذنا الامام أبوشكيب محمدتقي الدين الهلالي رحمه الله تعالى فصلا عقب تفسيره للاية 22 من سورة المجادلة، بين فيه شروط لاإله الا الله فقال:
"قال محمدتقي الدين: فائدة: إن تحقيق التوحيد الذي دلت عليه لاإله الا الله عزيز الوجود كالكبريت الاحمر وله شروط:
أولها: أن يوحد العبد ربه في ربوبيته وألوهيته، وهي العبادة، فلايجعل من عبادته لغيرالله مثقال ذرة أو أقل من ذلك .
ثانيهما: أن يكفر بعبادة غيرالله ولوكانت للانبياء والملائكة .
الثالث: أن يتبرأ من المشركين بصريح العبارة، فإن لم يقدر فبقلبه مع اجتهاده في الهجرة الى بلد يمكنه فيها التصريح بذلك .

فيجب على المسحورين والمفتونين بقوالب الكلام اليوناني أن يرجعوا إلى الحق الذي دعاهم إليه إمام المتكلمين بعد أن ظهر له وبان، فكيف بالمتأخرين كالإيجي والنسفي والسنوسي واللقاني الذين ينعقون بما لا يسمعون، فمن باب أولى أن يرجعوا إلى الحق، بعد أن رجع إليه الرئيس الكبير.

= الرابع: أن يعادي المشركين في الدين.
الخامس: أن يحب الموحدين ويواليهم ويتعاون معهم في إعلاء كلمة الحق.

وهذه الشروط الخمسة لا تقبل منه إلا إذا ضم إليها شهادة أن محمدا رسول الله ولها شروط(سبيل الرشاد في هدي خير العباد: 230/2. وقد تقدم ذكر هذه الشروط في مبحث إثبات التوحيد لله تعالى، وفيه وعدت قارىء هذه الاطروحة بذكر شروط لا إله إلا الله في الموضع المناسب، وقد يسر الله ذلك فله الحمد في الاولى والاخرة.

المطلب الثالث : رجوع الاسطوانة الكلابية أبي حامد الغزالي عن التأويل الفاسد.

هو الشيخ الامام البحر حجة الاسلام ، أعجوبة الزمان ، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي ، صاحب التصانيف ، والذكاء المفرط(1).

كان مولده سنة خمسين وأربعمائة (2) .

قال الحافظ الذهبي:

"قلت :الغزالي إمام كبير ، وما من شرط العالم أنه لايخطىء"(3).

وقال الحافظ أيضا :

" قلت قد ألف الرجل في ذم الفلاسفة كتاب "التهافت "وكشف عوارهم ، ووافقهم في مواضع ظنا منه أن ذلك حق ، أوموافق للملة ، ولم يكن له علم بالآثار ولاخبرة بالسنن النبوية القاضية على العقل ،وحبب إليه إدمان النظر في كتاب : "رسائل إخوان الصفا " وهو داء عضال ، وجرب مرد ، وسم قتال ، ولولا أن أبا حامد من كبار الاذكياء ،وخيار المخلصين ،لتلف . فالحذار الحذار من هذه الكتب ، واهربوا بدينكم من شبه الاوائل ، وإلا وقعتم في الحيرة ، فمن رام النجاة والفوز ، فيلزم العبودية ،وليدمن الاستغاثة بالله ،وليبتهل الى مولاه في الثبات على الاسلام ، وأن يتوفى على إيمان الصحابة،وسادة التابعين ، والله الموفق ، فبحسن قصد العالم يغفر له وينجو إن شاء الله "(4).

---

(1) سير أعلام النبلاء :322/19.
(2) المصدر السابق :327/19.
(3) المصدرالسابق : 339/19.
(4) المصدر السابق :328/19-329.

وأعجبني تعليق شيخ الاسلام ابن تيمية على كلام ابن الصلاح في الغزالي ، لاأختم هذا المبحث دون أن أعرضه على إطار هذه الصفحة ، قال ابن تيمية رحمه الله :

"ولهذا كان الشيخ أبوعمرو بن الصلاح يقول - فيما رأيته بخطه - أبوحامد كثر القول فيه ومنه .

فأما هذه الكتب - يعني المخالفة للحق - فلايلتفت إليها وأما الرجل فيسكت عنه ، ويفوض أمره الى الله .

ومقصوده : أنه لايذكر بسوء ، لان عفو الله عن الناسي والمخطىء وتوبة المذنب تأتي على كل ذنب ، وذلك من أقرب الاشياء الى هذا وأمثاله ، ولان مغفرة الله بالحسنات منه ومن غيره ، وتكفيره الذنوب بالمصائب تأتي على محق الذنوب ، فلايقدم الانسان على انتفاء ذلك في حق معين إلابصيرة ، لاسيما مع كثرة الاحسان والعلم الصحيح ، والعمل الصالح والقصد الحسن . وهو يميل الى الفلسفة ، لكنه أظهرها في قالب التصوف والعبارات الاسلامية .

ولهذا فقد رد عليه علماء المسلمين ، حتى أخص أصحابه أبوبكر ابن العربي ، فإنه قال : " شيخنا أبوحامد دخل في بطن الفلاسفة ، ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر "." (1)

وما ألطف كلمة الحافظ الذهبي :

"فرحم الله الامام أبا حامد ، فأين مثله في علومه وفضائله ، ولكن لاندعي عصمته من الغلط والخطأ ، ولاتقليد في الاصول" (2).

توفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الاخرة سنة خمس وخمسمائة ،

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الاسلام: 4/65-66 .

(2) سير أعلام النبلاء: 19/346 .

وله خمس وخمسون سنة ، ودفن بمقبرة الطابران ، قصبة بلاد طوس .

نعم ، هذا هو الامام الكبير ، المتكلم الخطير ، أعجوبة الزمان : أبوحامد الغزالي ، الذي تعرفه كل الجامعات في الدنيا ، في جنوب شرق آسيا وفي إفريقيا ، وفي أمريكا ، وفي الدول الاسكندنافية ، في جامعة استوكهولم ، وفي جامعة أوصلو بالنرويج ، وفي جامعة ليدن بهولاندا ، وبباريس ، ولندن ، وبروكسيل ، يعرفه الخاص والعام ، ويعرفه كل من هب ودب . فقد كتب كتابات كثيرة يدافع فيها عن العقيدة التعطيلية ، والتأويل الفاسد ، ثم تبين له بعد أن مارس الحق بقراءة القرآن قراءة تدبر ، ودراسة الحديث النبوي دراسة فاحصة مركزة ، أن قلبه قد اطمأن للهدى بعد أن عرف بأن الحق هو ما قاله الله عزوجل ، وأن الحق هو ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس كما قاله المتكلمون من أن الله - تعالى وتقدس - ليس داخل العالم ولاخارج العالم !

فكتب كتابا هو رسالة سماها " إلجام العوام عن علم الكلام" عقد فيها فصلا جيدا في فضل عقيدة السلف ، فلو اقتنى المتكلمون المعجبون برئيسهم الامام الغزالي هذا الكتاب ، ودرسوه، وقرأوا ما فيه قراءات ، أرادوا بها الحق ، ونشدوا بها الحق ، لآمنوا بالحق ، واعترفوا بالحق ، ولأدركوا أن الحق واجب عليهم أن يأخذوا به بغض النظر عمن أخذ به ومن لم يأخذ به، لان الحق هو الحاكم وليس المتكلمين.

فقد عقد أبوحامد رحمه الله تعالى بابا سماه: "الباب الثاني في إقامة البرهان على أن الحق مذهب السلف"(1).

وقال في مقدمة هذا الكتاب:

" بيان حقيقة مذهب السلف في هذه الاخبار"(2).

وقال أيضا:

" اعلم أن الحق الصريح الذي لامراء فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف أعني مذهب الصحابة والتابعين"(3).

---

(1) الجام العوام عن علم الكلام بهامش الانسان الكامل في معرفة الاواخر والاوائل لعبدالكريم بن ابراهيم الجيلاني: 43، مكتبة ومطبعة محمد صبيح وأولاده.

(2) المصدر السابق: 3.

(3) المصدر السابق: 3.

المطلب الرابع : رجوع الاسطوانة الرابعة الفخر الرازي عن التأويل الفاسد .

هو العلامة الكبير ذو الفنون فخرالدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني الاصولي المفسر كبير الاذكياء والحكماء والمصنفين (1).

ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة .

وتوفي بهراة يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة ، وله بضع وستون سنة (2) ، قال الحافظ شمس الدين الذهبي:" وقد اعترف في آخر عمره حيث يقول:

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ، ولاتروي غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ في الاثبات :(الرحمن على العرش استوى)(3) ، (إليه يصعد الكلم الطيب)(4) وأقرأ في النفي :(ليس كمثله شيء)(5) ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي"(6).

وقال فيه شيخ الاسلام ابن تيمية :

" ولهذا اعترف في آخر عمره فقال: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولاتروي غليلا ، ورأيت أقرب الطرق "طريقة القرآن" أقرأفي الاثبات (الرحمن على العرش استوى)(إليه يصعد الكلم الطيب) وأقرأ في النفي

---

(1) سير أعلام النبلاء:21/500 .
(2) المصدر السابق : 21/501 .
(3) طه : 5 .
(4) فاطر : 10.
(5) الشورى:11.
(6) سير أعلام النبلاء:21/501 .

(ليس كمثله شيء) ، (ولايحيطون به علما)(1) ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي"(2) .

نعم هذا هو تصريح الرازي فيلسوف المتكلمين قاطبة ، الذي لايمكن أبدا أن تقول معه أي فيلسوف متكلم إلا ويكون خادما للرازي .

إنه صاحب كتاب أساس التقديس الذي دوخ به طلبة الكلام ، وقد نقلت نصوط منه في مبحث الاستدلال على فساد تأويل المتكلمين . تلك النصوص التي كتبتها أنا مل هذا الرجل قبل توبته ، والكتاب في الحقيقة إنما هو أساس التنقيص ، ولكنه سماه بغير اسمه ليروج في الاسواق الكاسدة ، سماه بغير اسمه ليموه به على خفافش الابطار قبل توبته ، وهو عبارة عن كتيب أفرده الرازي في الدعوة الى العقيدة الكلابية التعطيلية ، بأسلوب فلسفي منطقي يوناني مستورد ، يقرأه القارىء ويعيد قراءته ، ويخرج المسلم منه بلانتيجة ، يجر معه الحيرة والخيبة والتشكك ! وسبب ذلك أن الكتيب يمثل أفكار كاتبه الخاصة التي ليست من شرع الله في شيء ، ولا من دين الله في شيء، مخيبة من التوفيق الالهي ، ليس عليها نور من القرآن الكريم، ولامن السنة النبوية، بل هي أفكار طاغها الرازي بنفسه، ورمى بها في قرطاسه بدون أن يزن لها وزنا ، أختم هذا المبحث بقولة أبرأ الله تعالى بها سقم نفسي وهي للحافظ شمسالدين الذهبي :
"وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر"(3).

---

(1) طـه : 110.

(2) مجموع الفتاوى:562/5.

(3) سير أعلام النبلاء : 501/21.

المبحث الرابع : براءة مالكية الاندلس من تأويل المتكلمين

كان الاندلسيون كغيرهم من علماء السلف يفجرون من النصوص القرآنية والحديثية أنهارا لعلوم، ويستخرجون لآلئها عن طريق الفهم السليم والادراك القويم للتأويل بمعناه اللغوي العربي الاصيل، ويجتنبون مسالك الردى والهلاك التي يؤدي إليها التأويل بالمعنى اليوناني الفلسفي الدخيل على الثقافة الاسلامية الاصيلة . ولا أدل على ذلك من تصريحات رواد المدرسة السلفية الاندلسية في مصنفاتهم التي أنارت المكتبات الاسلامية في كل مكان، والتي مع كامل الاسف قد زهد فيها طلبة الغرب الاسلامي وأعرضوا عن نورها المضيء، لاهثين خلف ظلام الكلام الدامس !

ذلك لان الاندلسيين أدركوا أنه لو كان في التأويل بالمعنى الكلامي خير لسبقهم إليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، لاجل ذلك نبذوا التأويل الكلامي وحذروا المسلمين من الافتتان به .

قال الامام ابن أبي زمنين فيما رواه عن عبد الرحمن بن القاسم أنه قال:

"لاينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن ولايشبه يديه بشيء ولاوجهه بشيء ولكن يقول: له يدان كما وصف نفسه في القرآن وله وجه كما وصف نفسه، يقف عندما وصف به نفسه في الكتاب، فإنه تبارك وتعالى لامثل له ولاشبيه..."(1).

فلم يكن علماء الاندلس قاطبة كما ثبتت رواية الاجماع عن أبي عمر الطلمنكي يحرفون القرآن من وراء التأويل كما يفعل

---

(1) أصول السنة : لوحة 5.

المتكلمون ، فقد حرف المتكلمون اليد بمعنى القدرة (1) ففسروا قوله تعالى: (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي)(2) فأولوا لفظة يد بدعوى المجاز ، وهذا تحريف لكتاب الله عزوجل ، فإبليس اللعين هو المخاطب في هذه الاية، فلو كانت لفظة "بيدي" هنا تحتمل معنى بقدرتي ، لقال إبليس اللعين لخالقه: وأنا يا رب كذلك من قدرتك ، فهو شيطان مارد على الله عز وجل ، لكن إبليس قد فهم لغة القرآن أحسن من أباطرة الكلام .

والمبتدعة المتكلمون عندما حرفوا وبدلوا كلام الله ، وقعوا في خطإ منهجي فظيع ! ألا وهو قولهم بقدرتي بالافراد ! فإن لفظة قدرتي مفرد ، وبيدي تثنية ، فيلزمهم أن يفسروا التثنية بالتثنية ، وهذا يحتمه المنهج اللغوي في علم التصريف، فلازم التثنية أن تفسرها تثنية مثلها ، وإذا آل أمرهم الى ذلك فسيكونون قد حصروا قدرة الله عزوجل في ثنتين ، وهكذا كذب باطل ، لان قدرة الله عزوجل لاتنحصر في اثنتين .

وقال الامام القحطاني مثبتا لله جل وعلا صفاته العليا على الوجه الذي يرضيه سبحانه ، أي بالطريقة التي أثبتها سبحانه لنفسه ،وأثبتها له نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من غير تمثيل ولاتشبيه ولاتأويل ولا تعطيل :

---

(1) انظر الارشاد للجويني:146 وما بعدها من فصل: اليدان والعين والوجه الى نهايته :154 .
وأصول الدين للبغدادي:109 وما بعدها الى 114 . وانظر أيضا مشكل الحديث وبيانه لابن فورك :98,243,428 .

(2) سورة ص:75 .

امرر أحاديث الصفات، كما أتت *** من غير تفسير ولا هذيان

هو مذهب الزهري ووافق مالك *** وكلاهما في شرعنا علمان

لله وجه لايحد بصورة *** ولربنا عينان ناظرتان

وله يدان كما يقول إلهنا *** ويمينه جلت عن الايمان

كلتا يدي ربي يمين وصفها *** فهما على الثقلين منفقتان

والله يضحك لاكضحك عبيده *** والكيف ممتنع على الرحمن.(1)

والبيت الاخير تضمن القاعدة الجليلة التي تقدم شرحها في الباب الاول من الاطروحة لمالك بن أنس مفادها : الصفة معلومة وكيفيتها مجهولة، والايمان بها واجب، والسؤال عنها بدعة.

وقال أيضا رحمه الله :

حاش الاله بأن تكيف ذاته *** فالكيف والتمثيل منتفيان

والاصل أن الله ليس كمثله *** شيء تعالى الرب ذو الاحسان.(2)

ومن الادلة أيضا على براءة مالكية الاندلس من تأويل المتكلمين ما هو مقرر عند ابن عبدالبر في منهج إثباته للصفات الالهية بلاتأويل:

" قال أبوعمر: رواها السلف وسكتوا عنها ،وهم كانوا أعمق الناس علما ، وأوسعهم فهما ،وأقلهم تكلفا ، ولم يكن سكوتهم عن عي ، فمن لم يسعه ما وسعهم فقد خاب وخسر"(3).

وقال أيضا :

" ... لان الله عزوجل لايوصف عند الجماعة أهل السنة إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

(1) منظومة القحطاني :أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة : 32 .

(2) المصدر نفسه :32.

(3) جامع بيان العلم وفضله :118/2.

أو أجمعت الامة عليه ، وليس كمثله شيء فيدرك بقياس أو بإنعام نظر"(1) .

ومن الادلة أيضا على براءتهم من التأويل الفاسد ، ما ورد في منظومة أبي عمرو الداني:

ومن صحيح ما أتى به الخبر *** وشاع في الناس قديما وانتشر
نزول ربنا بلا امتراء *** في كل ليلة الى السماء
من غير ما حد ولا تكييف *** سبحانه من قادر لطيف . (2)

ومنها أيضا ما ثبت عن أبي عمر الطلمنكي في كتابه الوصول الى معرفة الاصول أنه قال فيما رواه عنه شيخ الاسلام ابن تيمية : " وقال أبو عمر الطلمنكي:" وأجمعوا - يعني أهل السنة - على أن لله عرشا ، وعلى أنه مستو على عرشه ، وعلمه وقدرته وتدبيره بكل ما خلق " ، قال:" فأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى(وهو معكم أينما كنتم)(3) ونحو ذلك في القرآن أن ذلك علمه ، وأن الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء "(4).

ومما نقله عنه شيخ الاسلام في هذا الصدد :

" قال أبو عمر الطلمنكي :" أجمعوا - يعني أهل السنة - على أن الله يأتي يوم القيامة والملائكة صفا صفا لحساب الامم وعرضها كما يشاء وكيف شاء ، قال تعالى:(هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر)(5) وقال تعالى:

---

(1) جامع بيان العلم وفضله :112/2.
(2) سير أعلام النبلاء : 83/18 .
(3) سورة الحديد: 4 .
(4) مجموع الفتاوى:519/5 .
(5) البقرة : 210 .

(وجاء ربك والملك صفا)(1) . قال: وأجمعوا على أن الله ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا على ما أتت به الاثار كيف شاء ، لايحدون في ذلك شيئا ، ثم روى بإسناده عن محمد بن وضاح قال: وسألت يحيى بن معين عن النزول فقال: نعم ، أقر به ، ولاأحد فيه حدا "(2) .

وقال أيضا :

" وأجمعوا على أن الله ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا على ما أتت به الآثار كيف شاء ، لايحدون في ذلك شيئا "(3) .

وهكذا نجد مالكية الاندلس يقررون عقيدتهم على منهاج السلف أصحاب الحديث الذين كان مالك بن أنس سيدهم في زمانه أي رئيسهم ، محكمين كتاب الله عزوجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم مخالفين بذلك منهج المتكلمين الذين حكّموا مناهج الشياطين ، أو ليس هم القائلون بأن القرآن كلام الله النفسي مستدلين ببويت شيطاني لنصراني ضال وهو الاخطل على فرض صحة نسبته للاخطل وهو في الارشاد ، استدل به مؤلفه في الفصل الذي عنون له بقوله: فصل"أنكرت المعتزلة الكلام النفسي الذي كتم محقق الارشاد أسعد تميم ذكر ديانة الناظم لحاجة فاسدة في نفسه :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما *** جعل اللسان على الفؤاد دليلا . (4)

فهل يجوز لمؤمن يؤمن بالله عزوجل أن يستدل بقول نصراني على إبطال آية من كتاب الله ؟

---

(1) الفجر: 22 .
(2) مجموع الفتاوى: 5/577-578 .
(3) المصدر نفسه : 5/578 .
(4) الارشاد : 111.

لا وكلا ، إن هذا لايجوز طبعا ، لماذا ؟

لان النصراني لايريد إلا أن يخرج المسلم عن كتاب الله، وعن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله جل وعلا:

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى)(1).

ومن المعلوم أن ملة اليهود الامة الغضبية هي التحريف ، وأن ملة النصارى هي التثليث والاشراك بالله عزوجل. والله لاخير في طائفة تستدل بأقوال الشياطين على إنكار ما أخبر الله تعالى به في محكم كتابه ، وأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من أن الله جل وعلا يتكلم بما شاء ،وكيف شاء ،ومتى شاء . ادرسوا عقيدة الانبياء والرسل من خلال مصادر أوعية العلم في الغرب الاسلامي أيها المغاربة لتقفوا على حقائق ليست بعدها حقائق كتبتها أنامل برأ الله أصحابها من التعطيل ،قال الامام ابن أبي زمنين:

" باب في الايمان بأن القرآن كلام الله ، قال محمد :ومن قول أهل السنة أن القرآن كلام الله وتنزيله ليس بخالق ولامخلوق ، منه سبحانه وتعالى بدأ وإليه يعود "(2).

وقال الامام عبدالله بن محمد القحطاني الاندلسي:

فالله ربي لم يزل متكلما *** حقا إذا ما شاء ذو إحسان
نادى بصوت حين كلم عبده *** موسى ،فأسمعه بلا كتمان
وكذا ينادي في القيامة ربنا *** جهرا فيسمع صوته الثقلان

---

(1) البقرة : 120 .

(2) أصول السنة : لوحة 6 .

أن يا عبادي أنصتوا لي واسمعوا *** قول الإله المالك الديان

هذا حديث نبينا عن ربه *** صدقا بلاكذب ولابهتان.(1)

وقال أيضا :

هو قوله ،وكلامه ، وخطابه *** بفصاحة وبلاغة وبيان

هو حكمه ، هو علمه، هو نوره *** وصراطه الهادي الى الرضوان.(2)

وقال أبوعمرو الداني في أرجوزته :

كلم موسى عبده تكليما *** ولم يزل مدبرا حكيما

كلامه وقوله قديم *** وهو فوق عرشه العظيم

والقول في كتابه المفصل *** بأنه كلامه المنزل

على رسوله النبي الصادق *** ليس بمخلوق ولا بخالق

من قال فيه إنه مخلوق *** أو محدث فقوله مروق

والوقف فيه بدعة مضله *** ومثل ذاك اللفظ عند الجله.(3)

*　　　　*

---

(1) أربح البضاعة جمعها علي بن سليمان آل يوسف :10-11 .

(2) المرجع السابق : 11.

(3) سير أعلام النبلاء : 82/18 .

الفصل الرابع :

براءة مالكية الاندلس من التشبيه

المبحث الاول : حقيقة التشبيه في اللغة العربية .

المبحث الثاني : التشبيه بين الحقيقة والافتراء .

المبحث الثالث : براءة مالكية الاندلس من التشبيه .

*

* *

*

المبحث الاول : حقيقة التشبيه في اللغة العربية

ورد في تهذيب اللغة :

قال الليث : الشبه : ضرب من النحاس يلقى دواء فيصفر، وسمي بالشبه لانه شبه بالذهب .

وتقول في فلان شبه من فلان ، وهو شبهه وشبهه وشبيهه...

ويقال شبهت هذا بهذا ، وأشبه فلان فلانا .

وقال الله جل وعز: (فيه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات)(1) .

قيل : معناه يشبه بعضها بعضا ...

وروى أبو العباس عن ابن الاعرابي أنه قال: شبه الشيء : إذا أشكل ، وشبه إذا ساوى بين شيء وشيء .

قال: وسألته عن قوله :(وأوتوا به متشابها)(2) .

فقال ليس من الاشتباه المشكل ، إنما هو من التشابه الذي هو بمعنى الاشتباه.

وقال الليث : المشبهات من الامور المشكلات ، وتقول: شبهت علي يا فلان ، إذا خلط عليك ، واشتبه الامر إذا اختلط .

وتقول: أشبه فلان أباه ، وأنت مثله في الشبه والشبه، وفيه مشابه من فلان ،ولم أسمع فيه مشبهة من فلان ،وتقول: إني لفي شبهة منه (3).

---

(1) سورة آل عمران: 7 .

(2) سورة البقرة : 25.

(3) تهذيب اللغة للازهري:6/90-91 ،تحقيق الاستاذ ابراهيم الابياري. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة 1387هـ-1967م.

عقد الاستاذ أبويعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي في كتابه "مفتاح العلوم" فصلا في علم البيان، وهو الفصل الثاني في علم البيان، قال فيه:

"الاصل الاول من علم البيان في الكلام في التشبيه: لايخفى عليك أن التشبيه مستدع طرفين: مشبها ومشبها به، واشتراكهما بينهما من وجه وافتراقا من آخر، مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة أو بالعكس.

فالاول كالانسانين إذا اختلفا صفة طولاوقصرا .

والثاني كالطويلين إذا اختلفا حقيقة إنسانا وفرسا، وإلا فأنت خبير بأن ارتفاع الاختلاف منجميع الوجوه حتى التعين يأبى التعدد فيبطل التشبيه (1) لان تشبيه الشيء لايكون إلا وصفا له بمشاركته المشبه به في أمر. والشيء لايتصف بنفسه كما أن عدم الاشتراك بين الشيئين في وجه من الوجوه (2) يمنعك محاولة التشبيه بينهما، لرجوعه الى طلب الوصف حيث لايوصف، وأن التشبيه لايصار إليه لغرض، وأن حاله تتفاوت بين القرب والبعد وبين القبولوالرد" (3) .

---

(1) ولله در الامام عبدالله بن محمد الفحطاني الذي ورد في نظمه:

لسنا نشبه ربنا بعباده *** رب وعبد كيف يشبهان ؟!
فالصوت ليس بموجب تجسيمه *** إذ كانت الصفتان تختلفان

أربح البضاعة: 33 .

(2) ستأتي دراسة بيانية لشرح هذه القضية من خلال نصوص حديثية بحول الله تعالى في المبحث الاخير من هذا الفصل.

(3) مفتاح العلوم لابي يعقوب السكاكي: 157-158 ، الطبعة الاولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر 1356هـ-1937م.
والسكاكي من علماء القرن السابع، توفي سنة (626هـ).

هذا وقد ثبت اتفاق المسلمين في بعض الاسماء والصفات، وليس دليلا على التشبيه المنفي، بالدلالة السمعية والعقلية، وإنما التشبيه المنفي ما يستلزم الاشتراك فيما يجب ويجوز ويمتنع، فيما يختص به الخالق لايجوز أن يشركه مخلوق في شيء من خصائصه جل وعلا كما قرره شيخ الاسلام ابن تيمية (1).

أما أصل التسمية، قال شيخ الاسلام ابن تيمية:

" هذا اللفظ أول من ابتدعه المعتزلة، فإنهم يسمون الجماعة والسواد الاعظم الحشو، كما تسميهم الرافضة الجمهور، وحشو الناس هم عموم الناس وجمهورهم، وهم غير الاعيان المتميزين، يقولون هذا من حشو الناس كما يقال: هذا من جمهورهم.

وأول من تكلم بهذا عمر بن عبيد، وقال: كان عبدالله بن عمر حشويا، فالمعتزلة سموا الجماعة حشوا، كما تسميهم الرافضة الجمهور"(2).

هذا مما هو مقرر عند شيخ الاسلام في الفتاوى، للمعنى الاصطلاحي لهذه اللفظة، قاله بعد أن صرح بأن الكرامية المجسمة كلهم حنفية، وأن الاكراد الشافعية كان فيهم من التشبيه والتجسيم ما لايوجد في صنف آخر من البشر (3).

ولقد صير الله شيخ الاسلام لهؤلاء وأمثالهم عطموسى تلقفت ما صنعوا من الافك والتخييل الذي لاصحة له في الواقع، خصوصا أساطين الاعتزال، قال رحمه الله تعالى:

---

(1) مجموع الفتاوى:3/22-23.

(2) المصدر نفسه:3/185-186.

(3) انظر المصدر نفسه:3/185.

"فإن كان المخاطب ممن ينكر الصفات ويقر بالأسماء، كالمعتزلي الذي يقول: إنه حي عليم قدير، وينكر أن يتصف بالحياة والعلم والقدرة.

قيل له: لافرق بين إثبات الاسماء، وإثبات الصفات، فإنك إن قلت: إثبات الحياة والعلم والقدرة يقتضي تشبيها أو تجسيما، لانا لانجد في الشاهد متصفا بالصفات إلا ما هو جسم، قيل لك: ولانجد في الشاهد ما هو مسمى حي عليم قدير إلا ما هو جسم، فإن نفيت ما نفيت لكونك لم تجده في الشاهد إلا للجسم فانف الاسماء، بل وكل شيء لانك لاتجده في الشاهد إلا للجسم.

فكل ما يحتج به من نفي الصفات يحتج به نافي الاسماء الحسنى، فما كان جوابا لذلك كان جوابا لمثبتي الصفات"(1).

ولفظ "التجسيم" لايوجد في كلام أحد من السلف لانفيا ولاإثباتا، فكيف يحل أن يقال: مذهب السلف نفي التجسيم أو إثباته بلاذكر لذلك ولا لمعناه عنهم؟ (2)

وأختم هذا المبحث مؤخرا البيان والتوضيح الى المبحث الموالي لدراسة هذه المسألة من خلال الكتب التي بسطت فيها مناقشتها بين محقة ومفتراة، بما قاله شيخ الاسلام وقرر في كتبه رحمه الله تعالى:

---

(1) مجموع الفتاوى 20/3.

(2) انظر المصدر السابق 152/3.

"نعم لفظ "التشبيه" موجود في كلام بعضهم وتفسيره معه، كما قد كتبناه عنهم، وأنهم أرادوا بالتشبيه تمثيل الله بخلقه، دون نفي الصفات التي في القرآن والحديث. وأيضا فهذا الكلام لو كان حقا في نفسه لم يكن مذكورا بحجة تتبع، وإنما هو مجرد دعوى على وجه الخصومة التي لا يعجز عنها من يستجيز ويستحسن أن يتكلم بلا علم ولا عدل"(1).

وقد أحسن من نظم:

والدعاوى ما لم تقيموا عليها ** بينات أبناؤها أدعياء

---

(1) مجموع الفتاوى:153/3.

المبحث الثاني : التشبيه بين الحقيقة والافتراء

وإن الغاية من هذا المبحث هو إحقاق الحق وإبطال الباطل في قضية كانت ولازالت سببا في إثارة البلبلة في أوساط فئة من المتعلمين من طلبة العلم، مهما حملوا من الشهادات العالية، فالشهادة العالية ليست مقياسا لكفاءة حاملها ولامثبتة لعلمه وتكوينه وتحصيله أصول العلم، قال أستاذنا الامام:

" ومن سوء حظ العرب في هذا الزمان عموم الجهل والتقليد فيهم، وسيرهم على صراط معوج، لانهم لايعتبرون العلم، وإنما يعتبرون الشهادات المزيفة التي يحصل عليها كثير من الدواب، فيتسنمون أعلى المراتب في الجامعات، وهم صم بكم عمي ...

ولكن من ضلالات العرب أنهم يتركون العين ويطلبون الاثر باعتمادهم على الشهادات فهم كما قال الشاعر:

ولو لبس الحمار ثياب خز *** لقال الناس يالك من حمار

فكذلك الجاهل إذا أخذ الشهادة من الجامعة يقول الناس: يالك منعالم، وإذا لم تكن له شهادة يقول أشباه الناس: يالك من جاهل"(1).

هذه القضية التي افترى فيها المتكلمون على مختلف فرقهم وطوائفهم، وموّهوا على الاحداث من طلاب العلم، ممن تراأسوا

---

(1) سبيل الرشاد في هدي خير العباد: 11/3.

قبل أن يتعلموا ، ويفهموا ، ويحصّلوا ، ويتدبروا ؛ ثم يأتي بعد ذلك الاستنباط عن طريق منهاج أئمة الاسلام أهل الحديث رضي الله تعالى عنهم ؛ إنها مسألة التشبيه والمشبهة .

فهي في حقيقة أمرها قضية باطلة ، وهي في زماننا امتداد لشر قديم ، بدأ أول ما بدأ من المعتزلة ، كما مر بنا قريبا في المبحث الاول من هذا الفصل ، من خلال نص لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مجموع فتاواه .

ثم سار على دربهم تلامذتهم الاشعرية الكلابية الذين حرّفوا الكلم عن موضعه ، وقلبوا المفاهيم لما اختل ميزانهم ، وذلك بسبب تحكيمهم أهواءهم ، فوصفوا أهل الحق والسنة بأقبح الاوصاف وذموهم ، فسموهم مجسمة ، ومشبهة ، وحشوية ، ونابتة ، وغثر .

وهذه كتبهم تموج بهذه الافتراءات الكاشفة عن بعض كاتبيها لمنهج الصحابة والتابعين ، وانسلاخهم عن طريقة أئمة مذاهبهم (1) .

فمع الاسف الشديد ، فإن المتأخرين من أنصار المتكلمين لايزالون عاكفين على كتب المتأخرين ، ويروجونها في سوق الكساد ، رغم أن أساطينهم ، قد رجعوا عنها ، وصرحوا بنبذها ، وتحكيم القرآن والسنة النبوية لان الوحي بشقيه نور مبين ، وكتب الكلام ظلام دامس .

فمن هم المشبهة ؟

---

(1) انظر كتاب الارشاد :150-151 ، وكتاب الغنية من 74 إلى 82 ومن 113 إلى 134 ، وتأويل مشكل الحديث لابن فورك :كله مشحون بالافتراء على أهل الحديث والافتنصاد في الاعتقاد : 133 وما بعدها .

وشرح العقائد النسفية :32-33-34-35-36 ، وغيرها من مصادر القوم .

لايمكننا بصفتنا طلاب هدى أن نعرف الاجابة الحقيقية عن هذا السؤال ، إلا إذا هدينا الى مصادر المعرفة الصحيحة، السليمة، القويمة . وفي طليعتها الكتب التي تؤرخ الشرائع أي كتب تاريخ العقائد :

1 - مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ،

2 - الفرق بين الفرق ،

3 - الفصل في الملل والاهواء والنحل .

وغيرها من كتب التراجم المعتمدة كسير أعلام النبلاء ، وكتب التاريخ الاسلامي أي مصادره، كالبداية والنهاية للحافظ ابن كثير . وللاجابة عن السؤال أقول:

قال الامام أبو الحسن الاشعري رحمه الله تعالى:" هذا شرح اختلاف الناس في التجسيم: إنهم يقولون: إن الباري جل ثناؤه ليس بجسم ، ولا محدود ، ولا ذي نهاية ، ونحن الان نخبر عن أقاويل المجسمة واختلافهم في التجسيم .

أقوال المجسمة : اختلفت المجسمة فيما بينهم في التجسيم وهل للباري تعالى قدر من الاقدار ؟ وفي مقداره ، على ست عشرة مقالة ، فقال هشام بن الحكم: إن الله جسم محدود عريض عميق طويل ، طوله مثل عرضه ، وعرضه مثل عمقه، نور ساطع ، له قدر من الاقدار ، بمعنى أن له مقدارا في طوله وعرضه وعمقه لايتجاوزه في مكان دون مكان ، كالسبيكة الصافية يتلألأ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها ،ذو لون وطعم ورائحة ، ومجسة ، لونه هو طعمه ، وهو رائحته ، وهو مجسته ، وهو نفسه ، لون ولم يثبت لونا غيره، وإنه يتحرك ويسكن ويقوم ويقعد .

وحكى عنه "أبوا لهذيل" أنه أجابه الى أن جبل أبي قبيس أعظم من معبوده ، وحكى عنه " ابن الراوندي" أنه زعم أن الله سبحانه يشبه الاجسام التي خلقها من جهة من الجهات ، ولولا ذلك ما دلت عليه.

وحكى عنه أنه قال: هو جسم لا كالاجسام ، ومعنى ذلك أنه شيء موجود .

وقد ذكر عن بعض المجسمة أنه كان يثبت الباري ملونا ، ويأبى أن يكون ذا طعم ورائحة ومجسة ،وأن يكون طويلا وعريضا وعميقا ، وزعم أنه في مكان دون مكان ، متحرك من وقت خلقه الخلق ، وقال قائلون : إن الباري جسم ، وأنكروا أن يكون موصوفا بلون أو طعم أورائحة أو مجسة أو شيء مما وصف به هشام غير أنه على العرش مماس له دون ما سواه " (1).

وعقد الامام عبدالقاهر البغدادي فصلا ذكر فيه مقالات المجسمة الكرّامية وبيّن أوطفهم قائلا:

" الكرامية بخراسان ثلاثةأصناف : حقائقية ، وطرايقية ، وإسحاقية ، وهذه الفرق الثلاث لايكفر بعضها بعضا ،وإن أكفرها سائر الفرق ،فلهذا عددناها فرقة واحدة.

وزعيمها المعروف محمد بن كرام ، كان مطرودا من سجستان الى غرجستان..."(2).

---

(1) مقالات الاسلاميين لابي الحسن الاشعري: 1/281-282.

(2) الفرق بين الفرق :202.

وقال أيضا في بيان مذاهب المشبهة ما اختصر منه النص التالي :

" وأول ظهور التشبيه صادر عن أصناف من الروافض الغلاة ، فمنهم السبابية الذين سموا عليا إلها ، وشبهوه بذات الاله ، ولما أحرق قوما منهم قالوا له : الآن علمنا أنك إله لان النار لايعذب بها إلا الله .

ومنهم البيانية أتباع بيان بن سمعان الذي زعم أن معبوده إنسان من نور على صورة الانسان في أعضائه ، وأنه يفنى كله إلا وجهه .

ومنهم المغيرية أتباع المغيرة بن سعيد العجلي الذي زعم أن معبوده ذو أعضاء ، وأن أعضاءه على صور حروف الهجاء .

ومنهم المنصورية أتباع أبي منصور العجلي الذي شبه نفسه بربه ، وزعم أنه صعد الى السماء .

وزعم أيضا أن الله مسح يده على رأسه وقال له : يا نبي بلغ عني" (1).

ومن المصادر الجيدة التي عالجت هذا الموضوع كذلك، كتاب مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ، فقد بيّن فيه حقيقة المشبهة على وفق ما ذكره أبوالحسن الاشعري وعبدالقاهر البغدادي ، فقرر بأن المجسمة المحضة التي تصرح بالتجسيم المحض هم هشام بن الحكم وشيعته (2) .

---

(1) الفرق بين الفرق :214-215 .

(2) انظر مجموع الفتاوى:188/4 .

"وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف، ومنّ عليهم بالتفهيم والتعريف حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه، واكتفوا بقوله عز من قائل: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)(1) وبقوله تعالى: (ولم يكن له كفوا أحد)(2)"(3)

أما التشبيه المفترى فهو من المتكلمين قد صدر، وهم أحق به من غيرهم، قال عبدالله بن المبارك: من قال لك يا مشبه فاعلم أنه جهمي (4).

وقد بين شيخ الاسلام ابن تيمية أن أصل مقالات هؤلاء الذين يذمون أهل الحديث، في التعطيل مأخوذة من تلامذة المشركين والصابئين واليهود (5).

وقد كشف علماء السلف عورات المتكلمين وفضحوهم، وحذروا المسلمين من الوقوع في شركهم.

قال الامام المحقق أبوعثمان الصابوني رحمه الله تعالى في: "علامات أهل البدع: وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي صلى الله عليه وسلم، واحتقارهم لهم، وتسميتهم إياهم حشوية، وجهلة، وظاهرية، ومشبهة، اعتقادا منهم في أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم أنها بمعزل عن العلم، وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة،

---

(1) الشورى: 11 .
(2) الاخلاص: 4 .
(3) مجموع الفتاوى: 5/4 .
(4) المصدر السابق: 393/5.
(5) المصدر نفسه: 25/5 .

ووساوس صدورهم المظلمة ، وهواجس قلوبهم الخالية من الخير ، وحججهم العاطلة بل شبههم الداحضة الباطلة . أولئك الذين لعنهم الله ، فأصمّهم وأعمى أبصارهم . ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء "(1).

وهكذا يتبين لنا بعد الوقوف على تصريحات المتكلمين الفظيعة المتضمنة سب نخبة من البشر سبقت لهم الحسنى من الله عزوجل والرضوان ، وهم الصحابة المرضيون ، فقد شتم المتكلمون عبدالله بن مسعود ، وأبا هريرة ، وعبدالله بن عمر كما تقدم ، والحمد لله الذي هيأ لهم الجهابذة الذين يضربون رقابهم ويقلعون أسنانهم ونواجذهم وأضراسهم في كل عصر وزمان ، وما كتاب الامام ابن قتيبة إلا خير مرجع أساسي في هذا الموضوع (2) ، وكتاب الحيدة لعبدالعزيز الكناني وكذا كتاب رد عثمان بن سعيد على بشر المرسيي العنيد ، وكتب شيخ الاسلام ابن تيمية وكتب تلامذتهم .

فقد رد عليهم أصحاب هذه الكتب ، ودحروا أباطيلهم ، ونسفوا افتراءاتهم نسفا .

وهذا هو ديدن المبتدعة وأهل الاهواء منذ نشأتهم ، فقد اقتفوا سبيل المشركين والكفار ، الذين اعتدوا وطغوا ، فسموا رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعرا وكاهنا ومجنونا ومفتريا ! وكتاب الله أوثق مصدر فيه خبر ذلك .

---

(1) عقيدة السلف أصحاب الحديث : 64 .

(2) تأويل مختلف الحديث

فأهل الكلام هم المذمومون، فهم المجسمة، وهم الحشوية، وهم المشبهة، وهم الغثر، وهم الغثاء. بهم تلحق كل الصفات الذميمة، لانهم عطلوا صفات الله عزوجل، وكذبوا بما صح عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، وحرّفوا كتاب الله تعالى، فبدلا من أن يثبتوا ما أثبت الله تعالى لنفسه من الاسماء والصفات، وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم بتنزيه قرآني حديثي، لابتنقيص كلاميّ يونانيّ، فقد انطلق المتكلمون يتخذ فتون بينهم ألا إثبات ولاتنزيه إلا في ضوء ضوابط التشبيه والتجسيم والحشو، وهذا محض التنقيص!

فلابد عندهم أنْ يكون إيمانهم بالصفة من منطلق معقولاتهم التي هي في الحقيقة الشرعية الدينية مجهولات؛ كما لابد أن يكون لها تصور في مخيلاتهم وأوهامهم قبل جزمهم بتحديد موقفهم منها، فلذلك ردوها لما قاسوها بصفات المخلوقين، فكانوا بحق هم المجسمة والمشبهة، **فرموا بصفات** الذم أهل الحق والصواب كذبا وزورا، فكانت حالتهم كما قيل:

رمتني بدائها وانسلت.

واليوم، نجد المبتدعة الضلال يحملون حملات مسعورة على أهل الحديث، أهل الحق والسنة، أهل الصواب، فيصفونهم بالوهابية، والمجسمة والحشوية، وما الوهابية إلا لفظة، هي صفة مأخوذة من اسم الله الوهاب جل وعلا، الذي أزاغ قلوب مروجيها لما نشروها وزاغوا عن الحق مريدين بها نقيض وضد ما جعلت له معضدين بذلك أصلهم العقيدي الفاسد؛

وأما أهل الحديث فقد هدوا إلى الطيب من القول، وإلى الصحيح من الاعتقاد، كانوا ولايزالون يدعون الله تعالى متوسلين إليه باسمه الوهاب: (ربنا لاتنزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)(1).

أما محمد بن عبدالوهاب فهو شيخ الاسلام، المجاهد الاكبر المجدد العظيم، إمام سلفي قح، بريء من كل ما يصفه به أعداء التوحيد القرآني النبوي، كتلامذة الجركسي التركماني(2) عدوّ العقيدة القرآنية الحديثية، وحامل لواء الباطل والدجل والإفك والتدليس والتزوير في هذا القرن، فمقالاته مشحونة بالدعوة جهارا إلى معاداة الحق وأهله بكل الاساليب والوسائل البذيئة والشنيعة اللامشروعة.

قال الشيخ محمد بهجة البيطار رحمه الله تعالى في كتابه الكوثري وتعليقاته:

" إن تعجب فعجب لرجل أعجمي يدعي الغيرة على الاسلام والدفاع عن عقائده وعن فقه المسلمين، ثم تراه لايأل جهدا في نفي ما أثبت الله عزوجل لنفسه في كتابه، وعلى لسان نبيه خاتم أنبيائه ورسله صلى الله عليه وسلم، من آيات صفاته، ونعوت جلاله تبارك وتعالى، ويطعن في أئمة الحديث، ونوابغ العلماء، وأشهر مشاهير الامة، من دون ورع ولاحياء، ولايبالي أن يكتب العقائد من عند نفسه، وأن يملي التاريخ

---

(1) آل عمران: 8.

(2) هومحمد زاهد بن الحسن بن علي كوثري، فقيه حنفي جركسي الاصل، ولد سنة 1296 وتوفي سنة 1371.

من حقده (1)، فيخل أهل السنة عقائد المعتزلة، ويثني عليهم بها، ويشوه تراجم الرجال ومحاسنهم، ويقلب الحقائق رأسا على عقب.

هذا هو الشيخ زاهد الكوثري الجركسي الذي كان سمح له الاستاذ السيد حسام الدين القدسي أن يصحح بعض مطبوعاته، وأن يعلق عليها تعليقات لايخرج بها عن دائرة الحقيقة، ولايفتئات فيها على أحد بشيء.

ولما وقف على هذا النزر الذي علقه، رأى فيه من ضروب الخيانات والجنايات ما تقف له الشعور، وتقشعر منها الجلود ويسأل من مثله العافية، فاضطر الحسام الفاضل إلى إيقافه عن التصحيح والتعليق، وأعلن في مقدمة كتاب "الانتقاء" خيانته على رؤوس الاشهاد، وجنايته على الدين وأهله، بما لم يسبق إلى مثله، وذكر أمثلة منها، تراجع في تلك المقدمة، وأشار إلى تعيين تعليقاته كلها ليكون القراء على بينة من أمرها "(2).

ثم ساق الشيخ البيطار بعد هذا أمثلة تشهد بصحة قوله في الجركسي.

هذه شهادة أحد رجال الفكر الاسلامي في الجركسي.

---

(1) قال الشيخ محمد بن حمد الحمود المعلق: "وذكر لنا الشيخ بكر بن عبدالله أبوزيد، حفظه الله تعالى، أن الشيخ محمد مختار الشنقيطي المدرس في المسجد النبوي الشريف، والمتوفى سنة (1405) بالمدينة النبوية، أن شيخا من الشناقطة ذكر له أن الكوثري قال له مشافهة "عالجت نفسي أربعين سنة كي أخرج بغض العرب من قلبي فما استطعت"." (حاشية الكوثري وتعليقاته: 11).

(2) الكوثري وتعليقاته: 11-12.

وشهادة أخرى أسوقها من خلال ما كتبته أنامل يد الاستاذ الجليل الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، من الاساتذة المؤطرين لقسم العقيدة في الدراسات العليا بالجامعة الاسلامية، قال الاستاذ الاديب الاريب في تقديم تحقيقه لرسالة الذب عن أبي الحسن الاشعري للحافظ أبي القاسم عبدالملك بن عيسى بن درباس (576-659) :

"وعقيدة ابن درباس في الذب عن أبي الحسن الاشعري، هذه التي نقدمها للقراء قد جمع فيها شهادة عدد من العلماء أوضحوا في شهاداتهم هذه، براءة أبي الحسن مما نسبه إليه الاهوازي وغيره، من كونه ألف الابانة تقية من الحنابلة.

وهو رد على الكوثري أيضا الذي يقول في تعليقه على تبيين كذب المفتري ص:28، 392: إنما ألف أبوالحسن الابانة على طريقة المفوضة من السلف، وأراد بها انتشال المتورطين في أوحال التشبيه من الرواة، والتدرج بهم الى مستوى الاعتقاد الصحيح، الذي هو مذهب الخلف ...الخ.

وقال: ثم دخل بغداد - أي أبوالحسن - وسعى بكل حكمة أن يتدرج بمتقشفة الحشوية الى معتقد السنة بكتاب "الابانة" الذي ألفه أول ما دخل بغداد، وليس هو آخر مؤلفاته كما يلهج به متأخرو الحشوية.

فكما تراه يقرر أنه لم يؤلفها الا لانتشال الرواة الذين وقعوا في أوحال التشبيه- ولاندري من يريد أن ينتشله من الرواة، وهم رواة الحديث لان الاحاديث هي التي أثبتت الصفات مثل الايات القرآنية- هل الذين ذهبوا لانهم رووها قبل

أبي الحسن أو الذين يأتون بعده ؟! الاجابة عن هذا عند الكوثريين .

ومرة يقول - ألفها يستدرج بها متقشفة الحشوية - وعلى كلا التقديرين فهو يقرر بهذا أنه لايعتقد ما فيها - وهذا هو ما يقرره الاهوازي في الطعن على أبي الحسن ، إنه إنما ألفها تقية من الحنابلة . وهذا يقول: تدريجا بهم الى الاعتقاد الصحيح أي أنه لايعتقد ما أثبته فيها .

ولكنه ينقض هذا الرأي بقوله الاخر ، وهو قوله :" وليس هي آخر مؤلفاته كما يلهج به متأخرو الحشوية " ، لانه إذا كان لايعتقد ما أثبته فيها - حسب رأي العلامة المحقق الكوثري كما يقال عنه - فلافرق بين أن تكون من آخر مؤلفاته أولم تكن .

فكأنه يرى أن أبا الحسن يعتقد ما فيها ، ولكنه ألف كتابا أو كتبا بعدها ينقض ما فيها .

ونحن نقول: أين الكتب التي ألفها بعدها ؟ أعتقد أنه لايستطيع أي كوثري أن يثبت لابي الحسن كتابا بعد الابانة ينقض ما فيها . وستأتي تراجم أولئك العلماء الذين شهدوا لابي الحسن الاشعري بالاستقامة على عقيدة السلف ، وإثبات أن الابانة كتابه الذي استقرت عليه عقيدته ، وكفى بهم شهادة له .

ومن العجب أن نجد مثل هذا القول من عالم من علماء المسلمين المتأخرين مثل الكوثري ، وقد شهد لابي الحسن أن ما في الابانة هو عقيدته وأنه آخر كتبه ، هؤلاء العلماء الاجلاء الذين أوردهم ابن درباس في هذه الرسالة " انتهى كلام محقق الرسالة (1).

---

(1) الذب عن أبي الحسن الاشعري: 99-100-101.

هكذا نجد باطل المبتدعة ممتد ومستمر ، ويلزم أهل الحق مواصلة ردعهم وحسم افترائهم ، وكشف مخططاتهم لنسفها ، فالباطل لاينتشر ولايكتسح أرجاء المعمورة إلابسكوت أهل الحق . فمواجهة هؤلاء فريضة ، والرد عليهم واجب ، وعلى قدر إخلاص المخلصين يمحق الله فلول الافاكين.

وبعد هذه المداخلة من قبل الاستاذين الجليلين البيطار والفقيهي ، والتي كانت عبارة عن عملية تنظيفية من الاستاذين لوساخة الافن الكلامي الفكري الذي نسج عناكبه في خلد الجركسي ، قد أصبح المناخ العلمي صافيا ليتعرف طالب العلم الشرعي على حقيقة الامام محمد بن عبد الوهاب ، المصلح الديني والسياسي والتعليمي ، والاجتماعي ، العلامة العبقري محمد بن عبدالوهاب النجدي التميمي رحمه الله تعالى(1) .

---

(1) إن يسر الله تعالي لي الاسباب ، وبارك في قلمي وسدده ، فانا عازم على كتابة مذكرة للطلاب في كليتنا في مادة الفكر الاسلامي ، أدرس فيها سيرة شيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب مفصلة ، فطلاب الجامعة عندنا يسألونني كثيرا عن حقيقة هذا الامام المجاهد المفترى عليه ، وبعض الاساتذة الحاقدين يتخافتون بينهم با لنجوى ويرمونني بالوهابي ، فسأزود هؤلاء وأولئك بما عندي من كتب رجال الفكر الاسلامي ، وأئمة الدعوة الاسلامية وأفند شبهات الحاقدين عليه وأدحر أباطيل وأكاذيب المفترين مسترشدا بالجهابذة الذين منّ الله علي بالتلمذة عليهم ، والله أسأل أن ييسر ذلك ويبارك في العمر حتى تتحقق هذه الرغبة .

نشأ شيخ الاسلام نشأة تدين وتقوى ، ورأى النور في بيت عماده العلم والايمان .

ولد سنة 1115(1) وقيل سنة 1111(2) ، في بلدة العينية من إقليم العارض في نجد ، وكان والده يتولى قضاءها .

ووالده هو الشيخ عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس ابن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب التميمي ، نسبة الى تميم إحدى قبائل نجد الكبرى ، ذات الشهرة العريضة في الجاهلية والاسلام ، وهي منتشرة في معظم الاقاليم العربية ، فهي في نجد والعراق والشام ، ولها في نجد مدينة خاصة تحمل اسمها وهي" الحوطة " أوحوطة بني تميم (3).

ظهرت عليه علائم النبوغ والتفوق منذ كان صبيا ، فكان حاد الذكاء سريع الحفظ ، سريع الفهم ، مقبلا على طلب العلم ، منكبا عليه ، وقد أتم حفظ القرآن وهو في التاسعة ، مما أدهش والده فكتب الى أحد أصدقائه مكبرا شأنه ، ورآه أهلا للصلاة بالجماعة لمعرفة الاحكام الشرعية فقدمه يؤم المصلين.

وقرأ على والده الفقه على مذهب الامام أحمد بن حنبل ، مذهب أهل السلف فأثر كثيرا في نفسه .

وعكف على المطالعة والحفظ ، فقرأ كتب الحديث ، واستظهر أكثرها ، وكتب التفسير ، وكتب الفقه والنحو والادب ،

---

(1) سيرة الامام الشيخ محمدبن عبدالوهاب لامين سعيد : 17 .

(2) ذكرذلك الشيخ عبدالعزيزبن عبدالله بن باز في كتابه : محمد بن عبدالوهاب دعوته وسيرته : 19 .

(3) سيرة الامام الشيخ محمدبن عبدالوهاب : 17 .

فتفتح ذهنه ، وسمت مداركه وارتقى تفكيره (1) .

والذي يلزم العناية به ، جانب الدعوة الاسلامية في حياة الشيخ رحمه الله تعالى ، ولنستمع الى ما قاله إمام كبير معاصر من أئمة الدعوة الاسلامية في عصرنا ، وهو والدنا وأستاذنا المربي المخلص حضرة صاحب السماحة والمعالي الاستاذ الاديب الاريب مفتي الديار السعودية أبوعبدالله الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، أمتع الله المسلمين علماء ومتعلمين بطول بقائه ودوام عزه وارتقائه ، قال حفظه الله تعالى :

"أما الشيخ فقد صبر وجد في الدعوة ، وشجعه من شجعه من العلماء والاعيان في داخل الجزيرة العربية ، وفي خارجها ، وعزم على ذلك ، واستعان بربه عزوجل ، وعكف على الكتب النافعة ، ودرسها ، وعكف قبل ذلك على كتاب الله ، وكانت له اليد الطولى في تفسير كتاب الله ، والاستنباط منه ، وعكف على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسيرة أصحابه ، وجد في ذلك وتبصر فيه حتى أدرك من ذلك ما أعانه الله به وثبته على الحق ، فشمر عن ساعد الجد ، وصمم على الدعوة ، وعلى أن ينشرها بين الناس ، ويكاتب الامراء والعلماء في ذلك ، وليكن في ذلك ما يكون ، فحقق الله له الآمال الطيبة ، ونشر به الدعوة ، وأيد به الحق ، وهيأ الله له أنصارا ومساعدين وأعوانا حتى ظهر دين الله ، وعلت كلمة الله .

---

(1) سيرة الامام الشيخ محمد بن عبدالوهاب :18 ، وانظر محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه للاستاذ مسعود الندوي: 37 وما بعدها .

وانظر الحركة الوهابية للدكتور محمد خليل هراس ، ومحمد بن عبدالوهاب لعبدالعزيز بن باز :19-20 .

فاستمر الشيخ في الدعوة في العيينة بالتعليم والارشاد ثم شرع في الانكار بالعمل، وإزالة آثار الشرك بالفعل، لما رأى الدعوة لم تؤثر الاثر المطلوب، باشر الدعوة عمليا ليزيل بيده ما أمكن من آثار الشرك، فقال الشيخ للأمير عثمان بن معمر: لابد من هدم هذه القبة التي على قبر زيد ابن الخطاب رضي الله عنه، وهو أخو عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنهما، وكان من جملة الشهداء في قتال مسيلمة الكذاب في عام 12 من الهجرة النبوية، قد بني على قبره قبة فيما يذكرون، فوافقه عثمان كما تقدم، وهدمت القبة بحمدالله وزال أثرها، الى اليوم ولله الحمد والمنة.

وما ذاك إلا لانها هدمت عن نية صالحة، وقصد مستقيم، ونصر للحق.

وهناك قبور أخرى، منها قبر يقال إنه قبر ضرار بن الازور، كانت عليه قبة وهدمت أيضا، وهناك مشاهد أخرى أزالها الله عزوجل، وكانت هناك غيران وأشجار تعبد من دون الله جل وعلا، فأزيلت، وقضي عليها، وحذر الناس منها "(1).

وبعد هذا العرض والاثبات لموقف أئمة السلف، وردهم على افتراءات المفترين، ودحرهم لشبهات المبطلين من المتكلمين آن الاوان لفرع باب المبحث الاخير من هذا الفصل، وهومبحث يوضح براءة الاندلسيين من التشبيه.

---

(1) محمدبن عبدالوهاب: دعوته وسيرته: 25-26-27، وتوفي شيخ الاسلام يوم الاثنين آخر شوال 1206 وله من العمر 92 عاما. (سيرة الامام الشيخ محمدبن عبدالوهاب: 190).

المبحث الثالث : براءة مالكية الاندلس من التشبيه

لقد برأ الله تعالى مالكية الاندلس من التشبيه ، ومنّ عليهم بعقيدة القرآن والسنة النبوية، برأهم من العقيدة التعطيلية ،صرح بذلك الامام أبوعمر الطلمنكي(1).

روى ابن عبد البر في الانتقاء أنه: جاء رجل الى مالك فقال: يا أبا عبدالله ، أسألك عن مسألة أجعلك حجة فيما بيني وبين الله عزوجل ، قال مالك: ما شاء الله لاقوة إلا بالله ، سل ، قال من أهل السنة ؟ قال: أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به ،لاجهمي ولاقدري ، ولا رافضي(2).

وقال مالك :

لاينبغي الاقامة بأرض يكون العمل فيها بغير الحق والسب للسلف (3) .

وقال ابن عبدالبر : وكان مالك رحمه الله كثيرا ما يتمثل بقول الشاعر:

وخير أمور الدين ما كان سنة ** وشر الامور المحدثات البدائع (4)

وتتضح هذه البراءة جلية فيما قرره أبوعمر ابن عبد البر من أصول وقواعد منهجية تثبت ذلك ،منها ما قرره في جامع بيان العلم وفضله :

---

(1) انظر عقيدته في الباب الاول من هذه الاطروحة .
(2) الانتقاء : 35 .
(3) المصدر السابق: 36.
(4) المصدر السابق: 36-37.

"وأما الفقه فأجمعوا على الجدال فيه والتناظر، لانه علم يحتاج فيه الى رد الفروع على الاصول للحاجة الى ذلك، وليس الاعتقادات كذلك، لان الله عزوجل لايوصف عند الجماعة أهل السنة إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أجمعت الامة عليه، وليس كمثله شيء، فيدرك بقياس أو بإنعام نظر، وقد نهينا عن التفكر في الله، وأمرنا بالتفكر في خلقه الدال عليه"(1).

وقال أيضا موضحا منهاج مالكية الاندلس في إثبات الصفات الالهية: "قال أبوعمر: رواها السلف وسكتوا عنها، وهم كانوا أعمق الناس علما، وأوسعهم فهما، وأقلهم تكلفا، ولم يكن سكوتهم عن عيّ، فمن لم يسعه ما وسعهم فقد خاب وخسر"(2).

كما عقد الامام ابن أبي زمنين في كتابه "أصول السنة" بابا وضح فيه موقف أئمة الاندلس من المشبهة والمعطلة وغيرهم من أهل الاهواء فقال: باب في استتابة أهل الاهواء(3).

وقال الامام القحطاني الاندلسي المالكي:

لسنا نشبه صوته بكلامنا *** إذ ليس يدرك وصفه بعيان

لاتحصر الاوهام مبلغ ذاته *** أبدا ولايحويه قطر مكان

وهو المحيط بكل شيء علمه *** من غير إغفال ولا نسيان

من ذا يكيف ذاته وصفاته *** وهو القديم(4) مكون الاكوان.(5)

(1) جامع بيان العلم وفضله :113/2.

(2) المصدر السابق :118/2.

(3) أصول السنة : لوحة 39.

(4) القديم ليس من أسماء الله الحسنى كما سبقني لذلك أستاذنا الامام أبوشكيب، وكذا سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز.

(5) أربح البضاعة : 11 .

وقال أيضا :

حاشا الإله بأن تكيف ذاته *** فالكيف والتمثيل منتفيان

والأصل أن الله ليس كمثله *** شيء تعالى الرب ذو الإحسان. (1)

وقال أيضا :

لسنا نشبه ربنا بعباده *** رب وعبد كيف يشتبهان

فالصوت ليس بموجب تجسيمه *** إذ كانت الصفتان تختلفان

حركات ألسننا وصوت حلوقنا *** مخلوقة وجميع ذلك فان

وكما يقول الله ربي لم يزل *** حيا وليس كسائر الحيوان

وحياة ربي لم تزل صفة له *** سبحانه من كامل ذي الشان

وكذلك صوت إلهنا ونداؤه *** حقا أتى في محكم القرآن

إن الذي هو في المصاحف مثبت *** بأنامل الأشياخ والشبان

هو قول ربي آيه وحروفه *** ومدادنا والرق مخلوقان

هو في المصاحف والصدور حقيقة *** أيقن بذلك أيما إيقان

وكذا الحروف المستقر حسابها *** عشرون حرفا بعدهن ثمان

هي من كلام الله جل جلاله *** حقا وهن أصول كل بيان

حاء، وميم، قول ربي وحده *** من غير أنصار ولا أعوان. (2)

وهكذا نجد مالكية الأندلس أثبتوا لله تعالى ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات ، وما أثبته له نبيه ومصطفاه ، فكانوا على منهاج علماء الآثار .

قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله تعالى بعد أن وضح منهاج أهل الحديث في توحيد المعرفة والإثبات ، مقررا ما يأتي:

---

(1) أربع البضاعة :32 .

(2) المصدر السابق :33.

"فإذا كان ما ذكرنا على ما وصفنا ثبت عند العقلاء وأهل التمييز أن من رمى أهل الآثار القائلين بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم بالتشبيه، فقد قال الباطل والكذب والزور والبهتان، وخالف الكتاب والسنة وخرج من لسان العرب"(1).

وقال أيضا:

" فإن كان علماء الآثار الذين يصفون الله بما وصف به نفسه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم مشبهة على ما يزعم المعطلة (2) فكل أهل القبلة إذا قرأوا كتاب الله فآمنوا به بالإقرار باللسان وتصديق بالقلب وسموا الله بهذه الاسامي التي خبر الله بها أنها له أسامي، وسموا هؤلاء المخلوقين بهذه الاسامي التي سماها الله بها مشبهة، فعود مقالتهم هذه توجب أن على أهل التوحيد الكفر بالقرآن وترك الايمان به وتكذيب القرآن بالقلوب والانكار بالالسن فاقذر بهذا من مذهب، واقبح بهذه الوجوه عندهم عليهم لعائن الله وعلى من ينكر جميع ما وصف الله به نفسه في محكم تنزيله، والكفر بما ثبت عن نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم بنقل أهل العدالة موصلا اليه في صفات الخالق جل وعلا"(3).

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يرزقنا طاعته وطاعة رسوله والعمل بكتابه، ويختم لنا بالايمان، وبمبحث الايمان أختم هذه الاطروحة بحول الله تعالى وتوفيقه.

* *

---

(1) التوحيد: 24.

(2) وكذا تلامذة الجهمية المعتزلة وتلامذتهم الكلابية.

(3) التوحيد لابن خزيمة: 35-36.

الفصل الخامس :

مذهب مالكية الاندلس في الايمان

المبحث الاول : حقيقة الايمان عندهم.

المبحث الثاني : اعتقادهم زيادة الايمان ونقصانه.

المبحث الثالث : موقفهم من تكفير المعين.

*

* *

*

المبحث الاول : حقيقة الايمان عندهم

بدأ كتاب الله بالتوحيد بأقسامه الثلاثة ، توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية ، وتوحيد الاسماء والصفات ، وهي الانواع التي اشتملت عليها سورة الفاتحة .
وختم كتاب الله بالتوحيد بأنواعه الثلاثة ، وهي الانواع التي اشتملت عليها سورة الناس .
وذلك حتى نعيش على توحيد الباري جل وعلا ، ونموت على التوحيد ، لعل الله يحشرنا في زمرة الموحدين.
وهكذا نجد الامام محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي رحمه الله تعالى يبدأ كتابه الجامع المسند الصحيح بكتاب الايمان ويختمه بكتاب التوحيد والرد على الجهمية .
وأختم هذه الاطروحة بالايمان ، لعل الله جل وعلا يختم لي بالايمان الصحيح ، ويحشرني في زمرة الحنفاء إنه ولي ذلك والقادر عليه جل وعلا .

نجد في هذه المسألة ، مسألة الايمان ، كغيرها من المسائل العقائدية ، آراء الفرق متضاربة ومتشعبة. كل فرقة خرجت عن منهج القرآن والسنة النبوية قد قعدت منهجها ، وتعسفت في اصطياد شبه حسبتها أدلة وبراهين لتناصر بها باطلها ، ولكنها تبقى دوما في حيرة وتشكك لايهدأ لها بال ولاتستقر على حال .

ورحم الله تعالى مالكا ، فقد روى عنه ابن وهب قوله :
سمعت مالكا يقول: كان الرجل إذا جاءه بعض هؤلاء أصحاب الاهواء قال: أما أنا فعلى بينة من ربي ، وأما أنت فشاك فاذهب الى شاك مثلك فخاصمه (1).

قال الجرجاني:

" الايمان في اللغة التصديق بالقلب .

وفي الشرع هو الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان.

قيل: من شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق ،

ومن شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق ،

ومن أخل بالشهادة فهو كافر" (2).

وقال الراغب :

" والايمان يستعمل تارة اسما للشريعة التي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام وعلى ذلك (الذين آمنوا والذين هادوا)(3) ويوصف به كل من دخل في شريعته مقرا بالله وبنبوته ،قيل وعلى هذا قال تعالى: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)(4) ،وتارة يستعمل على سبيل المدح ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق ، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء :

تحقيق بالقلب ،وإقرار باللسان ، وعمل بحسب ذلك بالجوارح ،

---

(1) الشرح والابانة على أصول السنة والديانة لابن بطة العكبري: 151.
(2) التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني: 18.
(3) المائدة : 69 .
(4) يوسف : 106.

وعلى هذا قوله: (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون)(1) .

ويقال لكل واحد من الاعتقاد والقول الصدق والعمل الصالح إيمان .

قال تعالى: (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أي صلاتكم.(2)

وجعل الحياء وإماطة الاذى من الايمان ، قال تعالى: (وما أنت بمؤمن لنا ولوكنا صادقين)(3) قيل معناه بمصدق لنا .

إلا أن الايمان هو التصديق الذي معه أمن"(4).

ولنقرأ الآن ما كتبه المحققون من أئمة السلف عن معنى هذه اللفظة ، وضابط مسمى الايمان ، قال الامام ابن قتيبة في كتابه القيم تأويل مشكل القرآن:

" الايمان هو التصديق ، قال الله تعالى: (وما أنت بمؤمن لنا) أي بمصدق لنا (ولوكنا صادقين) وقال: (ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم ، وإن يشرك به تؤمنوا)(5) أي تصدقوا ، والعبد مؤمن بالله ، أي مصدق .

والله مؤمن: مصدق ما وعده أو قابل إيمانه .

ويقال في الكلام: ما أومن بشيء مما تقول أي ما أصدق به .

ومن الايمان: تصديق باللسان والقلب ، يقول الله تعالى: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية)(6).

كما كان من الاسلام انقياد باللسان والقلب .

---

(1) الحديد: 19 .
(2) البقرة: 143.
(3) يوسف : 17 .
(4) معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الاصفهاني:22.
(5) غافر: 12 .
(6) البينة: 7.

ومن الايمان: تصديق ببعض وتكذيب ببعض، قال الله تعالى: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلاوهم مشركون)(1) يعني مشركي العرب، إن سألتهم من خلقهم؟ قالوا: الله، وهم مع ذلك يجعلون له شركاء.

وأهل الكتاب يؤمنون ببعض الرسل والكتب، ويكفرون ببعض، قال الله تعالى: (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) بعض الرسل والكتب، إذ لم يؤمنوا بهم كلهم.

وأما قوله عزوجل: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين) ثم قال: (من آمن بالله واليوم الاخر)(2) فإن هؤلاء قوم آمنوا بألسنتهم فقال تعالى: (من آمن) منهم بقلبه (بالله واليوم الاخر)، كأنه قال: إن المنافقين والذين هادوا "(3).

وقد شرح شيخ الاسلام ابن تيمية لفظ الايمان وما ينبغي أن يفهم منه، شرحا وافيا في سفره الجليل " كتاب الايمان" فقال بعد أن سئل عن ذلك فأجاب:

" اسم الايمان يستعمل مطلقا، ويستعمل مقيدا، وإذا استعمل مطلقا، فجميع ما يحبه الله ورسوله من أقوال العبد وأعماله الباطنة، والظاهرة يدخل في مسمى الايمان عند عامة السلف والائمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم، الذين يجعلون الايمان قولا وعملا، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية،

---

(1) يوسف: 106.
(2) البقرة: 62 .
(3) تأويل مشكل الحديث: 481-482.

ويدخلون جميع الطاعات فرضها ونفلها في مسماه ، وهذا مذهب الجماهير من أهل الحديث والتصوف والكلام والفقه من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم.

ويدخل في ذلك ما قد يسمى مقاما وحالا ، مثل الصبر والشكر والخوف والرجاء والتوكل والرضا والخشية والانابة والاخلاص والتوحيد وغير ذلك "(1) .

ثم شرح الامام ابن تيمية أصل الايمان على منهاج النبوة فقال :

" فأصل الايمان في القلب ، وهو قول القلب وعمله (2) ، وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد ، وما كان في القلب فلابد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح ، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أوضعفه ، ولهذا كانت الاعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه ، وهي تصديق لما في القلب ، ودليل عليه ، وشاهد له ، وهي شعبة من مجموع الايمان المطلق وبعض له ، لكن ما في القلب هو الاصل لما على الجوارح ، كما قال أبوهريرة رضي الله عنه : إن القلب ملك ، والاعضاء جنوده ، فإن طاب الملك طابت جنوده ، وإذا خبث الملك خبثت جنوده . وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ، ألا وهي القلب "."(3).

---

(1) مجموع الفتاوى: 642/7 .

(2) هذه العبارة أطال في شرحها وإبانتها الدكتور سفر الحوالي في أطروحته التي اطلعت عليها مبثورة مع كامل الاسف ، قدمها لنيل دكتوراه الدولة في العقيدة بجامعة أم القرى بعنوان: "ظاهرة الارجاء في الفكر الاسلامي".

(3) مجموع الفتاوى : 644/7 .

وقال رحمه الله بعد أن بين فساد قول من يجعل الايمان مقتصرا على القلب، ولادخل للاركان في مسمى الايمان:

" والله سبحانه في غير موضع يبين أن تحقيق الايمان وتصديقه بما هو من الاعمال الظاهرة والباطنة كقوله:

(إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، أولئك هم المؤمنون حقا)(1) .

وقال: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون)(2)

وقال تعالى: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه)(3).

وقال تعالى: (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)(4) .

فإذا قال القائل: هذا يدل على أن الايمان ينتفي عند انتفاء هذه الامور، لايدل على أنها من الايمان، قيل هذا اعتراف بأنه ينتفي الايمان الباطن مع عدم مثل هذه الامور الظاهرة، فلايجوز أن يدعي أن يكون في القلب إيمان ينافي الكفر بدون أمور ظاهرة : لاقول ولا عمل وهو المطلوب

---

(1) الانفال: 2-3-4 .
(2) الحجرات: 15 .
(3) النور: 62 .
(4) النساء: 65 .

- وذلك تصديق - (1) وذلك لان القلب إذا تحقق ما فيه أثر في الظاهر ضرورة ، لايمكن انفكاك أحدهما عن الاخر ، فالارادة الجازمة للفعل مع القدرة التامة توجب وقوع المقدور ، فإذا كان في القلب حب الله ورسوله ثابتا استلزم موالاة أوليائه ومعاداة أعدائه (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر

---

(1) لعل هذا هو المراد من قول الامام أبي الحسن الاشعري في اللمع :"إن قال قائل:ما الايمان عندكم بالله تعالى؟ قيل له :هو التصديق بالله وعلى ذلك إجماع أهل اللغة التي نزل بها القرآن ، قال الله تعالى :(وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) [إبراهيم:4] ، وقال تعالى:(بلسان عربي مبين) [الشعراء:195] ،فلما كان الايمان في اللغة التي أنزل الله تعالى بها القرآن هو التصديق، وقال الله تعالى: (وما أنت بمؤمن لنا ولوكنا صادقين)[يوسف :17] أي بمصدق لنا ، وقالوا جميعا :فلان يؤمن بعذاب القبروالشفاعة ، يريدون يصدق بذلك ،فوجب أن يكون الايمان هوما كان عند أهل اللغةإيمانا وهو التصديق ". (اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع لابي الحسن الاشعري:154) .
ذلك لان إماما كأبي الحسن يصرح في كتاب الابانة بأنه اطلع على الحق الذي أبانه الرئيس الكامل والامام الفاضل أحمدبن حنبل ، ودفع به الضلال ، وقد قرأ أبوالحسن الاشعري كتاب السنة للامام أحمد، وكان الكتاب سبب هدايته الدلالية الارشادية الى الحق ،فقد ورد في كتاب السنة :"إن الايمان قول وعمل ونية، وتمسك بالسنة، والايمان يزيد وينقص ويستثنى في الايمان" السنة للامام أحمد: 67 .

يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم)(1).

(ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء)(2) فهذا التلازم أمر ضروري"(3)

كان لابد من اتحاف هذه الاطروحة بهذه النقول من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية فهي مصداق يضاف الى المصابيح المنيرة التي تتكون منها مادة الاطروحة العلمية، عسى أن يهتدي بها طالب العلم المنصف من أبنائنا، فهي بمثابة مفتاح الخير، وتوجيه هادف الى مصادر فهم عقيدتنا الاسلامية القرآنية النبوية.

ومنهاج شيخ الاسلام في الشرح والابانة لمسمى الايمان، ولاصوله وأركانه، أصح ما ينبغي أن يوصف به: هو منهاج إسلامي، لايحكم ضوابطه، ولايعض على قواعده بالنواجذ إلا من هدي الى صراط مستقيم، من سار عليه وجد النور في فكره ورأيه، ومن ابتعد عنه سلك فجا مظلما، زاد عقله وإدراكه وفكره ظلمة على ظلمة. ولله در والدنا الاستاذ الامام رحمة الله عليه هو القائل:

" قال محمد تقي الدين:

اتباع القرآن وبيانه الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو السنة، حياة ونور، والاعراض عنهما موت وظلمة،

---

(1) المجادلة: 22.

(2) المائدة: 81.

(3) مجموع الفتاوى: 7/645-646.

وسبب الموت والظلمة اللذين أصيب بهما المسلمون في هذا الزمان إعراضهم عن كتاب الله وسنة رسوله ، فما داموا في هذا الاعراض يستمر موتهم وظلمتهم حتى يرجعوا إليها .وهذا الموت المعنوي والظلمة المعنوية أشد ضررا من الموت الحسي والظلمة الحسية كما قال الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميت ** إنما الميت ميت الاحياء

إنما الميت من يعيش كئيبا ** كاسفا باله قليل الرجاء

وهذه حال المسلمين في هذا الزمان" انتهى كلام أبي شكيب رحمه الله تعالى (1) .

وقبل سوق نصوص من كتب مالكية الاندلس تبين حقيقة مذهبهم في الايمان ، يتعين تصدير هذه المرحلة من المبحث الاول من الفصل الخامس والاخير من هذه الاطروحة، بأقوال أئمة السلف في مختلف المذاهب الاسلامية المعتمدة ليتبين بوضوح أن مذهب مالكية الاندلس في الايمان هو مذهب السلف أصحاب الحديث ،وهم أهل السنة والجماعة ، أي أهل الحق والاستقامة والصواب .

وأبدأ بالامام أحمد صاحب أول مصنف في فهم عقيدة النبي صلى الله عليه وسلم ، وعقيدة الصحابة المرضيين ، قال رحمه الله تعالى منهاج السنة وسبيل الحق في الايمان:

" إن الايمان قول وعمل ونية، وتمسك بالسنة .

والايمان يزيد وينقص ،ويستثنى في الايمان غير أن لايكون

---

(1) سبيل الرشاد : 3/84 -85.

الاستثناء شكا، إنما هي سنة ماضية عند العلماء .

قال: وإذا سئل الرجل: أمؤمن أنت؟

فإنه يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، أو مؤمن أرجو، أو يقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله .

ومن زعم أن الايمان قول بلاعمل فهو مرجىء .

ومن زعم أن الايمان هو القول، والاعمال شرائع: فهو مرجىء .

ومن زعم أن الايمان يزيد ولاينقص، فقد قال بقول المرجئة .

ومن لم ير الاستثناء في الايمان فهو مرجىء .

ومن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل والملائكة فهو مرجىء .

ومن زعم أن المعرفة تنفع في القلب لايتكلم بها فهو مرجىء "(1) .

وقال الامام أبوعبيد القاسم بن سلام مقررا مذهبه في الايمان:

" فالامر الذي عليه أهل السنة عندنا ما نص عليه علماؤنا، مما اقتصصنا في كتابنا هذا، أن الايمان بالنية والقول والعمل جميعا، وأنه درجات بعضها فوق بعض، إلا أن أولها وأعلاها الشهادة باللسان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي جعله فيه بضعة وسبعين جزءا، فإذا نطق بها القائل، وأقر بما جاء من عند الله لزمه اسم الايمان بالدخول فيه بالاستكمال عند الله، ولا على تزكية النفوس،

---

(1) كتاب السنة للامام أحمد بن حنبل: 67-68 .

وكلما ازداد لله طاعة وتقوى، ازداد به إيماناً" (1) .

وقال رحمه الله تعالى في باب الاستثناء في الايمان معلقاً بعد أن ساق أقوال أئمة السلف بالاستثناء في الايمان:

" قال أبوعبيد: ولهذا كان يأخذ سفيان ومن وافقه الاستثناء فيه، وإنما كراهتهم عندنا أن يبتوا الشهادة بالايمان مخافة ما أعلمتكم في الباب الاول من التزكية والاستكمال عند الله، وأما على أحكام الدنيا فإنهم يسمون أهل الملة جميعاً مؤمنين، لان ولايتهم وذبائحهم وشهاداتهم ومناكحتهم وجميع سنتهم : إنما هي على الايمان، ولهذا كان الاوزاعي يرى الاستثناء وتركه جميعاً واسعين .

قال أبوعبيد: حدثنا محمد بن كثير عن الاوزاعي قال: " من قال: أنا مؤمن فحسن، ومن قال: أنا مؤمن إن شاء الله فحسن، لقول الله عزوجل: (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين)[الفتح :27] وقد علم أنهم داخلون" .

وهذا عندي وجه حديث عبدالله حين أتاه صاحب معاذ فقال: "ألم تعلم أن الناس كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أصناف: مؤمن، ومنافق، وكافر . فمن أيهم كنت ؟ قال: من المؤمنين" إنما نراه أراد أني كنت من أهل هذا الدين لامن الاخرين، فأما الشهادة بها عند الله فإنه كان عندنا أعلم بالله وأتقى له من أن يريده، فكيف يكون ذلك والله يقول: (فلاتزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى)[النجم:32]

---

(1) كتاب الايمان ومعالمه واستكماله ودرجاته: 19 .

وا لشا هد : (على ما نظن) أنه كا ن قبل هذا لايقول: أنا مؤمن على تزكية ولا على غيرها ، ولا نرا ه أنه كا ن ينكره على قا ئله فأي وجه كا ن ، إنما كا ن يقول: آمنت با لله وكتبه ورسله . لايزيد على هذا ا للفظ ، وهو ا لذي كا ن أخذ بها برا هيم وطا ووس وا بن سيرين ثم أجا ب عبدا لله ا لى أن قا ل:" أنا مؤمن" فإن كا ن ا لاصل محفوظا عنه ، فهو عندي على ما أعلمتك ، وقد رأيت يحيى بن سعيد ينكره ويطعن في إسنا ده ، لان أصحا ب عبدا لله على خلافه .

وكذلك نرى مذهب ا لفقها ء ا لذين كا نوا يتسمون بهذا ا لاسم بلا ا ستثنا ء ، فيقولون: نحن مؤمنون ، منهم عبدا لرحمن ا لسلمي ، وا برا هيم ا لتيمي ، وعون بن عبدا لله ، ومن بعدهم، مثل عمر بن ذر ، وا لصلت بن بهرا م ومسعر بن كدا م ، ومن نحا نحوهم ، إنما هو عندنا منهم على ا لدخول في ا لايما ن لا على ا لاستكما ل..."(1).

وروى ا لاما م ا بن أبي شيبة بإسنا د متصل عن أبي قلابة قا ل: حدثني ا لرسول ا لذي سأل عبدا لله بن مسعود فقا ل:

" أنشدك با لله أتعلم أن ا لنا س كا نوا على عهد رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم على ثلاثة أصنا ف ، مؤمن ا لسريرة ، ومؤمن ا لعلانية ، وكا فر ا لسريرة كا فر ا لعلانية ، ومؤمن ا لعلانية كا فر ا لسريرة ؟ قا ل: فقا ل عبدا لله : ا للهم نعم ، قا ل فأنشدك با لله من أيهم كنت ؟ قا ل: فقا ل: ا للهم كنت مؤمن ا لسريرة ،

---

(1) كتا ب ا لايما ن لابي عبيد ا لقا سم بن سلام: 21-22 ، (157 ، 224).

مؤمن العلانية ، أنا مؤمن ، قال أبو اسحاق : فلقيت عبدالله ابن مغفل فقلت :

إن ناسا من أهل الصلاح يعيبون علي أن أقول أنا مؤمن ، قال: فقال عبدالله بن مغفل: لقد خبت وخسرت، إن لم تكن مؤمنا .(1)

ثم روى بإسناده المتصل عن ابراهيم التيمي قوله :

"وما على أحدهم أن يقول أنا مؤمن؟! فوالله إن كان صادقا لايعذبه الله على صدقه . ولئن كان كاذبا لما دخل عليه من الكفر أشد من الكذب "(2) .

وعن الحسن البصري قال:" إن الايمان ليس بالتحلي ولابالتمني ، إنما الايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل"(3) .

ومن مصادر علماء الحنابلة في القرن الرابع الهجري ، آخذ نموذجا من كتاب عبدالله بن بطة العكبري رحمه الله والذي قال في الايمان:

" أول ما نبدأ بذكره من ذلك ، ذكر ما افترض الله عزوجل على عباده، وبعث به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأنزل فيه كتابه وهو الايمان بالله عزوجل ، ومعناه التصديق بما قاله وأمر به وافترضه ، ونهى عنه ، من كل ما جاءت به الرسل من عنده، ونزلت فيه الكتب ،وبذلك أرسل المرسلين ، فقال عزوجل: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلانوحي إليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون)(4) .

---

(1) كتاب الايمان للحافظ أبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة :32(195 ، 235).

(2) المصدر السابق :32-33 .

(3) المصدر نفسه :38 .

(4) الانبياء : 25 .

والتصديق بذلك قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالاركان، يزيده كثرة العمل والقول بالاحسان، وينقصه العصيان، وله أول وبداية، ثم ارتقاء وزيادة بلا نهاية.
قال الله عزوجل: (الذين قال لهم الناس إن الناس قدجمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)(1).
وقال عزوجل: (ويزداد الذين آمنوا إيمانا)(2) وقال تبارك وتعالى: (ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم)(3)" انتهى(4).

ومن الحنفية نأخذ هذا النموذج الدال على وحدة المنهج العقيدي بين المذاهب الاسلامية المعتمدة، وهو للامام أبي جعفر الطحاوي الحنفي رحمه الله تعالى، قال:
" والايمان هو الاقرار باللسان، والتصديق بالجنان.
وجميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان كله حق.
والايمان واحد، وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى، ومخالفة الهوى، وملازمة الاولى.
والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن"(5).

---

(1) آل عمران : 173 .
(2) المدثر : 31 .
(3) الفتح : 4 .
(4)
(5) العقيدة الطحوية : 44 .

وقال الامام أبوعثمان اسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني: "الايمان قول وعمل ويزيد وينقص » ومن مذهب أهل الحديث أن الايمان قول وعمل ومعرفة ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. قال محمد بن علي بن الحسن بن شقيق : سألت أبا عبدالله أحمد بن حنبل رحمه الله عن الايمان في معنى الزيادة والنقصان ، فقال: حدثنا الحسن بن موسى الاشيب حدثنا حماد ابن سلمة عن أبي جعفر عن أبيه عن جده عن عمر بن حبيب قال: الايمان يزيد وينقص فقيل: وما زيادته وما نقصانه ؟
قال: إذا ذكرنا الله فحمدناه سبحانه ، فتلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه "(1) .

هذا هو مذهب السلف في الايمان ، وهو مذهب مالكية الاندلس منذ الفتح الى القرن الخامس الهجري ، وقبل أن يبدل ويغير ، على يد ابن تومرت المصمودي الذي بدل عقيدة الانبياء والرسل بأفن الكلام وعقيدة منطق اليونان بعد أن تتلمذ على الغزالي في المشرق .
والآن أسوق نصوصا تنير الطريق لكل مؤمن يطلب الحق ، والحق ما جاء عن الله ، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، على منهاج السلف . ونحن نعرف الرجال باتباعهم للحق، ولانأخذ الحق من أفواههم وأفعالهم وخواطرهم ، إلا بعد عرضها على أصلي الدين ، وللدين أصلان اثنان هما القرآن والسنة النبوية الصحيحة .

---

(1) عقيدة السلف أصحاب الحديث : 45 .

قال أبو شكيب محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي الحسيني يرحمه الله تعالى:

" للدين مصدران اثنان ، فهما عينان نضاختان ، فيهما الهدى والنور والسعادة الابدية ، فمن أعرض عنهما خاب وخسر ، ألا وهما كتاب الله وسنة رسوله ، ولاثالث لهما ، فمن اتبع رأي شخص غير النبي صلى الله عليه وسلم وقلده أمر دينه ولم يطالبه بدليل لانه بالغ في تعظيمه حتى جعل رأيه مغنيا عن كتاب الله وسنة رسوله ، فقد اتخذ من دون الله وليا وأشرك به في عبادته ، فحبط عمله ، وهذا ينطبق على غلاة المتمذهبين وأصحاب الطرائق القدد، والمتحزبين في هذا الزمان أحزابا سياسية ينطح بعضها بعضاً،وكلهم خاسرون"(1).

وهذه مصادر المالكية الاندلس عبر القرنين الرابع والخامس الهجريين ،تبين بوضوح مذهبهم في الايمان وهو مذهب السلف أصحاب الحديث .

قال الامام القحطاني :

إيماننا بالله بين ثلاثة *** عمل وقول واعتقاد جنان
ويزيد بالتقوى وينقص بالردى*** وكلاهما في القلب يعتلجان(2)

وقال الامام ابن أبي زمنين :

" باب في أن الايمان قول وعمل ، قال محمد : ومن قول أهل السنة أن الايمان إخلاص لله بالقلوب ، وشهادة بالالسنة، وعمل بالجوارح ،على نية حسنة وإصابة السنة.

---

(1) سبيل الرشاد : 90/3 .

(2) أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة : 18 .

وقال عزوجل: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون)(1).

وقال: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله)(2).

ثم وصفهم بأعمالهم فقال:

(التائبون العابدون الحامدون السائحون)، وهم الصائمون - (الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين)(3).

وقال: (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم)(4).

وقال: (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)(5).

وقال محمد: (والايمان بالله هو باللسان والقلب، وتصديق ذلك العمل، فالقول والعمل قرينان لا يقوم أحدهما إلا بصاحبه)(6).

وقال الامام أبوعمرو الداني في أرجوزته:

"وبعد فالايمان قول وعمل *** ونية عن ذاك ليس ينفصل
فتارة يزيد بالتشمير *** وتارة ينقص بالتقصير" (7)

---

(1) الحجرات: 15.
(2) التوبة: 111.
(3) التوبة: 112.
(4) التوبة: 5.
(5) فاطر: 10.
(6) أصول السنة: لوحة 23.
(7) سير أعلام النبلاء: 83/18.

...:

وقبله قال أبوعمر الطلمنكي،

قال شيخ الاسلام ابن تيمية:

" وروى أبوعمر الطلمنكي بإسناده المعروف عن موسى بن هارون الحمال قال: أملى علينا إسحاق بن راهويه أن الايمان قول وعمل يزيد وينقص"(1) .

وقال الشيخ الاسلام في كتاب الايمان :" وكذلك ذكر أبو عمر الطلمنكي إجماع أهل السنة على أن الايمان قول وعمل ونية وإصابة السنة "(2) .

وقال الامام ابن عبدالبر القرطبي النمري رحمه الله تعالى:

" قال أبو عمر:

القول في الايمان عند أهل السنة ، وهم أهل الاثر من المتفقهة والنقلة ، وعند من خالفهم من أهل القبلة ، في العبارة عنه اختلاف ، وسنذكر منه في هذا الباب ما فيه مقنع وهداية لاولي الالباب .

أجمع أهل الفقه والحديث على أن الايمان قول وعمل ، ولا عمل إلا بالنية ، والايمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . والطاعات كلها عندهم إيمان ، إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فإنهم ذهبوا الى أن الطاعات لاتسمى إيمانا ، قالوا : إنما الايمان التصديق والاقرار ، ومنهم من زاد ، والمعرفة ، قالوا : وهو المعروف من لسان العرب ، ومن ألسنة المجتمع عليه .

---

(1) مجموع الفتاوى: 308/7 .

(2) المصدر السابق: 332/7 .

ألا ترى الى قول الله عزوجل حاكيا عن بني يعقوب عليه السلام (وما أنت بمؤمن لنا ولوكنا صادقين)(1) أي بمصدق لنا .

قالوا : وإنما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم حين بعثه الى الخلق أن يدعوهم الى الايمان به ، ولهم الجنة على ذلك، فدعاهم الى شهادة أن لاإله الا الله وأن محمدا رسول الله . يقولون ذلك ويقرون به ويصدقونه فيما جاء به .

فكان كل من قال ذلك وصدق به ، مؤمنا مستكمل الايمان .

ثم نزلت الفرائض بعد ذلك ،وكل من مات من الصحابة قبل نزول الفرائض وقبل عملها ، كان مؤمنا - لا محالة - كامل الايمان .

قالوا : فالطاعات لاتسمى إيمانا ، كما أن المعاصي لاتسمى كفرا ، وذكر بعضهم حديث النبي عليه السلام ، إذ سئل عن الايمان فقال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت "(2) .

الى أن قال رحمه الله :

"وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والاثار بالحجاز والعراق والشام ومصر ، منهم مالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وسفيان الثوري ، والاوزاعي ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهويه ،وأبوعبيد القاسم بن سلام ، وداود بن علي وأبوجعفر الطبري ومن سلك سبيلهم فقالوا :

---

(1) يوسف : 17 .

(2) التمهيد لابن عبدالبر: 9/238-239 .

الايمان قول وعمل ، قول باللسان وهو الاقرار اعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح مع الاخلاص بالنية الصادقة .

قالوا : وكل ما يطاع الله عزوجل به من فريضة ونافلة فهو من الايمان .

والايمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي .

وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكملي الايمان من أجل ذنوبهم ، وإنما صاروا ناقصي الايمان بارتكابهم الكبائر"(1).

وهذا الذي عليه أبوعمر وكل مالكية الاندلس بالاجماع الذي حكاه أبوعمر الطلمنكي ، هو مذهب مالك بن أنس رحمه الله .

روى الامام ابن عبدالبر بإسناده المعروف عن ابن وهب أنه قال: سئل مالك بن أنس عن الايمان فقال: قول وعمل ،
قلت : أيزيد وينقص؟
قال: قد ذكر الله سبحانه في غير آي من القرآن أن الايمان يزيد ، فقلت له: أينقص؟ قال: دع الكلام في نقصانه وكف عنه .
فقلت : فبعضه أفضل من بعض؟ قال نعم" .(2)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

" قال أبوالقاسم الانصاري شيخ الشهرستاني في"شرح الارشاد" لابي المعالي ، بعد أن ذكر قول أصحابه قال: وذهب أهل الاثر الى أن الايمان جميع الطاعات ، فرضها ونفلها ، وعبروا عنه بأنه إتيان ما أمر الله به فرضا ونفلا ، والانتهاء عما نهى عنه تحريما وأدبا .

---

(1) التمهيد : 243/9 .

(2) الانتقاء في فضائل الثلاثة الائمة الفقهاء :33.

قال: وبهذا كان يقول أبوعلي الثقفي من متقدمي أصحابنا، وأبو العباس القلانسي.

وقد مال الى هذا المذهب أبوعبدالله بن مجاهد قال: وهذا قول مالك بن أنس إمام دار الهجرة، ومعظم أئمة السلف رضوان الله عليهم أجمعين. وكانوا يقولون: الايمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالاركان "(1).

---

(1) مجموع الفتاوى: 7/143-144.

قال: وبهذا كان يقول أبوعلي الثقفي من متقدمي أصحابنا، وأبو العباس القلانسي.

وقد مال إلى هذا المذهب أبوعبدالله بن مجاهد قال: وهذا قول مالك بن أنس إمام دار الهجرة، ومعظم أئمة السلف رضوان الله عليهم أجمعين. وكانوا يقولون: الايمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالاركان"(1).

---

(1) مجموع الفتاوى: 7/143-144.

المبحث الثاني : اعتقادهم زيادة الايمان ونقصانه

قد مر بنا قبل قليل في المبحث الاول من هذا الفصل الاخير ، تقرير شيخ الاسلام ابن تيمية أن علامة الصحابة المرضيين والتابعين ، والائمة المجتهدين يجعلون الايمان قولاوعملا يزيد بالطاعة وينقص بالمعاصي .

وهذا هو مذهب مالكية الاندلس عبر القرنين الرابع والخامس الهجريين ، وهو المذهب الذي كان عليه مالك بن أنس ، فنجد الاندلسيين في هذا المبحث وغيره من مباحث العقيدة الاسلامية، لم يبدلوا ، ولم يغيروا ، بل أقروا بالحق وأذعنوا له بالقبول والانقياد التام ، ووسعهم ما وسع الرعيل الاول .

وقبل سوق نصوص دالة على وضوح مناهجهم ، لابد من توضيح مناهج السلف أصحاب الحديث ، من خلال أوثق مصادرهم في فهم عقيدة القرآن والسنة النبوية الصحيحة ، ليفهم الطالب المسألة فهما جيدا قويما سليما ، حتى إذا ما اتضح له مذهب السلف سقت إليه النصوص التي جادت بها قرائح مالكية الاندلس بعدما اعتصموا بكتاب ربهم وصدقوا بسنة نبيهم فكانوا من المسددين قولا واعتقادا وعملا .

قال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى:

" إن الايمان قولوعمل ونية ،وتمسك بالسنة ، والايمان

ووجدت عند الامام أبي عبيد القاسم بن سلام كلاما نفيسا في باب الزيادة في الايمان والانتقاص منه ، انقله كاملا لتكمل الفائدة ويتضح اعتقاد المالكية الاندلسيين الذي هو مذهب السلف الفح .

قال أبوعبيد : حدثنا عبدالرحمن بن مهدي عن سفيان عن جامع ابن شداد عن الاسود بن هلال قال : قال معاذ بن جبل لرجل : "اجلس بنا نؤمن ساعة - يعني نذكر الله -".

وبهذا القول كان يأخذ سفيان والاوزاعي ومالك بن أنس ، يرون أعمال البر جميعا من الازدياد في الاسلام ، لانها كلها عندهم منه ، وحجتهم في ذلك ما وصف الله به المؤمنين في خمس مواضع من كتابه منه قوله :

(الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)(1) .

وقوله : (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا)(2) .

وقوله : (ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم)(3) .

وموضعان آخران قد ذكرناهما في الباب الاول ، فاتبع أهل السنة هذه الايات وتأولوها أن الزيادات هي الاعمال الزاكية .

وأما الذين رأوا الايمان قولا ولا عمل ، فإنهم ذهبوا في هذه الايات الى أربعة أوجه :

(1) آل عمران : 173 .
(2) المدثر : 31 .
(3) الفتح : 4 .

أحدها أن قالوا : أصل الايمان الاقرار بجمل الفرائض مثل الصلاة والزكاة وغيرهما ، والزيادة بعد هذه الجمل ، وهو أن تؤمنوا بأن هذه الصلاة المفروضة هي خمس ، وأن الظهر هي أربع ركعات ، والمغرب ثلاثة ، وعلى هذا رأوا سائر الفرائض.

والوجه الثاني أن قالوا : أصل الايمان الاقرار بما جاء من عند الله ، والزيادة تمكن من ذلك الاقرار .

والوجه الثالث أن قالوا : الزيادة في الايمان الازدياد من اليقين .

والوجه الرابع أن قالوا : إن الايمان لايزداد أبدا ، ولكن الناس يزدادون منه .

وكل هذه الاقوال لم أجد لها مصدقا في تفسير الفقهاء ولا في كلام العرب ، فالتفسير ما ذكرناه عن معاذ حين قال:

" اجلس بنا نؤمن ساعة " فيتوهم على مثله أن يكون لم يعرف الصلوات الخمس ومبلغ ركوعها وسجودها إلا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد فضله النبي صلى الله عليه وسلم على كثير من أصحابه في العلم بالحلال والحرام ، ثم قال:

"يتقدم العلماء برتوه (1) "

هذا لايتأوله أحد يعرف معاذا .

وأما في اللغة فإنا لم نجد المعنى فيه يحتمل تأويلهم ، وذلك كرجل أقر له رجل بألف درهم له عليه، ثم بينها فقال:

---

(1) برتوه : أي برمية سهم .

ما ئة منها في جهة كذا ، وما ئتا ن في جهة كذا ، حتى استوعب الالف ، ما كا ن هذا يسمى زيا دة ، وإنما يقا ل له : تلخيص وتفصيل ، وكذلك لولم يلخصها ، ولكنه ردد ذلك الاقرا ر مرا ت، ما قيل لهزيا دة أيضا ، إنما هو تكرير وإعا دة ، لانه لم يغير المعنى الاول ، ولم يزد فيه شيئا .

فأما الذين قا لوا : يزدا د من الايما ن ، ولايكون الايما ن هو الزيا دة ، فإنه مذهب غير موجود ، لان رجلا لو وصف ما لهفقيل: هو ألف ، ثم قيل: إنه ازدا د ما ئة بعدها ، ما كا ن له معنى يفهمه النا س إلا أن يكون الما ئة هي الزا ئدة على الالف ، وكذلك سا ئر الاشيا ء ، فا لايما ن مثلها ، لايزدا د النا س منه شيئا ، إلا كا ن ذلك الشيء هو الزا ئد في الايما ن .

وأما الذين جعلوا الزيا دة ازديا د اليقين فلامعنى لهم ، لان اليقين من الايما ن ، فإذا كا ن الايما ن عندهم كله برمته إنما هو الاقرا ر ، ثم استكمله هؤلاء المقرون بإقرا رهم ، أفليس قد أحا طوه با ليقين من قولهم !!

فكيف يزدا د من شيء قد استقصي وأحيط به ؟!

أرأيتم رجلا نظر الى النها ر با لضحى حتى أحا ط عليه كله بضوئه هل كا ن يستطيع أن يزدا د يقينا بأنه نها ر ، ولو اجتمع عليه الانس والجن ؟ !

هذا يستحيل ويخرج مما يعرفه النا س" انتهى كلام الاما م أبي عبيد (1).

---

(1) كتا ب الايما ن:24-25-26 .

ومن المصادر الاساسية لفهم عقيدة السلف ومذهبهم في الايمان ، كتاب الايمان لابن أبي شيبة ، فقد تناول فيه بالشرح والابانة نصوط توضح مذهب السلف أصحاب الحديث في زيادة الايمان ونقصانه ، أوجز منها ما تقوم به الحجة على طالب العلم من أجل اقتناعه أثر من سلف ، ولبيتهيأ - كما سبق أن قلت - لقبول الحق الذي اشتملت عليه مصادر ما لكية الاندلس ، والحق أحق أن يتبع ، قال الحافظ ابن أبي شيبة رحمه الله تعالى:

حدثنا أبوأسامة : نا عوف عن عبدالله بن عمرو بن هند الجملي قال: قال علي رضي الله عنه:

" الايمان يبدأ لمظة بيظاء في القلب ، كلما ازداد الايمان ازدادت بياضا ، حتى يبيض القلب كله ، وإن النفاق يبدأ لمظة سوداء في القلب ، فكلما ازداد النفاق ازدادت حتى يسود القلب كله ، والذي نفسي بيده لو شققتم عن قلب مؤمن وجدتموه أبيض القلب ، ولوشققتم عن قلب منافق وجدتموه أسود القلب "(1) .

ثم قال:

حدثنا وكيع : نا هشام بن عروة عن أبيه قال:

"لايغرنكم صلاة امرىء ولاصيامه ، من شاء طام ، ومن شاء صلى ، لادين لمن لاأمانة له" .

---

(1) الايمان لابن أبي شيبة : 19 .

حدثنا عفان: نا حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي عن أبيه عن جده عمير بن حبيب بن خماشة أنه قال:

" الايمان يزيد وينقص ، فقيل فما زيادته وما نقصانه ؟ قال: إذا ذكرنا ربنا وخشيناه فذلك زيادته ، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه "(1) .

ثم روى رحمه الله بإسناده المعروف المتصل عن أبي هريرة أنه قال:

" الايمان نزه (2) فمن زنى فارقه الايمان ، فمن لام نفسه وراجع راجعه الايمان "(3) .

وبإسناد متصل روى عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا "(4)

فرر شيخ الاسلام في مواضع كثيرة من كتبه أن مذهب السلف في الايمان هو ما تقدم من خلال المصادر القديمة التي توصلنا بها ، وغيرها كالتي صنف مؤلفوها على منهاج أهل الحديث ، ككتاب ، الايمان للحافظ ابن منده (5) ، وهو أنه - أي الايمان - قول وعمل ، يزيد وينقص ، وصرح بأن هذا هو مذهب الامام مالك بن أنس والشافعي ، وهو الذي عليه أئمة أهل السنة والحديث (6).

---

(1) الايمان لابن أبي شيبة : 20 .

(2) خلو من المعاصي .

(3) الايمان لابن أبي شيبة : 20 .

(4) المصدر السابق : 20 .

(5) حققه فضيلة الدكتور الاستاذ علي بن محمد بن ناصر الفقيهي الاستاذ المشارك بالجامعة الاسلامية في المملكة العربية السعودية .

(6) انظر مجموع الفتاوى: 479/6 ، والشريعة للآجري: 131-132 ، وعقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني: 46.

وهو المذهب الذي كان عليه مالكية الاندلس، وصرحوا بذلك مصادر فهم عقيدتهم، قال الامام عبدالله بن محمد القحطاني:

" ويزيد بالتقوى، وينقص بالردى ** وكلاهما في القلب يعتلجان"(1)

وعقد الامام ابن أبي زمنين في كتابه أصول السنة بابا خاصا بين من خلاله قواعد مذهب مالكية الاندلس، وصرح بأنهم يقولون بما قاله أهل السنة والجماعة، قال رحمه الله تعالى:

"باب في تمام الايمان وزيادته ونقصانه: قال محمد: ومن قول أهل السنة أن الايمان درجات ومنازل، يتم ويزيد وينقص، ولولا ذلك استوى الناس فيه، ولم يكن للسابق فضل على المسبوق وبرحمة الله، وبتمام الايمان يدخل المؤمنون الجنة بالزيادة فيه، يتفاضلون في الدرجات.

(انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا)(2).

ومثل هذا في القرآن كثير"(3)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية:

" وروى أبوعمر الطلمنكي باسناده المعروف عن موسى بن هارون الحمال قال: أملى علينا إسحاق بن راهويه أن الايمان قول وعمل يزيد وينقص"(4).

---

(1) أربح البضاعة: 18.
(2) الاسراء: 21.
(3) أصول السنة: لوحة 24.
(4) مجموع الفتاوى: 308/7.

ومن المصادر الجيدة الموضحة لمذهب مالكية الاندلس في زيادة الايمان ونقطانه أرجوزة أبي عمرو الداني في الديانة ،
قال أبوعمرو:

" وبعد فالايمان قول وعمل *** ونية عن ذاك ليس ينفصل
فتارة يزيد بالتشمير *** وتارة ينقص بالتقصير "(1).

وقال الحافظ ابن عبدالبر في هذا الصدد موضحا اعتقاده ومذهبه:
" والايمان مراتب بعضها فوق بعض ، فليس الناقص فيها كالكامل ، قال الله عزوجل: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا)(2) .
أي إنما المؤمن حق الايمان من كانت هذه صفته ولذلك قال : (أولئك هم المؤمنون حقا)(3) .
ومثل هذه الاية في القرآن كثير .
وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم ".
أي هو المؤمن المسلم حقا .
ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم:
" أكمل المؤمنين إيمانا ، أحسنهم خلقا " ومعلوم معمول انه لايكون هذا أكمل ، حتى يكون غيره أنقص .
وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم:
"أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله " .

---

(1) سير أعلام النبلاء: 83/18 .
(2) الانفال : 2 .
(3) الانفال: 3 .

وقولـــه :

"لا إيما ن لمن لاصلاة له ولامن لاأما نة له" .

كل ذلك يدل على أنه ليس بإيما ن كا مل ، وأن بعض ا لايما ن أوثق عروة وأكمل من بعض ، كما قا ل:

" ليس ا لمسكين با لطوا ف عليكم... ا لحديث "

يريد: ليس ا لطوا ف با لمسكين حقا ، لان ثم من هو أشد مسكنة منه ، وهو ا لذي لايسأل ا لنا س ويتعفف ". (1)

هذا ا لكلام إذا قرأته وأعدته وقفت على حقيقة جليلـــة ، وهي أن ا لاما م ا بن عبدا لبر قد وفقه ا لله تعا لى ا لى ا لصوا ب في مبا حث ا لعقيدةا لاسلامية ا لقرآنية ا لنبوية .

---

(1) ا لتمهيد: 9/244، 255 .

المبحث الثالث : موقفهم من تكفير المعيَّن

قد تبين لنا بوضوح في المبحث الثاني من هذا الفصل الاخير من الاطروحة ، أن مذهب السلف في الايمان ، اعتقادهم زيادته بالطاعات ونقصانه بالمعاصي ، وهو مذهب مالكية الاندلس ، كما تقرر ذلك من خلال مصادر فهم عقيدة مالكية الاندلس .

وهذا المبحث سيعالج قضية هامة جدا ، وأساسية ، ضل فيها كثير من أصحاب الفرق المعاصرة التي تملأ أرجاء الدنيا مقتفين في ضلالهم آثار الباطل القديم الذي حمل لواءه فريقان من أهل الاهواء :

فريق قنط المسلمين من رحمة الله عزوجل وهم الخوارج والمعتزلة ، وفريق تجرأ على محارم الله واستخف بالدين وتلاعب بالنصوص وهم المرجئة أيضا فريق الارجاء .

هذه المسألة الهامة هي إعلام النبي صلى الله عليه وسلم بحرمان الجنة لمرتكب بعض الذنوب والخطايا ، وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الاخبار الصحيحة لايفيد بأن هذه الخطايا تعتبر دائما كفرا مخرجا من الملة ؛ فهي لاتزيل الايمان بأسره ، كما توهمته فرقتان ظالتان طاغيتان عاتيتان هما إخواننا في الاسلام : المعتزلة والخوارج .

وسبب بعدهم عن الحق ، هو إعراضهم عن سلوك مسلك الحق وزهدهم في السير على منهاجه ، فليس كل من طلب الحق أدركه وناله ؛ إلا بتحكيم منهاج الوصول الى الصواب .

ومسلك الهداية واحد لايتعدد ولاتتضارب أنواعه ومسالكه.

إنه يتم ويتأتى لطالب العلم المنصف المخلص باعتماده في الاعتقاد والاقوال على كتاب الله عزوجل ، وعلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، ذلك لانه إذا كان اعتماده على ما يقوله الله تعالى في محكم تنزيله ، وعلى ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح سنته ، لم يقع فيما وقع فيه من الغلط والمغالطات ، ومن العناد والمكابرة والمعاندة ، والخروج عن عقيدة أهل السنة والجماعة.

ومن الاسباب التي أضلت الخوارج والمعتزلة القدامى والجدد المعاصرين العاملين في أنظمة دخيلة متسلطة على الفكر الاسلامي الاصيل ؛ تميزهم عن باقي جماعة المسلمين شعاراتهم الحرورية التي مصدرها المخدّج عدو الله وعدو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كونهم لم يستقرئوا علم العقيدة ولم يصبروا حتى يحصل لهم الاستقراء المشفوع بالامانة في النقل والفهم والاستدلال ؛ وكل ذلك لايمكن أبدا أن يحصل لهم إلا إذا أخذوا هذا الفقه الاكبر علم التوحيد ودرسوه على منهاج السلف أصحاب الحديث : الطائفة المنصورة : أولياء الرحمن صدقا وعدلا وحقا .

وقبل سوق الادلة على تحكيم مالكية الاندلس لقواعد منهاج السلف في عدم تكفير المعين وهو العاصي من أهل القبلة ، يلزمني تسليط ضوابط منهج تحليل الالفاظ على عنوان المبحث حتى يتم فهم هاتين اللفظتين :"تكفير ومعين" فهماً صحيحا

من مصادر صحته ، وليتضح التصور بل الفكر السليم للكلمتين عند استعمالهما .

قال الجرجاني:

" الكفران ستر نعمة المنعم بالجحود أو بعمل هو كالجحود في مخالفة المنعم" (1).

وقال الراغب الاصفهاني في معجمه :

"وكفر النعمة وكفرانها سترها بترك أداء شكرها ، قال الله تعالى: (فلاكفران لسعيه)(2) .

وأعظم الكفر جحود الوحدانية أو الشريعة أو النبوة .

والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالا .

والكفر في الدين أكثر ، والكفور فيهما جميعا ، قال:

(فأبى الظالمون إلا كفورا)(3) (فأبى أكثر الناس إلاكفورا)(4)

... ولما كان الكفران يقتضي جحود النعمة صار يستعمل في الجحود ، قال: (ولاتكونوا أول كافر به)(5) أي جاحد له وساتر، والكافر على الاطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانية أو النبوة أو الشريعة أو ثلاثتها ، وقد يقال كفر لمن أخل بالشريعة وترك مالزمه من شكر الله عليه قال:

(من كفر فعليه كفره)(6) يدل على ذلك مقابلته بقوله :

---

(1) التعريفات : 80 .
(2) الانبياء : 94 .
(3) الاسراء : 99 .
(4) الاسراء : 89 .
(5) البقرة : 41 .
(6) الروم : 44 .

(ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون)(1) ...

وقوله: (كمثل غيث أعجب الكفار نباته)(2) قيل عنى بالكفار الزراع لانهم يغطون البذر في التراب ستر الكفار حق الله تعالى بدلالة قوله: (يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار)(3) ولان الكافر لا اختصاص له بذلك ، وقيل بل عنى الكفار ، وخصهم بكونهم معجبين بالدنيا وزخارفها وراكنين إليها "(4) .

وقال الامام ابن قتيبة :

" والكفر في اللغة من قولك : كفرت الشيء إذا غطيته . يقال لليل كافر ، لانه يستر بظلمته كل شيء ، ومنه قول الله عزوجل : (كمثل غيث أعجب الكفار نباته) (5) يريد بالكفار الزراع ، سماهم كفارا لانهم إذا ألقوا البذر في الارض كفروه أي غطوه وستروه ، فكأن الكافر ساتر للحق وساتر لنعم الله عزوجل"(6).

أما المراد بالمعين ، فقال أبوالعز الحنفي شارح عقيدة الامام أبي جعفر الطحاوي شارحا قول الطحاوي:

"ولاننزل أحدا منهم جنة ولانارا . ولانشهد عليهم بكفر ولابشرك ولا بنفاق ، مالم يظهر منهم شيء من ذلك ، ونذر سرائرهم الى الله تعالى"(7).

---

(1) الروم : 44 .
(2) الحديد : 20 .
(3) الفتح : 29 .
(4) معجم مفردات ألفاظ القرآن: 451-453 .
(5) الحديد : 20 .
(6) تفسير غريب القرآن : 28.
(7) العقيدة الطحاوية : 46.

قال الشارح يبين المراد بالمعين ويحدد ضابط الكلمة :

" يريد أنا لانقول عن أحد معين من أهل القبلة إنه من أهل الجنة أو من أهل النار ، إلا من أخبر الصادق صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة كالعشرة رضي الله عنهم. وإن كنا نقول: إنه لابد أن يدخل النار من أهل الكبائر من شاء الله إدخاله النار ، ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين ، ولكنا نقف في الشخص المعين ، فلانشهد له بجنة ولانار إلا عن علم ، لان الحقيقة باطنة ، وما مات عليه لانحيط به ، لكن نرجو للمحسنين ونخاف على المسيئين"(1) .

هذا وقبل توضيح موقف مالكية الاندلس من الفاسقالملي يتعين عرض وإثبات موقف السلف أصحاب الحديث، ومالكية الاندلس على مذهبهم طبعا ، وذلك ليتضح لنا المنهاج تاما ، لاسيما ونحننعيش في زمن عصيب ، ابتلينا فيه بأحداث من الدارسين ، حملة الشهادات الجامعية ممن نصبوا أنفسهم للتدريس قبل أن يعرفوا أصول العلم ، وقبل أن يأخذوه من أهله ، ويصبروا حتى تحصل لهم المعرفة والزاد الكافي ؛ فعلماؤنا بارك الله في أعمارهم وأعمالهم ، قد وضحوا وبينوا وشرحوا ما صنفه الاوائل وما تركوه من كنوز ، ونحن الآن يلزمنا الانكباب على هذا الخير ، ودراسته والصبر على تلقيه ، لننشره ونمرّن أبناءنا على تلقي قواعد منهجه لاستيعاب هذا الخير الكثير ، حتى ننجو من الداء العضال الذي اكتسح وعم صفوف

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية :426 .

طلاب العلم إلا من رحم الله عزوجل ، هذا الداء العضال المشخص في تحكيم الهوى بدعوى العقل ، والذي تسبب في اختلال الموازين عند هؤلاء فانقلبت المفاهيم فإذا بالحقيقة عندهم طارت باطلا .

وهذا بيان وتوضيح لموقف أئمة السلف أصحاب الحديث من تكفير المعين ، وذلك من خلال أهم مصادر فهم عقيدتهم ، التي من أجلها وأروعها وأصحها وأسدها قولا كتاب السنة للامام أحمد بن حنبل ، قال رحمه الله تعالى:

" ولانشهد على أحد من أهل القبلة أنه في النار لذنب عمله ، ولالكبيرة أتاها ، إلا أن يكون في ذلك حديث ، كما جاء على ما روي فنصدقه ، ونعلم أنه كما جاء ، ولاننص الشهادة ولانشهد على أحد أنه في الجنة بصالح عمله ، ولابخير أتاه ، إلا أن يكون في ذلك حديث كما جاء على ما روي ، ولاننص الشهادة "(1) .

وقال الامام أبو اسماعيل الصابوني رحمه الله :

" ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوبا كثيرة صغائر وكبائر فإنه لايكفر بها ، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ، ومات على التوحيد والاخلاص ، فإن أمره الى الله عز وجل إن شاء عفا عنه ، وأدخله الجنة يوم القيامة سالما غانما ، غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه ، ثم استصحبه الى يوم القيامة من الآثام والاوزار ، وإن شاء عفا عنه

---

(1) السنة : 70-71 .

وعذبه مدة بعذاب النار ، وإذا عذبه لم يخلده فيها ، بل أعتقه وأخرجه منها الى نعيم دار القرار"(1) .

وقال الامام ابن بطة العكبري رحمه الله تعالى:

" ويخرج الرجل من الايمان الى الاسلام ، ولايخرجه من الاسلام إلا الشرك بالله أو برد فريضة من فرائض الله عزوجل جاحدا بها فإن تركها تهاونا وكسلا كان في مشيئة الله عزوجل ، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له"(2) .

وقال الامام أبوجعفر الطحاوي:

" ولانكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ، ما لم يستحله ولانقول لايضر مع الايمان ذنب لمن عمله . نرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته ولانأمن عليهم ،ولانشهد لهم بالجنة ، ونستغفر لمسيئهم ونخاف عليهم ولانقنطهم"(3).

هذا هو موقف أئمة السلف من تكفير المعين ، وعقيدتهم قد بينها علماء الاسلام ، وشرحوها شرحا وافيا للقرون التي توالت بعد خير القرون ، وبعد القرنين الرابع والخامس الهجريين ، وفي طليعة هؤلاء العلماء ومقدمتهم المصلح الكبير والامام العظيم شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى الذي صرح :

" أنه تقرر من مذهب أهل السنة والجماعة ما دل عليه الكتاب والسنة أنهم لايكفرون أحدا من أهل القبلة بذنب، ولايخرجونه

---

(1) عقيدة السلف أصحاب الحديث :48 .

(2) كتاب الشرح والابانة على أصول السنة والديانة :183.

(3) العقيدة الطحاوية : 40-41.

من الاسلام بعمل إذا كان فعلا منهيا عنه ، مثل الزنا والسرقة وشرب الخمر ، ما لم يتضمن ترك الايمان ، وأما إن تضمن ترك ما أمر الله بالايمان به ، مثل: الايمان بالله وملائكته، وكتبه ورسله ، والبعث بعد الموت ، فإنه يكفر به ، وكذلك يكفر بعدم اعتقاد وجوب الواجبات الظاهرة المتواترة ، وعدم تحريم المحرمات الظاهرة المتواترة "(1) .

ولنشرع الآن في قراءة بعض النصوص الثابتة في هذه القضية عن مالكية الاندلس ، وذلك من خلال أهم مصادرهم في فهم أصول اعتقاداتهم ، هذه الاصول التي ندعو طلبة العلم المنصفين الباحثين عن الحق أن ينكبوا على دراستها ، ويعلموا أن مالكية الاندلس يأخذون عقيدتهم من القرآن ، ومن السنة النبوية ، على منهاج السلف أصحاب الحديث ، ومنهم مالك ابن أنس رحمه الله ، وقد قرر المحققون من أئمة السلف هذه الحقيقة في كتبهم ، كشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

" وأئمة المسلمين أهل المذاهب الاربعة وغيرهم - مع جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان - متفقون على أن المؤمن لايكفر بمجرد الذنب كما تقوله الخوارج ولايسلب جميع الايمان كما تقوله المعتزلة . لكن بعض الناس قال:إن إيمان الخلق مستو، فلايتفاضل إيمان أبي بكر وعمر وإيمان الفساق ،

---

(1) مجموع الفتاوى : 90/20 .

بناء على أن التصديق بالقلب واللسان، أو بالقلب، وذلك لايتفاضل.

وأما عامة السلف والائمة فعندهم أن إيمان العباد لايتساوى، بل يتفاضل، وإيمان السابقين الاولين أكمل من إيمان أهل الكبائر المجرمين"(1).

وهذه هي نصوص مالكية الاندلس التي كتبتها أناملهم

قال الامام القحطاني المالكي الاندلسي:

" لسنا نكفر مسلما بكبيرة *** والله ذو عفو وإحسان" (2)

وقال الامام ابن أبي زمنين:

" باب في الاستغفار لاهل القبلة والصلاة على من مات منهم.

قال محمد: وأهل السنة لايحجبون الاستغفار عن أحد من أهل القبلة، ولايرون أن تترك الصلاة على من مات منهم وإن كان من أهل الاسراف على نفسه. وقال عزوجل لنبيه عليه الصلاة والسلام: (واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات)(3)، (وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم"(4)."(5)

وقال أيضا:

"باب في استتابة أهل الاهواء واختلاف أهل العلم في تكفيرهم:

قال محمد: اختلف أهل العلم في تكفير أهل الاهواء، فمنهم من قال إنهم كفار مخلدون في النار، ومنهم من لايبلغ بهم الكفر

---

(1) مجموع الفتاوى: 6/479-480.

(2) أربح البضاعة: 17.

(3) محمد: 19.

(4) التوبة: 103.

(5) أصول السنة: لوحة 25.

ولايخرجهم عن الاسلام ويقول: إن الذي هم عليه فسوق ومعاصي إلا أنها أشد المعاصي والفسوق . وهذا مذهب مشايخنا بالاندلس والذي يعتقدونه فيهم وكانوا يقولون لايواضع لأحد منهم الكلام والاحتجاج ،ولكن يعرف برأيه رأي السوء، ويستتاب منه ، فإن تاب وإلا قتل" (1).

وهذه هي عقيدة أهل الاندلس من علماء المالكية في زمن ابن أبي زمنين،وبعده في زمن الامام ابن عبدالبرالقرطبي الذي شرح موقف أئمة الاسلام بالحجاز والعراق والشام ومصر ، ومنهم مالك بن أنس ،والليث بن سعد ، وسفيان الثوري ، والاوزاعي والشافعي وأحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم بن سلام ،وغيرهم من أئمة السلف وبيّن أن :

" أهل الذنوب عندهم مومنون غير مستكملي الايمان من أجل ذنوبهم ، وإنما طاروا ناقصي الايمان بارتكابهم الكبائر، ألا ترى الى قول رسول الله صلى الله عليهوسلم لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولايسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولايشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، يريد مستكمل الايمان ، ولم يرد به نفي الايمان عن فاعل ذلك ، بدليل الاجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر - إذا صلوا للقبلة وانتحلوا دعوة الاسلام - من قرابتهم المؤمنين الذين آمنوا بتلك الاحوال .

---

(1) أصول السنة : لوحة 39 .

وفي إجماعهم على ذلك مع إجماعهم على أن الكافر لايرث المسلم أوضح الدلائل على صحة قولنا : إن مرتكب الذنوب ناقص الايمان بفعله ذلك ، وليس بكافر - كما زعمت الخوارج في تكفيرهم المذنبين ، وقد جعل الله في ارتكاب الكبائر حدودا جعلها كفارة وتطهيرا - كما جاء في حديث عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم : فمن واقع منها شيئا يعني الكبائر ، وأقيم عليه الحد فهو له كفارة ومن لا فأمره الى الله إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه - وليس هذا حكم الكافر ، لان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" (1)

قد ظهر جليا من خلال هذه الكلمات الذهبية للامام ابن عبدالبر ، أن علماء مالكية الاندلس ، قد وفقوا للحق والصواب ، وفهموا مراد الله عزوجل ، وتدبروا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم بعد أن تم لهم الاستقراء ، لكن الادعياء من الاتباع ، هم الذين بدلوا مطدر فهم الدين الاسلامي ، بكتب الكلام المشحونة بأفنه ، والتي أقلع كبار مصنفيها عما اشتملت عليه من البلايا ، وتابوا الى الله عزوجل كما أسلفت في الفصل ما قبل الاخير من هذه الاطروحة ، فأقول لهؤلاء المسحورين بهذه الكتب : تدبروا قول الله جل وعلا في سورة الحديد :

(ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولايكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد

---

(1) التمهيد لابن عبدالبر : 9/243-244.

فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون)(1) .

فعلماء المالكية الاندلس عبر القرنين الرابع والخامس الهجريين ، قد خدموا العلم: الكتاب والسنة، وغربلوا وبينوا وشرحوا ، وذبوا عن حياضه، ولم يقصروا ، ولا تقاعسوا ، بل جاهدوا في الله حق جهاده ، وقمعوا أهل الاهواء والفساد، ونشر رب العزة والجلال رحمته على العباد في الاندلس وفي الغرب الاسلامي قاطبة ، فواجبنا تقريب هذه الكنوز الدفينة، والتراث الاسلامي العظيم من طلاب العلم الشرعي ، وانصاف المتكلمين الكبار الذين صرحوا برجوعهم عن الغي والخذلان الذي اشتملت عليه كتبهم التي تابوا الى الله مما فيها ، ولو لم يصرحوا برجوعهم وتوبتهم، فالباطل باطل ولوأجمعت الدنيا على تقريره والاخذ به ، والحق حق وهو أحق أن يتبع ، فالحق أبلج والباطل لجلج وإن للحق لدولة ،وإن للباطل جولة .

والحمد لله رب العالمين ./.

يسر الله ختم الكتاب بعد أذان المغرب
ليوم الثلاثاء 7 جمادى الاخرة 1413
فاتح دجنبر بتاريخ النصارى لسنة 1992.

* * * *

---

(1) الحديد : 16 .

*

* *

*

* الخاتمة *

=-=

*

* *

*

بعد هذا العرض المفصل الذي تضمن شرح الاصول الكلية لما كان يعتقده مالكية الاندلس من عقائد التوحيد القرآني الحديثي على مذهب السلف أصحاب الحديث ، وبعد إبانة موقفهم من أهل الاهواء والبدع ، فقد رأيت أن أحصر نتائج هذه الدراسة مرقمة على الشكل التالي :

1 - إن ملوك بني أمية في الاندلس كانوا على منهج الاسلام في حكمهم ، يحكمون بالقرآن والسنة النبوية على منهاج سديد ، رغم ما اعترى دولهم من تقصير ؛ وكذلك الشأن بالنسبة لحكام الطوائف الذين جاءوا من بعدهم ، فإنهم لم يخرجوا عن الاسلام أبدا في عقائدهم رغم تقصيرهم في جوانب من حياتهم ومطاعنهم جمة ، وإننا لانسمح لحاقد أن ينال منهم وهو متفسخ منسلخ عن الاسلام . فلاتكاد تخلو دولة عظيمة عبر الازمان المتعاقبة من متاعب ومطاعن في مختلف جوانب الحياة .

2 - الامام مالك بن أنس كان له منهج عقيدي قويم قبل أن يكون له منهج فقهي جيد ، لانه كان يحكّم مصدري الدين الاسلامي في العقيدة ، الكتاب والسنة اللذين هما عينان نضاختان ، فيهما الهدى والنور والسعادة الأبدية ، لكن مع الاسف نجد المقلدين قد حادوا عن منهج السلف الذي كان عليه إمام دار الهجرة وحكموا منهج اليونان .

3 - كان مالكية الاندلس على طريقة مالك في العقيدة، وكان مالك على مذهب الحق، ينكر دائما على من خالف مذهب السلف أصحاب الحديث ، ومذهبهم أي السلف أعلم وأحكم وأقوم وأسلم .

ومذهب أهل اليونان من المتكلمين أجهل وأظلم وأودى وأهلك المذاهب ؛ لان حال الخلف من خلال مصادر كلامهم الازراء بالصحابة المرضيين أعلم خلق الله بالله بعد الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

4 - كان الاندلسيون يكرهون البحث والتنقيب عن الاشياء الغامضة ، ويتجنبون أهل الكلام ، والخوض والتنازع إلا فيما جاء فيه العلم وبينه الصادق المصدوق محمد صلى الله عليه وسلم في صحيح سنته . فكانوا يتحرزون عن إطلاق ما لم يطلقه الشرع إثباتا ونفيا ، كألفاظ الجهة ، والحيز ، والجوهر ، والعرض ، وغيرها من العبارات التي يروجها المبتدعة والتي قد تبدو لقارىء كتبهم من غير المحققين أنها عبارات مقبولة الظاهر ، لكن المبتدعة يريدون بها معاني باطلة، يغرون بها الناس . فكان مالكية الاندلس يعتمدون في تصانيفهم خلال الشرح والإبانة في العرض والاثبات، على الاستدلال بالكتاب والسنة ، بألفاظهما وهي لغة الصحابة المرضيين التي فهموا بها عن المعصوم أعلم العرب باللغة العربية: محمد صلى الله عليه وسلم .

5 - كما نجد مالكية الاندلس كإخوانهم من علماء أهل الحديث أبعد الناس عن تقعيد منهجهم العقيدي على المعقولات التي هي في حقيقة أمرها مجهولات، ولايعتمدون على وجدانيات، ولا على تصورات وافتراضات، وإنما عمدتهم في العقيدة الوحي الالهي بشقيه : القرآن والسنة النبوية الصحيحة على منهاج السلف .

6 - أصول مالكية الاندلس في الاستدلال لتقرير العقيدة هي أصول السلف أصحاب الحديث .

7 - لقد أشاد شيخ الاسلام ابن تيمية بكتب المالكية في العقيدة وأثنى عليهم خيرا، ونقل عنهم كثيرا، ووصفهم بالمتمسكين بالكتاب والسنة في مواضع كثيرة من كتبه .

8 - كانوا يحرصون على أن يبقى المنهج الاسلامي أصلا أصيلا في العقيدة كما نبهوا على ذلك في تصانيفهم، فقد كانوا يطيرون للذب عن المنهج السلفي كلما عكر صفو العقيدة الاسلامية ضباب الشبه والمكر المصطنع، فيصرفون الاذى، ويدعون الى نبذ طريقة أهل الكلام ويرهبون من مجالسة أهل البدع ويحذرون من شبههم ومغالطاتهم بعد دحرها .

9 - كانوا يحرصون على ترسيخ العقيدة في نفوس المسلمين ويشرحون كلام الله، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم على وجه بينوا فيه أن الهدى كله مأخوذ من كلام الله ورسوله، فأقاموا الدلائل والبراهين القاطعة على ذلك .

10 ـ كما استدلوا على صحة مسائل العقيدة على منهج أهل السنة والجماعة بالقرآن الكريم، وهي طريقة أهل الحديث، فتميز منهجهم في البحث العقيدي باعتمادهم على البراهين القرآنية لأن قضايا الاعتقاد كلها توقيفية.

11 ـ وكانوا يوردون النصوص الحديثية من السنة المشرفة، فلا يحتجون بالمراسيل ولا بالأخبار الواهية، ولا يحتجون في إثبات صفات الله عزوجل بالآراء والمقاييس، شأنهم في ذلك شأن السلف أصحاب الحديث.

12 ـ وكانوا يأخذون بأقوال الصحابة المرضيين قبل أقوال غيرهم، لأنهم أعلم الناس بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهم رضي الله عنهم أصدقه وأعلم وأذكى وأحكم من أخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنهم أخذ التابعون فلم يبدلوا ولم يغيروا، فاستطاع مالكية الاندلس أن يوضحوا لنا من خلال تصانيفهم مذهب أهل السنة والجماعة في العقيدة في ضوء ضوابط علمية راشدة.

13 ـ كما بسطوا الكلام عن قضايا ومسائل العقيدة بسطا علميا شافيا، مزيلا لكل شبهة، ويزهقون باطل أهل الأهواء في ضوء القرآن والسنة النبوية.

14 ـ وحصل لهم العلم التام باختلاف العلماء، والدليل على ذلك فحصهم في مصادرهم عن أصول المسائل العقيدية، التي عقلوها بقوامة، فقد كانوا يقدمون أقوال وشروح من كان

قبلهم من علماء السلف ويرونها خيرا من أقوال وشروح أنفسهم، حتى إذا ما اطلعنا نحن على هذه الذخيرة حصل لنا بها العلم النافع والفهم السليم .

15 - ومن روائع ما اشتملت عليه مصنفاتهم ، ما أثبتوه فيها من الاخبار الصحيحة عن الائمة الكبار في خير القرون ، فنقلوا بأمانة وقسطاس ما رواه أولئك الجهابذة ، فاعتنوا بدراسته عناية فائقة ، وأبرزوا وحدة منهجهم في التصنيف العقيدي ، فنقلوا تلك الاخبار ملتزمين بأصول المنهج السلفي في قبول الرواية وردها ، مع شدة التحري في الاسانيد التي هي سلم الارتقاء الى السمو ، فكان الاسناد سلاحهم به قاتلوا الكذب والتحريف والدجل .

16 - إن الدارس المنصف لمصادر مالكية الاندلس ، لما يقرأ هذه الكتب قراءة مركزة فاحصة وهو يريد الحق ، وينشد الحق ، ويؤمن بالحق ، ويعترف بالحق ، لان الحق أحق أن يتبع ، أما الاشخاص والذوات فلادخل لهم في الحق ، لانه بمعرفة الطالب للحق يعرف الرجال ، ومعرفة الرجال ليست دليلا على الحق ، فعندما يدرس الطالب مصادر مالكية الاندلس على هذا المنهاج سيقف على حقيقة طافية هي أن هؤلاء العلماء كانوا ممن وفقوا الى الحق في تصانيفهم العقيدية ؛ ولاندعي لهم العصمة ، فكل بني آدم خطاؤون كما صح عن النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم .

17 - قد تضمنت هذه الاطروحة حقائق عن عظماء في تاريخ الفكر أخطأوا ، فلما أدركوا ذلك وتبين لهم الصواب رجعوا الى الحق ، كما تبين ذلك من خلال المراحل العلمية التي مر بها كل من أبي الحسن الاشعري ، وعبدالملك الجويني، وأبي حامد الغزالي، ومحمد بن عمر الرازي .

18 - إذا أدركت الفرق المنتسبة الى الاسلام أخطاءها ورجعت الى منهج ربها ، مجددة بذلك فهمها لعقيدة القرآن والسنة النبوية - والتجديد في المنهج ليس أمرا سدى بلابرهان ولا حجة - صلح عملها وعاد إليها مجدها وعزها ، وكذلك باقي أفراد الامة الاسلامية ، فلايستطيع الجميع التغلب على المشاكل العلمية والسياسية والمالية والاجتماعية إلا بالرجوع الى الاسلام الصحيح الذي جاء به القرآن وجاءت به السنة النبوية بفهم السلف الصالح . فهذه أمة الاسلام في الاندلس قد تعرضت لهزات عنيفة من هذا القبيل ، فاستطاعت الخروج من الازمات ، وتخطي الصعاب ، وذلك باعتصامها بحبل الله المتين، وسنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم . فاعتنت بتركيز عقيدة السلف في نفوس الافراد والجماعات والعشائر ، لانه لانجاة ولا سعادة ولا فوز للامة بدون الاخذ بهذا المنهج . وإذا رجعت الامة المسلمة الى دين ربها ، وحكمت القرآن والسنة النبوية في عقيدتها وسلوكها وعبادتها ومحاكمتها ، يبدل الله نحسها سعدا ، وانحطاطها ارتقاء ، وتخاذلها تناصرا ، وشتاتها اجتماعا ، وضعفها قوة ، كما كان يصرح بذلك والدنا الاستاذ الامام أبوشكيب محمد تقي الدين بن عبدالقادر الهلالي الحسيني رحمه الله .

قال الله عزوجل في سورة آل عمران:137 (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين).

19 - وإن ترسيخ العقيدة القرآنية الحديثية من نفوس الشباب المسلم هو المخرج الوحيد من ظلام ظاهرة العنف السياسي التي اكتسحت ربوع بلاد المسلمين . فبالعقيدة الاسلامية على منهاج السلف أصحاب الحديث يسهل تدمير حماقة المستبدين : أسرى حمى العظمة والتسلط على الناس ، الذين يهدمون الدين بالدين ، فأصولهم واحدة قديما وفي عصرنا تتجلى في :

ا - خروجهم على الحكام وشقهم عصا الطاعة وتحريضهم على ذلك .

ب - شن حملاتهم المسعورة على العلماء عموما وعلى العلماء السلفيين خصوصا .

ج - يحالفون جميع قوى الشر في مجتمعهم من شيوعيين وإباحيين وعلمانيين وسحرة وكهنة لتقوية شوكتهم .

20 - إذا كان لنصوص الوحي الالهي نور يتلألأ في قلوب أهل التوحيد ، المتبعين لسيد الانبياء والمرسلين ؛ فإن لها لنارا تحرق أفئدة أعداء التوحيد في كل زمان ، خصوصا في زماننا الذي كثر فيه الدجاجلة أدعياء الدعوة الاسلامية ، من أنصار الفرق الكلامية التي يموج بها المجتمع المغربي ، حتى زعم جلهم أن مسألة النهي عن عبادة القبور وتعظيمها ، التي ما فتىء النبي محمد صلى الله عليه وسلم يرهب منها ، ويحذر أمته من الطواف بها ، والذبح لها ، واتخاذ السرج

والمصابيح عليها ، وذلك في الايام الخمسة الاخيرة من حياته صلى الله عليه وسلم ، الى أن التحق بالرفيق الاعلى وهو يبلغ دين الله الذي هو توحيده جل وعلا بالعبادة، قلت : زعم أولئك أن هذه مسألة جزئية !!!

وهي من الامور التي لايؤدي الخوض فيها إلا الى تفرقة المسلمين ! أيريد هؤلاء أن يجمعوا المسلمين على مزمار الشيطان ، الدربوكة والطر ؟! أم يريدون أن يجمعوا المسلمين بإخراج نسائهم من بيوتهن ليقضين الليالي السوداء في منازل المجاهيل بدعوى التهجد وقيام الليل ؟!

أم أنهم يريدون أن يجمعوا المسلمين عن طريق تشريع أوراد كاذبة خاطئة مفتراة على الاسلام ؟!

أم عن طريق الزج بالشباب المغفل المخلص في السجون ، وإخراجهم الى الشوارع معلنين عن العصيان المدني ، مرددين شعارات المخدج الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم باستئصال شوكة أتباعه وإبادتهم بالقتل والتقتيل ؟!

21 - فالحمدلله الذي منّ على أئمة السلف ومنهم مالكية الاندلس ، بالقوة في الحفظ والفهم ، والفقه في الدين ، والبصر والتأويل ، وجعلهم سبطانه يفجرون من النصوص القرآنية والحديثية أنهار العلوم ، ويستنبطون كنوزها .

22 - والحمد لله الذي منّ على أساطين الفلسفة والكلام بالتوبة إليه جل وعلا ، قال جل وعلا :(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد).

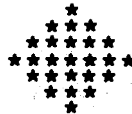
23 - أخيرا ، فإن الجديد الذي أقدمه في هذه الاطروحة كما يقوم به الدليل الموقت من خلال مراجع الوقت في كتب مناهج البحث العلمي ؛ والذى لم يرد في شأنه قواعد في كتب المتأخرين عن طريق الاشتراط ، أقول يمكن حصر الجديد في أمرين اثنين:

الاول: توجيه الطالب المتخصص في علم العقيدة الى مصادر الحق والصواب في هذا العلم ، حتى يتمكن من التمييز بين عقيدة الفلسفة والكلام ، وبين عقيدة الاسلام المناقضة لها ، وحتى يعي ويدرك المنعرجات والالتواءات الكلامية ، ليكون على بينة من الوقوع في شركها (بفتح الشين والراء). لانه إذا حصل طالب العلم الالهي في بحثه العلمي على المناهج القويم بقواعده الاصيلة في ضوء القرآن والسنة النبوية ، كان هذا كافيا بإذن الله تعالى في إحقاق الحق ، وكان كافيا لمصداقية ما يكتبه موضوعا ومنهاجا وأهدافا .

الثاني: هو ما حاولت تقديمه إلى أبناء أمتنا الاسلامية عموما والى المغاربيين خصوصا ، مالكية الغرب الاسلامي ، من مصادر رائدة لائمة مالكية الاندلس في أزهى عصور الثقافة الاسلامية،لما احتكت بالثقافات المتغاربة فغاقتها كلها ، وجعل الله هؤلاء الائمة رواد العلم الالهي ، وقادة الفكر الاسلامي الاصيل . فمن خلال المصادر المدروسة في هذه الاطروحة تمكنوا من عرض وإثبات أصول اعتقادهم ،وردوا على كل أصول اعتقادية مخالفة في مصدرها ومنهجها وألفاظها

للقرآن والسنة النبوية ، مبينين وشارحين أن نهضة المسلمين لن تتم ولن تتحقق إلا إذا نبذوا المناهج الدخيلة على ثقافتهم الاسلامية ، فكم وكم من المعوقات العقائدية والسلوكية اعترضت سبيل المسلمين عبر التاريخ ، وكانت عودتهم الى منهاج ربهم ومنهاج نبيهم سببا في انتصارهم وظهورهم على أعدائهم .

انتهى./.



فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	الآيـــــة	الســورة
258	54	ـ(وإذا جاءك الذين يؤمنون...)	الانعــام
143	61	ـ(توفته رسلنا ...)	
29-28	68	ـ(وإذا رأيت الذين يخوضون....)	
177	83	ـ(وتلك حجتنا آتيناها ...)	
259	114	ـ(أفغير الله ابتغي حكما ...)	
171	149	ـ(قل فلله الحجة البالغة...)	
.235.19	153	ـ(وأن هذا صراطي مستقيما ...)	
347	53	ـ(هل ينظرون إلا تأويله...)	الاعراف
303	54	ـ(إن ربكم الله...)	
213	59	ـ(اعبدوا الله ما لكم من اله غيره...)	
165	61-60	ـ(إنا لنراك في ضلال مبين...)	
166	67-66	ـ(إنا لنراك في سفاهة...)	
337	143	ـ(قال لن تراني....)	
239	180	ـ(ولله الاسماء الحسنى...)	
165	188	ـ(وما مسني السوء...)	
455-432	4-3-2	ـ(إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله...)	الانفــال
170	42	ـ(ليهلك من هلك عن بينة ...)	

السورة	الاية	رقمها	الصفحة
التوبة	-(وصل عليهم ...)	103	465
	-(إن الله اشترى من المؤمنين..)	111	443
	-(التائبون العابدون...)	112	443
	-(فإن تابوا وأقاموا الصلاة...)	5	443
يونس	-(إن ربكم الله الذي خلق...)	3	306
	-(قل من يرزقكم من السماء...)	31	214
	-(قل هل من شركائكم من يبدأ..)	34	170
	-(قل هل من شركائكم من يهد...)	35	169
	-(إن عندكم من سلطان بهذا...)	68	171
هود	-(وهو الذي خلق السموات والارض..)	7	287
	-(قالوا يا نوح قد جادلتنا...)	32	177
	-(وأنا بريء مما تجرمون...)	35	177
	-(واستوت على الجودي...)	44	137
يوسف	-(وما أنت بمؤمن لنا ...)	17	445.429
	-(وما يؤمن أكثرهم بالله...)	106	430.429
	-(يا أبت هذا تأويل....)	100	348
	-(ورفع أبويه على العرش...)	100	285
الرعد	-(الله الذي رفع السموات...)	2	306
	-(أفمن هو قائم على كل نفس...)	33	315

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
النحل	-(فاسألوا أهل الذكر...)	43	81
	-(ولله يسجد ما في السموات ...)	49	336
	-(يخافون ربهم من فوقهم...)	50	362-360
	-(يوم تأتي كل نفس...)	111	173
	-(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ...)	125	165-163
الإسراء	-(إن هذا القرآن يهدي للتي...)	9	378
	-(كفى بنفسك اليوم...)	14	174
	-(انظر كيف فضلنا ...)	21	454
	-(وأوفوا الكيل إذا كلتم...)	35	345
	-(قل لو كان معه آلهة ...)	42	294.288
	-(فأبى أكثر الناس إلا كفورا ...)	89	459
	-(وينزل من القرآن ما هو شفاء ...)	82	263
	-(ولقد كرمنا بني آدم...)	70	225
	-(فأبى الظالمون إلا كفورا ...)	99	459
	-(أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى..)	110	239
	-()		
الكهف	-(سأنبئك بتأويل ما لم تستطع ...)	78	350
	-(ذلك تأويل ما لم تسطع ...)	82	351
	-()		

السورة	الاية	رقمها	الصفحة
طه	ـ(الرحمن على العرش استوى...)	5	.303.292.135 .328.307.306 .391.360
	ـ(الله لا إله إلا هو...)	8	239.94
	ـ(ثم جئت على قدر يا موسى...)	41-40	258
	ـ(قال فمن ربكما يا موسى...)	49	177
	ـ(ومنها نخرجكم تارة أخرى...)	55	177
	ـ(ولا يحيطون به علما ...)	110	392
	ـ(ولأصلبنكم في جذوع النخل...)	71	326
الانبياء	ـ(وما أرسلنا من قبلك ...)	25	439
	ـ(إذ قال لابيه وقومه ...)	52	176
	ـ(أف لكم ولما تعبدون...)	67	176
	ـ(فلا كفران لسعيه...)	94	459
المؤمنون	ـ(إن هو إلا رجل به جنة ...)	25	165
	ـ(قال رب انصرني بما كذبون..)	26	165
	ـ(فإذا استويت أنت ومن معك ...)	28	308.137.298
	ـ(إن هو إلا رجل به جنة ...)	39-38	165
	ـ(قل من رب السموات السبع ..)	86	289
	ـ(فتعالى الله الملك الحق ...)	116	289
النور	ـ(إنما المؤمنون..وإذا كانوا معه..)	62	432

ا لســورة	ا لايـــــة	رقمها	ا لصفحـــة
ا لفرقا ن	ـ(ا لذي خلقا لسموا ت وا لارض...)	59	304
	ـ(قا ل فرعون وما رب ا لعا لمين..)	23	177
	ـ(قا ل أولوجئتك بشيء مبين...)	30	178
	ـ(إذقا ل لابيه وقومه...)	74-70	177-176
	ـ(يوم لاينفع ما ل ولابنون...)	89-88	155
ا لعنكبوت	ـ(إني مها جر ا لى ربي...)	26	364
	ـ(ولاتجا دلوا أهل ا لكتا ب ...)	46	164
ا لـروم	ـ(ومن آيته أن تقوم ا لسما ء ...)	25	328
	ـ(من كفر فعليه كفره ...)	44	460.459
لقما ن	ـ(ولئن سألتهم من خلق ا لسموا ت ..)	25	214
	ـ(إن ا لله عليم بذا ت ا لصدور...)	23	260
ا لسجدة	ـ(يدبر ا لأمر من ا لسما ء ا لى ا لارض..	5	336
	ـ(قل يتوا فكم ملك ا لموت ...)	11	143
	ـ(ثم ا ستوى على ا لعرش...)	4	306.303.294
ا لاحزا ب	ـ(يا أيها ا لذين آمنوا ا تقوا ا لله ..)	71-70	1
فا طر	ـ(إليه يصعد ا لكلم ا لطيب ...)	10	443.391.294

السورة	الاية	رقمها	الصفحة
فاطر	-(ولا ينبئك مثل خبير...)	14	326
	-(وهو الغني الحميد...)	15	338
يس	-(وكل في فلك يسبحون...)	40	285
	-(اليوم نختم على أفواههم...)	65	173
الصافات	-(فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه..)	163-161	54
	-(سبحان ربك رب العزة...)	180	94
	-(أم لكم سلطان مبين...)	156	172
سورة ص	-(قال ما منعك أن تسجد...)	75	384
الزمر	-(ثم إنكم يوم القيامة...)	31	173
	-(فبشر عباد الذين ...)	18-17	236
	-(وترى الملائكة حافين...)	75	287
	-(وما قدروا الله حق قدره...)	67	296
غافر	-(ذلكم بأنه إذا دعي الله كفرتم..)	12	429
	-(فاصبر إن وعد الله حق ...)	55	182
	-(رفيع الدرجات ذو العرش...)	15	288
	-(النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ..)	46	206
	-(وأفوض أمري إلى الله ...)	44	263
	-(الذين يحملون العرش...)	7	320.287.286
	-(ربنا وسعت كل شيء ...)	7	295

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
فصلت	-(إن الذين قالوا ربنا الله...)	30	110
	-(ثم استوى إلى السماء...)	11	294
	-(قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء...)	44	263
الشورى	-(ليس كمثله شيء...)	11	391.356.268.94 .411
	-(شرع لكم من الدين...)	13	22
الزخرف	-(لتستووا على ظهوره...)	13	308.137
	-(وهو الذي في السماء إله...)	84	331
الجاثية	-(أفرأيت من اتخذ إلهه هواه...)	23	362
محمد	-(فاعلم أنه لا إله إلا الله...)	19	465.213
الفتح	-(ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم..)	4	449.440
	-(لتدخلن المسجد الحرام...)	27	437
	-(يعجب الزراع...)	29	460
الحجرات	-(إنما المؤمنون...ثم لم يرتابوا..)	15	443.432
سورة ق	-(ونحن أقرب إليه من حبل الوريد.	16	336.135

السورة	الآيـة	رقمها	الصفحة
النجم	-(ثم دنا فتدلى...)	8	364
	-(فلاتزكوا أنفسكم هو أعلم..)	32	437
	-(إن هي إلا أسماء سميتموها ...)	23	171
القمر	-(تجري بأعيننا ...)	14	385
الرحمن	-(ويبقى وجه ربك ...)	27	384
الواقعة	-(ونحن أقرب إليه منكم..)	85	143
الحديد	-(هو الذي خلق السموات والارض..)	4	369.304.143.110
	-(الرحمن على العرش استوى...)	4	307
	-(وهو معكم أينما كنتم..)	4	336.396.316
	-(كمثل غيث أعجب الكفار نباته..)	20	460
	-(ألم يان للذين آمنوا ...)	16	467
	-(والذين آمنوا بالله ورسله ...)	19	429
المجادلة	-(ما يكون من نجوى...)	7	369.336.331.317
	-(لاتجد قوما ...)	22	434
	-(قد سمع الله قول التي ...)	1	164.94
الحشر	-(له الاسماء الحسنى...)	24	239

الصفحة	رقمها	الاية	السورة
385	4	-(قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم ..)	الممتحنة
11	9-8	-(ليظهره على الدين كله ...)	الصف
182	11	-(ومن يؤمن بالله يهد قلبه ...)	التغابن
24	4	-(وإنك لعلى خلق عظيم ...)	القلم
320.286	17	-(ويحمل عرش ربك فوقهم ...)	الحاقة
172	29-28	-(ما أغنى عني ماليه ...)	
337	4	-(تعرج الملائكة اليه ...)	المعارج
449.440	31	-(ويزداد الذين آمنوا إيمانا ..)	المدثر
189	15-14	-(وهو الغفور الودود ذو العرش ..)	البروج
397	1	-(سبح اسم ربك الاعلى...)	الاعلى
397.369.334	22	-(وجاء ربك والملك صفا صفا ...)	الفجر
364.320	19	-(واسجد واقترب ...)	العلق

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
429	7	-(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات)	البينة
216	1	-(قل يا أيها الكافرون...)	الكافرون
348	3	-(فسبح بحمد ربك واستغفره...)	النصر
411	4	-(ولم يكن له كفوا أحد...)	الاخلاص
378	6	-(اهدنا الصراط المستقيم...)	الفاتحة

الاحاديث المخرجة

حديث :	الصفحة :
"إن الحمد لله نحمده ونستعينه".	1

هذه الخطبة النبوية، تناول تخريجها، وبين أنها رويت عن ستة من الصحابة المرضيين وتابعيهم المحدث محمد الالباني في كتابه نشره المكتب الاسلامي، واسمه: "خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه"، طبعت سنة 1373 في دمشق، ثم أعاد طبعها سنة 1389هـ في بيروت.

حديث :	الصفحة :
-"لايأتي زمان إلا والذي بعده شر منه".	33

* صحيح البخاري في كتاب الفتن، باب لايأتي زمان إلا الذي بعده شر منه: 16/13 مع شرح ابن حجر.

عن الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج، فقال: اصبروا فإنه لايأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم.

الحديث :   الصفحة :

-" من ادعي الى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه". 97

* صحيح مسلم مع شرح النووي :52/2 .

عن سعد بن أبي وقاص قال:

سمع أذناي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول

"من ادعى أبا في الاسلام غير أبيه يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام".

* وفي صحيح البخاري مع شرح العسقلاني:

عن أبي ذر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

" ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر بالله،

ومن ادعى قوما ليس له فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار":

393/6 .

* في كتاب التوحيد لابن خزيمة : باب ذكر اخبار رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم ثابتة من جهة النقل جهل معناها فرقتان: فرقة المعتزلة والخوارج : عن شعبة عن عاصم قال: سمعت أبا عثمان يقول: سمعت سعد بن مالك وأبا بكرة يحدثاني ، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم قال:

" من ادعى الى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام". التوحيد لابن خزيمة :840/2 .

الصفحة :

حديث :

98

-" لايزني الزاني حتى يزني وهو مؤمن".

* صحيح مسلم: 41/2 مع شرح النووي .

* كتاب الايمان للحافظ أبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة: 24 .

عن عائشة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لايزني الزاني حين يزني وهومؤمن ، ولايسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولايشرب يعني الخمر حين يشربها وهومؤمن فإياكم إياكم".

الصفحة :

حديث :

98

-" من اقتطع مال امرىء مسلم بيمين حرم الله عليه الجنة أن يشم ريحها ". كتاب التوحيد: 870/2.

* صحيح مسلم مع شرح النووي: 2/157-158 .

عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال له رجل: وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله ، قال وإن قضيبا من أراك ".

الصفحة :

حديث :

98

-"من اقتطع مال امرىء مسلم بيمين حرم الله عليه الجنة أن يشم ريحها " كتاب التوحيد: 870/2

* صحيح مسلم مع شرح النووي: 158,157/2:

عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال له رجل: وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله ، قال وإن قضيبا من أراك ".

حديث :　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　الصفحة :

-" من قتل نفسا معاهدة بغير حقها ".　　　　　　　　　　　　　　98

* في سنن الدارمي: 235/2 باب في النهي عن قتل المعاهد، عن أبي بكرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من قتل معاهدا في غير كنهه حرم الله عليه الجنة ".

+ في صحيح البخاري: باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما ".

194/6 مع شرح العسقلاني .

حديث :　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　الصفحة :

-" لايدخل الجنة قاطع ".　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　98

صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والاداب .

عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لايدخل الجنة قاطع " قال ابن أبي عمر : قال سفيان يعني قاطع رحم: 113/16 .

حديث :　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　الصفحة :

-"لايدخل الجنة نمام".　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　98

* صحيح مسلم كتاب الايمان :112/2 مع شرح النووي.

* التوحيد لابن خزيمة :845/2: عن حذيفة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لايدخل الجنة نمام ".

حديث : ا لصفحة :

-"ذروني ما تركتم فإنما أهلك ا لذين من قبلكم". 160

+ ا لجا مع ا لصحيح للبخا ري مع شرح ا لعسقلاني:

219/13 ، في كتا ب ا لاعتصا م با لكتا ب وا لسنة ،

با ب ا لاقتدا ء بسنن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم:

عن أبي هريرة عن ا لنبي صلى ا لله عليه وسلم قال :

" دعوني ما تركتكم فإنما أهلك من كا ن قبلكم سؤا لهم

وا ختلافهم على أنبيا ئهم".

حديث : ا لصفحة :

-" كنا عند ا لنبي صلى ا لله عليه وسلم فضحك حتى

بدت نوا جذه". 174

أخرجه ا لدا رقطني في كتا ب ا لصفا ت ، تحقيق وتعليق :

ا لشيخ عبدا لله ا لغنيما ن:25 ، من حديث عبدا لله بن

مسعود أن يهوديا جا ء ا لى ا لنبي صلى ا لله عليه وسلم

فقا ل: يا محمد، إن ا لله عزوجل يمسك ا لسموا ت على أصبع ،

وا لارضين على أصبع ، وا لجبا ل على أصبع ، وا لشجر على

أصبع ، وا لخلائق على أصبع ، ثم يقول أنا ا لملك

فضحك رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم حتى بدت نوا جذه

ثم قا ل: "وما قدروا ا لله حق قدره".

حديث : | الصفحة :

-"حتج آدم وموسى". 180

أخرجه الامام مسلم في جامعه الصحيح في كتاب القدر، مع شرح النووي :200/16 ، عن طاوس قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم أنت موسى اصطفاك الله بكلامه ، وخط لك بيده ، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى فحج آدم موسى".

وأخرجه البخاري في كتاب القدر:214/7 مع الفتح ، وفي كتاب التوحيد: باب وكلم الله موسى تكليما :398/13

وفي صحيح ابن ماجة :20/1 .

وفي كتاب "التوحيد" للحافظ ابن منده: ذكر ما يدل على أن الله قدر مقادير كل شيء قبل خلق الخلق :92/1

وفي كتاب التوحيدوإثبات صفات الرب عزوجل للامام الائمة ابن خزيمة :252.120.129/1 .

حديث : | الصفحة :

-"إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي". 180

في سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي:233/8 .

عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنكم تختصمون إلي وإنما أنا بشر ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه، فإنما أقطعه قطعة من النار".

وفي صحيح مسلم :كتاب الاقضية :5/12 مع شرح النووي .

وفي موطأ مالك :تنوير الحوالك :197/3 ، كتاب الاقضية، الترغيب في القضاء بالحق .

حديث : | الصفحة :

-"إن الله تسعة وتسعين اسما ". 241

أخرجه الامام البخاري في جامعه الصحيح، كتاب التوحيد، باب : إن لله مائة اسم إلا واحدا.

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة": 13/319-230، مع الفتح.

- كتاب الاربعين في دلائل التوحيد للهروي: 80.

- المختار في أصول السنة للامام أبي علي الحسن بن أحمد ابن عبدالله بن البنا الحنبلي البغدادي، قال باب إن لله مائة اسم إلا واحدة" وذكر حديث أبي هريرة المتقدم في صحيح البخاري: 80.

حديث : | الصفحة :

"اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك". 272

قال الامام الشوكاني:

الحديث أخرجه مسلم كما قال المصنف رحمه الله (1)، وهو من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت : فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفراش فالتمسته، فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد، وهما منصوبتان وهو يقول:" اللهم إني أعوذ برضاك ... الخ ".

تحفة الذاكرين: 125.

---

(1) يقصد ابن الجزري الدمشقي.

حديث :	الصفحة :
-"قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين".	274

تنوير الحوالك :106/1 في القراءة في الصبح :
القراءة خلف الامام فيما لايجهر فيه بالقراءة.
+ صحيح مسلم: في كتاب الصلاة :101/4 مع شرح النووي.
+ في صحيح ابن خزيمة :251/1-252-253 ، باب فضل قراءة
فاتحة الكتاب مع البيان أنها السبع المثاني وأن الله
لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولافي القرآن مثلها .
قال ابن خزيمة : أخبرنا عتبة بن عبدالله اليحمدي قال:
قرأت على مالك بن أنس عن العلاء بن عبدالرحمن أنه سمع
أبا السائب مولى هشام بن زهرة يقول :سمعت أبا هريرة يقول:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" من صلى صلاة لم يقرأ
بأم القرآن فهي خداج ، فهي خداج ، فهي خداج ، غير تام،
فقلت :يا أبا هريرة : إني أكون أحيانا وراء الامام ، فغمز
ذراعي وقال: اقرأ بها يا فارسي في نفسك، فإني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"قال الله تبارك
وتعالى:" قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، فنصفها لي
ونصفها لعبدي ، يقول العبد: الحمدلله رب العالمين ،
يقول الله : حمدني عبدي ، يقول العبد :الرحمن الرحيم ،
يقول الله : أثنى علي عبدي ، يقول العبد: مالك يوم
الدين ، يقول الله : مجدني عبدي ، وهذه الاية بيني وبين
عبدي ، يقول العبد: إياك نعبدوإياك نستعين ، فهذه الاية
بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. يقول العبد :اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم
ولا الضالين. فهو لعبدي ولعبدي ما سأل" .

حديث : ا لصفحة :

-"ينزل ربنا ا لى ا لسما ء ا لدنيا ". 275

في سنن ا لدا رمي: 346/1 ، با ب ينزل ا لله ا لى ا لسما ء ا لدنيا . عن أبي هريرة قا ل: قا ل رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم: "ينزل ا لله تعا لى ا لى ا لسما ء ا لدنيا كل ليلة لنصف ا لليل ا لاخر ، ولثلث ا لليل ا لاخر ، فيقول: من ذا ا لذي يدعوني فا ستجيب له، من ذا ا لذي يسألني فأعطيه ، من ذا ا لذي يستغفرني فأغفر له حتى يطلع ا لفجر أو ينصرف ا لقا رىء من صلاة ا لفجر".

* وأخرجه ا لاما م ا لحا فظ شمس ا لدين ا لذهبي في كتا به : ا لاربعين في صفا ت رب ا لعا لمين: 68-69-70-71-72.

* وا لاما م ا لهروي في كتا به : " ا لاربعين في دلائل ا لتوحيد ": 80

* وا لاما م ا بن بطة ا لعكبري في كتا به ا لشرح وا لابا نة : 217.

* وا لاما م ا بن خزيمة في ا لتوحيد : 296/1 .

* وا لحا فظ ا للالكا ئي في كتا به : أصول ا عتقا د أهل ا لسنة وا لجما عة : 434/3.

* وللاما م ا لدا رقطني مصنف جليل جمع فيه طرق هذا ا لحديث وبينه، وقا م بتحقيق ا لكتا ب ا لذي ا سمه "ا لنزول" : ا لدكتور علي بن محمد بن نا صر ا لفقيهي.

* كما شرح حديث ا لنزول شيخ ا لاسلام ا بن تيمية في مصنف قيم.

حديث :	الصفحة :
-" إن قلوب بني آدم بين أصبعين..."	280

* الايمان لابن أبي شيبة: 28 .

* التوحيد لابن خزيمة: 195/1.

* البيهقي في الاسماء والصفات: 340 .

+ الدارقطني في الصفات من حديث عبدالله بن عمرو أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أطابع الرحمن - عزوجل - كقلب واحد، يصرفها كيف يشاء، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم مصرف القلوب، صرف قلوبنا على طاعتك": 27 .

حديث :	الصفحة :
-" إن الله عزوجل يجعل السماء على اصبع ".	280

* كتاب الاربعين في دلائل التوحيد لابي اسماعيل الهروي: 75 .

* كتاب الصفات للدارقطني: 39 .

* التوحيد لابن خزيمة: 178/1.

* الشرح والابانة لابن بطة: 214.

* صحيح البخاري : كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: إن الله يمسك السموات والارض أن تزولا: عن عبدالله قال: جاء حبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد إن الله يضع السماء على إصبع والارض على إصبع والجبال على إصبع والشجر والانهار على اصبع وسائر الخلق على إصبع ثم يقول بيده أنا الملك، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: وما قدروا الله حق قدره": 369/13 مع شرح العسقلاني.

حديث :	الصفحة :
-" إن الله يعجب أو يضحك ..."	280
* كتاب الاربعين في دلائل التوحيد: 76 .
* كتاب الصفات للدارقطني: 46-47 .
* كتاب التوحيد لابن خزيمة: باب ذكر اثبات ضحك ربنا عزوجل: 563/2 .

حديث : | الصفحة :

-" إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ". 287

* أخرجه مسلم في كتاب القدر: 203/16 مع شرح النووي عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة، قال وكان عرشه على الماء".

* وفي كتاب التوحيد لابن خزيمة: 252/1 .

* وأخرجه الحافظ ابن منده في كتابه: "التوحيد": 92/1 في ذكر ما يدل على أن الله قدر مقادير كل شيء قبل خلق الخلق .

حديث : | الصفحة :

-" كان الله ولم يكن شيء غيره ". 287

* أخرجه الامام البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، 204/6 مع شرح العسقلاني. عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم. قالوا: قد بشرتنا فاعطنا مرتين ، ثم دخل عليه ناس من اليمن ، فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إن لم يقبلها بنوتميم ، قالوا: قبلنا يا رسول الله. قالوا: جئنا نسألك عن هذا الامر، قال: "كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والارض". وقد صح الحديث بلفظ "كان الله ولم يكن شيء قبله" في كتاب "التوحيد" للحافظ ابن منده: ذكر معرفة بدء الخلق: 82/1-83 فذكر القصة نفسها التي ذكرها البخاري، إلا أن لفظة "ولم يكن شيء غيره" جاءت هنا عند ابن منده "ولم يكن شيء قبله" فهي متحدة في الرواية مع اختلاف في اللفظ واتحاد المعنى، ولعل الرواية وقعت بالمعنى والله أعلم.

حديث : | الصفحة :

-"أين الله" 332

* الحديث أخرجه الامام ابن خزيمة في كتاب التوحيد قال: حدثنا أبوهاشم زياد بن أيوب (1)، قال: ثنا مبشر (2) يعني ابن اسماعيل الحلبي عن الاوزاعي (3) عن يحيى بن أبي كثير (4) قال: حدثني هلال بن أبي ميمونة (5) قال: حدثني عطاء بن يسار (6) قال: حدثني معاوية بن الحكم السلمي (7) قال: وكانت غنيمة لي ترعاها جارية لي قبل أحد، والجوانية، فوجدت الذئب قد أخذ منها شاة، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون، فصككتها صكة ثم انصرفت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك علي فقلت: يا رسول الله: أفلا أعتقها ؟ قال: بلى ائتني بها، فجئت بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها: "أين الله ؟" قالت: في السماء، قال: "فمن أنا ؟" قالت: أنت رسول الله، قال: "إنها مؤمنة فأعتقها" كتاب التوحيد: 1/279-280.

* وأخرجه الامام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة: 5/20 مع شرح النووي.

+ وأخرجه مالك في الموطأ في العتق، باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة: تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك للسيوطي: 3/5-6.

* وأخرجها لحافظ ابن منده في كتابه "الايمان": ذكر ما يدل على أن المقر بالتوحيد إشارة الى السماء بأن الله في السماء دون الارض وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى مؤمنا.

الايمان لابن منده: 1/23.

---

(1) هو ابن زياد البغدادي: زياد بن أيوب بن زياد البغدادي أبو هاشم الطوسي الاصل، يلقب دلويه وكان يغضب منها، ولقبه أحمد شعبة الصغير، ثقة، حافظ، روى له البخاري وأبوداود، والترمذي،

= والنسائي، مات سنة (252هـ)، وعمره (86 سنة) التهذيب: 99/4، التقريب: 308/1.

(2) مبشر بن إسماعيل الحلبي، هو أبو إسماعيل الكلبي، مولاهم، صدوق، مات سنة (200هـ)، روى له الجماعة، التهذيب: 31/10، التقريب: 288/2.

(3) الأوزاعي: هو عبدالرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي، أبو عمرو الفقيه، ثقة جليل، ولد عام (88هـ) ومات سنة (157هـ)، روى له الجماعة. التهذيب: 239/6، 493/1.

(4) يحيى بن أبي كثير: هو الطائي، ومولاهم أبو نصر اليمامي، ثقة، ثبت، لكنه يدلس ويرسل، مات سنة (132هـ)، وقيل قبل ذلك، روى له الجماعة. التهذيب: 268/11، التقريب: 356/2.

(5) هلال بن أبي ميمونة: هو هلال بن علي بن أسامة، ويقال: هلال ابن أبي ميمونة، وهلال بن هلال العامري، مولاهم المدني، وينسب إلى جده، فيقال: "ابن أسامة" ثقة، مات سنة (بضع عشرة ومائة)، روى له الجماعة. التهذيب: 82/11، التقريب: 324/2.

(6) عطاء بن يسار: هو الهلالي أبو محمد المدني، مولى ميمونة، ثقة، فاضل، صاحب مواعظ، وعبادة، مات سنة (94هـ)، وقيل بعد ذلك روى له الجماعة. انظر تهذيب الكمال: 939/2، التهذيب: 317/7، التقريب: 23/2.

(7) معاوية بن الحكم: صحابي نزيل المدينة، روى له الترمذي ومسلم وأبو داود والنسائي: التهذيب: 205/10.

حديث : | الصفحة :

-" أكملوا المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ". 453

+ سنن الدارمي : باب في حسن الخلق .

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا " .

. 323/2

حديث : | الصفحة :

-"أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله". 455

صحيح الجامع الصغير رقم الحديث :2536.

. 343/2

حديث : | الصفحة :

-" المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده". 455

+ صحيح مسلم مع شرح النووي :10/2 .

+ سنن الدارمي:باب حفظ اليد : عن الشعبي قال: سمعت عبدالله بن عمرو يقول: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

وفي باب حفظ اللسان عن جابر قال: قيل يا رسول الله أي الاسلام أفضل؟ قال:" من سلم المسلمون من لسانه ويده".

سنن الدارمي :2/299-300.

حديث : ا لصفحة :

-" ليس ا لمسكين با لطوا ف عليكم". 456

+ تنوير ا لحوا لك : ما جا ء في ا لمسا كين:

عن أبي ا لزنا د عن ا لاعرج عن أبي هريرة أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قا ل:" ليس ا لمسكين بهذا ا لطوا ف ا لذي يطوف على ا لنا س فترده ا للقمة وا للقمتا ن وا لتمرة وا لتمرتا ن قا لوا : فما ا لمسكين يا رسول ا لله؟ قا ل : ا لذي لايجد غنى يغنيه ،ولايفطن ا لنا س له فيتصدق عليه ولايقوم فيسأل ا لنا س".

تنوير ا لحوا لك للسيوطي:109/3 .

فهرس الاعلام

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم . - ٦ -

- أبجد العلوم : الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم لصديق بن حسن خان القنوجي (ت 1307) ،دار الكتب العلمية بيروت .ط:1307هـ-1889م .

- الابانة عن أصول الديانة للامام أبي الحسن الاشعري ،تقديم الشيخ حماد الانصاري ،مركز شؤون الدعوة ، الجامعة الاسلامية بالمدينة النبوية، 1407هـ.

- إثبات الحد لله عزوجل لابي محمد محمود بن أبي القاسم بن بدران الدشتي ، صورة من مخطوطة من مكتبة الشيخ حماد الانصاري في المدينة النبوية .

- إجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن قيم الجوزية، ط:1 ،دار الكتب العلمية ، بيروت، 1404هـ-1984م .

- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة للامام عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت 276هـ) ،ضمن عقائد السلف جمعها :د.علي سامي النشار وعمار جمعي الطالبي ، مكتبة الاثار السلفية المعارف بالاسكندرية 1971م .

- أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة ،جمعها علي بن سليمان آل يوسف ،طبع على نفقة قاسم بن علي آل ثاني الدوحة ، دولة قطر .

- الارشاد الى قواطع الادلة في أصول الاعتقاد : لامام الحرمين أبي المعالي عبدالملك الجويني(ت 478هـ) ،ط:1 ،مؤسسة الكتب الثقافية ، 1405هـ-1985م .

- أساس التقديس للرازي فخر الدين محمد بن عمر (ت 606هـ)، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، 1406هـ-1986م.

- أصول السنة للإمام ابن أبي زمنين، صورة من مخطوطة بمكتبة الشيخ حماد بن محمد الأنصاري بالمدينة النبوية.

- أصول الدين لأبي منصور عبد القاهر البغدادي (ت 429هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:2/1401هـ-1981م.

- أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي (ت 418هـ) تحقيق: د. أحمد سعيد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1402هـ.

- إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة للشيخ أحمد المقري، راجعه وعلق عليه: الشيخ أبو الفضل عبد الله محمد بن الصديق الغماري، دار الفكر، بيروت.

- إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، راجعه وعلق عليه: ذ. طه عبد الرؤوف، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، 1973م.

- الأعلام لخير الدين الزركلي، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط:3، بيروت 1389هـ-1969م.

- الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة لأبي بكر أحمد بن الحسن البيهقي (ت 458هـ)، الناشر: حديث أكاديمي - باكستان.

- اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (ت 463هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط:3، المكتب الإسلامي، 1389هـ.

- الاقتصاد في الاعتقاد لابي حامد الغزالي ، ط:1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1413هـ-1983م .

- إلجام العوام عن علم الكلام لابي حامد الغزالي بهامش كتاب الانسان الكامل في معرفة الاواخر والاوائل لعبدالكريم بن ابراهيم الجيلاني ، مكتبة ومطبعة محمد صبيح وأولاده ، بمصر.

- أم البراهين الكبرى للسنوسي .

- أم البراهين الصغرى للسنوسي .

- الانصاف فيما يجب اعتقاده ولايجوز الجهل به للقاضي أبي بكر محمد ابن الطيب الباقلاني (ت 403هـ) ، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر. ط:1 ، عالم الكتب ، بيروت، 1407هـ-1986م .

- الانتقاء في فضائل الثلاثة الائمة الفقهاء ، تأليف الامام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي ، دار الكتب العلمية - بيروت .

- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد ، تأليف أبي عبدالله محمد بن المرتضي اليماني من مجتهدي القرن الثامن الهجري ، دار الكتب العلمية - بيروت .

- الايمان لابن منده ، تحقيق :د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، مؤسسة الرسالة، ط:2/1406هـ-1985م .

- كتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم للامام عبدالرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي (ت 634هـ) ، تحقيق :د. زاهر الالمعي ط:1 ، مؤسسة الرسالة ، 1400هـ-1980م .

- كتاب الاربعين في صفات رب العالمين للحافظ شمسالدين الذهبي (ت 748هـ) ، تحقيق عبدالقادر بن محمد عطا صوفي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة النبوية، ط:1/1413هـ.

ـ كتاب الايمان للحافظ بن أبي شيبة (ت 235هـ) ، ط:2 ، المكتب الاسلامي 1403هـ-1983م.

ـ كتاب الايمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته للحافظ أبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ) ، ط:2 ، المكتب الاسلامي ، 1403هـ-1983م.

ـ ب ـ

ـ البداية والنهاية للحافظ أبي الفداء ابن كثير الدمشقي (ت 774هـ) دار الفكر ـ بيروت.

ـ بغية الملتمس لاحمد بن يحيى بن أحمد عميرة الضبي (ت 599هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1967م.

ـ ت ـ

ـ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، شرحه ونشره السيد أحمد صقر ، ط:3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1401هـ-1981م.

ـ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ت 286هـ) ، ط:1 ، دار الكتب العلمية ، 1405هـ-1985م.

ـ تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام أبي الحسن الاشعري للحافظ أبي القاسم علي بن الحسن هبة الله ابن عساكر (ت 571هـ) ط:2 ، دار الفكر ـ دمشق 1399هـ.

ـ التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين لابي المظفر الاسفراييني (ت 471هـ) ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، ط:1 ، عالم الكتب ، 1403هـ-1983م.

ـ التعريفات للجرجاني علي بن محمد بن علي (ت 816هـ) ، دار السرور بيروت.

- تحفة الذاكرين بعدّة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين للامام محمد بن علي الشوكاني (ت 1250هـ)، ط:3، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1386هـ-1966م.

- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة لابي الريحان محمد بن أحمد البيروني (ت 440هـ)، عالم الكتب، ط:2/1403هـ-1983م.

- تاج العروس من جواهر القاموس لمحب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- تذكرة الحفاظ للحافظ شمس الدين الذهبي (ت 748هـ)، نشر دار التراث العربي - بيروت.

- ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، تأليف أبي عبدالله محمد بن المرتضى اليماني (ت 840هـ)، ط:1، دار الكتب العلمية بيروت، 1404هـ-1984م.

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض بن موسى السبتي، تحقيق أحمد أعراب، 1403هـ 1983م.

- تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية - بيروت، 1398هـ-1978م.

- تفسير القرآن الجليل للنسفي: أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي (ت 701هـ)، المكتبة الاموية، دمشق.

- تفسير القرآن العظيم لابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هـ)، دار احياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي.

- تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ط:2، طبع دائرة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1395هـ.

(ذ 597)

- تلبيس إبليس لابي الفرج ابن الجوزي، ط:2، دار الكتب العلمية بيروت، 1368هـ.

- تهذيب اللغة للازهري محمد بن أحمد (ت 370هـ)، تحقيق: ذ. ابراهيم الابياري، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة، 1387هـ-1967م.

- تهذيب التهذيب للحافظ بن حجر العسقلاني، طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف بالهند، ط:1/1325هـ.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المزي (ت 742هـ)، طبع: دار المأمون للتراث، دمشق، سوريا.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة مكة للطباعة والاعلام، 1398هـ.

- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، تأليف الشيخ سليمان ابن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت 1233هـ)، مكتبة الرياض الحديثة.

- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للامام محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، (ت 741هـ)، ط:2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1393هـ-1973م.

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد للامام ابن عبد البر القرطبي، طبع بأمر جلالة الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية، 1400هـ-1980م.

- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عزوجل للامام أبي بكر محمد ابن اسحاق بن خزيمة (ت 311هـ)، تحقيق: د.عبدالعزيز بن ابراهيم الشهوان، ط:1، دار الرشد، الرياض، 1408هـ-1988م.

- كتاب التوحيد للحافظ أبي عبدالله محمد بن اسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، (ت 395هـ)، تحقيق: د.علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، ط:2، مركز شؤون الدعوة، الجامعة الاسلامية، المدينة النبوية.

- ج -

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر.

- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، للامام ابن عبدالبر القرطبي النمري، دار الفكر - بيروت.

- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس لابي عبدالله محمد بن فتوح ابن عبدالله الحميدي (ت 488هـ)، تحقيق: ذ. محمد بن تاويت الطنجي، ط:1، مكتب نشر الثقافة الاسلامية، القاهرة 1372هـ.

- ح -

- حاشية الدسوقي على أم البراهين.

- الحبل المتين على نظم المرشد المعين على الضروري من علوم الدين في مذهب الامام مالك رضي الله عنه، تأليف: محمدبن محمد بن المبارك الفتحي المراكشي، المكتبة الشعبية، بيروت.

- الحركة الوهابية رد على مقال للدكتور محمد البهي في نقد الوهابية بقلم الدكتور محمد خليل هراس، مؤسسة مكة للطباعة والاعلام في المملكة السعودية من مطبوعات الجامعة الاسلامية، 1396هـ.

- الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية للامير شكيب أرسلان، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان.

- د -

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون (ت 799هـ)، ط:1، مطبعة الفحامين بمصر، 1351هـ.

- دعوة التوحيد للدكتور محمد خليل هراس، ط:1، دار الكتب العلمية بيروت، 1406هـ-1986م.

- ذ -

- الذب عن أبي الحسن الاشعري للحافظ أبي القاسم عبدالملك بن عيسى ابن درباس (ت 659هـ)، ط:1، سلسلة عقائد السلف، مركز شؤون الدعوة بالجامعة الاسلامية في المدينة النبوية، 1404هـ-1984م.

- ر -

- رسالة التوحيد لمحمد عبده.
- رسالة في إثبات الاستواء والفوقية لابي محمد عبدالله بن يوسف الجويني والد إمام الحرمين (ت 438هـ)، مجموعة الرسائل المنيرية، مكتبة طيبة، الرياض - السعودية.

- رسالة أهل الثغر للامام أبي الحسن الاشعري (ت 324هـ)، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

- الرسالة التدمرية للامام ابن تيمية، ط:2، المكتب الاسلامي 1351هـ.

- الرسالة النظامية لعبدالملك الجويني (ت 478هـ)، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، مطبعة الانوار القاهرة، 1948م.

- رفع الملام عن الائمة الاعلام لشيخ الاسلام ابن تيمية، ط:5/1396هـ، مؤسسة مكة للطباعة والاعلام.

- س -

- سبيل الرشاد في هدي خير العباد للدكتور محمد تقي الدين الهلالي (ت 1407هـ)، مكتبة المعارف - الرباط .

- سنن النسائي أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي (ت 303هـ)، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت .

- سنن الدارمي للامام أبي محمد عبدالله بن بهرام الدارمي (ت 255هـ) دار الفكر، بيروت .

- كتاب السنة للامام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت 241هـ)، تحقيق الشيخ اسماعيل الانصاري، الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء بالرياض في السعودية .

- كتاب السنة للامام أبي عبدالرحمن عبدالله بن إمام أهل السنة أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت 290هـ)، ط:1، دار ابن القيم الدمام، السعودية، 1406هـ-1986م .

- كتاب السنة للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني (ت 287هـ)، ط:1، المكتب الاسلامي، 1400هـ-1980م .

- سيرة الامام الشيخ محمد بن عبدالوهاب لامين سعيد، ط:1، شركة التوزيع العربية في بيروت، شركة الصحافة والمطبوعات المتحدة في مكة، 1384هـ.

- سير أعلام النبلاء للحافظ شمس الدين الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق: شعيب الارناؤط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط:3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ-1986م .

- ش -

- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية للشيخ محمد بن مخلوف، دار الفكر .

- شرح العقيدة الطحاوية للامام علي بن أحمد بن أبي العز الحنفي (ت 792هـ)، تحقيق جماعة من العلماء، ط:4، المكتب الاسلامي، بيروت، 1391هـ.

- شرح العقائد النسفية لسعد الدين التفتازاني، تحقيق أحمد حجازي السقا، ط:1، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، 1407هـ-1987م.

- الشرح والابانة على أصول السنة والديانة للامام ابن بطة العكبري (ت 387هـ)، المكتبة الفيصلية، مكة، 1404هـ-1984م.

(1132)
- شيخ الشام جمال الدين القاسمي بقلم محمود مهدي الاستنبولي، ط:1، المكتب الاسلامي - بيروت، 1405هـ-1985م.

- ص -

- صحيح سنن ابن ماجة أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت 275هـ) تأليف محمد ناصر الدين الالباني، ط:1، توزيع المكتب الاسلامي، بيروت، 1407هـ-1987م.

- صحيح ابن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الاعظمي، ط:2/1401هـ-1981م، شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة العمارية - الرياض.

- صبح الاعشى في صناعة الانشا لابي العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت 820هـ)، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - القاهرة.

- صحيح الامام مسلم بشرح النووي، الطبعة المصرية ومكتبتها.

- صحيح الامام البخاري مع شرح ابن حجر العسقلاني، ط:1، المطبعة الكبرى المنيرية، مصر 1300هـ.

- كتاب الصلة في تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، تأليف الشيخ أبي القاسم خلف بن عبدالملك المعروف بابن بشكوال (ت 578هـ)، راجع أصله السيد عزت العطار الحسني، مؤسسة مكتب نشر الثقافة الاسلامية، 1324هـ-1955م.

- ط -

- طبقات المفسرين لجلال الدين السيوطي ، ايران ، مطبعة ليدن بطهران ، 1960م .

- طبقات الحفاظ لجلال الدين السيوطي (ت 911هـ) ، راجع الكتاب جماعة من العلماء ، ط:1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1403هـ-1983م.

- طبقات المفسرين لشمس الدين محمد بن علي الداودي (ت 945هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت .

- ع -

- العبر في خبر من غبر للذهبي ، تحقيق فؤاد السيد ، طبعة الكويت ، 1961م .

- كتاب العرش وما روي فيه للحافظ ابن أبي شيبة (ت 298هـ) ، ط:1 ، مكتبة المعلا ، الكويت ، 1406هـ-1986م.

- عقيدة السلف أصحاب الحديث للامام أبي عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني ، تحقيق عبدالله السبت ، ط:1 ، دار السلفية بالكويت ، 1397هـ-1977م.

- العقيدة الطحاوية ، شرح وتعليق : ناصر الدين الالباني ، المكتب الاسلامي .

- العقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية وقدرتها على مواجهة التحديات المعاصرة للدكتور محمد بن عبدالرحمن المغراوي ، مراكش .

- العلو للعلي الغفار للحافظ شمس الدين الذهبي ، صححه وراجع أصوله : عبدالرحمن محمد عثمان ، ط:2 ، المكتبة السلفية ، المدينة النبوية ، 1388هـ-1968م .

- ف -

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني (ت 1250هـ)، ط:2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1383هـ-1964م.

- فضل علم السلف على الخلف لابن رجب البغدادي الحنبلي (ت 795هـ)، جمع وتحقيق محمد عبد الحكيم القاضي، دار الحديث، القاهرة، 1408هـ.

- ق -

- القرامطة للامام عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق محمد الصباغ، ط:6، المكتب الاسلامي، 1404هـ-1984م.

- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

- ك -

- الكامل في التاريخ لابي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد المعروف بابن الاثير الجزري، (ت 630هـ)، دار الفكر بيروت، 1398هـ-1978م.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل للامام جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 528هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، مصطفى ابن عبد الله القسطنطيني (ت 1067هـ)، مكتبة المثنى، بغداد.

- الكوثري وتعليقاته بقلم علامة الشام الشيخ محمد بهجة البيطار، ط:2، دار القاروق بالطائف - السعودية، 1410هـ-1990م.

- ل -

- لسان العرب لجمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور (ت 711هـ) دار صادر، بيروت، 1374هـ-1955م.

ـ اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع لابي الحسن الاشعري (ت 330هـ)، تحقيق الشيخ عبدالعزيز عزالدين السيروان، ط:1، دار لبنان للطباعة والنشر، 1408هـ-1987م.

ـ لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية للعلامة الشيخ محمد بن أحمد السفراييني (ت 1188هـ)، ط:2، المكتب الاسلامي، بيروت، 1405هـ-1985م.

ـ م ـ

ـ محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي، تصحيح محمد فؤاد عبدالباقي، ط:2، دار الفكر بيروت، 1398هـ-1978م.

ـ محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه :ذ. مسعود الندوي مراجعة وتقديم :د. محمد تقي الدين الهلالي، ط:1، ربيع الاول 1397هـ-1977م في باكستان.

ـ محمد بن عبدالوهاب : دعوته وسيرته لسماحة الشيخ عبدالعزيز ابن عبدالله بن باز، الرئيس العام للرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء، الدار السعودية للنشر، ط:2/1389هـ الرياض ـ المملكة السعودية.

ـ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية، جمع وترتيب الشيخ عبدالرحمن ابن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، طبع بأمر صاحب السمو الملكي ولي العهد المعظم فهد بن عبدالعزيز آل سعود، 1398هـ.

ـ المجموع شرح المهذب لمحيي الدين بن شرف النووي (ت 676هـ)، إدارة الطباعة المنيرية مصر، 1348هـ.

ـ المجموعة العلمية السعودية من درر علماء السلف الصالح، حققها وراجع أصولها العلامة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، مطابع دار الثقافة بمكة المكرمة، 1394هـ-1974م.

- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة للامام ابن قيم الجوزية ، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض .

- مدنية المسلمين في اسبانيا ترجمه من الانجليزية الى اللغة العربية : د.محمد تقي الدين الهلالي ،ط:2 ،مكتبة المعارف - الرباط .

- مشكل الحديث وبيانه لابي بكر ابن فورك (ت 406هـ) ، عالم الكتب ، ط:2 ، 1405هـ-1985م .

- معجم البلدان لياقوت الحموي : أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله (ت 626هـ) ،دار طادر ، بيروت، 1376هـ-1957م .

- معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الاصفهاني ،تحقيق نديم مرعشلي ،دار الفكر للطباعةوالنشر والتوزيع .

- معجم مقاييس اللغة لابي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ) تحقيق عبدالسلام هارون ، دار الفكر للطباعة والنشروالتوزيع .

- مفتاح العلوم ليوسف بن أبي بكر محمد بن علي ،أبي يعقوب السكاكي(ت 626هـ) ،ط:1 ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، 1356هـ-1937م .

- مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين لابي الحسن الاشعري (ت 330هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين الخطيب ،ط:2 ،مكتبةالنهضة المصرية، 1389هـ-1969م .

- المقدمة لابن خلدون (ت 776هـ) ، تحقيق :د. علي عبدالواحب وافي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ،القاهرة .

- المناهج والاطر التأليفية في تراثنا :د.محمد بن لطفي الصباغ ، ط:1 ،المكتب الاسلامي ، 1405هـ-1985م .

- المواقف في علم الكلام للعضد الايجي، عالم الكتب - بيروت.

- ن -

- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب للشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ-1968م.

- و -

- وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان للقاضي ابن خلكان ت 681 تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط:1، مكتبة النهضة المصرية، 1948م.

